الأصمعي

ناقدُ الشِّعْر

ناصر توفيق الجباعي

الأصمعي ناقد الشعر

ناصر توفيق الجباعي

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر
الجباعي، ناصر توفيق.

الأصمعي ناقد الشعر/ ناصر توفيق الجباعي. – ط 1 – أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، 2009.
ص ؛ سم.
يتضمن مراجع ببليوجرافية (ص) .
ت د م ك 978-9948-01-374-7
1 – الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، 740 – نحو 828 هـ. 2 – الشعر العربي – تاريخ ونقد.

LC PJ7700.A8. J53 2009

أبـوظـبـي لـلـثـقـافـة و الـتـراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

الطبعة الأولى 1430هـ 2009م

صورة الغلاف: ///////
تصميم الغلاف: /////////

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380، هاتف: 300 6215 2 971+
publication@adach.ae
www.adach.ae

الأصمعي ناقد الشعر

الإهداء

قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

إلى والديّ

إلى الأستاذ طاهر عمران

أقدم هذا الجهد

ناصر

مقدمة

لما كان اختيار نماذج من الشعر نوعاً من النقد الأدبي أو نقداً ضمنياً ـ على حد تعبير إحسان عباس[1] ـ أردنا دراسة قضية نقد الشعر عند الأصمعي في إطار عام يشمل الأصمعيات، وتبيّن أن موضوع نقد الشعر لم يحظَ بدراسة مستقلة اعتماداً على ما توفر من معلومات، وإن كان هناك مؤلفات عرضت لهذا الجانب عند الأصمعي أو ذاك. وتنقسم هذه الدراسات إلى قسمين: قسم عرض تاريخ النقد الأدبي، وقسم لكتب خاصة عن الأصمعي.

القسم الأول: محمد مندور، في كتابه (النقد المنهجي عند العرب) الذي قال في مقدمته: «وأول كتاب أُلِّف في تاريخ النقد الأدبي هو طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي»[2]. ولم يعرض للأصمعي الناقد قط، والأصمعي سابق لابن سلاّم.

وقد سار بعض الباحثين ممن أرَّخوا للنقد الأدبي عند العرب على نهج مندور، من حيث البدء بابن سلاّم واستبعاد الأصمعي؛ مثل: حفني محمد شرف، في كتابه (النقد الأدبي، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب).

ولعل إحسان عباس في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) أول من عرض للأصمعي الناقد الأدبي، على أساس أنه سابق ابن سلاّم الجمحي، وأشار إلى النقد الضمني عنده، وإلى مكانته بين النقاد القدماء، قال: «ويقف الأصمعي بينهم مثلاً متميزاً، فهو وإن شاركهم في كثير من النظرات الساذجة مثل الالتفات نحو أغزل بيت وأهجى بيت وما أشبه ذلك من أحكام، قد هداه بصره الناقد إلى مواقف نقدية واضحة»[3].

وعرض إحسان عباس ثلاث قضايا نقدية عند الأصمعي، هي: الفصل بين الأخلاق

---

(1) عباس، د. إحسان: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط1، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1391هـ – 1971م، ص70.

(2) مندور، محمد: النقد المنهجي عند العرب، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، تاريخ المقدمة 1948، ص11.

(3) عباس: تاريخ النقد الأدبي، ص49.

والشعر، والفحولة، والعناية بالتشبيه. وكان كلام إحسان كلاماً موجزاً، والكتاب معقود لعرض تاريخ النقد.

القسم الثاني: دراسات تناولت الأصمعي خاصة:

- عبد الجبار الجومرد، في كتابه (الأصمعي حياته وآثاره).
- عبد الحميد الشلقاني، في كتابه (الأصمعي الراوية – دراسة لغوية)، تناول حياة الأصمعي تناولاً مقتضباً، فوصف ما استطاع الحصول عليه من كتب الأصمعي، وأسقط كتاب الأمثال من تلك الكتب.
- أحمد كمال زكي، في كتابه (الأصمعي)، قال في مقدمته: «هذه كلمة لابد منها... لأن ما بين أيدينا ترجمة هي إلى التاريخ الفني أقرب مما هي إلى التاريخ العلمي، وهي قصة حياة لا تجمع الأخبار لتنقدها وإنما تجمعها لتنسقها».
- ماجد الصايغ، في كتابه (الأصمعي – دراسة وتحليل)، عرض فيه بعض أقوال الأصمعي في كتاب فحولة الشعراء ولم يدرسها، وعرض لأعلام الشعراء في الأصمعيات بتراجم مختصرة.

ولهذا اتجه البحث إلى دراسة الأصمعي ناقد الشعر منطلقاً من مفهوم أن النقد الأدبي يشمل رواية الشعر، وعمل الدواوين، وشرحها، واختيار النصوص الشعرية أو استحسانها من بين التراث الشعري، ويشمل أيضاً أقواله، وما يمكن أن يستخلص من مواقف نقدية، نستمدها من كتبه ومناظراته، وما يُنسَب إليه من آراء.

ومن أهداف البحث حصر جهود الأصمعي في مجال نقد الشعر حصراً مستقصياً، وتصنيفها وتحليلها وتبيُّنُ مكانة الأصمعي في نقد الشعر، وطرائقه في النظر والتذوق، وما يمكن أن تدل عليه جهوده من إضافات.

وسنعرض لسيرة الرجل وتكوينه العلمي وما رواه أو عمله من دواوين، وسنقف عند اختياره (الأصمعيات) واستحسانه. وسيتجه البحث إلى دراسة آراء الأصمعي في مجال النقد الفني، وبذلك نقف على نقد الشعر في مؤلفات الأصمعي المتعلقة بالشعر والأدب.

ولكن اكتمال صورة نقد الشعر يتطلب دراسة الكتب اللغوية التي ألّفها الأصمعي وأورد فيها الشعرَ على سبيل الاستشهاد، فكان لابد من تناول هذا الشعر لبيان موقف الأصمعي النقدي منه.

ولعلنا وُفِّقنا في هذا الجهد لنبيّن دور الأصمعي في رواية الشعر ونقده.

وبعد؛ أتوجه بالشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور أحمد محمد البدوي الذي أفدت من إرشاداته النيّرة وتوجيهاته في إتمام هذا العمل. وأتقدم بالشكر للإخوة العاملين في المكتبة المركزية، ومكتبة كلية الآداب في جامعة قاريونس، والدكتور طاهر عمران الذي لقيت منه عون الصديق وهداية الدليل.

والدكتور يحيى وهيب الجبوري والدكتور فندي نصر والدكتورة هنية الكاديكي والأخ عبد السلام جمعة الشقعابي والأستاذ أحمد فوزي، الذين كانوا خير عون لي في هذا العمل.

الباب الأول

سيرة الأصمعي وتكوينه العلمي

الفصل الأول
سيرة الأصمعي

اسمه ونسبه:

ذكر ابن الجراح (ت 296هـ) أن اسم الأصمعي هو: «عبد الملك بن قُرَيْب الباهلي، ويكنّى أبا سعيد»(1)، وقُرَيْبٌ «بضمّ القاف وفتح المهملة وآخره موحدة»(2) تصغير قرب.

وأثبت السيرافي (ت 368هـ) نسب الأصمعي إلى باهلة، قال: «هو عبد الملك بن قريب ويكنى أبا سعيد، واسم قريب عاصم، ويكنى بأبي بكر بن عبد الملك بن أصمع بن مطهر بن رياح بن عمرو بن عبد الله الباهلي»(3)، فقد وضح أن اسم والد الأصمعي هو عاصم، ولكنه اشتهر بلقبه وهو قُريب.

وجاء ابنُ حزم (ت 456هـ) بسلسلة نسب الأصمعي حتى قيس عيلان فقال: «الأصمعي عبدُ الملك بنُ قُرَيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غَنْم بن قتيبة بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان»(4).

وهذا النسب الذي أورده ابن حزم نجده من بعده عند الخطيب البغدادي (ت

---

(1) ابن الجراح، أبو عبد الله محمد بن داود: الورقة، تحقيق: د. عبد الوهاب عزام/ عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف، مصر، د.ت، ص3.

(2) الأنصاري، الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي: خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1322هـ، ص207.

(3) السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله: كتاب أخبار النحويين البصريين. نشر فريتس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت/ باريس، 1936م، ص58. ومطهر تصحيف؛ والصواب مُظَهِّر.

(4) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار المعارف، مصر، 1382هـ، 1962م، ص245. يلاحظ من النصوص السابقة أن السيرافي أسقط اسم علي من نسب الأصمعي، وأنهى النسبَ عند عبد الله الباهلي، ولم يورد من جاء قبله أو بعده هذا الاسم، كما وردت كلمة مظهر عنده غير معجمة.

463هـ)[1].

فقد اشتهر الرجل بكنيته أبي سعيد، وبلقبه الأصمعي نسبة إلى جده أصمع، والأصمع: «صغير الأذن والأنثى صمعاء»[2].

أما ما أوردته المصادر السابقة وغيرها، من نسبة الأصمعي إلى باهلة، فإنّ باهلة ليس اسم جد الأصمعي، وإنما باهلة عند ابن قتيبة (ت 276هـ): «امرأة من همدان نُسِبَ إليها بنو معن ومنبه بن أعصر»[3].

وهذه المرأة قال عنها ابن حزم: «باهلة بنت سعد العشيرة من مذحج، ومعن بن مالك خلف بعد أبيه على باهلة، فولدت له أولاداً، وحضنت سائرَ ولده من غيرها، فنسب جميعهم إلى باهلة. فولد معن بن مالك أود بن معن وجئاوة، أمهما باهلة... وقتيبة وقعنب أمهما بنت عمرو بن تميم حضنتهم كلهم باهلة»[4].

فهي زوج أبيهم، وأم إخوانهم، وحاضنتهم التي أشرفت على تربيتهم، يقول الأصمعي: «لست من باهلة لأنّ قتيبة بن معن لم تلده باهلة قط»[5]. ومن هنا تكون قبيلة باهلة قد

---

(1) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، المكتبة العربية، بغداد، مطبعة السعادة، مصر 1349هـ، 1931م، ج1، ص410. =

= من الكتب التي ترجمت للأصمعي بعد الخطيب البغدادي، نذكر:

– ابن الأثير، الشيخ عز الدين علي بن محمد: اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة، 1386هـ، ج1، ص56.

– ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ج2، ص344.

– القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371هـ 1952م، ج2، ص197.

(2) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، تاريخ المقدمة 1300هـ ج10، ص74.

(3) ابن قتيبة، الدينوري: المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ط1، المطبعة الإسلامية، القاهرة، 1353هـ/ 1934م، ص36.

(4) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص245.

(5) المصدر السابق، ص245.

اشتهرت بنسبها إلى باهلة، وهي زوج معن جد القبيلة، وحاضنة جدهم قتيبة بن معن.

قال ابن خلكان: «وقيل إن باهلة ابن أعصر»(1).

مولده:

يتفق المؤرخون على أن الأصمعي مولود في مدينة البصرة وذلك في سنة «ثلاث وعشرين ومئة، وعمّر نيفاً وتسعينَ سنة وله عقب»(2). ويرد في موضع آخر أنه ولد سنة «اثنتين وقيل ثلاث وعشرين ومئة»(3). ولا نجد فارقاً بين الروايتين إلاّ في سنة واحدة فقط.

وترعرع في أكناف البصرة التي اشتُهر بنسبته إليها، وتلقى العلم على أيدي جماعة من شيوخ البصرة، وتتلمذ على بعض البصريين. قال الخطيب البغدادي: «سمع عبد الله بن عون، وشعبة بن الحجاج، والحمادين، ويعقوب بن محمد ابن طحلاء، ومسعر بن كدام، وسليمان بن المغيرة، وقُرَّة بن خالد. روى عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن عبد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وأحمد بن محمد اليزيدي»(4)، وسمع كثيرين غير هؤلاء.

خلقه:

قال ابن قتيبة عن الأصمعي: «كانت الرواية والمعاني أغلب عليه، وكان شديد التوقّي لتفسير القرآن الكريم، وحديث النبي ﷺ، ولا نعلم أنّه كان يرفع إلاّ أحاديث يسيرة، وصدوقاً في غير ذلك من حديثه، صاحب سنة»(5).

ويظهر أنّ جلّ علمه كان يرتبط باللغة والأدب والمعاني، وقيل إنه: «راوية للشعر والغريب موثوق به في الحديث، روى عنه يحيى بن معين فأكثر»(6). وقال السيرافي: «كان

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص344.
(2) ابن قتيبة: المعارف، ص236.
(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص347.
(4) البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص410. وسنعرض لشيوخ الأصمعي بالتفصيل في الفصل الثاني.
(5) ابن قتيبة: المعارف، ص236.
(6) ابن الجراح: الورقة، ص30.

الأصمعي صدوقاً في الحديث، وعنده القرآن عن أبي عمرو ونافع وغيرهما، ويتوقى تفسير شيء من القرآن والحديث على طريق اللغة»[1].

فهذه النصوص تدل على صدقه وتمسكه بدينه وخشيته من تفسير القرآن الكريم أو الحديث الشريف. قال البغدادي: «أخبرنا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله قال سمعت إبراهيم الحربي يقول: كان أهل البصرة [يعني أهل العربية منهم] أصحاب الأهواء؛ إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سنة، أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي»[2].

فالأصمعي بالإضافة إلى تحرّجه من تفسير القرآن الكريم هو صاحب سنة نبوية، بعيد عن الأهواء وأصحابها، يزين علمه وأخلاقه شهادة الشافعي له.

ذكر البغدادي أن الشافعي قال: «ما رأيت بذلك العسكر أصدق لهجة من الأصمعي»[3]، فالشافعي يشهد بصدق لهجة الأصمعي، والمرجح أنه يقصد فصاحته، وربما أراد أخلاقه أيضاً.

وورد عن أخلاقه قول الخطيب: «أخبرنا عبيدُ الله بن عمر الواعظ حدّثنا أبي حدثنا الحسين بن صدقة قالا: حدثنا ابنُ أبي خيثمة قال: سمعت يحيى بن معين يقول: الأصمعي ثقة، وسُئِلَ أبو داود عن الأصمعي فقال: صدوق»[4]. وكان يحيى بن معين قد أكثر الرواية عنه. وننهي الكلام عن أخلاقه بخبر مسند إلى أحمد بن حنبل؛ قال البغدادي: «أخبرنا البرقاني أخبرنا الحسين بن علي التميمي حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرايني قال: سمعت أبا أمية يقول: سمعت أحمد بن حنبل يثني على الأصمعي في السنّة»[5].

فإنّ هذه الأخبار الواردة عن الثقات تؤكد أن الأصمعي كان عالماً، متمسكاً بدينه،

(1) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص60.
(2) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص418.
(3) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص419.
(4) المصدر السابق، ج10، ص419.
(5) المصدر السابق، ج10، ص418.

صدوقاً في حديثه وعلمه.

علمه:

كان الشعر موضع اهتمام بالغ من قبل الأصمعي، وله مع الأعراب قصص في ذلك تدلّ على إلمامه وسعة حفظه للشعر. ذكر السيرافي أنّ ابن الأعرابي قال: «شهدت الأصمعي وقد أنشد نحواً من مائتي بيت ما فيها بيت عرفناه»(1). هذه شهادة عالم معاصر له.

وقال إسحاق الموصلي: «لم أرَ كالأصمعي يدّعي شيئاً من العلم فيكون أحد أعلم به منه»(2).

وشهادة الموصلي تبيّن منزلة الأصمعي على رغم ما كان بينهما من حسد من أجل الحصول على منزلة سامية عند الخليفة ووزرائه من آل برمك.

وقد زادت اللغة والشعر فصاحة الأصمعي ولسانه بياناً حتى قال الشافعي: «ما عبّر أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي»(3). وشهادة الشافعي هذه لها دلالتها على صدق الأصمعي. وذكر البغدادي أنه «قيل لأبي نواس، قد أُشخص أبو عبيدة والأصمعي إلى الرشيد فقال: أما أبو عبيدة فإنهم إن أمكنوه من سفره قرأ عليهم أساطير الأوّلين والآخرين، وأما الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته»(4). والمرجح أن أبا نواس يقصد بالنغمات إلمامَ الأصمعي بالشعر العربي وحسن إنشاده وإدراكه لقوافيه رجزاً وقصيداً. ولو أخذنا بالخبر الذي يروي مقدار حفظ الأصمعي من الرجز قال أبو حاتم: «وكان أروى الناس للرجز الأصمعي... سمعت مرةً نجرانياً قد طاف بنواحي خراسان، فسأله –أي سأل الأصمعي– فقال: أخبرني فلانٌ بالري أنك تروي اثنتي عشرة ألف أرجوزة، قال: نعم، أربع عشرة ألف أرجوزة أحفظها...»(5)؛ وجدنا علماً بالشعر قد لا يقع لغيره من الرواة.

(1) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص60.
(2) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص416.
(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص344.
(4) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص414.
(5) الأصمعي، الإمام الأديب الراوية الناقد أبي سعيد: فحولة الشعراء، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي/ طه محمد الزيني، ط1، المطبعة المنيرية بالأزهر، 1373هـ/ 1953م، ص26.

وجمع بالإضافة إلى هذا القدر من الرجز رواية كثير من دواوين الشعر حتى استقام علمه، وأصبح حجة لطالبي العلم في وقته.

روى صاحب الأغاني: «عن عمرو بن شبة عن إسحاق قال: قال لي الأصمعي: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي: هل حملت معك شيئاً من كتبك؟ فقلت: نعم حملت ما خفّ حمله فقال: كم؟ فقلت ثمانية عشر صندوقاً. فقال هذا لما خففت فلو ثقلت كم كنت تحمل؟ فقلت أضعافها فجعل يعجب»[1]. وهذا دليل على أن الأصمعي قد جمع في مصنفاته علماً غزيراً هو عصارة حياته وجهده.

أما عن علم الأصمعي بالنحو، فقد ذكر صاحب النزهة أن الأخفش قال: «ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي وخلف، فقلت أيهما كان أعلم؟ فقال الأصمعي لأنه كان نحوياً»[2]. فالأصمعي يلمّ بالنحو بالإضافة إلى منزلته في الشعر، وروي عنه أنه قال: «إنّ أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو، أن يدخل في جملة قول النبي ’: من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار، لأنه لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه. وحدّث الرياشي قال: مرّ الأصمعي برجل يدعو ويقول في دعائه: يا ذو الجلال والإكرام، فقال الأصمعي: يا هذا ما اسمك؟ فقال: ليث، فقال الأصمعي:

يُناجي ربَّه باللحنِ ليثٌ ... لذاكَ إذا دَعاهُ لا يُجيبُ»[3]

فالأصمعي يخشى أن يلحن في الحديث المسند إلى الرسول ﷺ، كما أخذ على الأعرابي في رفعه (ذو) والواجب فيها النصب. فهذه النصوص تدل على أن الأصمعي ألمّ بالنحو، ولكنه لم يبلغ فيه ما بلغه في الشعر.

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1352هـ/ 1932م، ج5، ص302.

(2) ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، تاريخ المقدمة 1967، ص113.

(3) المقدسي، ضياء الدين: المنتقى من أخبار الأصمعي، انتقاه من كتاب أخبار الأصمعي للإمام الربعي، تحقيق: عز الدين التنوخي، ط1، مطبعة التنوخي ابن زيدون، دمشق، 1936، ص4. عن الجزء الخامس من المخطوطة الظاهرية من تاريخ ابن عساكر.

وللأصمعي دراية بالنسب، قال السيرافي: «قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: كان الأصمعي أسد الشعر والغريب والمعاني، وكان أبو عبيدة كذلك ويفضل على الأصمعي بعلم النسب»[1]. ولعل معرفة الأصمعي النسب لم ترقَ إلى منزلة معرفته بالشعر.

أما عن علمه بالقراءات فيقول السيرافي عن الأصمعي: «وعنده القرآن عن أبي عمرو ونافع وغيرهما»[2]. ويذكر ابن الجزري قائلاً إن الأصمعي: «روى القراءة عن نافع وأبي عمرو، وله عنهما نسخة، وروى حروفاً عن الكسائي... وتفرّد عن نافع بإثبات الألف في حاشا،وبخفض العزيز الحميد الله في الحالتين أعني الجلالة»[3].

يدل النص على تفرد الأصمعي بنسخة جمعت بين قراءة نافع وأبي عمرو، كما تفرد فيما ذكر ابن الجزري من إثبات الألف في حاشا، وخفض لفظ الجلالة في الحالتين: الوقف وعدمه.

ويوحي تفرد الأصمعي بنسخة على اهتمام ظاهر بدراسة القرآن الكريم.

وعن علمه بالحديث قال السيرافي: «وكان الأصمعي صدوقاً في الحديث، عنده عن ابن عون[4] وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وغيرهم... ويتوقى تفسير شيء في القرآن والحديث على طريق اللغة»[5].

وربما كانت خشية الأصمعي من رواية الحديث هي المانع من قيامه بتدريس الحديث، رغم أنه تلقّاه على أئمة الحديث في عصره.

ويروي السيرافي قول نصر بن علي (ت 350هـ) [6]: «حضرتُ الأصمعي وقد سأله سائل عن معنى قول النبي ﷺ: جاءكم أهل اليمن وهم أبخع أنفساً. قال: يعني أقتل أنفساً، ثم

(1) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص58. وفي الفهرست لابن النديم ...أنشد الشعر والمعاني....الخ
(2) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص60.
(3) المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص ع – عن ابن الجزري: طبقات القراء، ص60.
(4) هو عبد الله بن عون المزني المتوفى سنة 151. انظر: ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، العسقلاني: تهذيب التهذيب، ط1، حيدر آباد الدكن، الهند، 1326، ج5، ص346.
(5) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص60.
(6) هو أبو عمرو نصر بن علي الجهضمي. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج5، ص230.

أقبل متندماً على نفسه كاللائم لها. فقال: ومن أخذني بهذا وما علمي به»[1]. لام الأصمعي نفسه على شرح كلمة (أبخع)، وربما كان يرى في ذلك حرجاً أو خوفاً من تفسير شيء على غير وجهته الصحيحة.

وقال ابن حجر (ت 852هـ): «روى له مسلم في مقدمة كتابه وأبو داود في تفسير أسنان الإبل والترمذي في تفسير [حديث] أم زرع»[2]. وهذا يدل على أن الأصمعي كان يروي بعض ما أخذه عن شيوخه من الحديث الشريف، ولكنه سرعان ما يأخذ الحرج نفسه ويتوقف عن تفسير القرآن، ورواية الحديث الشريف. ونتبين مما سبق أن الأصمعي كان على دراية بعلوم عصره وبرز علمه بالشعر في مقدمة هذه العلوم.

تميزه بالحفظ:

تحدثت الكتب التي ترجمت للأصمعي عن ذاكرة فريدة في قدرتها على الحفظ، وقد رأينا خبر حفظه من الرجز، ونورد أخباراً تؤكد ذلك؛ منها ما حدث في مجلس الرشيد عندما سأله: «أرويت للعجاج[3] ورؤبة شيئاً؟ قلت هما يا أمير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافي وإن غابا عنك بالأشخاص، فمدّ يده فأخرج من تحت فراشه رقعة، ثم قال: أسمعني:

وطـــرقـــنـــي طـــــارقُ هــــمٍّ طـرقــا

فمضيت فيها مُضيَّ الجواد في سنن ميدانه. تهدر بها أشداقي»[4].

فإنّ حفظ الأصمعي رجز رؤبة والعجاج يعني مثول الراجزين بفنهما في مجلس الرشيد، وإن غابا عن العيون في ذلك المجلس. ويريد الرشيد أرجوزة رؤبة التي مطلعها:

(1) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص61.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج6، ص417. وردت كلمة حديث في المنتقى، ص ج.

(3) العجاج: هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر، ورؤبة ابنه، عاشا في عصر بني أمية، وهما من أشهر الرُجّاز. انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، مصر، 1966، ج2، ص591.

(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص69. سنن الطريق: نهجه، اللسان ج17، ص84، تهدر: هدر البعير، صوت في غير شقشقة، اللسان ج7، ص118.

أَرَّقَنـــي طَـــارِقُ هَـــمٍّ أَرَّقـــا   ورَكْـضُ غِـرْبـانٍ غَـــدَوْنَ نُـغَّـقـا

وقد قالها في مدح مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وهي أرجوزة طويلة تقع في اثنين وسبعين ومئتي بيت[1].

وروى البغدادي بسنده إلى عمر بن بكير النحوي أنه قال: «لما قدم الحسن بن سهل[2] العراق قال: أحبُّ أن أجمع قوماً من أهل الأدب فيخرجون بحضرتي في ذلك، فحضر أبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي ونصر بن علي الجهضمي وحضرت معهم، فابتدأ الحسن فنظر في رقاع كانت بين يديه للناس في حاجاتهم، ووقع عليها فكانت خمسين رقعة، ثم أمر فدفعت إلى الخازن، ثم أقبل علينا فقال: قد فعلنا خيراً ونظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية، فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه، فأفضنا في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري[3] وقتادة[4] ومررنا فالتفت أبو عبيدة فقال: ما الغرض أيها الأمير في ذكر ما مضى وإنما نعتمد في قولنا على حكاية ونترك ما نحضره هاهنا من يقول إنّه ما قرأ كتاباً قط فاحتاج إلى أن يعود فيه، ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه، فالتفت الأصمعي فقال: إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير، والأمر في ذلك على ما حكى وأنا أقرب عليه، قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع، وأنا أعيد ما فيها وما وقَّع به الأمير على رقعة رقعة على توالي الرقاع. قال: فأمر فأحضر الخازن الرقاع، وأحضرت الرقاع، وإذا الخازن قد شكها على توالي نظر الحسن فيها، فقال الأصمعي: سأل صاحب الرقعة الأولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا، والرقعة الثانية والثالثة حتى مرَّ على نيف وأربعين رقعة، فالتفتَ إليه نصرُ بنُ علي فقال: أيها الرجل

(1) انظر: ديوان رؤبة اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، ط1، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، 1979م، ص108. والمطلع الذي ورد في الفحولة يختلف عن المطلع الذي في الديوان.

(2) أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذي الرياستين الفضل، وحظي عنده... وكان المأمون قد ولاّه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين... توفي في ذي الحجة من سنة ست وثلاثين، وقيل خمس وثلاثين ومئتين. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص390.

(3) أبوبكرمحمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الرازي من كبار التابعين، توفي ليلة الثلاثاء 17\ رمضان \124هـ

(4) أبو الخطاب: قتادة بن دعامة بن عزيز، السدوسي البصري، كان تابعياً. توفي سنة 117 بواسط، وقيل: 118. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج3، ص248.

اتّق على نفسك من العين فكف الأصمعي»[1].

يُظهر النص أن الأصمعي يتمتع بقدرة فذة على الحفظ، ولو وقع مثل هذا الأمر لبعض الناس لاختلط عليه شيء من الأمر في توالي أسماء أصحاب الرقاع، وأقدم الأصمعي على هذا بحضور الحسن بن سهل مكيداً لأبي عبيدة الذي يبدو أنه لم يكن واثقاً من قوة هذه الملكة عند الأصمعي.

ومما يدل على حضور جوابه ما رواه القالي: «قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني قال: كنا يوماً في حلقة الأصمعي إذ أقبل أعرابي فقال أين عميدكم؟ فأشرنا إلى الأصمعي، فقال ما معنى قول الشاعر:

لا مـــالَ إلاّ الـعِـطـافُ تُـــؤزِرُهُ   أُمُّ ثـلاثـيـنَ وابـنـــةُ الـجَـبَـلِ

لا يَـرتَـقـي الـنَّـــزُّ فـي ذَلاذِلِـــه   ولا يُـعَـدّي نَـعْـلَـيْـه عـن بَـلَـلِ؟

قال فضحك الأصمعي وقال:

عُـصْـرَتُـهُ نُـطـفَـةٌ تَـضَـمَّـنَـهـا   لِـصْـبٌ تَـلَـقّـى مَـواقِـعَ الـسَّـبَـلِ

أو وَجـبَـةٌ مـن جَـنـاةِ أشْـكَـلَـةٍ   إن لـم يُـرِغْـهـا بـالـقَـوسِ لـم تُـنَـلِ

قال فأدبر الأعرابي، وهو يقول: تالله ما رأيت كاليوم عضلة، ثم أنشدنا الأصمعي القصيدة لرجل من بني عمرو بن كلاب»[2].

فهذه الحادثة تدل على سرعة بديهة الأصمعي من جهة، وعلى إلمامه من جهة أخرى. ويتضح من جواب الأعرابي المفاجأة التي لم يكن يتوقعها عند عميد القوم.

(1) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص415.

(2) المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص و. القالي، أبو علي: الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، 265. ورد شرح الأبيات في اللسان ج11، ص105، قال ثعلب: هذا وصف صعلوكاً فقال: لا مال له إلا العطاف وهو السيف، وأم ثلاثين هي كنانة فيها ثلاثون سهماً، وابنة الجبل قوس نبعة في جبل، وهو أصلب لعودها ولا يناله نزٌّ لأنه يأوي الجبال، والعصرة الملجأ والنطفة الماء... اللصب: شق الجبل، والوجبة الأكلة في اليوم، والأشكلة شجرة، والعضلة: الداهية، اللسان ج13، ص477.

وشهد للأصمعي بعض علماء عصره بسعة حفظه وحضور جوابه. «وكان سفيان الثوري يقول: الأصمعي أحفظ الناس، وقال أبو الطيب اللغوي: ولم يرَ الناس أحضر جواباً، وأتقن لما يحفظ من الأصمعي»[1]. فقد التقت عند الأصمعي ملكة الحفظ وسرعة البداهة.

روى حماد بن إسحاق قال: «سمعت أبي يقول: ما رأيتُ أحداً قط أعلم بالشعر من الأصمعي ولا أحفظ لجيّده، ولا أحضر جواباً منه، ولو قلت إنّهُ لم يكُ مثلَه ما خفت كذباً. لقد استأذن علي وعندي أخو للعماني الراجز حافظ راوية، فلما دخل عبث به أخ العماني، فقال من هذا؟ أهو الباهلي الذي يقول:

فما صَحْفَةٌ مأدُومةٌ بإهالَةٍ بأطيبَ من فيها ولا أَقِطٌ رَطْبُ

فقال له: قبل أن يستتم كلامه، هو على كل حال أصلح من قول أخيك العماني:

يا رُبَّ جاريةٍ حوراءَ ناعِمَةٍ كأنها عُومَةٌ في جَوفِ راقودِ

فقال: فقلت له: أكنت أعددت هذا الجواب؟ قال: لا، ولكن ما مرّ بي شيء قط إلا وأنا أعرف منه طرفاً»[2]. يظهر من النص أن العماني أراد أن ينتقص من الأصمعي من خلال التشبيه الوارد في البيت حيث جعل الشاعر الباهلي فم هذه المرأة أطيب من قصعة مُلئَت (بالشحم أو الزيت)[3]، أو بعض ما يستخرجه أهل البادية من أقط. فأجاب الأصمعي، بأن هذه المقارنة بين فم المرأة والصحفة، هي أصلح من ناحية المعنى من قول العماني الراجز عندما جعل تلك الجارية الحوراء الناعمة تشبه في جمالها دويبة تسبح في دن. فقد كان لهاتين الملكتين، القدرة على الحفظ، وحضور الجواب، أثرهما في حياة الأصمعي، حيث جعلتاه من الرواة المعدودين في العربية، وأوصلتاه إلى مجالسة الخلفاء.

(1) المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص هـ.

(2) المصدر السابق، ص ف. المزرباني، أبو عبد الله محمد بن عمران: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، نشر جمعية الكتب العربية، القاهرة، 1343هـ، ص38. نسب البيت إلى العماني الراجز. الأدم: ما تؤدم به مع الخبز، اللسان ج14، ص273. الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض، يطبخ ثم يُترك حتى يمصل، اللسان ج9، ص125. العومة: دويبة تسبح بالماء كأنها فص، اللسان ج15، ص326. الراقود: دن طويل الأسفل كهيئة الأردبة، اللسان ج4، ص164.

(3) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي: المخصص، بيروت، د.ت، ج5، ص3.

نظم الشعر:

هل كان الأصمعي يجيد نظم الشعر؟ نجد عند بعض من ترجموا له أنه كان ينظم الشعر. قال ابن قتيبة عن الأصمعي: «له أشعار وأراجيز»(1).

في حين روى المرزباني أنه قال: «كان أبو عبيدة يقول شعراً رديئاً ضعيفاً، وكان الأصمعي يقول شعراً ضعيفاً، وهو أصلحهما»(2). في حين يصف ابن قتيبة شعر الأصمعي بالجودة، نجد المرزباني يصف شعره بالرداءة.

ونجد ابن قتيبة في نص آخر يتفق مع المرزباني، قال: «وكذلك أشعار العلماء، ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة، كشعر الأصمعي، وشعر ابن المقفع...»(3)، حيث وصف شعر الأصمعي بالتكلف والرداءة.

وروى ابن قتيبة من شعر الأصمعي أبياته في إسحاق الموصلي، قال:

«إن تغنت للشراب الكرام: ألا ... حث الخليط جمال الحي فانطلقوا

وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى ... يا قلب ويحك لا يذهب بك الخرق

وقيل أنت حسان الناس كلهم ... وابن الحسان فقد بروا وقد صدقوا

فما بهذا تقوم النادبات ولا ... تبكي عليك إذا ما ضمك الخرق

وكان الشعر سهلاً ذلولاً على لسانه»(4).

وأورد ابن قتيبة نصاً آخر قال: «كتب إليّ الكرّاني أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي لعمّه أرجوزة طريفة أولها:

يا ربَّ خود من بنات الأحرار ... من آل كسرى في ذرى الزند الواري

(1) ابن قتيبة: المعارف، ص30.
(2) المرزباني: الموشح، ص367.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص70.
(4) ابن قتيبة: المعارف: ص30.

يـسـتـن فـي مـفـرقـهـا مـسـك الـغـار كـأنـهـا مـن جـسـد فـي الأعـطـار
وزعـفـران شـرق بـالأبـصـار عـدا عـلـى لـبـاتـهـا عـرق ضـار
يـمـوت فـيـهـا فـيـشـل كـالـطـومـار مـسـتـغـنـيـاً عـن عـمـران العطار»[1]

وفي موطن آخر ذكر القفطي قال: «قال الأصمعي: بعث إليّ محمد بن هارون فدخلت عليه، وفي يده كتاب يديم النظر إليه ويتعجب منه ثم قال: يا عبد الملك أما تعجب من هذا الشاب وما يجيء به فقلت: من هو؟ فقال: عباس بن الأحنف، ثم رمى بالكتاب إليَّ فإذا فيه شعر قاله عباس:

إذا مـا شِـئـتَ أن تـصـنـع شـيـئـاً يُـعـجـبُ الـنـاسَـا
فـصَـوِّرهـا هُـنـا فَـوزاً وصـوّر ثَـمَّ عـبّـاسـا
ودَعْ مـا بـيـنـهـمـا شـبـراً وإنْ زِدْتَ فـلا بَـاسـا
فـإنْ لـم يَـدنـوا حـتـى تَـرى رأسَـيْـهـمـا رأسَـا
فـكـذِّبْـهـا بـمـا قـاسَـتْ وكـذّبـه بـمـا قـاسَـا

قال الأصمعي: وبيني وبين عباس شيء فقلت: مسترق يا أمير المؤمنين فقال: ممن؟ قلت: من العرب والعجم، قال: ما كان من العرب؟ قلت: رجل يقال له عمر هوى جارية يقال لها قمر فقال:

إذا مـا شِـئـتَ أن تـصـنـع شـيـئـاً يُـعـجـبُ الـبَـشَـرا
فـصَـوِّرهـا هُـنـا قَـمَـراً وصَـوِّرهـا هـنـا عُـمَـرا
فـإنْ لـم يَـدنـوا حـتـى تَـرى بـشـريْـهـمـا بَـشَـرا
فـكـذِّبْـهـا بـمـا ذكـرَتْ وكـذّبـه بـمـا ذكَـرَا

قال: فما كان من العجم؟ قلت: رجل يقال له (فَلْقاء) هوى جارية يقال لها (زورق)

(1) المصدر السابق، ص31.

فقال:

إذا ما شِئتَ أن تصـ ـنع شيئاً يُعجبُ الخلْقا
فصوِّرها هُنا زوْرقْ وصوّرها هنا فَلْقا
فإنْ لم يَدنوا حتى تَرى خَلْقَيهما خَلْقَا
فكذِّبْها بما لاقتْ وكذّبه بما يلقى»[1]

فهذه الأبيات التي تحوّر أبيات العباس تحويراً، ففي الأسماء والقافية مرتين تدل دلالة واضحة على مقدرة الأصمعي على نظم الشعر ارتجالاً.

وأتم الأصمعي قصته مع العباس ببيت شعر، قال الأصمعي: «فلما خرجنا قال العباس: كذبتني وأبطلت جائزتي، فقلت له: أتذكر يوم كذا وأنشأت أقول:

إذا وَتَرْتَ امرأً فاحذرْ عَداوتَهُ من يَزرَعِ الشوكَ لا يحصُدْ به عِنَبا»[2]

يظهر حديث الأصمعي أنه أراد الانتقام من العباس، وإبطال جائزته.

ومن الأبيات التي أُثرت من الأصمعي، خلال ملازمته لبني برمك قوله في جعفر:

«إذا قيلَ من للنّدى والعُلى من الناسِ قيلَ الفتى جعفر
وما إنْ مدحتُ فتى قَبْلَهُ ولكن بنو برمك جَوْهَر»[3]

فهو يذكر أن أول مدح نظمه الأصمعي كان في بني برمك، ولعل معاملة جعفر له كانت وراء نزوله من قلب الأصمعي منزلاً طيباً.

وقال في آخر ساعات عاشها في بغداد بُعيدَ النكبة:

(1) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، ص204. هكذا رسمت كلمة زورق والأرجح بالنصب زورَقا. وذكر القفطي أن هذه القصة وردت في مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي بين الأصمعي والرشيد وهو المرجح وليس بين الأصمعي والأمين.
(2) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، ص204.
(3) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس: الوزراء والكتاب، حققه: مصطفى السقا/ إبراهيم الأبياري/ عبد الحفيظ شلبي، ط1، القاهرة، 1357هـ/ 1938م، ص26.

«أيُّها المَغرورُ هل لكْ عِبرةٌ في آل بَرْمَكْ
غَرَّهم عن قَدَرِ اللهِ حِسابُ الهَشتَمَرَّكْ

وهي أبيات كثيرة آخرها:

عِبرةً لم تردْ أنت ولا قبلُ أبٌ لَكْ»[1]

فإنّ عبارة السيرافي السابقة (وهي أبيات كثيرة) تدل على أنّ القصيدة ربما كانت تعبر عن نهاية مرحلة طويلة لازم فيها الأصمعي بلاط الخلافة.

وبالرغم من أن الأصمعي كان يروي كثيراً من دواوين الشعراء رجزاً وقصيدةً، ولكن هل استقام له النظم أم لا؟ المرجح أنّ الأصمعي لم يشغل نفسه بنظم الشعر، إلاّ فيما يعرض له في بعض الأحيان، وجاء في المنتقى: «وأما نظمه الشعر فقد كان منه مقلاً، شغله العلم بالشعر مع استظهاره واستبطان أسراره، والإحاطة بأخباره عن التفرغ لصياغة الشعر، ولو فعل لأجاد حبكه، ولأحسن سبكه»[2].

ولكن الأصمعي اكتفى برواية الشعر قصيده ورجزه، ولم ينظم إلا قدراً قليلاً من الشعر والرجز.

وفاته:

يظهر من سيرة الأصمعي أنه قضى آخر حياته في زهد بعد أن حضر مجالس أمير المؤمنين الرشيد، ووزرائه آل برمك، وفاز بهباتهم.

ونجده يصف نفسه في آخر أيامه فيما روى البغدادي، قال: «... حدّثنا العباس بن الفرج قال: ركب الأصمعي حماراً دميماً فقال له: أبعد براذين الخلفاء تركب هذا؟ فقال متمثلاً:

ولما أبتْ إلا طِرافاً بودِّها وتكديرها الشَّربَ الذي كانَ صافِيا

(1) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص66. الهشتمرك: كلمة فارسية أي ثمانية سطور مثل رقعة الشطرنج كانوا يحاسَبون عليها.
(2) المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص ف.

شربنا برنْقٍ من هواها مكدرٍ وليس يعافُ الرَّنْقَ من كان صادِيا

هذا – وأملك ديني ونفسي – أحبّ إليّ من ذلك مع ذهابهما»[1].

فهو يصوّر نفسه بعد حقبة من حياته قضاها في بلاط الخلافة وقد خرج الأصمعي من بغداد بعد نكبة البرامكة حين قال له الرشيد: «الحَقْ بأهلك يابن قريب»[2]، ولعلّ تلك الحادثة كانت وراء ابتعاده؛ لأنّه بعد وفاة الرشيد ومقتل الأمين تروي بعض المصادر أنه: «ألحّ عليه المأمون ليصير إلى بغداد حاضرة ملكه لينتفع بعلمه، فلم يفعل محتجاً بضعفه وشيخوخته، فكانت المراسلة بينهما تغني عن المواصلة»[3]. وهذا يدلّ على أنه لم يرجع إلى بغداد، وعاش بقية حياته في أكناف البصرة التي ترعرع فوق أرضها، واحتوت شبابه وأحبابه إلى أن اصطفاه الله، رحمة الله عليه.

ويكاد يجمع المؤرخون على أنه توفي بالبصرة، ما عدا ابن خلكان الذي ذكر أن الأصمعي قد توفي «بالبصرة وقيل بمرو»[4].

وافق ابن خلكان المؤرخين بأن وفاة الأصمعي كانت بالبصرة، ولكنه انفرد بذكر وفاته بمرو، والمعروف أن وفاة الأصمعي كانت بالبصرة. وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته اختلافاً بيّناً.

روى السيرافي قول أبي العيناء: «توفي الأصمعي بالبصرة، وأنا حاضر في سنة ثلاث عشرة ومئتين، وصلى عليه الفضل بن إسحاق»[5].

ويورد السيرافي رأياً آخر قال: «ويقال مات الأصمعي في سنة سبع عشرة ومئتين أو سنة

(1) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص417. الطَّرفُ: الكريم من الناس... أطراف الرجال أشرافهم. الرنق: تراب في الماء من القذى ونحوه... قال الجوهري: ماء رنق أي كدر.
(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص334. المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص80.
(3) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص66.
(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص347.
(5) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص67. هو الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس حجّ بالناس سنة 262.

ست عشرة»[1].

وفي موضع ثالث روى البغدادي قال: «مات الأصمعي سنة ست عشرة ومئتين... وقال: حدثنا محمد بن يحيى النديم حدثنا أبو العيناء، قال: كنا في جنازة الأصمعي سنة خمس عشرة ومئتين»[2].

وروى ابن خلكان أنه «توفي في صفر سنة ست عشرة وقيل أربع عشرة وقيل سبع عشرة ومئتين»[3].

وإذا أخذنا برأي ابن قتيبة أن الأصمعي «ولد سنة ثلاث وعشرين ومئة وعمّر نيفاً وتسعين سنة»[4]، جاز لنا أن نأخذ برأي من ذكر أن وفاة الأصمعي كانت سنة ست عشرة ومئتين، كالسيرافي والبغدادي على سبيل الترجيح، والله أعلم.

ورثاه من الشعراء أبو العتاهية، روى البغدادي قال: «حدثني محمد بن أبي العتاهية قال: لما بلغ أبي موت الأصمعي، جزع عليه ورثاه فقال:

لهفي لفقدِ الأصمعي لقد مضى　　حميداً له في كلِّ صالحةٍ سهمُ

تقضّتْ بشاشاتُ المجالسِ بعده　　وودعنا إذ ودع الإنسُ والعلمُ

وقد كان نجمَ العلمِ فينا حياته　　فلما انقضَتْ حياتُه أفَلَ النجمُ»[5]

يظهر الخبرُ السابق مكانةَ الأصمعي، وشيئاً من أخلاقه، حيث أشار الشاعر إلى أن الأصمعي لم يدع أمراً صالحاً إلاّ شارك فيه، كما أشار إلى منزلته العلمية حين شبّهه بالنجم مدى حياته فكانت مجالسه مجالس علم تزينها البشاشة[6].

---

(1) المصدر السابق، ص67.

(2) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص419.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص347.

(4) ابن قتيبة: المعارف، ص236.

(5) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص420. البشاشات: جمع بشاشة: طلاقة الوجه، اللسان ج8، ص153.

(6) أورد البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص419، بيتين لأبي قلابة يهجو الأصمعي؛ قال فيهما:

«لعنَ الله أعظُماً حَمَلوها　　نحوَ دارِ البلى على خَشَباتِ

أعـظُـمـاً تَبغُضُ النبيَّ وأهـلَ البيـ ـــتِ والـطـيـبـيـنَ والـطـيـبـاتِ»

ونسقط هذين البيتين لأن شاعرهما مغمور، ولأنهما لا ينطبقان على ما أوردته كتب التراجم عن أخلاق الأصمعي وصدقه في دينه.

الفصل الثاني
تكوينه العلمي

مصادر علم الأصمعي

إن جمع اللغة والشعر في عصر الأصمعي، تكاد طرائقه تكون واحدة. فكانت حلقات المساجد المنهل الأول لطالب العلم، يتلقى فيها علوم اللغة والدين عن شيوخه، وكان التلميذ يجلس إلى هذا حقبة ويلزم ذاك مدة أطول، وقد يخرج الطالب إلى البادية، يتنقل بين قبائلها يستمع إلى شيخ طالت به السنون في رواية لخبر، أو أبيات من نظمه، أو حفظها عن غيره. وقد يلتقي بأعرابي يرتجز، وهو يسقي إبله أو أغنامه، بأبيات تصف حاله أو تصوّر هوى نفسه، وأحياناً يقترب الباحث عن اللغة، إلى ملاعب الصبية يستمع إلى كلامهم، ويدوّن ألفاظهم.

أما الأعراب الذين يقتربون من الحواضر ويقيمون فيها، فكانوا يشكّلون مصدراً من مصادر اللغة في عصرهم. وكثيراً ما كان العلماء يمتحنون معرفة هؤلاء الأعراب. وقد أخذ الأصمعي عن الشيوخ في المساجد، وانتقل إلى البادية ليأخذ عن أهلها، بعد أن أصبح على علم بمضارب بعض قبائلها، ومنتجعاتها ومسالكها.

شيوخه:

قدم الأصمعي مساجد البصرة طالباً العلمَ شأن الطلاب الآخرين، فتلقى علومه فيها عن أئمة اللغة في ذلك العصر الذين وصلتنا أخبارهم وبعض مؤلفاتهم:

عيسى بن عمر:

أول شيوخه «عيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ) وهو من قراء أهل البصرة ونحاتها،

وكان عالماً...»(1)، ويجمع بين العربية والقراءة حيث كان «صاحب قراءة مشهورة»(2). وعنه يقول السيوطي: «إمام في النحو والعربية والقراءة... روى عن الحسن البصري والعجاج ورؤبة وجماعة وعنه الأصمعي...»(3). وأخذ الأصمعي شيئاً من هذا العلم خلال مدة ملازمته له.

أبو عمرو بن العلاء:

ثم جلس الأصمعي إلى أبي عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، وهو «من جلة القراء، والموثوق بهم، وكان يقرئ الناس في مسجد البصرة»(4). فأبو عمرو من علماء الدين واللغة الموثوق بهم، وصاحب علم واسع. قال أبو عبيدة: «كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية والقرآن والشعر، ونقل عن الأصمعي مجموعة من الأقوال كلها يمتح من هذه الموارد. قال: جلست إلى أبي عمرو ولي تسع عشرة سنة وتوفي أبو عمرو ولي سبع وعشرون سنة، ما سمعت أحداً يسأله عن شيء عيي بجوابه ولا سألته أنا عن شيء إلا وجدت عنده منه علماً»(5).

يظهر النص السابق أن ملازمة الأصمعي لأبي عمرو بلغت ثمانية أعوام، وتزيد مدة هذه الملازمة إذا أخذنا بقول الجاحظ (255هـ) عن الأصمعي: «جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج»(6). وعلى القولين فهي مدة طويلة كان الأصمعي خلالها في مقتبل حياته وعلمه.

كما يبين النص أنّ أبا عمرو كان عالماً إماماً من أئمة علماء اللغة، وأخبار أهلها، وأنسابهم،

(1) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، ص375.
(2) ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص21.
(3) السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، د. ب. 1384هـ/ 1965م، ج2، ص237.
(4) الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، د. ب. 1973م، ص35.
(5) القفطي: إنباه الرواة، ج4، ص127.
(6) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ومكتبة الهلال ببيروت، 1388هـ/ 1968م، ج1، ص321.

وشعرهم. وكان متعصباً للشعر الجاهلي لا يرتضي الاستشهاد بغيره.

وصف الأصمعي موقف أبي عمرو من الشعر الإسلامي بقوله: «ما سمعته يحتجّ ببيت إسلامي. قال: وقال لي مرة لقد كثر هذا المحدث حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته، يعني جريراً والفرزدق وأشباههما»(1). رأى الأصمعي شيخه يحتج بالشعر الجاهلي فقط، ولا يحتج بالشعر الإسلامي رغم أنه كان يستجيده لقوله (هممت)(2)، ولكنه وقف دون ذلك.

ولم يقف تأثر الأصمعي بأبي عمرو عند هذا الحد؛ إذ روى القالي خبراً أسنده إلى الأصمعي قال: «وحدثنا الأصمعي قال: جئت أبا عمرو بن العلاء فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت: جئت من المربد. فقال: هات ما معك؟ فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، فمرت به ستة أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو في الدّرجة، وقال شمرت: في الغريب، أي غلبتني»(3).

يشهد أبو عمرو للأصمعي بأنه اهتم بالغريب منذ تلك المدة المبكرة، وأنه كان يرتاد المربد، ويلقى الأعراب، ويدوّن الغريب الذي يسمعه منهم، وأن أبا عمرو توسّم فيه نبوغاً، وشهد له. ويظهر أن الأصمعي درس قراءة أبي عمرو المشهورة المعدودة بين القراءات السبع، وأخذها عن شيخه صاحب القراءة. وقرأ الأصمعي بعض الدواوين على شيخه.

ذكر المرزباني أن الأصمعي قال: «قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني»(4). وروى عنه شعراً آخر إلى جانب هذا الديوان أيضاً.

قال أبو حاتم: «قرأ الأصمعي على أبي عمرو بن العلاء شعر الحطيئة»(5). كما قرأ عليه «شعر جرير»(6) وهذا يدل على أثر أبي عمرو في رواية الشعر الذي وصل إلينا عن طريق

(1) المصدر السابق، ج1، ص321.
(2) اللسان، ج16، ص103. همّ بالشيء نواه.
(3) القالي، أبو علي: ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت. ص182.
(4) المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص42.
(5) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: المزهر في علوم اللغة، علق عليه: محمد أحمد جاد المولى/ علي البجاوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار إحياء الكتب العربية، د.ب. ج2، ص355.
(6) المرزباني: الموشح، ص125.

الأصمعي كديوان النابغة والحطيئة وجرير. وبالإضافة إلى هذه الدواوين روى الأصمعي عنه كثيراً من الأخبار المتعلقة بالشعر، واللغة، والغريب. ولم يقف أثر أبي عمرو في الأصمعي عند حدّ تلقي المعلومات، بل انتقل أثره إلى حياة الأصمعي وسلوكه وشغفه بالعلم، ولعلّ الأصمعي تأثر بشيء من ورع شيخه وزهده في الحياة الدنيا.

الخليل بن أحمد:

جلس الأصمعي إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) و«كان الخليل ذكياً فطناً شاعراً استنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبط أحد، وما لم يسبقه إلى مثله سابق»[1]. فاستنباط علم العروض وتحديد بحوره يشار فيه دائماً إلى سبق الخليل فيه فهو «أول من حصر أشعار العرب»[2] في بحور معروفة.

روى ابن جني خبراً عن علاقة الأصمعي بالخليل: «قد كان أراده الأصمعي أن يعلمه العروض، فتعذّر ذلك على الأصمعي وبعد عنه فيئس الخليل منه. فقال له: يا أبا سعيد كيف تقطّع قول الشاعر:

إذا لم تَسْتَطِعْ شيئاً فدعه وجاوزْه إلى ما تستطيع

قال: فعلم الأصمعي أن الخليل قد تأذى ببعده عن علم العروض فلم يعاوده فيه»[3]، انفرد ابن جني برواية الخبر السابق، وهو يدل على ملازمة علمية بين الأصمعي والخليل.

قال السيوطي: «وأخذ عنه سيبويه، والأصمعي، والنضر بن شميل...»[4]. فالأصمعي مذكور مع تلاميذ الخليل الذين تلقوا العلم عنه.

خلف الأحمر:

وسمع الأصمعي خلفاً الأحمر (ت 180هـ) «وهو أحد رواة الغريب، واللغة، والشعر،

(1) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص47.
(2) ابن الأنباري: النزهة، ص45.
(3) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت د.ت، ج1، ص362. الزبيدي، ديوان عمرو بن معديكرب، صنعة هاشم الطعان، د.ب، د.ت، ص146.
(4) السيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص558.

ونقاده، والعلماء به، وبقائليه، وصناعته، وهو أحد الشعراء المحسنين وليس في رواة الشعر أحد أشعر منه»(1).

لم يكن علم خلف مقتصراً على جانب من الشعر بل كان ناقداً للشعر ملمّاً بضروبه وبلغ علمه بالشعر حداً قال عنه ابن سلام: «كنا إذا سمعنا الشعر من أبي محرز لا نبالي أن نسمعه من قائله»(2). فابن سلام يشهد بقدرة خلف الأحمر على رواية الشعر ويثق روايته.

قال أبو عبيدة: «خلف معلم الأصمعي، ومعلم أهل البصرة»(3). وفي هذا دليل على مكانة خلف بين أهل البصرة.

روى المرزباني عن الأصمعي قوله: «قرأت على خلف شعر جرير»(4). ويظهر أن الأصمعي قرأ ديوان جرير على خلف وعلى أبي عمرو معاً. وروى عن الأصمعي قوله: «كأنّما جُعل علم لغة ابني نزار، ومن كان من بني قحطان على لغة ابني نزار بين جوانح خلف بمعانيها»(5). إنه يشهد بسعة علم خلف، ورسوخ قدمه في العربية.

شيوخه من المحدثين والفقهاء:

جلس الأصمعي بالإضافة إلى العلماء السابقين إلى بعض المحدثين، وفي مقدمتهم: شعبة بن الحجاج (ت 166هـ)، وعبد الله بن عون (ت 151هـ)، قال ابن الأنباري: «كان الأصمعي صدوقاً في الحديث أخذ عن عبد الله بن عون وشعبة بن الحجاج»(6)، ويظهر أن علاقته بهما كانت تتعلق بعلوم الحديث. وذكر صاحب تهذيب التهذيب أن الأصمعي تتلمذ لمالك بن أنس (ت 179هـ)(7)، وهو «أحد أعلام الإسلام وإمام دار الهجرة... قال الشافعي: مالك حجة الله على خلقه. قال ابن مهدي: ما رأيت أحداً أتم عقلاً ولا أشد تقوى

(1) القفطي: إنباه الرواة، ج1، ص348.
(2) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص162.
(3) ابن الأنباري: النزهة، ص58.
(4) المرزباني: الموشح، ص125.
(5) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص163.
(6) ابن الأنباري: النزهة، ص115.
(7) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج1، ص415.

من مالك»[1]. وصلة الأصمعي بمالك ترتبط بعلوم الفقه والحديث.

وجلس الأصمعي إلى الشافعي (ت 204هـ)[2] وروي «أن الشافعي رحل إلى البادية، وكان يحفظ عشرة آلاف بيت من هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها. وكان يحمل شعر الشنفرى، وأخذ عنه العلماء ذلك ومنهم الأصمعي»[3]. فالشافعي الفقيه المحدث، هو حجة في العربية وراوية كفء.

رُوي عن ابن أبي الدنيا قوله: «حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: قلت لعمي: يا عمّاه، على من قرأت شعر هذيل؟ فقال على رجل من آل المطلب يقال له محمد بن إدريس»[4]. وصل إلينا شعر هذيل برواية الأصمعي، وإن الأصمعي نفسه قرأ شعر هذيل على الشافعي، وهو المراد بقول الأصمعي ابن إدريس، فالشافعي قرشي مكي، واسمه محمد بن إدريس ولقّب بالشافعي، وهذا ما ورد صراحة في النص التالي: عن أبي عثمان المازني قال: سمعت الأصمعي يقول: قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة»[5]. فالأصمعي قرأ شعر الشنفرى على الشافعي، وكل ذلك يتفق مع النص الذي أورده المرزباني وتقدّم ذكره. وروي عن الشافعي أنه قال: «ما رأيت بذلك المعسكر أصدق من الأصمعي»[6]. وروي عنه في مكان آخر أنه قال: «ما عبّر أحد من العرب بأصدق من عبارة الأصمعي»[7]. والمرجح أن الشافعي يقصد صدق الأصمعي في اللغة.

فإن ملاقاة الأصمعي للإمام الشافعي، وأخذه العلم عنه، أتاح للشافعي أن يعرف الرجل، وأن يطلق ذلك الحكم عليه، بعد أن تيقّن من قدرته وفصاحته.

---

(1) الأنصاري: خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ص313.

(2) الأنصاري: خلاصة تهذيب الكمال، ص278.

(3) المرزباني: الموشح، ص25.

(4) الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، نشر: د. أحمد فريد الرفاعي، مطبوعات دار المأمون، مصر، 1355هـ، ج17، ص311. السيوطي: المزهر، ج1، ص160.

(5) المصدر السابق، ج17، ص311. السيوطي: المزهر، ج1، ص160.

(6) ابن الأنباري: النزهة، ص123.

(7) اليافعي، أبو محمد بن عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، 1338هـ، ج2، ص64.

ويؤكد حسن العبارة عند الأصمعي ما قاله صاحب النزهة: «إن طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلس الأصمعي، اشتروا البعر في سوق الدرّ، وإذا أتوا أبا عبيدة، اشتروا الدرّ في سوق البعر، يعني أن الأصمعي كان صاحب عبارة حسنة»(1). ولفت ذلك أنظار شيوخه، ومن جاء بعدهم. وإن كانت بعض الكتب التي ترجمت للأصمعي ذكرت ما رواه عن بعض شيوخه، فإن بعض المراجع ذكرت جلوسه إلى شيوخ، دون أن تذكر ما أخذه عنهم من الشعر واللغة والعلم، إنما اقتصرت على ذكر سماعه عنهم.

ملاقاة الشعراء وأولاد الشعراء:

وكان من مصادر ثقافة الأصمعي ملاقاته الشعراء والرجّاز وأولاد الشعراء والرجاز، وفي هذا الجانب يروي محمد بن يزيد المبرد عن التوزي نصاً طويلاً، يقول: «كنا عند الأصمعي، وعنده قوم قصدوه من خراسان، وأقاموا على بابه، فقال له قائل منهم: يا أبا سعيد، إنّ خراسان يرجف بعلم البصرة وعلمك خاصة، وما رأينا أصحّ من علمك، فقال: لا عذر لي إن لم يصح علمي، د ع من لقيت من العلماء والفقهاء والرواة للحديث والمحدثين، ولكن قد لقيت من الشعراء الفصحاء وأولاد الشعراء: رؤبة، ومشرد بن اللعين، وبلالاً ونوحاً ابني جرير، ولبطة بن الفرزدق، ومحمد بن علقمة التيمي، وأبا بابل إهاب بن عمير، وقطينة اللخمي، ونظاماً المجاشعي، وابن ميادة، والحسين بن مطير، وابن هرمة، وابن أذينة، والحكم الخضري، ودكيناً العذري، وابن شوذب المدني، وأبا الأحرز الحماني، وجندل بن المثنى، وأبا لحيانة، والذي هاجاه وهو الأبرش، ولقيت أبا الرجف، ومقاتل بن أبي داود، وأبا خيرة، وأبا العراف، وأبا العذافر، وعمارة بن عطية، وطفيلاً الكناني، وقتادة ابن يعرب اليشكري، وابن الدمينة، وأبا حية أنس، وابن الطثرية، وأبا ترسيس وبفصاحته يُضرب المثل، والموّار، ومصرف بن الحارث، وابنه الحارث مصرف، وأبا العميثل بن الحارث، ومحبس بن أرطأة، وعريفاً الكلبي، وعلاكم بن نهيد، وابن شراد الغطفاني، والعجيف العجلي، وأبا القرين الفزاري، وحفظت عنهم، وسبقني أبو النجم، وذو الرمة، ومعبد بن طرف، والوعيل بن كليب، وزياد الأعجم، ونهار بن توسعة، وصخر ومغيرة ابنا

(1) ابن الأنباري: النزهة، ص110.

حبناء، وابن عرادة تعليل، ولي بعضهم روية لا رواية، وما عرف هؤلاء غير الصواب، فمن أين لا يصح علمي؟»[1]. وأشار الأصمعي إلى أهمية الأخذ عن الشعراء بقوله «ولي بعضهم روية لا رواية»[2].

ترجع أهمية هذا النص إلى أنه يتحدث بصورة عامة عمن لقيهم الأصمعي من علماء اللغة، والفقه ورواة الحديث، والمحدثين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتناول الأصمعي من لقيهم من الشعراء والرجاز وأولادهم تناولاً مفصلاً. وينتمي الشعراء المذكورون في هذا النص إلى قبائل مختلفة، وتأتي قبيلة تميم في مقدمة هذه القبائل، فمن شعرائها المذكورين في النص: أبو الأحرز الحماني[3]، وجندل بن المثنى[4]، وخطام المجاشعي[5].

وتأتي في المنزلة الثانية قيس عيلان ومن شعرائها: الحكم الخضري[6]، وابن الطثرية، وابن ميادة. وتليها أسد ربيعة ومن شعرائها: ابن الدمينة، وابن أذينة.

أما أولاد الشعراء فمنهم: إهاب بن عمير[7]، وبلال ونوح ابنا جرير، ولبطة بن الفرزدق، ومحبس بن أرطأة[8]، ومسرد بن اللعين المنقري[9].

أما قبائل هؤلاء الشعراء فهي متعددة، مما يدل على أنه لم يكن ينظر إلى شعر قبيلة بعينها.

(1) المقدسي، ضياء الدين: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص ب، عن الجزء الخامس من مخطوطة ابن عساكر في قبة الملك الظاهر بدمشق.
(2) المصدر السابق، ص ب.
(3) أبو الأحرز الحماني، أحد بني عبد العزى بن كعب من تميم راجز مشهور. انظر المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران ت 384هـ: معجم الشعراء، تهذيب، د. سالم الكرنكوي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1982، ص52.
(4) جندل بن المثنى، شاعر أموي عاصر الراعي وهاجاه، تميز بالرجز ت 90هـ. البكري، أبو عبيد: سمط اللآلئ، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1354هـ/ 1936م، ص644.
(5) خطام المجاشعي، بن نصر بن يربوع من مجاشع من دارم، شاعر راجز. المرزباني: معجم الشعراء، ص112.
(6) الحكم الخضري، شاعر أموي كانت بينه وبين ابن ميادة مهاجاة. الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص136.
(7) إهاب بن عمير ذكره صاحب اللسان، ج1، ص176 هرأ، ج7، ص271 لزز، ج13، ص67 بلل.
(8) المرزباني: الموشح، ص242، ذكر أرطأة بن سهية ولقاءه مع عبد الملك بن مروان، ولعل هذا ابنه.
(9) المرزباني: معجم الشعراء، ص478، قال: لقيه الأصمعي وأخذ عنه.

ونجد بعض هؤلاء الشعراء يرجعون إلى كونهم أعراباً، منهم: أبو خيرة، قال ابن النديم: «اسمه نهشل بن زيد أعرابي بدوي من بني عدي»[1]، ومنهم أبو العميثل وهو «أعرابي اسمه عبد الله بن خليد، مولى جعفر بن سليمان»[2]، ومن بين الشعراء المذكورين بعض الشعراء الذين يبدو أن الأصمعي تفرد بالأخذ عنهم، منهم عمارة بن عطية، قال المرزباني: «لقيه الأصمعي وأخذ عنه»[3]، ولم يزد في ترجمته شيئاً، ومثله مصرف وابنه الحارث جاء في ترجمتهما: «مصرف وابنه الحارث بن مصرف شاعران لقيهما الأصمعي وأخذ عنهما وذكرهما ولم ينسبهما»[4]؛ أي أن الأصمعي لم يرد عنه تعيين لقبيلة أي من الشاعرين، ولا يرد عنهما شيء غير ما بلغنا من أن الأصمعي اتصل بهما. أما قبائلهم فلم يحددها أحد، ولم تثبت لهم المصادر إلا ما سبق، ويظهر أنهم من الشعراء المجهولين، ومثلهم أبو القرين الفزاري[5]، وهو من الذين غلبت عليهم كُناهم. وبالإضافة لما سبق هناك مجموعة من الشعراء لم نجد لهم ذكراً في كتب التراجم، وذكر الأصمعي أنه عرفهم وأخذ عنهم، وهم: أبو ترسيس، وأبو حية أنس، وأبو الرجف، وابن شوذب المدني، والعجيف العجلي، وأبو العراف، وعريف الكلبي، وعلاكم بن نهيد، وقطينة اللخمي، ومحبس بن أرطأة، ومقاتل بن أبي داود، والموار، ونظام المجاشعي.

وضم الأصمعي في اختياره (الأصمعيات) قصيدة للحكَم الخضري، هي الأصمعية السادسة، مطلعها:

«إلـى ابـنِ بـلالٍ جَـوبِـي البِـيـدَ والـدُّجى　　بـزَيّـافـةٍ إنْ تسمَعِ الـزَّجْـرَ تَغضَبِ»[6]

وهو الشاعر الوحيد الذي ورد له اختيار في الأصمعيات من الشعراء الوارد ذكرهم في

(1) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق: الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، 1391هـ/ 1971، ص51.
(2) المصدر السابق، ص54.
(3) المرزباني: معجم الشعراء، ص247.
(4) المصدر السابق، ص390.
(5) المصدر السابق، ص54، 512.
(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب: الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر/ عبد السلام محمد هارون، ط3، نشر دار المعارف، مصر، 1387هـ/ 1967، ص32.

النص السابق. أما في كتاب الفحولة فقد ورد ذكر بعض هؤلاء الشعراء. قال الأصمعي: «وابن هرمة ثبت فصيح، قال: وابن أذينة ثبت في طبقة ابن هرمة»[1].

كان الأصمعي التقى بهؤلاء الشعراء، وكأنه جعلهم في طبقة واحدة من حيث شعرهم.

وروى ابن قتيبة عن الأصمعي قوله: «ساقة الشعراء أن ميادة، وابن هرمة، ورؤبة، وحكم الخضري، ومكين العذري، وقد رأيتهم أجمعين»[2]. وضمّ إليهم طفيلاً الكناني، قال الأصمعي: «وطفيل الكناني مثل ابن هرمة»[3]. فهؤلاء الشعراء يشكلون طبقة واحدة في نظر الأصمعي. ويبدو أن الأصمعي جعل لقاءه هؤلاء الشعراء سبيلاً من سبل الإلمام باللغة والشعر على أساس أن العلم بالشعر لا يقتصر على المشهورين، وإنما يعني الإلمام بشعر الأعراب والمجهولين؛ إذ نجده يذكر شعراء لا يرد عنهم في المصادر إلاّ ذكر أسمائهم في معظم الأحوال.

ولابد من أن نشير إلى قضية مهمة هنا، فإن ثبت لقاء الأصمعي بعض هؤلاء الشعراء، فإننا نجد في النص أسماء شعراء ماتوا قبل أن يولد الأصمعي، جعل طفيلاً الكناني ممن لقيهم، وقد ورد عن طفيل أنه: «طفيل بن عامر بن واثلة الكناني، أحد بني كنانة بن مدركة»[4]، ذكره ابن الأثير وكانت وفاته (82هـ) فإن لم يكن في الأمر تصحيف في النسخ، أو ربما توهم الأصمعي، فلعله يريد شاعراً آخر يحمل الاسم نفسه، لأن طفيلاً الكناني المعروف مات قبل ولادة الأصمعي بأربعين سنة تقريباً.

وذكر الأصمعي أنه لقي جندل بن المثنى الطهوي (ت 90هـ) وهو «شاعر إسلامي يهاجي الراعي»[5]، مات قبل ولادة الأصمعي. ومن هنا يظهر لنا الفارق الزمني بين ولادة الأصمعي ووفاة بعض الشعراء. وأمام هذا النص الذي يتضمن ذكر عدد من أسماء الشعراء

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص33.
(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص239.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص33.
(4) الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى: المؤتلف والمختلف، تصحيح: د. فريتس كرنكو، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/ 1982م، ص147.
(5) البكري، أبو عبيد: سمط اللآلئ، ص644.

وأولاد الشعراء، تتبين أهمية الأخذ المباشر عن الشعراء وأولاد الشعراء في تكوين علم الراوية الناقد، قال أبو أحمد: «فهذا الأصمعي يفتخر في علم الشعر، والعربية بكثرة الرواية، ويعتقد أنّ العلم يصحّ بالرواية، والأخذ من أفواه الرجال»(1). ووصل الاعتداد بملاقاة الشعراء عند الأصمعي إلى درجة الافتخار، وربما كان الأصمعي قد تزيد لغرض الافتخار فذكر أسماء أشخاص لم يلقهم، أو أسماء أشخاص لا وجود لهم، وربما جاز ردّ الأمر إلى التوهم.

وهنا تتضح أهمية الأخذ عن الشعراء، وإدراك الأصمعي لتلك الأهمية، كما يتبين أنه قلما يتوفر لراوية أن يلتقي بمثل هذا العدد من الشعراء وأبناء الشعراء الذين وصفهم بالفصاحة. وجمع بعضهم بالإضافة إلى الشعر كونهم أعراباً يتمتعون بخصائص معينة من نباهة وفصاحة، وبعد عن الليونة في اللسان والمعاش. ومن هنا نستطيع القول إن علم الأصمعي بالشعر مستمد من مصادر تشتمل على الأخذ المباشر عن الشعراء والرجّاز وأولادهم، وقد اعتمد الأصمعي في النص السابق بذكر الشعراء والرجاز المجهولين أو غير المشهورين خارج خاصة الخاصة من علماء اللغة والشعر.

الأعراب المعروفون:

انتقل الأصمعي إلى البادية، وأخذ العربية عن بعض الأعراب، وكان من هؤلاء الأعراب من يعرفه أهل اللغة، وأخذوا عنه، ومنهم المغمور الذي لم يذكر الرواة إلا اسمه حيناً وقبيلته أحياناً. وإذا نظرنا في المصادر فإننا نجد أخباراً تروى عن الأصمعي يأتي في مقدمتها العبارات الآتية: حدثنا أعرابي، أو التقيت بشيخ في حمى بني فلان، ومن الأعراب الذين أخذ عنهم الأصمعي أبو البيداء الرياحي.

قال ابن النديم: «كان راوية جليلاً لعدد من اللغويين المعروفين ومن بينهم الأصمعي، وقيل إنه كان شاعراً حسناً»(2). ويظهر النص أن الأصمعي كان من الذين تميزوا في الرواية

---

(1) المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص ج.

(2) ابن النديم: الفهرست، ص49. الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص66. ذكر ياقوت في معجمه، ج6، ص89، أن اسمه أسعد بن عصمة.

عن هذا الأعرابي، وذكره المرزباني فيمن غلبت عليهم كناهم[1].

ومن الأعراب جهم بن خليفة المازني، قال ابن النديم: إنه «أعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان بأجرة، أقام بها أيام عمره، يؤخذ عنه العلم، وكان شاعراً»[2]. ويبدو من كلام ابن النديم أن جهم بن خليفة كان راوية ولغوياً، وربما كان شاعراً. ومن هؤلاء الأعراب درواس حدّثَ «أبو حاتم سهل بن محمد عن الأصمعي قال: قلت لدرواس الأعرابي: ما جعل بني فلان أشرف من بني فلان؟ قال: الكتاب، يعني القدر، ولم يقل المكارم والفعال»[3]. فهذا النص مما أخذه الأصمعي عن درواس. ومن الأعراب أبو الدقيش القناني الغنوي[4]. ومنهم «عمرو بن عامر ويكنى أبا الخطاب، وكان راوية فصيحاً أخذ عنه الأصمعي وجعله حجة وروى شعره»[5]، ويُعرف بالبهدلي، وربما تميز هذا الأعرابي بمنزلة عند الأصمعي. ومن الأعراب المنتجع بن نبهان[6]، وأبو مسحل «وهو أعرابي يكنى بأبي محمد واسمه عبد الوهاب بن حريش... وله مع الأصمعي مناظرات»[7]. وإن كنا لا نجد شيئاً من المناظرات فالخبر يدل على وجود صلة علمية كانت بينهما.

ومنهم أيضاً أبو مهدية الأعرابي، قال ابن النديم: «كان يهيج به المرة كل سنة مديدة ولا مصنف له»[8]. وهو في مقدمة الأعراب المعروفين عند العلماء. وقد رحل بعض العلماء إلى البادية فلقي هؤلاء الأعراب المعروفين وغيرهم، وكان الأصمعي واحداً من هؤلاء العلماء الذين رحلوا إلى البادية.

---

(1) المرزباني: معجم الشعراء، ص511.
(2) ابن النديم: الفهرست، ص52.
(3) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، د.ب، تاريخ المقدمة، 1383هـ/ 1954م، ص95.
(4) ابن النديم: الفهرست، ص53. ذكره صاحب اللسان، ج4، ص185، ج8، ص278.
(5) ابن النديم: الفهرست، ص52.
(6) الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، مصر، 1356هـ/ 1938م، ج1، ص341.
(7) ابن النديم: الفهرست، ص52.
(8) أبو مهدية الأعرابي، ويقال: أبو مهدي، أحد فصحاء الأعراب الذين روى عنهم البصريون. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص281. ابن النديم: الفهرست، ص52.

الأعراب المجهولون:

أـ أعراب لقيهم في أمكنة معلومة:

سمع الأصمعي أعراباً لم يذكر أسماءهم، ولكنه ذكر الأماكن التي لقيهم فيها، روى صاحب العقد قال: «قال الأصمعي: حججت فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول: يا خير موفود إليه سعى الوفد، قد ضعفت قوتي وذهبت منتي، وأتيت إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ولا تحملها البحار، أستجير برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك... ثم وضع في حلقة الباب خدّه وقال: ضرع خدي لك، وذلّ مقامي بين يديك، ثم أنشأ يقول:

عَظِيمُ الذّنبِ مَكروبُ ... مِنَ الخَيْراتِ مَسلوبُ

وقد أصبَحْتُ ذا فَقرٍ ... وما عندَكَ مَطلوبُ»[1]

فهذا الأعرابي سمعه الأصمعي في بيت الله.

وسمع الأصمعي أحد بني عامر، روى الخبر عنه ابن أخيه، قال: «رأيت بقباء شاباً من بني عامر فما رأيت بدوياً أفصح منه، ولا أظرف، فوَالله لكأنّه شواظ يتلظى، فاستنشدته فأنشدني:

فلَمْ أنسكُمْ يومَ اللِّوى إذ تعرَّضَتْ ... لنا أمُّ طِفْلٍ خاذِلاً قد تَخَلَّتِ

وقالت: سأُنسيكَ العشيَّةَ ما مَضى ... وأصرِفُ منكَ النّفْسَ عمّا أجَنّتِ

فما فعلتْ – لا والذي أنا عبدُهُ – ... على ما بدا من حُسنِها إذ أدَلَّتِ

أبَتْ سابقاتُ الحُبِّ إلاّ مقرَّها ... إليكِ، ما تُثْنَى إذا ما استقرَّتِ

هَواكِ الذي في النّفسِ أمْسى دَخيلُها ... عليهِ انطَوتْ أحشاؤُها واستَمَرَّتِ»[2]

(1) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه: أحمد أمين/ أحمد الزين/ إبراهيم الأبياري، ط2، القاهرة، 1368هـ/ 1948م، ج3، ص420. المنة: القوة، اللسان ج17، ص303.

(2) المرتضى، الشريف المرتضى: غرر الفرائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار

أخذ الأصمعي هذه الأبيات عن الأعرابي، ولا ندري عنه غير أنه ينتمي إلى بطون بني عامر.

وذكر ابن الجوزي (ت 597هـ) قول الأصمعي: «لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة، فخرجت فلما صرنا ضريّة(1) إذا أنا على شفير الوادي بصبيّة قدامها قصعة لها، وإذا هي تقول:

طَحَنَتْنا طَواحنُ الأعوامِ ورَمتْنا نوائِبُ الأيّامِ

فأتَيناكُمو نَمُدُّ أكُفاً لفَضالاتِ زادِكُمْ والطَّعامِ

فاطلبوا الأجْرَ والمَثوبةَ فينا أيُّها الزائرون بَيْتَ الحَرامِ

من رآني فقد رآني ورَحْلي فما رحَمُوا غُربَتي وذُلَّ مَقامي»(2)

وما ندري عن اسمها أو لأي القبائل تعود هذه الأعرابية، وكل ما لدينا عنها هو شكواها في هذه الأبيات من سنة أذهبت أرزاقهم.

وذكر القالي قول: «أبي بكر بن دريد، قال: حدّثني عبد الرحمن عن عمه، قال: أنشدتني عجوز بحمى ضريّة:

ومُستَخفِياتٍ ليس يَخْفَينَ زُرْنَنا يُسحِّبْنَ أذيالَ الصَّبابةِ والشَّكْلِ

جمَعْنَ الهوى حتى إذا ما مَلَكْنَه نزَعْنَ وقد أكثَرْنَ فينا منَ القَتْلِ

مَريضاتِ رَجْعِ القوْلِ خُرْسٍ عن الخَنا تَألَّفنَ أهْواءَ القُلوبِ بلا بَذْلِ

إحياء الكتب العربية، 1373هـ/ 1954م، ج1، ص499. الخاذل من الظباء: التي تتخلف عن صواحبها. الشواظ: اللهب الذي لا دخان فيه.

(1) ضريّة، بالفتح ثم الكسر، وبياء مشددة، وما أراه إلاّ مأخوذة من الضّراء، وهو ما واراك من شجر... وهي قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد، قال الأصمعي: يعدد مياه نجد، قال: المشرف كبد نجد وفيه حتى ضرية. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1376هـ/ 1957م، مجلد 3، ص457.

(2) ابن الجوزي، أبو الفرج: أخبار الأذكياء، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص225.

مَـــوارِقَ مـن حَـبـلِ الـمُـحـبِّ عَـواطـفٍ بـحَـبلِ ذَوي الألـبـابِ بـالـجِـدِّ والـهَـزْلِ
يُـعَـنِّـفُـنـي الـعُـذّالُ فـيـهـنَ والـهَـوى يُـحـذِّرُنـي مـن أن أطِـيـعَ ذوي الـعَـذْلِ

قال الأصمعي: فما رأيت امرأة أحلى لفظاً منها ولا أفصح لساناً»[1]. فهو يثني على فصاحة الأعرابية وحلاوة منطقها دون أن يذكر قبيلتها.

ولم يأخذ الأصمعي عن الشباب والشيوخ فحسب، بل نجده يتجه إلى الأطفال يدوّن ما يسمعه، شافياً بذلك بعضَ نهمه وحبه لجمع اللغة، حتى أخذ عليه ذلك شيوخ من أهل الحمى، قال الأصمعي: «سمعت صِبيةً بحمى ضريّة يتراجزون فوقفت وصدوني عن حاجتي، وأقبلت أكتب ما أسمع، فأقبل شيخ فقال: أتكتب كلامَ هؤلاء الأقزام الأدناع»[2]. وما يهتم به الأصمعي هو أخذه عن أولاد هؤلاء الأعراب. وكل ما يعني طالبي اللغة هو الحصول على أكبر قدر من مفرداتها في مظانها سليمة من الشوائب، وما كانت كتابة الأصمعي لكلام الصبية إلاّ إرواء لحاجة طالب العلم، ويظهر أن الأصمعي كان كثيرَ التردد إلى هذا المكان.

ب ـ أعراب مجهولون وفدوا إلى البصرة:

هناك نوع آخر من الأعراب الذين أخذ عنهم الأصمعي، هم الذين كانوا يقدمون البصرة لقضاء حاجة ثم يعودون، من دون أن يطيلوا الإقامة، وأكثر الظنّ أنهم من أبناء القبائل القريبة من تلك الحواضر.

قال ابن دريد (ت 321هـ): «حدثنا أبو بكر – رحمه الله – قال: حدثنا عبد الرحمن عن عمّه قال: قدم أعرابي البصرة، فنزل على قوم من بني العنبر وكان فصيحاً، فكنا نسير إليه فلا نعدم منه فائدة، فجدر ثم برأ فأتيناه يوماً فأنشدنا:

ألـــم يـأْتِـهـا أنــي تـلـبَّـسْـتُ بَـعـدَهـا مُـفـوَّفـة صَـنّـاعُـهـا غَـيْـرُ أخْـرَقـا

(1) القالي: الأمالي، ج2، ص287.
(2) السيوطي: المزهر، ج1، ص140.

وقــد كـنــتُ منـهـا عــاريــاً قبـل لُبسها فـكــان لِـبـاسِـيـهـا أمَـــرَّ وأعلَقا»[1]

ويصرح الأصمعي أن سيرهم إلى مثل هذا الأعرابي ليس إلا بحثاً عن بيت شعر أو حديث يحدثه هؤلاء الأعراب.

وهذه قصة أخرى ينقلها الأصمعي عن أعرابي وبنات له نزل بالبصرة. فقال: «قدم أعرابي البصرة ومعه بنات له حِسان فذكر أهل البصرة حسنهن، فجاء شاب فجلس فنظر إلى بعضهن ونظرت إليه، ففطن أبوها فقام إليها بعمود، وكان في يده، يضربها، فدخلت وأنشأت تقول:

أيُـعــذَرُ صابيهم وأُضْــــرَبُ في الصِّبا ومــا نـحـنُ والـفِـتْـيـان إلاّ شَقائِقُ»[2]

فهؤلاء من الأعراب الذين قدموا الحواضر التماساً لسبل العيش.

وكان بعض الأعراب يقدمون إلى حلقة المسجد، يسألون عن بيت من الشعر، أو قول تستأنس به نفس أحدهم وهو يجوب أطراف البادية، من حديث ديني أو موعظة.

فهؤلاء الأعراب كان طروقهم الحواضر إلى حين، فاستفاد منهم العلماء ببعض ما يحفظونه وما يتردد على ألسنتهم من كلام أخذه اللغويون، وجعلوا بعضه فيما استخدموه من أجل تفسير بيت شعر أو كلمة، وربما احتكم علماء اللغة إذا اختصموا في شيء من هذا القبيل إلى هؤلاء الأعراب.

ج ـ أعراب مجهولون لقيهم في البادية:

إن وجدنا في الأخبار السابقة ذكراً للمواضع التي أخذ الأصمعي عن أعرابها أو ذكر قبائلهم وما يتصل بهم، فإننا نجد أخباراً يرويها عن أعراب لا يذكر شيئاً عنهم غير انتسابهم للبادية، وعيشهم فيها، وهذه الأخبار وفيرة، نذكر بعضها دلالة على ذلك.

---

(1) ابن دريد: تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيد مصطفى السنوسي، ط1، د.ب، 1984م، ص213. أعلق: أشد مرارة.

(2) المصدر السابق، ص171. انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: مختار الأغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1965م، ج7، ص233. «أيعذر لاهينا ويلحين الصبا» في سياق قصة أخرى.

«قال القالي: أنشدنا أبو بكر بن دريد قال: أنشدني عبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال: أنشدتني عشرقة المحاربية وهي عجوز حيزبون زولة:

جَرَيتُ مع العشّاقِ في حَلْبةِ الهَوى ... فَفُتُّهم سَبْقاً وجئتُ على رِسلي

فما لَبِسَ العشّاقُ من حُلَلِ الهَوى ... ولا خَلَعوا إلا الثّيابَ التي أُبْلي

ولا شَرِبوا كأساً من الحُبِّ مُرّةً ... ولا حُلوةً إلاّ شَرابُهُمُ فَضلي»(1)

فهذه المرأة لا ندري عنها سوى أنها محاربية، فأين تقيم ولأي القبائل تنتسب؟ ذلك ما بقي لدى الأصمعي، وإن كان قد ذكر أن عشرقة محاربية، فهذا أعرابي لم يذكر سوى اسمه والحال التي وجده عليها.

قال القالي عن الأصمعي: «قعدت إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمار وإذا هو يفتل أصابعه ويتلهف، فقلت له علامَ تتلهف؟ فأنشأ يقول:

عَيناي مَشؤومَتانِ وَيحَهُما ... والقلبُ حَيرانُ مُبتَلىً بهمَا

عرّفَتاه الهَوى بظُلمِهِما ... يا لَيتَني قَبْلَها عَدِمتُهُما

هُما إلى الحَيْنِ قادَتا وهُما ... دَلَّ على ما أجِنُّ دَمعُهُما

سأعْذُرُ القلبَ في هواهُ فَما ... سَبّبَ هذا البَلاءَ غيرُهُما»(2)

فما تركت لنا الأخبار اسم هذا الأعرابي وما وعاه عنه الأصمعي من أبيات نطقت بها حاله.

وهذا أعرابي آخر كان الأصمعي يأتيه ليأخذ عنه أبياتاً من الشعر، أو مفردات لغوية، روى ابن عبد ربه بسنده إلى الأصمعي قال: «وكنت أختلف إلى أعرابي ألتمس منه الغريب،

(1) القالي: الأمالي، ج1، ص29. وورد الخبر في المزهر، ج1، ص156، ورد البيت الأول مكان الثاني. الحيزبون العجوز اللسان ج1، ص301. الزولة: المرأة المبرزة، ويقال: هي الداهية وقيل الظريفة اللسان ج13، ص333.
(2) المرتضى: الأمالي، ج1، ص499.

فكنت إذا استأذنت عليه يقول: يا أمامة، ائذني له، فتقول: ادخل»[1]. فيأخذ الأصمعي ما يسمعه عن ذلك الأعرابي.

وروى اليافعي عن الأصمعي قال: «بلغني عن بعض العرب فصاحته، فأتيته فوجدته يخضب، فقال: يا ابن أخي ما الذي أقصدك إليّ؟ قلت الاستئناس بك والاستمتاع من حديثك. فقال يا ابن أخي قصدتني وأنا أخضب، والخضاب من مقدمات الضعف، ولطالما فزعت الوحوش، وقدت الجيوش، ورويت السيف، وقريت الضيف، وحميت الجار، وأبيت العار، وشربت الراح، وجالست الملاح، وعاديت القروم، واليوم يا ابن أخي الكبر وضعف البصر تركا من بعد الصفو الكدر، وأنشأ يقول:

شَيبٌ نُعلِّلُهُ كيما نُسَرُّ به ... كهَيئَةِ الثّوبِ مَطْوياً على خَرْقِ

فكنتُ كالغصنِ يَرتاحُ الفُؤادُ به ... فصِرتُ عوداً بلا ماءٍ ولا ورقِ

صبراً على الدّهرِ إنّ الدّهْرَ ذو غيرٍ ... وأهله منهُ بينَ الصفوِ والرنقِ»[2]

ينقل الأصمعي كلام الأعرابي بجمله وجرسها الموسيقي، الذي يكاد سامعه ينساق وراءه ناسياً حال الأعرابي من كبر وضعف بصر. وتحدث الأصمعي عن أعرابي آخر، قال:

«رأيتُ بالبادية شيخاً قد سقط حاجباه على عينيه، فسألته عن سنّه فقال: مئة وعشرون سنة فقلت: أرى فيك بقية، فقال: تركت الحسد فبقي عليّ الجسد، فقلت له هل قلت شيئاً؟ فقال:

ألا أيها الموتُ الذي ليسَ تاركي ... أرِحْني فقد أفنَيت كُلَّ خليلِ

أراكَ بَصِيْراً بالذينَ تُبيدُهم ... كأنكَ تَنحو نحوَهم بدَليلِ»[3]

اقتادت السنون هذا الأعرابي حتى أرته من أمره عجباً، وشيئاً لم يكن منظوراً. فذاك بات يخضب، وهذا عبثت يد الدهر بحاجبيه كأوراق شجرة في أواخر خريف وجعله الكبر يسأم

---

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص471.

(2) المصدر السابق، ج3، ص49. الرنق: تراب في الماء من القذى ونحوه، اللسان ج11، ص418.

(3) اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج2، ص69.

الحياة فكأنّ الموت في نظره يسير بدليل.

وروي أن الأصمعي قال: «رأيت أعرابياً، فاستنشدته، فأنشدني أبياتاً، وروى أخباراً فتعجبت من جماله وسوء حاله. فسكت سكتة ثم قال:

أَأخي إنّ الحادثاتِ عَرَكْنَني عركَ الأديمِ
لا تَنكرن أنْ قد رأيتَ أخاكَ في طمري عديمِ
إن كان أثوابي رثاتٍ فإنّهنَّ على كريمِ»[1]

فطبيعة البادية متقلبة مطمئنة حيناً، مخيفة موحشة أحياناً، تصل وحشتها بأهلها إلى حد من الكدر والتشاؤم، ولكن فقر العيش وشظفه وسنوات الجدب لم تنتزع من الأعرابي أصالته وفصاحته وكبرياءه رغم إدراك الأعراب سوء حالهم.

وقال الأصمعي: «سمعت أعرابياً ينشد:

وإذا أظهَرْتَ أمراً حسَناً فلْيكُنْ أحسَنَ منه ما تَسِرْ
فمُسِرُّ الخيرِ موسومٌ به ومُسِرُّ الشرِّ موسومٌ بشرْ

وأنشدني أعرابي:

وما هذه الأيّام إلا مُعارةٌ فما اسطعتَ من مَعروفِها فتَزَوَّدِ
فإنكَ لا تدري بأيّةِ بلدةٍ تَموتُ ولا ما يُحدِثُ اللهُ في غَدِ
يقولون لا تَبعَدْ ومَنْ يَكُ مُسدَلاً على وَجْهِهِ سِترٌ من الأرضِ يَبعُدِ»[2]

فهذا الأعرابي ينظر إلى الأيام وتقلبها على الإنسان فلا يجد خيراً من المعروف يصنع بين الأنام حين لا يبقى للمرء غير ذكر من بعده، وتحثّ الأبيات على مكارم الأخلاق سراً وعلناً.

---

(1) الأبشيهي، شهاب الدين أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة محمود توفيق، د.ب، 1354هـ/ 1935م، ج2، ص72.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص442.

وقد ذكر الأصمعي في مواطن كثيرة هؤلاء الأعراب المجهولين الذين سمعهم في البادية(1).

روى القالي في أماليه بسند يصل إلى الأصمعي قال:

«قال الأصمعي: إني لفي ضريّة، وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة، وكان له ابن بضريّة، إذ أقبلت عجوز على ناقة لها، حسنة البزّة فيها بقايا جمال، فأناخت وعقَلَت ناقتها، وأقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريباً منا وقالت: هل من منشد؟ فقلت للكلابي: أيحضرك شيء؟ قال: لا، قال: فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الأنصاري:

وقَصيرةِ الأيامِ وَدَّ جليسُها لو باعَ مَجلِسَها بفَقْدِ حَميمِ

منْ مُخذياتِ أخي الهَوى غُصَصَ الجَوى بدَلالِ غانيةٍ ومُقلَةِ ريمِ

صَفراءُ من بقَرِ الجِواءِ كأنّما خَفَرُ الحياءِ بها رُداعُ سَقيمِ

قال: فجثت على ركبتيها وأقبلت تحرش الأرض بمحجنها، وأنشأت تقول:

قفي يا أمَيمَ القلبِ نَقرأ تحيّةً ونَشْكُ الهَوى ثم افعَلي ما بَدا لكِ

فلو قُلتِ طأْ في الدارِ أعلَمُ أنّهُ هوىً لكِ، أو مُدنٍ لنا من وصالكِ

لقَدَّمْتُ رِجلي نَحوَها فوطِئْتُها هُدىً منكِ لي، أو ضَلّةً من ضلالكِ»(2)

فما موقف الأصمعي أمام هذه الأبيات التي يسمعها من تلك العجوز المسنة؟ أيرفضها أم يعجب بها؟ فكل ينتظر الجواب، فقال الأصمعي: «فأظلمت والله عليّ الدنيا بحلاوة منطقها، وفصاحة لهجتها، فدنوْتُ منها فقلت: نشدتك الله لما زدتني من هذا! فرأيت الضحك في عينيها، وأنشدت:

ومُستَخفياتٍ ليسَ يَخفَينَ زُرْنَنا يُسحّبْنَ أذيالَ الصّبابةِ والشَّكْلِ

(1) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص475. القالي: الأمالي، ج3، ص136. القالي: ذيل الأمالي والنوادر، ص27.

(2) المرتضى: الأمالي، ج1، ص494. خذا له: أخضع وانقاد، اللسان ج1، ص57.

جـمَـعْـنَ الـهـوى حتـى إذا مـا مَـلـكْـنَـهُ نَـزَعْـنَ، وقـد أكـثَـرْنَ فينا مـنَ القَـتـلِ
مَريضاتِ رَجْـعِ القـولِ خُـرْسٍ عن الخَنا تـألّـفْـنَ أَهْـواءَ الـقُـلـوبِ بـلا بَـذْلِ
مُـوارِقُ مـن خَـتْـلِ الـمُـحِـبِّ عَـواطِـفٍ بـخَـتْـلِ ذوي الألـبـابِ بـالـجِـدِّ والـهَـزْلِ
يُـعـنِّـفُـنـي الـعُـذّالُ فـيـهـنَّ والـهَـوى يـحـذِّرُني مـن أنْ أُطـيـعَ ذَوي العَذْلِ»[1]

فكأنّ أبا سعيد وجد ضالّة ينشدها في هذه الأبيات تزينها منشدةٌ فصيحة جعلت سامعها مشدوهاً.

وكان الأعراب يلتفتون إلى المعاني فيما ينشدونه أو حين يستمعون إلى منشد ويقيسونه على ما يحفظونه من أشعار. وقف أعرابي على الأصمعي وأصحابه قائلاً: «أفلاً تنشدونني من شعر أهل الحضر حتى أقيسه على شعر أصحابنا، فأنشده – الأصمعي – شعراً لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك:

أمُـسـلِـم أنـتَ الـبـحـرُ إنْ جـاءَ وارِدٌ ولـيـثٌ إذا مـا الـحَـرْبُ طـارَ عُـقـابُـهـا
وأنـتَ كـسـيـفِ الـهـنـدَوانـيِّ إنْ غـدَتْ حَـوادِثُ مـن حـربٍ يـعـبُّ عُـبـابـهـا
ومـا خُـلِـقَـتْ أُكـرومَـةٌ مـن امـرِئٍ لـهُ ولا غـايَـةٌ إلاّ إلـيـكَ مـآبُـهـا
كـأنّـكَ دَيّـانٌ عـلـيـهـا مُـوَكَّـلٌ بـهـا وعـلـى كـفّـيـكَ يَـجـري حِـسـابُـهـا
إلـيـكَ رحـلْـنَـا العيـس إذْ لـم نَـجـدْ لها أخـا ثِـقـةٍ يُـرجَـى لـديـه ثـوابُـهـا

قال: فتبسّم الأعرابي، وهزّ رأسه، فظنّنا أن ذلك لاستحسانه الشعر، ثم قال: يا أصمعي: هذا شعر مهلهل خلق النسيج، خطؤه أكثر من صوابه، يغطي عيوبه حسن الروي، ورواية المنشد، يشبهون الملك بالأسد إذا امتدح، والأسد أبخر شتيم المنظر وربما طرده شرذمة من إمائنا، وتلاعب به صبياننا، ويشبهونه بالبحر والبحر صعب على من ركبه، مرّ على من شربه، وبالسيف وربما خان في الحقيقة، ونبا عند الضّريبة»[2]. ويلاحظ أن الأبيات

(1) المرتضى: الأمالي، ج1، ص495.
(2) القيرواني، أبو إسحق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: د. زكي مبارك، ط1، المكتبة التجارية

احتوت جوانب حميدة في الممدوح، ويشبه الشعراء الممدوح بالبحر كرماً، وبالأسد شجاعة وإقداماً. وميّز الأعرابي في الأبيات جمال القافية، وحسن خروجها، ولكنه اتجه في حديثه عن مضمونها اتجاهاً لم يذهب إليه الشاعر أو غيره من الشعراء، مغالطاً الأصمعي، ملتفتاً إلى صفات لم يقصدها الشاعر في ممدوحه(1).

وتدل الأخبار التي نقلها الأصمعي عن الأعراب أنّه أخذ عن أعراب ثقات مشهورين كان علماء عصره يأخذون عنهم، كما أخذ عن أعراب مجهولين، ذكر الأمكنة التي لقيهم بها كالبصرة وحمى ضريّة وفي طريقه إلى الحج. وللأخذ عن الأعراب أهميته حيث كانت اللغة بعيدة عن كل ما يمكن أن يصل إليها من ليونة وهنات ربما تفشت في بعض الحواضر العربية. وقد تنبّه العلماء لذلك منذ أمد قديم.

الرجز:

تنقل المصادر خبر حفظ الأصمعي للرجز، ففي الفحولة قال أبو حاتم: «سمعت مرة نجرانياً كان قد طاف بنواحي خراسان، فسأله فقال: أخبرني فلان بالري أنك تروي اثنتي عشرة ألف أرجوزة، قال: نعم، أربع عشرة ألف أرجوزة أحفظها، فتعجب، فقال لي أكثرها قصار، قلت: اجعلها بيتاً بيتاً أربعة عشر ألف بيت»(2).

وهذا الخبر يروى عن أبي حاتم، وهو أقرب تلاميذه إليه. ويبدو أن حفظ الأصمعي للرجز قد شهر بين الناس، وذاع صيته من البصرة إلى خراسان مروراً ببلاد العراق. ونلحظ الدهشة في سؤال السائل عن عدد ما يحفظ من الرجز حتى قال له: اجعلها بيتاً بيتاً.

ويروى عن أبي حاتم قوله: «وكان الأصمعي من أروى الناس رجزاً»(3). وقد يكون الأصمعي متفرداً في هذه الرواية في عصره. وروي عن الأصمعي قوله يصف نفسه في طلب

الكبرى، مصر، د.ت، ج2، ص100.

(1) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص464. العسكري، أبو أحمد الحسين بن عبد الله: المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، 1960م، ص18. القيرواني: زهر الآداب، ج2، ص101.

(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص26.

(3) المرزباني: الموشح، ص213.

الرجز: «أنه كان همّنا وسدمنا»[1]. ولقد نال الأصمعي بمحفوظه، ووصل إلى مجالسة الرشيد ووزرائه آنذاك. وقضى شطراً من حياته في طلب هذه الأشعار.

وروى أبو حاتم: «أن الرشيد سأله – الأصمعي – عن شعر لابن حزام العكلي، ففسره، فقال: يا أصمعي إنّ الغريبَ عندك لغير غريب»[2]، فأجابه الأصمعي مفتخراً: «ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً»[3]. وما عبارة الرشيد السابقة إلا لأنه وجد بياناً لمعنى الأبيات التي يسأل عنها، وما كان الأصمعي ليحفظ للحجر سبعين اسماً لولا تعلقه باللغة والشعر. وقد وصلنا من ذلك الرجز ديوان العجاج برواية الأصمعي وشرحه.

وفي الفحولة قال الأصمعي: «إنما أعياني شعر الأغلب[4]، قال خلف: فكان من ولده إنسان يصدق في الحديث والروايات ويكذب عليه في شعره»[5].

وربما كان سبب إعياء الأصمعي من شعر الأغلب، ما يرى فيه من زيادة قصائد كما يظهر من كلام خلف الأحمر، حيث كان بعض أولاد الشعراء يزيدون في أشعار آبائهم.

وروى المرزباني أن الأصمعي كان «يستجيد بعض رجز أبي النجم[6]، ويضعف بعضاً؛ لأن له رديئاً كثيراً»[7]. فقد روى الأصمعي ما استجاد وترك ما ضعف من أراجيز أبي النجم. وما كان ليأخذ شيئاً ويدع آخر منها لولا علمه بمواطن الاستجادة. ومن الملازم لهذا الشعر ما يرتبط به من معاني مفردات، وغريب. ويعد الرجز موئلاً للغريب. ومن النصوص السابقة يتبين أن الرجز شكّل جزءاً من علم الأصمعي بالشعر واللغة. والرجز وعاء الغريب، فلا غرو أن الأصمعي عرف بعلو الكعب في معرفة الغريب، وإن اشتهر بعض العلماء بمعرفة الشعر، فالأصمعي مشهور بالعلم في الشعر والغريب معاً.

(1) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ج2، ص265. السدم: الولوع بالشيء واللهج به، اللسان ج15، ص175.
(2) السيوطي: المزهر، ج1، ص325.
(3) المصدر السابق، ج1، ص325.
(4) هو الأغلب بن جشم، من سعد بن عجل. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص613.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص26.
(6) هو الفضل بن قدامة من عجل. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص603. المرزباني: الموشح، ص213.
(7) المرزباني: الموشح، ص213.

ومن هنا نتبيّن أن أبا سعيد لم يقتصر على أخذ اللغة عن الأعراب الذين قدموا الحاضرة لغرض، أو لشعورهم بحاجة أهل اللغة إليهم، فكانوا يقدمون الحواضر وتطول إقامتهم، أو أخذها عن أعراب يقيمون في جوار البصرة. فقد جمع الأصمعي اللغة من كل مكان، وجد فيه اللغة بعيدة عن الضعف. فقد تلقنها في البصرة على شيوخ راسخين في اللغة والأدب، يأتي في مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء، والشافعي وغيرهما.

وانتقل الأصمعي إلى الأماكن القريبة من البصرة، ولكن ذلك لم يشفِ غليله، وشغفه، حتى توغّل في البادية أكثر وقام برحلات عديدة كانت في مقتبل عمره. فكانت انطلاقة الطالب من حلقة المسجد والمربد إلى القصيم «فلما روى من المربد، تجاوزه إلى قريب منه بحيث كان يذهب ويعود، فتراه وقد ذهب إلى القصيم حيث يمضي الأيام القصار»[1]. ثم تعداها إلى الحجاز، وينتقل إلى جبال الطائف فاراً من الحرّ داخل الجزيرة العربية. ولم تقتصر رحلات الأصمعي على مكان معين، بل انتقل بين كل تلك المرابع، ومرّ بأوديتها، وأخذ عن أبناء البادية شباباً وشيوخاً ونساء وأطفالاً، حتى أصبح علماً من أعلام اللغة كما كان لملاقاة الأصمعي شعراء عصره وأولاد الشعراء أثر في تكوين علمه وثقافته.

ويظهر مما سبق العوامل التي ساعدت في تكوين ثقافة الأصمعي بمواردها المختلفة، حتى أصبح إماماً من أئمة اللغة والشعر عامة، وعلماً من أعلام البصرة خاصة. فهو بصريّ النشأة والوفاة والمنحى العلمي. ونخلص إلى ما رواه من شعر وما صنعه من دواوين لبيان أثره في الشعر العربي.

(1) الشلقاني، د. عبد الحميد: الأعراب الرواة، ط1، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، 1975م، ص56.

الباب الثاني

الشعر العربي بين الرواية والاختيار والاستحسان

الفصل الأول

صناعة الدواوين وروايتها

ذكر ابن النديم في الفهرست عدداً من الشعراء الذين صنع لهم أبو سعيد السكري والأصمعي دواوين[1]. ونورد فيما يلي أسماءهم:

1 ـ أبو الأسود الدؤلي
2 ـ أعشى باهلة
3 ـ الأعشى الكبير
4 ـ امرؤ القيس
5 ـ بشر بن أبي خازم الأسدي
6 ـ تميم بن أبي مقبل
7 ـ الحطيئة
8 ـ حميد الأرقط
9 ـ حميد بن ثور الهلالي
10 ـ أبو حية النميري
11 ـ دريد بن الصمة
12 ـ رؤبة بن العجاج
13 ـ الزبرقان بن بدر
14 ـ سحيم بن وثيل الرياحي
15 ـ عبيد الله بن قيس الرقيات
16 ـ العجاج
17 ـ عروة بن الورد
18 ـ عمرو بن شأس
19 ـ الكميت بن زيد
20 ـ لبيد بن ربيعة العامري
21 ـ المتلمس الضبعي
22 ـ متمم بن نويرة
23 ـ مضرس بن ربعي
24 ـ مهلهل بن ربيعة
25 ـ النابغة الجعدي
26 ـ النابغة الذبياني
27 ـ النمر بن تولب

---

(1) ابن النديم: الفهرست، ص178.

وذكر بالإضافة إلى دواوين الشعراء، كتب النقائض الآتية:

1 ـ نقائض جرير والأخطل
2 ـ نقائض جرير وعمرو بن لجأ
3 ـ نقائض جرير والفرزدق

ونضيف إلى ما سبق الشعراء الذين اعتمد الأعلم الشنتمري في اختيار أشعارهم على رواية الأصمعي[1]، وهم:

1 ـ امرؤ القيس
2 ـ زهير بن أبي سلمى
3 ـ طرفة بن العبد
4 ـ عنترة بن شداد العبسي
5 ـ علقمة بن عبدة
6 ـ النابغة الذبياني

وكذلك ديوان سلامة بن جندل[2].

ونضيف إلى ما سبق أشعار بعض القبائل وهي:

أشعار بني هذيل[3]

أشعار الأنصار[4]

أشعار بني جعدة.

---

(1) ابن أبي سلمى: شعر زهير، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، 1393هـ/ 1973م، ص5.

(2) ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة: فهرسة ما رواه عن شيوخه، نشر فرنشكه قداره زيدين وتلميذه، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1382هـ/ 1963م، ص396.

(3) ابن النديم: الفهرست، ص178.

(4) ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج1، ص84، نقلاً عن الأغاني، طبعة بولاق، ج5، ص171، ج19، ص81؛ أن الأصمعي جمع أشعار الأنصار وأشعار بني جعدة. ووجدنا في الأغاني ، ج22، ص76، وطبعة ساسي ج19، ص82، مقطوعة من أربعة أبيات أولها:

أحب هبوط الواديين وإنني   لمشتهر بالواديين غريب

قال بعدها : «والشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة»، وأشار ابن النديم في الفهرست، ص75، إلى أن أبا عمرو الشيباني قد أخذت عنه دواوين القبائل؛ مما يدل على أن بروكلمان قد وهم.

وسنحاول في هذا الفصل تناول ما وصل إلينا من هذه الدواوين التي صنّفها الأصمعي أو أتيح لنا أن نعثر عليه من الدواوين. وسنتناول أيضاً الدواوين التي ورد ذكرها منسوبة إلى الأصمعي ولم تصل إلينا، أو لم تقع في أيدينا.

دواوين وصلتنا كاملة عن الأصمعي

ديوان سلامة بن جندل:

ذكر ابن خير الأندلسي (ت 575هـ) أن ديوان سلامة بن جندل من الدواوين التي قرأها القالي على ابن دريد[1]، ونقلها معه إلى الأندلس عام 330هـ. وقال سزكين في وصف مخطوطات الديوان: «يتضح منها أن صنعة ديوانه كانت لأبي عمرو الشيباني والأصمعي. أما ديوانه الذي قرأه أبو علي القالي على ابن دريد، ثم نقله القالي إلى الأندلس، فربما كان يرجع إلى صنعة الأصمعي – كما قرأ شعره بكلتا الصنعتين – محمد بن الحسن الأحول»[2]. هذا يرجح أن صنعة الديوان الأولى وروايته ترجع إلى الأصمعي من رواة البصرة، ولأبي عمرو الشيباني من رواة الكوفة «وقد جاءت الروايتان متماثلتين تماثلاً ظاهراً يسّر لأبي العباس الأحول أن يحملها معاً ويمليهما على تلاميذه»[3]. وقد وصلنا الديوان بصنعة الأحول، وقام بتحقيقه فخر الدين قباوة، ومطلع القصيدة الأولى:

«أودى الشّبابُ، حُميداً، ذو التَّعاجيبِ   أودى، ولـك شـأوٌ غير مطلوبِ»[4]

ويضم الديوان ثمانية نصوص بين قصيدة ومقطوعة، بلغ مجموع أبياتها مئة وأربعين بيتاً، وهذا يدل على دور الأصمعي في رواية شعر سلامة حيث لم يزد الشيباني معاصر

(1) ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص396.

(2) سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي، راجع الترجمة: د. عرفة مصطفى/ د. سعيد عبد الرحيم، أشرف على طبعه ونشره: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1403هـ/ 1983م، مجلد 2، ج2، ص149.

(3) قباوة، د. فخر الدين: مقدمة ديوان سلامة بن جندل، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/ 1987م، ص12.

(4) ابن جندل: ديوان سلامة، ص88. ذو التعاجيب: ذو العجائب.

الأصمعي أو الأحول على رواية الأصمعي شيئاً.

ديوان العجاج[1]:

وصلنا ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه> وقد حققه في المرة الأولى: عزة حسن، وفي المرة الثانية: عبد الحفيظ السطلي. وجاء في مقدمة الديوان: «يعتبر هذا الديوان من أوائل الدواوين التي رويت وجُمعت في العربية، إذ لا نعرف ديواناً مجموعاً في كتاب وصل إلينا أقدم من الدواوين التي رواها وجمعها الأصمعي»[2].

وبدأ الديوان بأرجوزة يمدح فيها «عمر بن عبيد الله بن معمر، وكان عبد الملك رحمه الله وجهه إلى أبي فديك الحروري[3]، فقتله وأصحابه:

قد جَبَرَ الدِّينَ الإلهُ فجَبَرْ وعَوَّرَ الرحمنُ مَن ولّى العَوَرْ»[4]

وتبلغ القصيدة اثنين وثمانين ومئة بيت، رائية القافية، وهي في مدح عبيد الله بن معمر. ويحتوي الديوان على أربعين أرجوزة آخرها أرجوزة مطلعها:

«يا صاحِ ما هاجَ الدّموعَ الذُّرَفا من طَلَلٍ أمسى تخالُ المُصْحَفا»[5]

وتبلغ خمسة عشر ومئة بيت.

وقد ضمَّنَ المحقق هذا الديوان مجموعة من الأراجيز تحت عنوان ملحقات الديوان. ويبلغ مجموع أبيات الديوان ثلاثة وسبعين وستمئة وألفي بيت. وأضاف المحقق (السطلي) عليها ما أسماه «ملحقات الديوان» وتبلغ تسعة وسبعين وثلاثمئة بيت. وبهذا يكون مجموع

(1) هو عبد الله بن رؤبة بن بني مالك... من تميم راجز مشهور. انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص591.

(2) حسن، د. عزة حسن: مقدمة ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، مكتبة دار الشروق، بيروت، د.ت، ص28.

(3) ذكر خبر أبي فديك سنة 72هـ. انظر: الطبري، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، راجعه: نخبة من العلماء، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1358هـ/ 1939م، ج5، ص20.

(4) السطلي، د. عبد الحفيظ: مقدمة ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، توزيع مكتبة أطلس، دمشق، 1969، ج1، ص20.

(5) العجاج: ديوانه، تحقيق: د. السطلي، ج2، ص219.

ما ضمّه الديوان اثنين وخمسين وثلاثة آلاف بيت من الرجز.

أما عن شرح الديوان فيقول المحقق: «يعتبر الشرح الذي أملاه الأصمعي على هذا الديوان كتاباً في اللغة يمكننا أن نعدّه من أقدم النصوص اللغوية الصحيحة القويمة وأوثقها»(1). وهذا حكم على المادة اللغوية الموجودة في شرح الديوان بجزأيه. ويبدو أن الأصمعي اهتم بجمع الديوان ثم أملاه على تلاميذه في حلقات درسه، وأملى شرحه كذلك. ومن أمثلة الشرح نورد المثال الآتي:

قال العجاج:

«وعَهدَ عُثمانَ وعهداً مِنْ عُمرْ وعَهْدَ إخْوانٍ هُمُ كانوا الوَزَرْ

قال: الوزر: الملجأ. وأنشد للحطيئة يصف إبلاً:

مَنْ كُلِّ شَهْباءَ قد شابَتْ مَشافِرُها تَنحازُ من حِسِّها الأفعَى إلى الوَزَرِ

أي الملجأ – يقول: شابت مشافر هذه الإبل من أكل الحمض وعلى السِّنِّ أيضاً»(2).

ويظهر جهد الأصمعي في شرح الديوان، حيث يتردد اسمه في كل صفحة من صفحات الديوان.

ديوان المتلمس الضبعي(3):

روى الأثرم وأبو عبيدة عن الأصمعي ديوان المتلمس، وقال محقق الديوان واصفاً المخطوطة التي جعلها أماً للتحقيق: «وتبدأ الورقة الأولى بالبسملة، ثم نسب الشاعر وقصة هذا النسب كما يظهر من طبعتنا هذه، وفيها شروح للأصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني، والأحول»(4). فالديوان رواية الأصمعي، ومجموع القصائد الواردة في مخطوطة

(1) حسن، د. عزة: مقدمة ديوان العجاج، ص28.
(2) المرجع السابق، ج1، ص7. البيت في ديوان الحطيئة، ص70.
(3) هو: جرير بن عبد المسيح، من بني ضبيعة. انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص179. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص71.
(4) الصيرفي، حسن كامل: مقدمة ديوان شعر المتلمس الضبعي، الشركة المصرية العامة للطباعة والنشر، مصر، 1390هـ/ 1970م، ص44.

الديوان سبع عشرة قصيدة ومقطوعة عدد أبياتها ثمانون ومئة بيت. أضاف المحقق إليها الشعر المنسوب إلى الشاعر مما لم يرد في مخطوطة الديوان ويقع في ثلاث وأربعين مقطوعة وقصيدة معظمها مقطوعات قصيرة تحوي كل مقطوعة بيتاً مفرداً، ومجموع أبياتها ثلاثة وستون بيتاً. وبهذا يكون مجموع ما ورد للمتلمس من شعر يبلغ ثلاثة وأربعين ومائتي بيت.

أما شرح الديوان فيظهر أنّ صانعه اعتمد فيه على آراء العلماء الذين عددهم في النص السابق – «وتبدأ الورقة...» ومن شرح الأصمعي نذكر النموذج الآتي:

قال المتلمس:

هَلُمّ إليها قَدْ أُثيرَتْ زُروعُها وَعَادَتْ عَليْها المَنْجَنونُ تَكَدَّسُ

... قال الأصمعي: «التكديسُ مشيُ القِصارِ الغلاظِ»(1). فكان الأصمعي يتعرض لشرح الغريب من الألفاظ ويذكر أن الشرح ورد يتلو الأبياتَ في المتن، وهو قليل في الديوان. كما أن الجزء الذي لم يكن في مخطوطة الديوان خلا من الشرح سوى ما ورد عن الأصمعي في المقطوعتين الحادية والعشرين والسادسة والعشرين.

(1) الضبعي: ديوان شعر المتلمس، ص122. يقول: إن قدرت عليها فصدها فإنها أخصب ما يكون مزدرعها مثار وداليتها تدور.

دواوين صنعها الأصمعي وغيره

ديوان الأعشى الكبير:

ذكر ابن النديم أن هذا الديوان صنعه الأصمعي والسكري وغيرهما. وبين أيدينا الديوان المطبوع الذي حققه وشرحه محمد محمد حسين الذي قال في وصف بعض مخطوطاته: «وقد تكون مخطوطات القاهرة وليدن وباريس، تلك المجموعة التي أسميتها بالديوان الصغير لتشابه محتوياتها»(1). ثم ذكر أسماء من اهتموا بجمع شعر الأعشى وخلص إلى القول: «وبين هذه المجموعة من الأسماء لا نجد إلا اسماً واحداً يمكننا اعتباره إذا فكرنا في جامع الديوان الصغير، وذلك هو الأصمعي الذي اشتهر بأمانته في نقل الأشعار القديمة»(2). فإنْ صح الترجيح بأن الأصمعي هو صانع الديوان الصغير يكون له أثر بيّن في ديوان الأعشى الذي يحوي اثنتين وثمانين قصيدة. ضم الديوان الصغير خمس عشرة قصيدة منها، «ومع ذلك، فنحن غير واثقين من أن الأصمعي هو حقيقة جامع الديوان الصغير»(3). فلذلك لابد أن للأصمعي يداً في جمع ما وصلنا من شعر الأعشى.

ديوان امرئ القيس:

أول مجموع لشعره وصلنا عن طريق الأعلم الشنتمري (415 – 476هـ)، حيث قال في مقدمة أشعار الشعراء الستة الجاهليين: «فجعلت الديوان متضمناً لشعر امرئ القيس بن حجر الكندي، وشعر النابغة زياد بن عمرو الذبياني، وشعر علقمة بن عبدة التميمي، وشعر زهير بن أبي سُلمى المزني، وشعر طرفة بن العبد البكري، وشعر عنترة بن شداد العبسي. واعتمدت فيما جلبته من هذه الأشعار، على أصح رواياتها، وأوضح طرقاتها، وهي رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، لتواطؤ الناس عليها، واعتيادهم لها، واتفاق الجمهور على تفضيلها»(4).

(1) حسين، د. محمد محمد: مقدمة شرح ديوان الأعشى الكبير، نشر مكتبة الآداب بالجماميز، الإسكندرية، تاريخ المقدمة 1950م، ص ل.

(2) المرجع السابق، ص ل.

(3) المرجع السابق، ص م.

(4) الشنتمري: شعر زهير بن أبي سلمى، ص5.

ووصلت هذه المجموعة من الأشعار بسندها إلى الأصمعي، قال ابن خير الأندلسي (575هـ) مفصلاً طريقها: «ويرويها الأستاذ أبو الحجاج الأعلم المذكور عن الوزير أبي سهل يونس بن أحمد الحراني عن شيوخه أبي مروان عبيد الله بن فرج الطوطالقي، وأبي الحجاج يوسف بن فضالة، وأبي عمر بن أبي الحباب كلهم يرويها عن أبي علي البغدادي عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي رحمه الله»(1). فهذه الرواية بسندها ترجع إلى الأصمعي. ثم اعتمد محقق الديوان محمد أبو الفضل إبراهيم على ما أورده الأعلم لامرئ القيس في هذه المجموعة وهو مجموع يقع في «ثمان وعشرين قصيدة ومقطوعة شفعها بست قصائد مما اختاره من رواية المفضل وأبي عمرو الشيباني وغيرهما»(2). ونلاحظ أن أكبر حجم مما يرويه الأعلم يرجع إلى الأصمعي ويبلغ واحداً وتسعين وأربعمئة بيت من حجم الديوان الذي وصل عدد قصائده ومقطوعاته إلى مئة قصيدة ومقطوعة في تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

ديوان زهير:

حققه فخر الدين قباوة معتمداً على رواية الأصمعي ضمن ما اختاره الأعلم من أشعار الشعراء الستة، ويبلغ ثماني عشرة قصيدة جاء في نهايتها «كمل جميع ما رواه الأصمعي من شعر زهير ونصل به بعض ما رواه غيره له»(3). وتبلغ تلك القصائد خمسة وثلاثين وأربعمئة بيت، وأضاف الأعلم قصيدتين تبلغان واحداً وستين بيتاً على ما رواه للأصمعي.

ديوان طرفة بن العبد:

وهو من الشعراء الذين اختار الأعلم بعض شعرهم معتمداً على رواية الأصمعي. وقال صاحب تاريخ أخبار التراث: «إن أقدم صنعة لديوان طرفة ترجع إلى الأصمعي في الشعراء الستة»(4).

---

(1) ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص389.
(2) إبراهيم، محمد أبو الفضل: مقدمة ديوان امرئ القيس، نشر وطبع دار المعارف، مصر، 1958م،ص10.
(3) الشنتمري: شعر زهير، ص176.
(4) سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج2، ص17.

ونرجح أن يكون صاحب هذا الاختيار الأعلم في أشعار الشعراء الستة، وقد اختار له ثماني عشرة قصيدة يرجح أن رواية الأصمعي تبلغ أربع عشرة قصيدة، وقد قال في شرح القصيدة الخامسة عشرة إنها «مما رواه ابن السكيت عن غير الأصمعي وهي من رواية أبي عمرو الشيباني»[1]. فإن صدق هذا الترجيح يكون أكثر شعر طرفة مروياً عن طريق الأصمعي.

ديوان علقمة بن عبدة:

حققه لطفي الصقّال ودريّة الخطيب، معتمدين على اختيار الأعلم الشنتمري ولم يزيدا على ما جمعه الأعلم شيئاً. وكان الأعلم أثبت ثلاث قصائد تبلغ تسعة وأربعين ومئة بيت. قال في نهايتها «كمُل جميع ما رواه الأصمعي من شعر علقمة»[2]. ويكاد الديوان يقوم على هذه القصائد؛ إذ زاد عليه الأعلم ست قصائد مجموع أبياتها تسعة وعشرون بيتاً. ويكون بهذا جلّ ديوان علقمة وصلنا عن الأصمعي.

ديوان عنترة بن شداد:

أورد الأعلم الشنتمري في اختياره ستاً وعشرين قصيدة ومقطوعة من شعر عنترة، ولم ينص في أي منها على نهاية اختياره من رواية الأصمعي كما نص على ذلك في نهاية اختياره من شعر النابغة[3]. وقام بتحقيق وشرح ديوان عنترة عبد المنعم شلبي الذي التزم بذكر مصدر كل قصيدة عن البطليوسي والأصمعي. وبلغ عدد القصائد الواردة في الديوان عنهما تسع عشرة قصيدة، وردت جميعها في اختيار الأعلم. وبلغ مجموع أبياتها واحداً وأربعين وثلاثمئة بيت. وتأتي المعلقة في أول تلك القصائد. وبلغ عدد قصائد الديوان ومقطوعاته ثلاثاً وثلاثين ومئة قصيدة ومقطوعة، بلغ عدد أبياتها ثمانية وسبعين وسبعمئة وألف بيت، أضاف إليها البطليوسي خمسة وخمسين بيتاً فأصبح مجموع أبيات الديوان بتحقيق شلبي

---

(1) الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى: أشعار الشعراء الجاهليين، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ج2، ص96.
(2) الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ج1، ص166.
(3) المصدر السابق، ج1، ص246.

ثلاثة وثلاثين وثمانمئة وألف بيت.

ومن قصائد عنترة التي لم يروِها البطليوسي والأصمعي، قال: «في إغارته على بني ضبة:

عَـفَـتِ الـديـارَ وبـاقـيَ الأطـلالِ ريـحُ الـصَّـبا وتـقَـلُّـبُ الأحـوالِ»[1]

وتبلغ أربعة وأربعين بيتاً، استهلها بذكر الأطلال والغزل بابنة عمه مالك، ثم فخر بغاراته وكرمه.

ديوان النابغة الذبياني:

أورد له الأعلم في اختياره اثنتين وعشرين قصيدة، قال بعدها: «كمُل جميع ما رواه الأصمعي من شعر النابغة ونصل به إلى قصائد متخيرة مما رواه غير الأصمعي»[2]. وبلغ مجموع ما اختاره الأعلم من شعر النابغة تسعاً وعشرين قصيدة.

وقال محقق ديوان النابغة: «إن ثمة أربعاً وعشرين قصيدة قد أثبتتها جميع المخطوطات وتلك هي التي رواها الأصمعي»[3]. وهذا يظهر أن أكثر قصائد النابغة الذبياني تعود روايتها الأولى إلى الأصمعي.

ديوان جرير:

قال ابن النديم: «عمله جماعة من العلماء منهم أبو عمرو الشيباني والأصمعي وابن السكيت»[4]. وكان الأصمعي قد أخذ شعر جرير عن أبي عمرو بن العلاء، ذكر المرزباني قول الأصمعي:

«قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله:

ويَـومٍ كـإبْـهـامِ الـقَـطـاةِ مُـحَـبَّـب إلـيَّ هَـواهُ، غـالـبٍ لـي بـاطِـلُـهْ

(1) ابن شداد: ديوان عنترة، تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، قدّم له إبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ص128.
(2) الشنتمري: أشعار الشعراء الستة، ج1، ص246.
(3) الدسوقي، عمر: مقدمة ديوان النابغة الذبياني، ط4، دار الفكر، القاهرة، 1960م، ص126.
(4) ابن النديم: الفهرست، ص179.

... فقال: ويله، وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ قلت له هكذا قرأته على أبي عمرو، فقال لي: صدقت وكذا قاله جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ وما كان أبو عمرو ليقرئك إلاّ كما سمع»[1].

يبدو أن الأصمعي لم يأخذ كل شعر جرير عن أبي عمرو، وربما كانت قراءته لشعر جرير على خلف ليقارن ما لديه من شعر جرير بما عند خلف، ولعل الأصمعي جعل من روايته ديواناً خاصاً.

ونقل صاحب تاريخ التراث قول ابن النديم السابق ثم قال: «أما صنعة الديوان بعد ذلك فهي لابن السكيت»[2]، والمرجح أن ابن السكيت جمع بين أكثر من رواية في صناعته للديوان وربما اعتمد على ما كان عند الأصمعي وغيره من صنعة للديوان، ولدينا نسخة من الديوان قدم لها كرم البستاني، وهي مرتبة القوافي ترتيباً ألفبائياً يصعب معه تحديد مقدار رواية الأصمعي من الديوان؛ ولكن النصوص السابقة تؤكد أن للأصمعي يداً في رواية ديوان جرير وصنعته.

ديوان الحطيئة:

من الدواوين التي ذكر ابن النديم أن الأصمعي وغيره صنعوها[3]. وقال ابن خير: «ويرويه أبو سهل الحراني أيضاً عن أبي مروان عبيد الله بن فرج الطوطالقي عن أبي علي البغدادي عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني وغيره من شيوخهم من البصريين والكوفيين»[4]. وعن هذه الرواية المنقولة إلى الأندلس، يقول سزكين: «ولم تصل من هذه الصنعة إلاّ قطع مفردة»[5]. وبين أيدينا نسخة ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، وهي بتحقيق نعمان أمين طه.

---

(1) المرزباني: الموشح، ص125. البيت في ديوان جرير، ص384.
(2) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج3، ص70.
(3) ابن النديم: الفهرست، ص178.
(4) ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص392.
(5) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج2، ص225.

وذكر أبو الفرج أنّ الأصمعي قال: «كتبت للحطيئة في ليلة أربعين قصيدة»[1]. فقد روى الأصمعي شعر الحطيئة، وعمل ديوانه، فمن المعقول أن يكون السجستاني قد أخذ ديوان الحطيئة عن الأصمعي شيخه، لأنه أكثر الناس ملازمة لشيخه الأصمعي مثلما أخذ القالي هذا الديوان عن ابن دريد برواية السجستاني.

ومن الأمثلة على ورود ذكر الأصمعي ما جاء في شرح قول الحطيئة يصف الناقة:

«تَرى رَأسَهُ مُستحْمِلاً خَلفَ رِدفِها كما حمَلَ العِبْءَ الثَّقيلَ المُعادلُ

وإن جاهَدَتْهُ جاهدَتْ ذا كَريهةٍ وإن تَعْدُ عَدْواً يَعْدُ عادٍ مُناقِلُ

أراد أن العير يضع رأسه على قطاة الأتان إذا طردها. الأصمعي، ومن ذكر العير وأتنه احتاج إلى قول أوس:

تُواغِدُ رِجْلاها يَدَيْهِ ورَأسُهُ لها قَتَبٌ خَلْفَ الحَقِيَبةِ رادِفُ

ذا كريهة: أي ذا صبر على شدة، سيف ذو ضريبة إذا كان يقطع الضرائب الشداد. المناقيل: عن الأصمعي المناقلة أن يضع الفرس يده ورجله على غير حجر لحسن نقله، وأنشد لجرير:

مِنْ كُلِّ مُشتَرِفٍ وإن بَعُدَ المَدى ضَرِمِ الرَّقاقِ مُناقِلِ الأجْرالِ»[2]

هذه هي طريقة الأصمعي في شرح الشعر، وورد ذكره ثلاثاً وخمسين مرة في شرح أبيات الديوان، وهذا يدل على وصول جهد للأصمعي في ديوان الحطيئة عن طريق السجستاني.

ديوان الراعي النميري:

ذكر ابن خير أن الديوان مما نقله أبو علي إلى الأندلس عام (330هـ)[3]، ولم يذكر ابن خير سند رواية الديوان. ويرى محقق الديوان أن الأصمعي هو أول من اهتم برواية

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ط دار الكتب، ج2، ص174.

(2) الحطيئة: ديوانه، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1378هـ/ 1958م، ص22.

(3) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص397.

ديوان الراعي، وأن السجستاني قرأ عليه هذه الرواية التي انتقلت إلى الأندلس عن طريق القالي الذي قرأها على ابن دريد تلميذ السجستاني، قال: «ويبدو أن أول المهتمين بشعر الراعي كان الأصمعي. وقد استخدم أبو عبيد البكري مجموعة الأصمعي هذه في معجم ما استعجم. هذه المجموعة التي قرأها أبو حاتم السجستاني على الأصمعي»[1].

ويميل الباحث الألماني (المحقق) إلى أن تكون القصائد التامة منقولة من الديوان الذي صنعه الأصمعي ويستدل بما ورد في كتاب العصا قال: «ففي النشرة الجديدة لكتاب العصا لأسامة بن منقذ ص288 ترد الفقرة نفسها التي أوردها ابن ميمون[2] في المطلع قبل البدء بنقل شعر الراعي عن الديوان، غير أن أسامة احتفظ لنا هنا بالأسماء على النحو التالي: قال الأصمعي: قال عيسى بن عمر: قال الراعي...»[3].

وتضم القصائد ثلاثة وخمسين وثمانمئة بيت في حين أن الديوان كله يضم خمسة وعشرين وثلاثمئة وألف بيت. وبهذا يمكننا القول إن جلّ ديوان الراعي وصلنا برواية الأصمعي.

ديوان رؤبة بن العجاج:

قال ابن النديم: «روى الأصمعي شعر رؤبة عنه، وكذلك أبو عمرو الشيباني، وعمله أبو سعيد السكري»[4]. وديوان رؤبة الذي رواه الأصمعي انتقل إلى الأندلس عام330هـ «عن أبي علي البغدادي عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء»[5]. وقد يكون السكري اعتمد على هذه الرواية في صنعته، ويرجح ذلك ما أورده البغدادي في شرح قول رؤبة:

(1) فايبرت، راينهرت: مقدمة ديوان الراعي النميري، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت، 1401هـ/ 1980م.

(2) ابن ميمون: هو محمد بن مبارك بن محمد بن ميمون، توفي بعد 589هـ عالم بالأدب، بغدادي، صاحب منتهى الطلب من أشعار العرب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ج7، ص17.

(3) فايبرت: مقدمة ديوان الراعي، ص س.

(4) ابن النديم: الفهرست، ص179.

(5) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص392.

«وقـاتِـمِ الأعـمـاقِ خـاوي الـمُـخْـتَـرَقْ   مُـشـتَـبِـهِ الأعــلامِ لَـمّـاعِ الخَفَقْ»[1]

«قال الأصمعي في شرح ديوان رؤبة: القتمة الغبرة إلى الحمرة مصدر الأقتم»[2].

وأورد البغدادي منها خمسة وعشرين بيتاً مما يرجح أن الأصمعي كان لديه نسخة من ديوان رؤبة وشرحه أيضاً. وقد نشر الديوان بتصحيح وعناية وليم بن الورد الذي رتّبه ترتيباً معجمياً من دون أن يصف المخطوطات التي اعتمد عليها في تحقيق الديوان. ويبلغ عدد أراجيز الديوان ثمانياً وخمسين أرجوزة، بلغ عدد أبياتها سبعة وخمسين وستة آلاف بيت. وأضاف وليم إلى هذه الأراجيز جزءاً أسماه أبيات مفردات وزيادات، وعدد هذه الزيادات يبلغ سبعاً وعشرين ومئة، منها البيت والأرجوزة الطويلة كالأرجوزة التي مطلعها:

«مِــنْ مَــنْــزِلاتٍ أصــبــحَــتْ رَمِـيـمَـا   فـحَـيـثُ نـاصَـى الـمَـدْفَـعُ النَظِيما»[3]

وتبلغ أربعين بيتاً. ويبلغ مجموع أبيات هذه الزيادات ستة وستين وخمسمئة بيت. فيكون مجموع أبيات الديوان ثلاثة وعشرين وستمئة وستة آلاف بيت خالية من الشرح، مما يدل على أثر الأصمعي في ديوان رؤبة.

ديوان عروة بن الورد:

وهو مما ذكره ابن النديم[4]، وذكر ابن خير أنه مما نقله أبوعلي إلى الأندلس، وكان قرأه على ابن دريد[5].

وقال سزكين: «ولم تصل إلينا إلاّ صنعة ابن السكيت من المخطوطات، وكانت رواية الأصمعي قد وصلت عن طريق ابن دريد إلى أبي علي القالي»[6]. وقد وصلتنا نسخة بتحقيق

---

(1) رؤبة، ديوان رؤبة، مجموع أشعار العرب، ص104.

(2) البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/ 1967م، ج2، ص81.

(3) رؤبة: ديوان رؤبة بن العجاج، ص184.

(4) ابن النديم: الفهرست، ص179.

(5) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص395.

(6) سزكين: تاريخ التراث، مجلد 2، ج2، ص63.

عبد المعين الملوحي. وورد ذكر الأصمعي في شرح قول عروة:

«أرقــتُ وصُـحبَـتي، بمَـضِـيق عَميق   لِـبَــرقٍ مــن تِـهـامَــةَ مُـسـتَـطـيـرِ

قال الأصمعي: كان من سبب قوله لهذه القصيدة أنه أصاب امرأة من بني هذيل يقال لها ليلى بنت شعواء، وكانت عنده زماناً ثم فاداها وهو شارب»(1). وورد ذكر الأصمعي في ستة مواضع تتعلق بشرح الأبيات، وإن لم نجزم بأن هذا الديوان يرجع بمجمله إلى الأصمعي، فإن النصوص السابقة تظهر جهداً له في هذا الديوان.

ديوان الفرزدق:

ذكر ابن خير أن ديوان الفرزدق من الدواوين التي وصلت إلى الأندلس مع القالي سنة 330هـ(2). ولم يوضح مصدر روايته. وقال صاحب تاريخ التراث «وقد قام الأصمعي بصنعة الديوان، وقد وصل إلينا جزء من هذه الصنعة»(3). وهذا يدل على أن صنعة الأصمعي لم تصلنا كاملة، وأن الجزء الذي بين أيدينا يحتوي على أربعة وعشرين وستمئة وألف بيت مع مقدمات لبعض القصائد. وهو ضمن مجموع مشتمل على خمسة دواوين، مطبوع في مصر سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف للهجرة مما يدل على أثر للأصمعي في رواية ديوان الفرزدق.

ديوان لبيد بن ربيعة:

ذكر ابن النديم أن الأصمعي ممن صنعوا ديوان لبيد بن ربيعة(4). وذكر ابن خير أن الديوان مما نقله أبو علي البغدادي إلى الأندلس(5).

وقال صاحب تاريخ التراث: «وقد وصلت إلينا صنعة الطوسي واعتمد فيها على أبي

---

(1) ابن الورد: ديوان عروة، شرح ابن السكيت، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1966م، ص55.
(2) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص397.
(3) سزكين: تاريخ التراث، مجلد 2، ج2، ص76.
(4) ابن النديم: الفهرست، ص178.
(5) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص397.

عمرو الشيباني وعلى الأصمعي وابن الأعرابي»[1]. واعتماد الطوسي ذلك كان في شرح الديوان الذي يقول عنه إحسان عباس: «وشرح الطوسي عن شيوخه فهو يجمع بين رأي أبي عمرو وابن الأعرابي ويستشهد ببعض آراء الأصمعي»[2]. فهو حشد شروح العلماء، ومن بينهم شرح الأصمعي لشعر لبيد.

أما من سبقت جهودهم لصناعة الديوان فربما إنها لم تصل، قال إحسان عباس: «أنا غير واثق من أنني أستطيع العثور في فرصة قريبة على نسخة خطية من ديوانه فأبقيت شرح الطوسي كما هو»[3].

ونجد في شرح الطوسي أثراً واضحاً للأصمعي. ومن أمثلة ذلك في شرح قول لبيد:

«وَدَعْوةِ مَرهُوبٍ أجبْتُ، وطَعنَةٍ رَفَعْتُ بها أصْواتَ نَوحٍ مُسَلَّبِ

... قال الأصمعي: لا يكون التسليب إلا بلبس السواد، وأنشد:

على عَمْدٍ كَسَوتُهُمُ قُبُوحاً كما أكْسُو نِساءَهُمُ السِّلابا»[4]

فإن الطوسي قد اعتمد في شرح البيت على الأصمعي الذي ذكر البيت ليدلّ على معنى التسليب. وورد ذكر الأصمعي في شرح الديوان قرابة ثمانين مرة مما يدل على أن جهداً له في شرح هذا الديوان وصلنا عن طريق الطوسي. وهذا يقوي ما ذهب إليه إحسان عباس.

ديوان هذيل:

سبق أن عرفنا أن الأصمعي قرأ شعر هذيل وصححه على الشافعي بمكة، وذكر ابن خير الأندلسي أنّ الديوان مما نقله أبو علي القالي إلى الأندلس سنة (330هـ)، وكان قد أخذ هذا الشعر بأجزائه عن ابن دريد، قال القالي: «... وأربعة عشر جزءاً من شعر الهذليين،

---

(1) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج2، ص35.
(2) عباس، د. إحسان عباس: مقدمة شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962م، ص6.
(3) المرجع السابق، ص7.
(4) لبيد: شرح ديوان لبيد، ص10. البيت من مفضلية الحارث بن ظالم.

كل هذه الدواوين قرأتها على ابن دريد»[1]، ومن المعروف والثابت أن ابن دريد يروي عن السجستاني عن الأصمعي. وبين أيدينا نسخة من كتاب شرح أشعار الهذليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري. وورد في مقدمة تحقيق هذه النسخة «روى السكري هذه الأشعار وأخبارها وشروحها، عن العباس بن الفرج الرياشي وإبراهيم بن سفيان الزيادي... وهؤلاء رووا عن الأصمعي عبد الملك بن قريب الباهلي وابن الأعرابي...»[2].

ويظهر النص السابق أن السكري جمع شعر هذيل من أكثر من راوية، ويبدو أن رواية الأصمعي هي أكثر الروايات المعتمد عليها؛ حيث ورد في أول شعر أبي ذؤيب الهذلي: «قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، أخبرنا أبو الفضل الرياشي العباسي بن الفرج عن الأصمعي...»[3]، فجعل السكري رواية الأصمعي أول الروايات التي اعتمد عليها في صنعته للديوان وشرحه.

وقد أحصى المحقق ما يتعلق بالكتاب من عدد القصائد والشعراء والأبيات مستدركاً على طبعة دار الكتب[4]، وجاء ذلك الإحصاء في تحقيقه كما يلي:

عدد القصائد والمقطوعات بلغ ثمانين وثلاثمئة قصيدة ومقطوعة، عدد الشعراء بلغ عشرين ومئة شاعر، عدد الأبيات بلغ ستمئة وأربعة آلاف بيت تقريباً.

ومن أمثلة شرح الأصمعي نورد نموذجاً لشرح قول أبي ذؤيب الهذلي:

«ألا لَيتَ شِعري هلْ تَنَظَّرَ خالدٌ عِيادي على الهِجرانِ أم هو يائِسُ

فلو أنّني كُنتُ السّليمَ لعُدْتَني سَريعاً ولم تَحبِسْكَ عَني الكَوادِسُ

السليم: اللديغ – قال الأصمعي: وإنما قيل السليم أي سيسلم فألاً له، والكوادس الطيرة وأصله العطاس، ويقال: كدس يكدس، وأنشد:

(1) ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص396.

(2) فراج، عبد الستار أحمد: مقدمة شرح أشعار الهذليين، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ت، ج1، ص10.

(3) السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: كتاب شرح أشعار الهذليين، ج1، ص3.

(4) فراج، عبد الستار: مقدمة كتاب شرح أشعار الهذليين، ج1، ص7.

يـــؤُمُّ بـهـم مَــن لـم يُـقـصِّــرْ بـهـمّـهِ   تَـطيُّرُ ذي طَيـرٍ ولا كَـدْسُ كادِسِ»[1]

ويظهر أن الشرح كله مروي عن الأصمعي. ومن أمثلة ذلك في قول أبي ذؤيب أيضاً:

«وسِـــــرْبٍ تَـطَـلّـى بـالـعَـبـيـرِ كـأنّـهُ   دِمـــــاءُ ظِـبـــاءٍ بـالـنّـحُـورِ ذَبـيــحُ

قال الأصمعي: يطلى. والسرب أراد الجماعة من النساء وهو أيضاً من البقر والظباء، والعبير أخلاط من الطيب يجمع بالزعفران، وكل ما شقّ عنه فهو ذبيح، وأنشد:

كـــأنَّ الـخُـزامَـى طَـلّـةٌ فـي ثِـيـابِـهـا   إذا طَـرَقَـتْ أفْـــآرُ مِـســكٍ تُـذَبَّـحُ

أي يشق»[2]. شرح الأصمعي الكلمة بمعناها في المعجم، ودلالتها في سياق البيت.

ويظهر من خلال النسخة التي بين أيدينا ومن وصف عبد الستار فراج لنسخة دار الكتب قائلاً: «وهذه الأجزاء أصلها ثمانية أقسام: خمسة منها من رواية الأصمعي، وثلاثة مكملة للنسخة، وليست من روايته، وهي الأقسام: الأول والسادس والثامن»[3]. إن أكبر جزء من شرح شعر هذيل يعود بكامله إلى الأصمعي ووصلت روايته إلى السكري عن طريق شيوخه.

الدواوين المفقودة

ونعني بالدواوين المفقودة الدواوين التي ذكر ابن النديم أنّ الأصمعي ممن صنعوها، ولكنها لم تصل إلينا، وهذه الدواوين قسمان:

أ ـ قسم نُشر محققاً اعتماداً على أصول قديمة، ويضم:

ديوان أبي الأسود الدؤلي:

اعتمد محققه على نسخة مخطوطة جاء في الصفحة الأولى منها، «شعر أبي الأسود الدؤلي ثم الليثي، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية أبي القاسم عبيد

(1) السكري: كتاب شرح أشعار الهذليين، ج1، ص217.
(2) المصدر السابق، ج1، ص151.
(3) فراج، عبد الستار: مقدمة كتاب شرح أشعار الهذليين، ج1، ص151. ولم نستطع الحصول على نسخة من طبعة دار الكتب لإحصاء مقدار الشعر الذي لم يرد عن طريق الأصمعي.

الله بن عثمان بن يحيى بن زكريا الدقاق[1]، عن أبي الخطاب العباس أحمد بن محمد بن الفرات[2] عن السكري»[3]. ولا نجد أثراً لما أورده ابن النديم في كتابه عن صنعة الأصمعي لهذا الديوان.

ديوان حميد بن ثور:

قال جامع الديوان: «ولم يسبق أن جُمع شعر حُمَيد بن ثور في كتاب، ولم يسبق أن شُرح شرحاً وافياً يوضح معانيه»[4]. وكان قد اعتمد في جزء من عمله على نسخة قديمة وصفها قائلاً هي: «مجموعة عشر قصائد وهي نسخة قديمة عنوانها منتخبات في محاسن أشعار العرب) ثبت عليها بخط حديث أنها للثعالبي بظن باعد فيه الصواب صاحبه، وربما كانت لابن السكيت»[5]. وربما يكون الميمني استند في ظنه على إشارة ابن النديم الذي ذكر أنه راجز.

وخلص الميمني إلى قوله: «وكثير من الناس قد خلطوا شعره بشعر حُمَيد الأرقط أو الأريقط فليعلم ويسهل الميزة أن هذا شاعر والأرقط راجز في الغالب»[6]. وهذا يرجح الظن بفقدان الديوان الذي صنعه الأصمعي وغيره، بالإضافة إلى أنه لم يرد ذكر الأصمعي في الديوان الذي بين أيدينا.

ديوان أبي حية النميري:

جاء في مقدمته «وقد حفظ له ابن ميمون صاحب الموسوعة الشعرية الكبرى (منتهى

(1) هو العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات أبو الخطاب، وهو والد أبي الحسن الفرات، حدث عن السكري وغيره ت 338هـ، تاريخ بغداد، ج12، ص159.

(2) هو عبيد الله بن عثمان أبو القاسم الدقاق المعروف بابن جنيقا، ولد سنة 318، وتوفي في 390، تاريخ بغداد، ج10، ص377.

(3) آل ياسين، محمد حسين: مقدمة ديوان أبي الأسود الدؤلي، ط10، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1974م، ص20.

(4) الميمني، عبد العزيز: مقدمة ديوان حُميد بن ثور، وفيه بائية أبي دواد الإيادي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1371هـ/ 1951م، ص ج.

(5) المرجع السابق، ص3.

(6) المرجع السابق، ص5.

الطلب في أشعار العرب) الجزء الخامس الذي عثرت عليه في مكتبة (ليل) بأمريكا، حفظ له إحدى عشرة قصيدة من مختار شعره عدد أبياتها 531»[1]. وبتقصي الديوان لا نجد ذكراً للأصمعي مما يدل على أن محققه اعتمد على أصل لا ذكر فيه للأصمعي.

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات:

قال محققه واصفاً الأصول التي اعتمد عليها: «وجميع هذه الأصول برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري عن أبي جعفر محمد بن حُبَيب توفي سنة 245هـ»[2]. وبتقصي الديوان نجد أن الأصمعي ذُكر ثلاث مرات في شرح الديوان.

ديوان دريد بن الصمّة الجشمي:

قال محققه: «ولكن لم يصلنا هذا الديوان، وضاع مع ما ضاع من ذخائر التراث العربي»[3]. ورغم أن هذه الدواوين قد فقدت صناعتها الأولى، إلا أننا نتبيّن أثراً بسيطاً محدوداً للأصمعي فيها، والمرجح أن هذا الأثر أُخذ من كتب اللغة والأدب التي ورد فيها ذكر للأصمعي أو أُخذت عنه.ب ـ دواوين جُمعت في بطون الكتب:

إن كثيراً من الدواوين التي ذكرها ابن النديم قد غالتها غوائل الدهر، وهذا ما جعل الباحثين يجمعون الكثير من هذه الدواوين من بطون الكتب في عصور متأخرة في حين وصلنا بعض هذه الدواوين بروايات غير رواية الأصمعي. ومن الدواوين التي فُقدت:

ديوان أعشى باهلة:

ذكر ابن النديم أن الأصمعي وغيره صنعوا ديوان الأعشى الباهلي[4]. ويقول صاحب

---

(1) الجبوري، د. يحيى: مقدمة شعر أبي حيّة النميري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975م، ص22.

(2) نجم، د. محمد يوسف: مقدمة ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1378هـ/ 1958م، ص6.

(3) بقاعي، محمد خير: مقدمة ديوان دريد بن الصمة، قدّم له: د. شاكر الفحام، دار قتيبة، د.ب،1401هـ/ 1981م، ص22.

(4) ابن النديم: الفهرست، ص178.

تاريخ التراث بعد أن ذكر قول ابن النديم: «وروى ثعلب ديوانه ولم يصل إلينا»(1)، فيكون الديوان قد فُقدت رواياته وصناعته الأولى.

ويوجد في كتاب الصبح المنير كَمٌّ من الشعر يُنسَب للأعشى الباهلي ويتكوّن من ستة أبيات مفردة ومقطوعة من بيتين، وأخرى من ثلاثة أبيات، ومن القصيدة الرائية التي مطلعها:

«هاجَ الفؤادَ على عرفانِهِ الذِّكرُ وزورُ ميتٍ على الأيام يَهْتَصِرُ»(2)

وتبلغ ستة وأربعين بيتاً، وبهذا يكون مجموع شعر الأعشى سبعة وخمسين بيتاً.

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي(3):

قال محققه عن رحلة الديوان: «كما أننا لم نعثر في المصادر المختلفة على إشارة ما تدل عليه، ويغلب على ظننا أنه متأخر الزمان، وأنه لا يعدو القرن السادس من الهجرة في القدم، يدلّنا على ذلك أنه رتّب شعر بشر على حروف المعجم، وهي طريقة في جمع الشعر اتُبعت في زمن متأخر»(4). فإن ديوان بشر الذي صنعه الأصمعي لم يصل إلينا.

ديوان عمرو بن شأس الأسدي:

جاء في مقدمة كتاب شعر عمرو بن شأس: «لم أعثر على ديوان عمرو بن شأس، وكان السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين المتوفى 275هـ) قد صنع له ديواناً من جملة ما صنع من دواوين، وكان برواية الأصمعي وابن حبيب فضاع هذا الديوان مع ما ضاع من كتب التراث»(5). وهنا نستخلص أن الديوان الذي اعتمد فيه على رواية الأصمعي قد فُقد.

---

(1) سزكين: تاريخ التراث، مجلد 2، ج2، ص140.

(2) الأعشى، ميمون بن قيس والأعشين الآخرين: كتاب الصبح المنير، طبع في مطبعة آدلف هلزهوسن، بيانة، 1927م، ص266.

(3) اعتماداً على قول محقق الديوان إنه جُمع متأخر الزمان، جعلت الديوان مع الدواوين التي جُمعت من بطون الكتب.

(4) حسن، د. عزة: مقدمة ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، ط2، وزارة الثقافة، دمشق،1392هـ/1972م، ص43.

(5) الجبوري، د. يحيى: مقدمة شعر عمرو بن شأس الأسدي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1396هـ/ 1976م، ص21.

ديوان الكُميت بن زيد الأسدي:

ذكر ابن النديم أن هذا الديوان من الدواوين التي صنعها الأصمعي وغيره[1]. وأشار جامع الديوان إلى ما ورد من إشارات تدل على اهتمام الأولين بشعر الكميت، وكانت إشارته إلى محاولة الأصمعي في الترتيب الثاني من تلك المحاولات[2] التي قال في نهايتها متسائلاً: «هل من المعقول أن تُفقَد النُسخ كلها ونحن نعرف من التاريخ أن هناك أكثر من نسخة في بغداد عبر القرون، ونسخة في فارس في القرن الرابع، ونسخة في الموصل وبغداد في القرن السابع، ونسخة في حلب أو مصر في القرن التاسع... سؤال تجيب عنه الأيام»[3]. فإنّ فقدان هذه النسخ جعل المحقق يجمع ديوان الكُميت.

ديوان متمم بن نويرة:

ذكر ابن النديم أن أبا عمرو الشيباني والأصمعي والسكري صنعوا شعره[4]. وذكره ابن خير فيما نقله أبو علي عام (330هـ) إلى الأندلس[5]. وبتقصي ذكره في تاريخ التراث، قال سزكين عن الديوان: «ولم يصل إلينا، وأكمل مجموعة للقطع الباقية من شعره جمعتها ابتسام مرهون الصفار في كتابها مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي)»[6]. وهذا يبين أن جهود هؤلاء الأئمة في صناعة الديوان قد فُقدت.

ديوان مهلهل بن ربيعة:

ذكره ابن النديم ضمن الدواوين التي كان الأصمعي ممن صنعوها. وذكر ابن خير أن الديوان مما نقله أبو علي إلى الأندلس[7].

---

(1) ابن النديم: الفهرست، ص178.
(2) انظر: سلوم، د. داود: مقدمة شعر الكُميت بن زيد الأسدي، نشر مكتبة الأندلس، بغداد، 1969م، ج1، ص64.
(3) المرجع السابق، ص67.
(4) ابن النديم: الفهرست، ص178.
(5) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص397.
(6) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج2، ص168.
(7) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص397.

وقال سزكين: «وصلت إلينا له قطع في الأصمعيات وذكر القرشي في (جمهرة أشعار العرب) 37 بيتاً»[1]. فصناعة الديوان الأولى فُقدت، وذكرت بعض قصائده في كتب مختلفة من كتب الأدب واللغة.

ديوان النابغة الجَعدي:

ذكر ابن النديم أن «أبا سعيد السكري والأصمعي وابن السكيت»[2]، عملوا شعره وذكره ابن خير فيما نقله أبو علي إلى الأندلس. وذكر أنه خمسة أجزاء[3].

وقال سزكين: «ولم نعثر إلى الآن على مخطوط كامل للديوان»[4]. وهذا يطابق قول ناشر شعر النابغة بعد أن ذكر قول ابن النديم السابق «غير أننا لم نقف له على أثر، ولم يذكره صاحب كشف الظنون، فربما يكون عملهم طافت به يد الضياع فذهب مع ما ذهب من مخطوط»[5]. فشأن هذا الديوان كغيره من الدواوين التي لم يعثر عليها الباحثون.

ديوان النمر بن تولب:

أشار جامع الديوان إلى أن أول من ذكره النديم المتوفى (385هـ) وابن خير الإشبيلي (585هـ). وبقي الديوان معروفاً حتى زمن صاحب خزانة الأدب (1093هـ). ثم قال: «وتتجلى مسيرته عبر أكثر من ثمانية قرون، لكن الزمن الذي أعقب القرن الحادي عشر ضنّ علينا بالديوان وعزّ بشرحه، وهذا ما حملني على جمعه من بطون الكتب»[6]. فقد أصبح الديوان مفقوداً من بعد القرن الحادي عشر. ونجد في هذا الديوان جهداً للأصمعي، حيث أسند إليه صانع الديوان قصيدة من قصائد الشاعر، قال:

«صَرَمتْكَ جمرةُ واستبدَّ بدارِها … وعَدتْ عَوادي الحربِ دونَ مزارِها

(1) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج2، ص74.
(2) النديم: الفهرست، ص178.
(3) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص395–396.
(4) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج2، ص239.
(5) الجعدي: مقدمة شعر النابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، د.ت، ص ب.
(6) القيسي، د. نوري حمودي: مقدمة شعر النمر بن تولب، مطبعة المعارف، بغداد، 1388هـ/ 1968م، ص31.

قال الأصمعي: أنشدنيها حمّاد بن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب»[1].

وهذه القصيدة ينطبق عليها قول جامع الديوان (النص) أي إنه جمعها من كتاب ولم تؤخذ من الديوان الذي صنعه الأصمعي. ويمكن أن يقال عن هذه الدواوين إنها جُمعت جمعاً، عدا ديوان بشر الذي حُقق اعتماداً على صنع متأخر للديوان.

ويمكننا تقسيم الدواوين التي رُويت عن الأصمعي أو شارك في صنعها على النحو الآتي:

أ ـ دواوين وصلتنا عن الأصمعي كاملة: ديوان العجاج، وديوان المتلمس.

ب ـ دواوين وصلتنا عن الأصمعي وغيره وهي دواوين الشعراء الوارد ذكرهم:

الأعشى الكبير، وامرؤ القيس، وجرير، والحطيئة، والراعي النميري، ورؤبة بن العجاج، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وعروة بن الورد، وعلقمة بن عبدة، وعنترة بن شداد، والفرزدق، ولبيد بن ربيعة العامري، والنابغة الذبياني، وشعر قبيلة هذيل.

ج ـ دواوين نشرت اعتماداً على أصول غير أصولها الأولى وهي دواوين كل من:

أبي الأسود الدؤلي، وحُميد بن ثور، وأبي حية النميري، وعبيد الله بن قيس الرقيات، ودريد بن الصمة.

د ـ دواوين جُمعت جمعاً وهي دواوين كل من:

أعشى باهلة، وبشر بن أبي خازم، وعمرو بن شأس، والكُميت بن زيد الأسدي، ومتمم بن نويرة، ومهلهل بن ربيعة، والنابغة الجعدي، والنمر بن تولب.

هـ ـ دواوين فُقدت: أشعار الأنصار، وأشعار بني جعدة.

---

(1) المرجع السابق، ص59.

عمل الأصمعي في النقائض

نقائض جرير والفرزدق:

قال ابن النديم في حديثه عن صناعة الدواوين: «نقائض جرير والفرزدق عملها أبو عبيدة معمر بن المثنى، ورواها الأصمعي دون تيك الرواية وعملها أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري. نقائض جرير والأخطل عملها أبو عمرو والأصمعي. نقائض جرير وعمرو بن لجأ»(1).

ويظهر النص أن الأصمعي روى نقائض جرير والفرزدق، ولكن روايته كانت دون رواية أبي عبيدة التي اتخذت أصلاً لصناعة ديوان النقائض.

يقول صاحب تاريخ التراث عن نقائض جرير والفرزدق: «لم يصل إلينا منها سوى صنعة أبي عبيدة برواية ابن حبيب... حققها عبد الله الصاوي»(2). ولكننا نجد ذكراً للأصمعي يرد في مواضع قليلة اعتمد عليها صانع الديوان في شرح بعض الأبيات، منها:

«يا ضَبَّ إنّي قدْ طَبَخْتُ مُجاشِعاً   طَبْخاً يُزيلُ مَجامِعَ الأوْصالِ

قال سعدان، أنشدنا الأصمعي:

طَعَنْتُ مجامِعَ الأوْصَالِ منْهُ   بنافِذَةٍ على دَهْشٍ وذُعْرِ

يريد البطن»(3). فقد اعتمد في شرح البيت على رأي الأصمعي، وقِيس الشرحُ على قوله.

وقال جرير يهجو الفرزدق والأخطل:

---

(1) ابن النديم: الفهرست، ص175.

(2) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج3، ص78.

(3) المثنى، أبو عبيدة معمر بن المثنى: النقائض بين جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، مصر، 1353هـ/ 1935م، ج2، ص29.

«شَـديـدِ الـلَّـظَـى حَـامِـي الـوَدِيـقَـة رِيْـحُـهُ   أَشَــدُّ أذىً مِـن شَـمـسِـهِ حـيـنَ تَـصْـمَـحُ

الوديقة: حين تدق الشمس وهو أشدّ حرّ النهار... قال الأصمعي: وهو مشتق من قولهم: قد ودقت الناقة وغيرها إذا دنَت شهوتها وقربت من أن يضربَها الفحل، والوادقة المشتهية للفحل»(1). ويظهر اسم الأصمعي في شرح البيت، وبتقصي الكتاب نجد أن صانعه اعتمد على عدد قليل من آراء الأصمعي، اقتصرت على شرح بعض المفردات. ولعلّ روايته للنقائض فُقِدَت قبل أن يؤلف منها ديواناً خاصاً مع غيرها من الروايات.

نقائض جرير والأخطل:

ذكر ابن النديم أن أبا عمرو والأصمعي صنعاها. وبين أيدينا نسخة تضمّ هذه النقائض ذكر أن مؤلفها هو «الإمام الشاعر الأديب الماهر أبو تمام» علّق حواشيها أنطون صالحاني اليسوعي.

وعن نسبة هذا الكتاب قال الميمني: «أما نقائض جرير والأخطل – وأصله العتيق بالكتابخانة العمومية بابايزيد في استنبول، فإن بعض المتأخرين في زمن الأتراك لما رأى عنوانه غفلاً عن ذكر المؤلف زاد عليه بخطه الفارسي (تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام) فإنه اختلاق منه قبيح فإنه ليس له البتة، وأظن بعد الوقوف على ما في فهرست ابن النديم أنه للأصمعي كما وردت فيه كنيته أبو سعيد غير مرّة، وذلك برواية السكري لعله»(2).

ومما يبين ميل الميمني إلى نفي علاقة أبي تمام بالكتاب من قريب أو بعيد، لأسباب منها أن اسمه لم يُذكر إلاّ على ورقة العنوان، بالإضافة لاتفاق من تحدثوا عن هذه النسخة من حيث مكان وجودها. قال اليسوعي: «عني بطبعها لأول مرة عن نسخة الآستانة الوحيدة»(3). ويتفق معه صاحب تاريخ التراث بقوله «إن نقائض جرير والأخطل صنعة أبي

(1) المصدر السابق، ج2، ص203. وورد ذكر الأصمعي في المواضع الآتية: ج2، ص203، 261، 269.
(2) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس: كتاب الوحشيات، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، زاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1963م، ص5.
(3) اليسوعي، أنطون صالحاني: مقدمة نقائض جرير والأخطل، أبو تمام الطائي، المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1922م، الورقة الأولى.

عمرو الشيباني والأصمعي، قد وصلت إلينا برواية الأصمعي في مخطوط استنبول بايزيد (5471) – (144 ورقة من القرن الرابع الهجري)، ونشرها صالحاني»[1].

فهذه النصوص تتفق على أن النسخة المخطوطة موجودة في تركيا في مكتبة بايزيد وعلى أن النقائض طُبعت اعتماداً على ذلك الأصل. وكان اليسوعي نشر الكتاب دون أن يقدم له بشيء. وإذا تتبّعنا كنية أبي سعيد في الكتاب نجدها وردت في ستة مواضع منها:

قال عدي بن الغدير الغنوي:

«فإنْ عصَفَتْ بكم فاعصبُوها عصاباً تَستَدِرُّ به شَديدُ

... قال أبو سعيد: وإن عصفت أي كما تعصف الريح، أي لم تطمئن بكم، والعصب أن تعصب فخذا الناقة إذا امتنعت على الحالب فيؤذيها ذلك ويمنعها من أن تزبن الحالب وهذا مثل»[2]. فقد وردت كنية أبي سعيد دون التصريح بالاسم، ومن ذلك قول عمرو بن مخلاة الكلبي يذكر وقعة المرج:

«ويومَ ترى الراياتِ فيه كأنّها عوايفُ طيرٍ مستدير وواقِعُ

خلا أربع بَعدَ اللقاءِ وأربع وبالمرج باقٍ من دمِ القومِ ناقعُ

ناقع: ثابت، وقال أبو سعيد: سمّ ناقع أي قاتل»[3]. ذكر الكنية في معرض شرح البيت. وورد ذكر الأصمعي صراحة في ثلاثة مواضع، منها ما ورد في شرح قول الأخطل:

«إلى ابنِ أُسَيدٍ خالدٍ أرْقَلَتْ بنا مَسانِيقُ تَعرَوري فلاة تغوُّلُ

... وابن أُسيد هو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وتعروري: تعلوها وتركبها، وتغول قال أبو عمرو الشيباني: تلوّن. وقال الأصمعي: تسقط الناس وتضلّهم»[4].

(1) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج3، ص12.
(2) أبو تمام: نقائض جرير والأخطل، ص3.
(3) المصدر السابق، ص18. ووردت الكنية في الصفحات: 28، 63، 153، 165.
(4) المصدر السابق، ص54، وفي الصفحات 99–101. المسانيق: التي تتقدم الإبل في السير، الواحدة: مسناق. تغول: قال أبو عمرو الشيباني تلوّن، وقال الأصمعي: تسقط الناس وتضلّهم.

وهذا أول موضع ذكر فيه أبو عمرو والأصمعي صراحة حيث أسند إليهما شرح البيت.

وذكر أبو عمرو في ثلاثة مواضع أخرى منها في شرح قول الأخطل:

«غَموسُ الدُّجى تنشَقُّ عن متَضَرِّمٍ طَلُوبِ الأعادِي لا سَؤومٍ ولا وَجْبِ

الغموس: الذي يسري ليله كله لا يعرس حتى يصبح، وقوله تنشق: يعني الدجى الذي ينغمس فيها، لأنها تستر، والمتضرم: هو عبد الملك بن مروان وهو المغتاظ المتلهب فهو متضرم على أعدائه. والسؤوم: الضجور... قال أبو عمرو الشيباني: الوجب: الجبان وجمعه أوجاب ولم يقل في فعل منه شيئاً»(1). فقد صرح باسم الشيباني في شرح البيت السابق، ولكن الأبيات التي يذكر فيها الأصمعي والشيباني ترد في مواطن قليلة من الكتاب، وإذا نظرنا في شرح الديوان نجد مثل هذا النموذج، قال الأخطل:

«تَرى العِرْمِسَ الوَجْناءَ يَضرِبُ حَاذَها ضَئيلٌ كفَرُّوجِ الدّجاجَةِ مُعجَلُ

المعجل الذي ألقى لغير تمام، الوجناء: الغليظة الشديدة مثل المكان الأوجن، وهو الغليظ الصلب وكذلك الوجين. وأنشد: أعيس نهاض كحيد الأوجن، وقال غيره: سميت وجناء لغلظ وجناتها، وقيل أيضاً الوجناء الذليلة في خطامها، واشتقاقها من قولهم وجنت الأديم إذا عركته في الدبوغة ليلين»(2). فهذه الطريقة في الشرح التي تبدأ بذكر معاني المفردات تشبه طريقة الأصمعي في الشرح، ونميل إلى أن يكون مثل هذا النموذج من شرح الأصمعي، وإن لم يرد منسوباً إليه.

ومن أمثلة ذلك في قول الأخطل:

«فلمّا انتَحى نحوَ اليَمامَةِ قاصِداً دَعَتْهُ الجَنُوبُ فانثَنى يتَخَزَّلُ

انتحى: اعتمد، والتخزّل أن يقيم فلا يبرح، يقال: انخزل عنّا أي انقطع فلم يتبعنا. وقوله دعته الجنوب أي استدعته وجمعته ومرته، وليس هناك دعاء إنما هذا مثل قول أبي النجم:

(1) المصدر السابق، ص106، ص107–108.

(2) المصدر السابق، ص55.

بِـــأنْ رأيـــتَ الـعــارِضَ المستحلبا   بـاتَـتْ تُـنـادِيـه الـجَـنـوبُ والصَّبا»[1]

ففي هذا النموذج نجد شرحاً للكلمة واستشهاداً ببيت رجز مما يذكّرنا بطريقة الأصمعي وإن تركت غفلاً. ويلاحظ على تكرار الأسماء المرتبطة بتأليف الكتاب أن كنية (أبي سعيد) هي كنية الأصمعي، والسكري تكررت سبع مرات، وتردد اسم الأصمعي والشيباني ثماني مرات، وأن السند في شرح بعض المفردات كان يقال فيه: «وقال الأصمعي، وقال أبو عمرو الشيباني». هذا يرجح ظن الميمني السابق «وذلك برواية السكري لعله». وهذه العوامل تدفع إلى القول: إن الأصمعي روى الديوان وشرحه، ثم جاء السكري فصنع الديوان معتمداً على رواية الأصمعي، ومصحوباً بشيء من شرح الأصمعي أيضاً.

نقائض جرير وعمرو بن لجأ:

ذكرابن النديم أن أبا عمرو والأصمعي صنعاها فلم نعثر بعد البحث عنها إلاّ على إشارة في تاريخ التراث العربي، قال: «ولم تصل إلينا هذه المجموعات»[2]، وضياع هذه النقائض قطع على الباحثين تبين خصائصها.

القصائد المفردة[3]

يتيمة دوقلة المنبجي:

هي القصيدة الدالية التي مطلعها:

هَـــلْ بـالـطّـلـولِ لـســائِـلٍ رَدُّ   أم هـــلْ لـهـا بـتـكـلُّـمٍ عَـهْـدُ

ذكر ابن خير أن هذه القصيدة رويت عن «أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي وأبي عبيدة»[4]. ورويت عن غير هذا السند، وعن طريق القاضي علي بن

---

(1) المصدر السابق، ص60.
(2) سنتحدث عن الأبيات المفردة في الفصل الذي أسميناه (الشعر في كتب الأصمعي).
(3) سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد 2، ج3، ص81.
(4) ابن خير: فهرسة ما رواه، ص402.

المحسن التنوخي (ت 477هـ) [1]. وأقدم من وصلنا أنه أطلق عليها هذا الاسم «أبو عبيدة 209هـ - الأصمعي 216هـ» [2]. أما من ذكرها بعد هؤلاء فهو من الأجيال التالية لهم.

وتنيف القصيدة على ستين بيتاً في تحقيق المنجّد. ونشرها أحمد البدوي أربعة وستين بيتاً مع شرح ومقدمة قال فيها: «تُنسب هذه القصيدة اليتيمة إلى دوقلة المنبجي الجاهلي على أرجح الأقوال وأجدرها بالإثبات وأشدّها سيرورة»[3]. فالقصيدة تُنسب إلى شعر العصر الجاهلي.

وقال المنجد نقلاً عن مخطوط الظاهرية: «وفي جميع هذه الروايات اختلاف ألفاظ وزيادة ونقصان»[4]، وهذا يظهر أن الاختلاف في عدد أبياتها قديم. وما يعنينا أن هذه القصيدة كان الأصمعي من أقدم رواتها الذين اهتمّوا بها.

طريقة الأصمعي في شرح الدواوين

لم يكن الأصمعي معنياً بشرح كل ما يضمّه الديوان من شعر، ولكنه كان يتناول ما تحتاج ألفاظه إلى شرح، ومن أمثلة الأبيات التي تعرّض لها، قول العجاج:

«وجارِيَةٍ ليسَتْ منَ الوَخْشَنِّ   لا تلْبَسُ المِنْطَقَ بالمِثَنِّ

إلاّ بَبَيتٍ واحدٍ تُبَنّي   كأنّ مَجرَى دمعِها في المُستَنِّ»[5]

فلم يذكر في شرح هذه الأبيات شيئاً. ومثلها في قوله:

«ومَدُّهُ إذ عَدَلَ الخَلِيُّ   جُلَّ وأشطانٌ وصُرّائيُّ

(1) هو علي بن المحسن بن علي التنوخي، انظر: الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد: فوات الوفيات، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1951م، ج2، ص138.
(2) المنجد، د. صلاح الدين: مقدمة القصيدة اليتيمة، ط1، دار الكتاب الجديد، د.ب، 1970م، ص10.
(3) البدوي، د. أحمد محمد: القصيدة والنموذج. مقال في مجلة الشعر، العدد 31، القاهرة، 1983م، ص43.
(4) المنجد: مقدمة القصيدة اليتيمة، ص12.
(5) العجاج: ديوانه، تحقيق: د. السطلي، ج1، ص286. الوخشن: رذالة الناس وصغارهم. المنطق: شقة أو شبه إزار تلبسه المرأة. المثن: أراد به المثناة حبل من صوف أو شعر. المستن: المضطرب.

وَدَقَـــــلٌ أجْـــــــرَدُ شَـــــوْذَبِـــيُّ صَـعْـلٌ مـنَ الـسّـاجِ ورُبّـانِـيُّ»[1]

ومثلها في قول خالد بن زهير الهذلي:

«إذا مـا رأيـتَ نِـسـوَةً عـنـدَ سَـوْءَةٍ فـإنّ نِـسـاءَ مَـعْـقِـلٍ أخَـواتُـهـا

فـكُـنْ مَـعْـقِـلاً فـي قَـومِـكَ ابـنَ خُـوَيـلِـدٍ ومَـسِّـكْ بـأسـبـابٍ أضـاعَ رُعـاتُـهـا

ولا تَـبْـدُرَنَّ الـنـاسَ مـنـي بـحَـزْرَةٍ طَـويـلَـةِ حَـدِّ الـشَّـوْكِ مُـرٍّ جَناتُها»[2]

ولم يقع في شرح هذه الأبيات إلا كلمة واحدة هي كلمة «حزرة»، ومعناها شجرة شديدة الحموضة، وقد تركها من بعده صانع الديوان دون شرح، شأنها شأن كثير من الأبيات الأخرى. أما الأبيات التي شرحها الأصمعي فقد سلك فيها مسلكاً نتبينه من الأمثلة الآتية:

قال الحطيئة:

«مُـبَـتّـلَـةٍ يَـشـفـي الـسّـقـيـمَ كَـلامُـهـا لـهـا جِـيـدُ أدْمـاءِ الـعَـشِـيِّ خَـذُولِ

المبتلة: السبطة الخلق، الأدم: من الظباء: ظباء طوال الأعناق والقوائم بيض البطون، قال الأصمعي: مساكنها الجبال»[3]. فذكر أن تلك الأدم تسكن الجبال، ولم يزد شيئاً في معنى البيت. وكذلك في قوله:

«لـن يَـتـرُكـوا جـارَ مَـولاهُـمْ بـمُـتْـلَـفَـةٍ غَـبْـراءَ ثُـمَّـتَ يَـطْـوُوا دونَـه الـسَّـبَـبا

قال الأصمعي: إن يتركوا جار مولاهم في بئر هلاك ثم يطوون دونه الحبل كما طوى الزبرقان سببه عني وتركني»[4]. وهنا تعرّض الأصمعي لمعنى البيت ولم يلتفت لكل لفظ من ألفاظه، وهذه طريقة قليلة عنده. ونورد من ديوان العجاج قوله:

«الـحـمـدُ للهِ الـذي اسـتَـقَـلّـتِ بـإذْنِـهِ الـسّـمـاءُ واطْـمـأنّـتِ

(1) العجاج: ديوانه، ج1، ص503. الخلي: اسم جنس جمعي مثل سفينة، والجل: السفينة. الصراء: جمع صار وهو الملاح. الدقل: صاري السفينة. الأجرد: يريد أن الدقل لا قشر عليه.
(2) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج1، ص220.
(3) الحطيئة: ديوانه، ص6.
(4) المصدر السابق، ص128.

بـــإذنِـــهِ الأرضُـــــُــس ومـــا تَـعَـتَّـتِ   وَحـــى لـهـا الـــقَـــرارَ فـاســتَـقَـرَّتِ

يقول: استقلت: نهضت، ويقال للقوم إذا أقاموا ثم ارتحلوا: استقلوا، ويروى «أوحى لها»، تعتت: يقول لم تتكبر، ولم تعسر، وعتت: عصت، يقال: عتا فلان على فلان إذا عصى عليه، يقول ذلّت وأطاعت. ووحى: كتب: يقول: أوحى إليها أن استقرّي فاستقرت»(1).

ويظهر كيف أخذ الأصمعي يشرح الألفاظ ومعانيها في اللغة، وبعض استعمال العرب لها. وفي قول العجاج:

«كـالـقَـرْمِ يَـعلُـو ذَرْعَ كُـلِّ مُـقْـرَمِ   أفـــزَعَ بـالـوَقْـعِ قُـلـوبَ الــرُّوَّمِ

حـتّـى يَـلـوذوا واضِـعـي الـتّـرَمْـرُمِ   لِـــواذَ دَهْــداهِ الـبِـكـارِ الـقُـحَّـمِ

رَهْــبَــةَ قَـصّــافِ الـهَـديـرِ مِـقْـدَمِ   يُـوهِـي صَـمـيـمَ الـقَـصَـبِ الـمُـصَـمِّمِ

القرم: الفحل يترك لا يحمل عليه، ولا يستعمل حتى يتخذ فحلاً، يقول أفزعه بوقعه من يرومه. ويلوذون: يطيفون بالشيء، يلجؤون. والترمرم: التحرك، ما ترمرم: ما تحرك. والقحم: التي تثني وتربع في سنة وذلك لضعفها. والقصاف: الذي تسمع صوته مثل قصيف الحريق. والقصب: كل عظم فيه مخ»(2).

فالأصمعي يعكف على ألفاظ الأبيات، ويشرحها شرحاً وافياً، ويذكر سندها في اللغة مقلّباً معانيها ذاكراً وجوهَ استعمالها مجمِلاً معنى البيت أحياناً.

وفي مواطن أخرى كان شرحه يشتمل على شواهد من الشعر، ومن هذا ما ورد في شرح بيت الحطيئة:

«ألَــمْ أكُ مُـسـلِـمـاً فـيـكـونَ بَـيـنـي   وبـيـنَـكُـم الـمَـــودَّةُ والإخـــاءُ

ويروى محرماً، أي بيني وبينكم حرمة لا ينبغي أن يساءَ إليّ، وأنشد الأصمعي عن خلف:

---

(1) العجاج: ديوانه، تحقيق: د. السطلي، ج1، ص408.

(2) المصدر السابق، ج1، ص477.

قـتَـلـوا كِـسـرى بِـلَـيـلٍ مُـحـرِمـاً فـتـولّـى لـمْ يُـمَـتَّـعْ بكَفَنْ»[1]

ذكر الرواية الثانية للفظ (مسلماً) ومعناه، وأكد هذا المعنى برواية البيت دلالة على استعمال العرب للفظ ومرادفه. وفي عينية أبي ذؤيب جاء قوله عن هذا البيت:

«والـدَّهـرُ لا يَـبـقَـى عـلـى حَـدَثـانـهِ شَـبَـبٌ أفـزَتـه الـكـلابُ مُـرَوَّعُ

... قال الأصمعي: يقال: للشّبب «مشب» وللأنثى «مشبة» والجماع مشبات، وأنشد:

مُـشِـبٌّ إذا الـثّـيـرانُ سَـدّتْ طريقَهُ وصَـدَّعْـنَ عـنـه دامِـيـاتِ الـشّـواكِـلِ

و(شبوب) أيضاً للذكر والأنثى، الجمع (شبب) و(شبب) أيضاً للذكر والأنثى، والجمع (أشباب) ولم يعرف فيه للأنثى اسماً»[2].

ونلاحظ في الشاهد السابق أنه عرض للمذكر والمؤنث مفرداً وجمعاً، وأكد استعمال اللفظ في الشعر حين أورد البيت. وقال أبو ذؤيب:

«فـألْـقـى غِـمْـرَهُ وهَـوى إلـيـهِـمْ كـمـا تَـنـقَـضُّ خـائِـتَـةٌ طَـلُـوبُ

... قال الأصمعي: خائتة، منقضة وأنشدنا:

ومـا الـقـومُ إلاّ سَـبـعَـةٌ أو ثـلاثَـةٌ يَخوتونَ أُخـرى القَومِ خَـوْتَ الأجـادِلِ

يقول: فانقض في عدوه كانقضاض العقاب الخائتة المنقضة»[3].

ويظهر في الشرح أن كلمة خائتة هي المفردة المجهولة في البيت، فأتى الأصمعي بمرادفها ثم ذكر البيت دليلاً على استعمال العرب لهذا اللفظ، وأجمل ذكر المعنى بعد ذلك. وسلك الأصمعي الطريقة ذاتها في الرجز، ونلحظها في قول العجاج:

«سَـيْـبـاً ونُـعْـمـى مـن إلـهٍ ذي دِرَرْ وعَـصْـفَ جـارٍ هَـدَّ جـارَ المُعتَصَرْ

قال: السيب، الفضل. وأنشد:

---

(1) الحطيئة: ديوانه، ص98.

(2) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج1، ص26.

(3) المصدر السابق، ج1، ص108.

ومــا أنــا مِـــن سَـيْــبِ الإلـــه بـيـائِـسِ

يقول: كان هذا الذي فعل سيباً ونعمة من الله. ودرر جمع درة. يقال در الغيث يدر. ويقال فلان يعصف على بني فلان، إذا كان يكسب عليهم. ويقول: وهو عصفي أي هو مكسبي. و(هدّ جار المعتصَر) أي نعم جار المعتصر، وهو الملجأ، وأنشد:

ولـــو بـغَـيـرِ الــمــاءِ حَـلْـقـي شَـــرِقٌ   كُـنـتُ كـالـغَـصّـانِ بـالـمـاء اعـتِـصـاري

والعصف: الاكتساب، يعني اكتسابهم الشرف والمال، وقال العجاج:

مـن غـيـرِ لا عَـصْـفٍ ولا اصـطِـرافِ

يقول: بغير كسب ولا تصرف في الأمور»(1).

يبين لنا النص السابق ثلاثة أبيات أوردها الأصمعي في شرح بيت العجاج بالإضافة لتوكيده استعمال العرب لهذه الألفاظ في مثل قوله السابق (در الغيث يدرّ، ويقال: فلان يعصف على بني فلان)، ونلمس كثرة أبيات الشعر في شرح الرجز، ونسوق مثالاً آخر من ديوان العجاج، قال:

«بـالـجِـزْعِ آسـانُ يَـمَـانٍ مُـسْـمِـلِ   جَـــرَّتْ عـلـيـهِ كُـلُّ ريـحٍ عَـيْـهَـلِ

– قال في شرحه – الجزع: منثنى الوادي، مكسور، والجزع من الخرز، مفتوح، وقال الشاعر:

مَـنْ سَـرَّهُ ضَـرْبٌ يُـرَعْـبِـلُ بَعضُـهُ   بَـعـضـاً كـمَـعْـمَـعَـةِ الأبـاءِ الـمُـحْـرَقِ

فـلْـيَـأتِ مـأسَـدَةً تُـسَـنُّ سُـيـوفُـهـا   بَـيـنَ الـمَـذارِ وبـيـنَ جِـزْعِ الـخَـنـدَقِ

وقوله «آسان» أي معارف يعرف بها، وآثار وعلامات... ومسمل: مخلق، ويقال: ثوب مسمل، ويقال: أسمل الثوب؛ ولا يقال سمل، وقال رؤبة:

فـهـل لُـبَـيـنـي مِـن هَـوى الـتَّـلَـبُّـنِ   راجِـعَـةٌ عـهـداً مـن الـتـأسُّـنِ

(1) العجاج: ديوانه، ج1، ص98.

أي مما كانت عرفت منا وعرفنا منها»[1]. واستعمال الشعر في شرح الرجز ناتج عن شيء من الوعورة في ألفاظه، ولم يكن هذا الاستعمال إلا في المواضع التي تتطلب ذلك.

وبعد النظر في الدواوين التي شرحها الأصمعي والتمثيل لشرحه يمكننا القول إنه كان يذكر معاني المفردات التي تتطلب الشرح حيناً ويجمل معنى البيت حيناً آخر، و«أبرز ما يمتاز به شرح الأصمعي هو التركيز على الشرح اللغوي للألفاظ وهو لا يقف على شرح معنى الكلمة في البيت، وإنما يقلّب معانيها المختلفة في اللغة ثم يأتي بشواهد الشعر القديم»[2] ليزيد في إيضاح المعنى الوارد في النص الشعري.

رواية الدواوين

قال ابـن النديـم في الفهرست: «الـذي عمل مـن العلماء أشعار الشعراء فجود وأحسن أبو سعيد السكري واسمه الحسن بن الحسين»[3]. وإذا نظرنا في دواوين الشعر التي ذكرابن النديم أن السكري صنعها، نجد الأصمعي مذكوراً مع السكري وابن السكيت، مما يدل على أن العلماء الثلاثة مشاركون في صنعة تلك الدواوين، وإذا تأملنا تاريخ هؤلاء العلماء الثلاثة فإننا نجد الأصمعي هو أكبر هؤلاء سناً، وأن ابن السكيت من تلاميذه. قال البغدادي في ترجمته: «يعقوب بن إسحق بن السكيت أبو يوسف النحوي اللغوي... كان من أهل الفضل والدين موثوقاً بروايته»[4].

وقال ابن خلكان: «وروى ابن السكيت أيضاً عن الأصمعي وأبي عبيدة، والفراء وجماعة غيرهم»[5]. وفي هذا دليل على أخذ ابن السكيت شيئاً من علم الأصمعي، ولعل بعض ذلك العلم كان من الدواوين التي رواها.

أما السكري وهو من أشار له ابن النديم بأنه صاحب صنعة تلك الدواوين فقد قال

(1) المصدر السابق، ج1، ص218.
(2) السطلي، د. عبد الحفيظ: العجاج حياته ورجزه، 126.
(3) النديم: الفهرست، ص178.
(4) البغدادي: تاريخ بغداد، ج14، ص273.
(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص438. وذكر ياقوت مثل ذلك، معجم الأدباء، ج20، ص50.

الخطيب البغدادي في ترجمته: «وكان أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري راوية عن البصريين... وكان ميلاده فيما بلغنا سنة اثنتي عشرة ومئتين»(1). فكانت ولادة السكري قبل وفاة الأصمعي بأربع سنوات. فهل من الممكن أن يشاركه في صناعة هذه الدواوين وهو في هذه السن؟ وعنه يقول الخطيب البغدادي: «سمع يحيى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي...»(2)، وبعض هؤلاء من تلاميذ الأصمعي وعلى رأسهم السجستاني الذي قرأ عدداً من دواوين الشعر على شيخه الأصمعي والسكري الذي لم يدرك الأصمعي، تتلمذ لبعض تلاميذه كالسجستاني شأنه في ذلك شأن ابن دريد.

وجاء في ترجمة ابن السكيت أيضاً، «وحدث عنه أبو عكرمة الضبي، وأبو سعيد السكري»(3). فالنصوص السابقة تثبت أن السكري كان تلميذاً لتلاميذ الأصمعي وأخذ علمه عنهم، فإذا كان ابن النديم قد ذكر أن الأصمعي صنع بعض الدواوين، فالأصمعي سابق للسكري في عمل الدواوين، والسكري نفسه أفاد من الدواوين التي صنعها الأصمعي لأنه تتلمذ للسجستاني وغيره من تلاميذ الأصمعي. فتكون صناعة الدواوين بدأت من الأصمعي مروراً بالسجستاني والرياشي وابن السكيت وغيرهم لتُستكمل، أو ليزاد في ترتيبها على يدي السكري.

جمع الدواوين وتوثيقها

إذا نظرنا في ديوان امرئ القيس، نجد بعض شعره مروياً عن طريق الأصمعي، ونجد جزءاً آخر مروياً عن غير طريق الأصمعي، وربما يدل امتناع الأصمعي عن رواية الجزء الآخر أن بعضه في روايات منحولة على امرئ القيس، يقول الأسد: «المرجح أن الأصمعي سمع ما عند حمّاد من شعر امرئ القيس ودوّنه، ثم سمع ما عند شيخه أبي عمرو بن العلاء، وعرض عليه بعض ما سمعه من حمّاد ودوّن رواية أبي عمرو وتعليقاته، ثم دوّن النُتَف التي سمعها من الأعراب، وعاد على كل ذلك بالنقد والتحقيق والتمحيص، فاسقط منه ما

(1) البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص296.
(2) المصدر السابق، ج7، ص296. انظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1357هـ، مجلد 5، ص97.
(3) المصدر السابق، ج14، ص273.

أسقط»[1].

فمن القصائد التي جاءت في الجزء الذي جاء عن طريق الأصمعي المعلقة:

«قِفا نبكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ   بسَقْطِ اللِوَى بين الدَّخولِ وحَومَلِ»[2]

ونقل محقق الديوان قول أبي حاتم: «هذا آخر ما صح للأصمعي من شعر امرئ القيس، والناس يحملون عليه شعراً كثيراً وليس له»[3]. ويبلغ عدد هذه القصائد ثماني وعشرين قصيدة. ووصلنا الشعر الآخر عن غير الأصمعي؛ حيث إن الأعلم شفع ما اختاره من رواية الأصمعي «بست قصائد مما اختاره من رواية المفضل وأبي عمرو الشيباني وغيرهما»[4]. وهنا نلاحظ أن جلّ ما يُروى بسند صحيح يعود للأصمعي، بينما لم يرو المفضل الثقة وأبو عمرو سوى هذه القصائد المعدودة، وتأتي في مقدمتها قصيدة مطلعها:

«أحارِ بنَ عَمروٍ كأنّي خَمِرْ   ويَعْدو على المرءِ ما يأْتَمِرْ»[5]

ومما يذكر هنا أن الأصمعي أشار إلى أن بعض شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه، قال: «ويقال: إن كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه»[6]. وهذا يمكن أن يدل على أن الأصمعي لا يروي كل ما يسمع من شعر منسوب إلى امرئ القيس، وغيره من الشعراء، وإنما يمحص ما يتلقى ويزنه. ومن الأمثلة على ذلك قصيدته التي مطلعها:

«يا دار ماويَّةَ بالحائِلِ   فالسَّهْبِ فالخَبْتَينِ مِن عاقِلِ»[7]

ومنها الأصمعية التي تحمل الرقم أربعين في تحقيق شاكر وهارون. وردت في رواية الأعلم عن الأصمعي عشرة أبيات، بينما وردت في الديوان نفسه في زيادات ملحق الطوسي

(1) الأسد، د. ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1956م، ص509.
(2) امرؤ القيس: ديوانه، ص8.
(3) المصدر السابق، ص149.
(4) إبراهيم، محمد أبو الفضل: مقدمة ديوان امرئ القيس، ص10.
(5) امرؤ القيس: ديوانه، ص154. خمر: أي خامره داء أو حب. يعدو عليه: أي يصيبه.
(6) المرزباني: الموشح، ص34. الأصمعي: فحولة الشعراء، ص16.
(7) امرؤ القيس: ديوانه، ص119.

تبلغ سبعة وعشرين بيتاً. ولهذا لم يرتض من شعر امرئ القيس إلاّ ذلك العدد المحدود من القصائد. ويظهر أن الأصمعي كان يتشدد في قبول بعض الروايات، ولم يضع في متخيّره إلا ما يستيقن من صحته، وكان متأثراً بالمدرسة التي ينتمي إليها، وهذا ما ذهب إليه ناصر الدين الأسد في تعليل قلة رواية الأصمعي، مشيراً إلى منهج البصرة قائلاً: «وهو منهج يقوم على التضييق في المصادر التي يستقون منها، والتحري في الرواية التي يقبلونها، وأخذ الأصمعي نفسه بأكثر مما أخذ به البصريون عامة»(1).

فالأصمعي أشدّ علماء البصرة تضييقاً في الأخذ عن سابقيه، ويمكننا أن نضيف إلى تحرّزه في الرواية عدم إلمامه بكل مصادر شعر الشعراء، فإنّ الجزء المروي عن طريق المفضّل يصعب عدّه منحولاً، والمرجح أن الأصمعي لم يلمّ به.

عمل الأصمعي في الدواوين

تعرضنا في الفصل الثاني من الباب الأول إلى عوامل تكوين ثقافة الأصمعي، ونشير هنا إلى ما يرتبط برواية الدواوين التي صنعها. وكان أول مصادر علم الأصمعي هو شيوخه، ثم انتقل إلى الأخذ عن الأعراب في بواديهم، وأشرنا إلى بعض الدواوين التي ذكر الأصمعي أنه أخذها عن بعض شيوخه قراءة، ومن ذلك ما روى المرزباني بسند إلى الأصمعي قال: «قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني»(2). وهذا يدل على أن الأصمعي كان يقرأ في كتاب لديه. وقال: «قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة»(3).

وروى صاحب الأغاني قال: «أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: كتبت للحطيئة في ليلة أربعين قصيدة»(4). ويبدو أنه صحّح هذه الرواية على أبي عمرو. قال السيوطي: «قال أبو حاتم السجستاني: قرأ الأصمعي على أبي عمرو بن العلاء شعر الحطيئة»(5).

---

(1) الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص510.
(2) المرزباني: الموشح، ص42.
(3) السيوطي: المزهر، ج1، ص160.
(4) الأصفهاني: الأغاني، ج2، ص174.
(5) السيوطي: المزهر، ج2، ص355.

وروى المرزباني قول الأصمعي: «قرأت على خلف شعر جرير»(1). فأمر معرفة القراءة والكتابة بالنسبة لهؤلاء العلماء أمر مسلّم به؛ فقد كانوا يكتبون ما يجمعونه من أشعار، وما يرتبط باهتماماتهم اللغوية، ومن المرجح أنهم كانوا يلقون بعض ما دوّنوا في حلقات درسهم على التلاميذ ويأخذ التلاميذ عنهم ذلك تدويناً. وكان هؤلاء الأئمة مثل أبي عمرو والأصمعي وغيرهم يسمعون ويصححون ما يُلقى عليهم من شعر.

ذكر ابن قتيبة أنه: «قُرئ يوماً على الأصمعي في شعر أبي ذؤيب:

بأسفلِ ذاتِ الدّيرِ أفردَ جحشُها

فقال أعرابي حضر المجلس للقارئ: ضلّ ضلالك أيها القارئ، إنما هي ذات الدبر وهي ثنية عندنا، فأخذ الأصمعي بذلك»(2).

وكانت الأجيال التالية لأفراد هذا الجيل تنهي سند روايتها عندهم في الغالب بالنسبة لما أخذوه عنهم من أشعار. ورجح ناصر الدين الأسد أن الشعر الجاهلي كان مدوناً قبل وصوله إلى الجيل الأول من الرواة أبي عمرو وحماد والأصمعي، قال: «وقد جمعنا ما استطعنا أن نعثر عليه من أدلّة عقلية ونقدية تسنده. وقد انتهت بنا كلها إلى ترجيح أن الشعر الجاهلي كان قُيّد في صحف متفرقة لأغراض شتى»(3). فيكون من شأن الرواة ترتيب ذلك الجمع، واستكمال جوانبه عمن يسمعونه من الأعراب وأبناء القبائل، وصنعوا من ذلك كله دواوين خاصة بهم.

ووجدنا أن ابن النديم ذكر ما يقرب من ثلاثين ديواناً ورد اسم الأصمعي في صناعتها، ولكن رأينا أنّ بعض هذه الدواوين فُقِدَ خلال الزمن، وبعضها الآخر وصلنا بروايته، فهل كان الأصمعي معتمداً على ذاكرته في رواية بعض تلك الدواوين، أم كانت لديه صنعة خاصة به فُقِدَتْ أيضاً؟

إن الإجابة عن السؤال السابق تعتمد على الترجيح بأن بعض الدواوين كانت مكتوبة

(1) المرزباني: الموشح، ص125.
(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص83.
(3) الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص133.

عند الأصمعي وصححها على الشافعي وأبي عمرو بن العلاء، ووصلنا منها كما رأينا ديوان المتلمّس، وديوان العجاج. أما ما وصلنا من دواوين برواية الأصمعي وصنعة غيره فإنّ المرجح فيها أنها أُخذتْ مما ألقاه الأصمعي على تلاميذه. وربما يكون الأصمعي اعتمد على ذاكرته في رواية بعض تلك الدواوين، أو كانت لديه صنعة لبعض تلك الدواوين وصلت إلى السكري مروراً بأبي حاتم السجستاني، فأعد السكري منها ما ذكر ابن النديم من دواوين معتمداً على روايات مختلفة أصلها رواية الأصمعي.

وقد اشتهر بالرواية عن الأصمعي السجستاني، وعن السجستاني روى ابن دريد، وعن ابن دريد روى القالي، ونجد سنداً مسلسلاً من القالي إلى الأصمعي، ويظهر أن القالي حمل دواوين شعر إلى الأندلس برواية ينتهي سندها إلى الأصمعي، وهي دواوين كل من: امرئ القيس، والحطيئة، ورؤبة بن العجاج، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وعروة بن الورد، وعلقمة الفحل، وعنترة بن شداد، والفرزدق، ولبيد بن ربيعة العامري، والنابغة، وشعر قبيلة هذيل.

كما انتشرت هذه الدواوين في المشرق بالإضافة إلى ديوان العجاج والمتلمّس، وإذا أضفنا إلى هذه الدواوين ما نقلت الأخبار أن الأصمعي صنعه، فإننا يمكن أن نتحدث عن مدرسة الأصمعي في رواية الشعر التي وصلنا عن طريقها ما أشرنا إليه من دواوين.

ترتيب الدواوين:

إن طريقة ترتيب ما وصلنا من دواوين يصعب تحديدها؛ لأننا لا ندري من الذي قام بالترتيب الأساسي لبعض هذه الدواوين، ولكن النظر في أشعار الشعراء الستة وديوان العجاج، يبين أن أول ما أورده الأعلم في اختياره من رواية الأصمعي من شعر امرئ القيس معلقته المشهورة:

«قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسَقطِ اللوى بين الدَّخول وحومَلِ»(1)

وتبلغ سبعة وسبعين بيتاً على بحر الطويل.

(1) الشنتمري: أشعار الشعراء الستة، ج1، ص29. ديوان امرئ القيس، ص8.

وأول شعر زهير بن أبي سلمى معلقته:

«أمِــــن أمِّ أوفـــى دِمــنــةٌ لــم تَـكـلَّـمِ   بـحَـومـانَـةِ الـــدرَّاجِ فالمُتثَلَّمِ؟»[1]

وتبلغ ستين بيتاً على بحر الطويل.

وأول شعر طرفة معلقته:

«لـخَـولـةَ أطـــلالٌ بـبُـرقَـةِ ثَـهـمَـدِ   تَـلـوحُ كباقي الوَشـمِ في ظاهـرِ اليَدِ»[2]

وتبلغ عشرة ومئة بيت على بحر الطويل.

وأول شعر علقمة قصيدة مطلعها:

«طَحا بـكَ قـلـبٌ في الحِسـانِ طَـروبُ   بُـعَـيـدَ الشبابِ عَـصـرَ حـانَ مَشيبُ»[3]

وتبلغ أربعين بيتاً.

وأول شعر عنترة معلقته المشهورة:

«هــل غـــادرَ الـشُـعـراءُ مـن مُـتَـردَّمِ؟   أم هـل عـرفـتَ الـــدارَ بـعـدَ توهُّمِ»[4]

وتبلغ خمسة وثمانين بيتاً على بحر الكامل.

وأول شعر النابغة قوله:

«يــا دارَ مـيّــةَ بـالـعـلـيـاء فـالـسّـنَـدِ   أقْـوَتْ وطـالَ عليها سـالِـفُ الأبَدِ»[5]

وتبلغ خمسين بيتاً على بحر البسيط.

---

(1) الشنتمري: أشعار الشعراء الستة، ج1، ص278. ابن أبي سلمى: شعر زهير، صنعة الشنتمري، ص9.

(2) المصدر السابق، ج2، ص20. ابن العبد: ديوان طرفة، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1380هـ/ 1961م، ص19.

(3) المصدر السابق، ج1، ص143. الفحل: ديوانه، حققه: لطفي الصقال/ درية الخطيب، راجعه: د. فخر الدين قباوة، ط1، دار الكتاب العربي، حلب، 1389هـ/ 1969م، ص23. طحا: اتسع.

(4) المصدر السابق، ج2، ص111. ابن شداد: ديوان عنترة، تحقيق: شلبي، ص142.

(5) الشنتمري، أشعار الشعراء الستة، ج1، ص188. الذبياني، ديوان النابغة، ص14.

وإذا نظرنا في ديوان العجاج نجد أول أرجوزة هي الرائية:

«قَـدْ جَـبَـرَ الـدِّيـنَ الإلَـــهُ فـجَـبَـرْ وعَــوَّرَ الـرحـمَـنُ مَـن ولّـى العَوَرْ»[1]

وتبلغ اثنين وثمانين ومئة بيت.

فإن هذا الترتيب، إن لم يكن أثبت على يد الأعلم، يدل على أن الأصمعي وضع القصيدة المشهورة من شعر كل شاعر في مقدمة ما ارتضاه من شعره، وهي قصائد طويلة كلها. ولو أخذنا بالقول: إن معلقات العرب عشر معلقات، وجدنا ستاً منها في أول شعر كل شاعر في اختيار الأعلم الشنتمري رواية عن الأصمعي.

زمن شعراء الدواوين وقبائلهم:

نجد شعراء الدواوين ينتمون إلى عصور مختلفة، فمنهم الجاهلي القديم (المهلهل ابن ربيعة)؛ ومنهم بعض أصحاب المعلقات وهم: امرؤ القيس، ولبيد بن ربيعة، والنابغة الذبياني؛ ومن المخضرمين: الحطيئة، وحُميد بن ثور الهلالي، وسُحيم بن وثيل، والنابغة الجَعدي؛ ومن الشعراء الإسلاميين: جرير، والفرزدق، والأخطل؛ ومن رجّاز هذا العصر: العجاج، وابنه رؤبة. وهذه الصناعة تدل على أن الأصمعي لم يأخذ شعر عصر دون غيره، وكان قال في الفحولة عن جرير، والفرزدق، والأخطل: «هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون»[2]. فإن توقفه عن الحكم لهؤلاء الشعراء في الفحولة لم يكن حائلاً دون استجادته لشعرهم والتفاتته إلى جمع أشعارهم وما يتعلق بالنقائض وكذلك أشعار من هم في طبقتهم. وكان الأصمعي ذكر أنه لقي عدداً من الشعراء وأبناء الشعراء[3]، ونجد أنه صنع ديوان رؤبة من بين الشعراء الذين لقيهم.

ونجد سبعة من هؤلاء الشعراء وردت لهم قصائد في الأصمعيات، وهم: أعشى باهلة،

---

(1) العجاج، ديوانه، ج1، ص2.

(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص24.

(3) المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص ب.

وسحيم بن وثيل، وعروة بن الورد، والمتلمس. وورد لكل من امرئ القيس، ودريد بن الصمّة، والمهلهل اختيارات، وبذلك يكون عدد قصائد أصحاب الدواوين الذين ذُكروا في الأصمعيات عشر قصائد، ولهذا دلالته على أن الأصمعي انتقى قصائد اختياره انتقاء. إلى جانب أننا نجد هؤلاء الشعراء ينتمون إلى قبائل متعددة، يوضحها الجدول الملحق:

الشاعر	عصره	قبيلته
أبو الأسود الدؤلي	إسلامي	كنانة
أعشى باهلة	جاهلي	باهلة (قيس عيلان)
الأعشى الكبير	جاهلي	بكر بن وائل
امرؤ القيس	جاهلي	كندة
بشر بن أبي خازم	جاهلي قديم	أسد
تميم بن أبي مقبل	مخضرم	بكر هوازن (قيس عيلان)
الحطيئة	مخضرم	غطفان (قيس عيلان)
حميد الأرقط	مخضرم	تميم
حميد بن ثور الهلالي	مخضرم	بكر هوازن (قيس عيلان)
أبو حية النميري	إسلامي	عامر بن نمير
دريد بن الصمة	جاهلي	بكر هوازن (قيس عيلان)
رؤبة بن العجاج	إسلامي	تميم
الزبرقان بن بدر	جاهلي	تميم
سحيم بن وثيل	مخضرم	تميم
عبيد الله بن قيس الرقيات	إسلامي	تميم
العجاج	إسلامي	تميم
عروة بن الورد	جاهلي	عبس (قيس عيلان)

عمرو بن شأس	مخضرم	أسد خزيمة (مضر)
عنترة بن شداد	جاهلي	قيس عيلان
الكميت	إسلامي	أسد
لبيد	جاهلي	بكر هوازن (قيس عيلان)
المتلمّس	جاهلي	ضبيعة بن ربيعة
متمم بن نويرة	مخضرم	تميم
مضرس بن ربعي	جاهلي	أسد
المهلهل	جاهلي	تغلب
النابغة الجَعدي	مخضرم	بكر هوازن (قيس عيلان)
النابغة الذبياني	جاهلي	غطفان (قيس عيلان)
النمر بن تولب	مخضرم	عكل (مضر)

ويتضح أن الأصمعي روى شعراً عربياً ينتمي قائلوه إلى قبائل عربية شتى تأتي في مقدمتها قيس عيلان. والذي يمكن قوله: إن جزءاً كبيراً من الشعر العربي قد رواه الأصمعي وتشعبت طرق ذلك الشعر في الأجيال التالية للأصمعي. فمنه ما ضاع خلال طريقه، ومنه ما وصلنا بروايته وشرحه أيضاً كديوان العجاج. وفيما يتعلق بذكر السكري والأصمعي في صناعة الدواوين فقد تبيّن الفارق الزمني بين كل منهما، مما يدفعنا إلى القول: إن الجمع الأول لهذه الدواوين كان من قبل الأصمعي، ثم وصلت روايتها إلى السكري الذي إن أحدثَ شيئاً في تلك الدواوين فهو ترتيبها وتنسيقها، وذلك لأن أصحابها عاشوا قبله من جهة، ومن جهة أخرى فهو تلميذ لتلاميذ الأصمعي. وكان لرواية هذه الدواوين أثرها في تكوين ملكة النقد عند الأصمعي، وإدراكه لمكانة كل شاعر بين شعراء عصره، وأطلق على بعضهم لقب فحول، ووقف عند الإسلاميين من الشعراء. وكان لهذه الرواية أثرها في اختيار الأصمعي لقصائد الأصمعيات فيما بعد، ونتبين ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب.

الفصل الثاني
الأصمعيات

زمن تأليفها:

من مراجعة الكتب التي ترجمت للأصمعي لا نجد نصاً صريحاً يدل على تاريخ جمع الأصمعي فيه قصائد هذا الاختيار[1]. ولكن وقوفنا على بعض النصوص يمكن أن يساعد على معرفة المدة الزمنية على وجه ما، فنجد عبد القادر البغدادي يقول عن الأصمعيات: «هي قصائد اختارها لهارون الرشيد فاشتُهرت بالأصمعيات»[2]. يذكر البغدادي نسبة الأصمعيات دون أن يعين تاريخ اختيارها، ولأنّ خلافة الرشيد بدأت في ربيع الآخر (170هـ)، وبايع لأولاده الأمين والمأمون في حجّه سنة (176هـ)، ولأن نكبة البرامكة وقعت سنة (187هـ)، ونحن نعرف أن علاقة الأصمعي ببلاط الرشيد انتهت بحدوث نكبة البرامكة. فلعلّ علاقة الأصمعي بالرشيد جرت بين سنة (170هـ) حيث تولى الرشيد الخلافة، وسنة (187هـ) حيث وقعت نكبة البرامكة.

ونجد الخطيب البغدادي يروي عن الأصمعي قوله: «قال: بعث إليّ الأمين وهو ولي عهد، فصرت إليه، فقال: إن الفضل كتب عن أمير المؤمنين يأمر بحملك إليه...»[3]، مما ينمّ على قيام الأصمعي بتأديب أولاد الرشيد. وروى ابن العمراني قال: «حكى إسحاق أيضاً قال: كنا عند الرشيد في خلوة فدخل عليه الأصمعي، وكان يعلّم ولديه الأمين والمأمون، وكان يوماً شديد الحر، فقال له الرشيد: يا أصمعي، ضع قلنسوتك، فقد مسّك الحر. فوضع قلنسوته، فقال له الرشيد: يا أصمعي علا رأسك الشيب، فقال: نعم يا أمير المؤمنين...»[4].

(1) ابن الجراح: الورقة، ص30. السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص58. البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص410. لم تَعرض هذه الكتب تاريخ الاختيار.

(2) البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج4، ص135.

(3) البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، ج10، ص411.

(4) ابن العمراني، محمد بن علي محمد: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: د. قاسم السامرائي، لايدن،

وراوي الخبر هو إسحاق الموصلي الذي عاش بين سنة خمسين ومئة، وسنة خمس وثلاثين ومئتين للهجرة[1].

ويدل على أن الأصمعي يحضر مجالس الرشيد، ويؤدب ولده، وهذا ما أقرّه كاتب مادة (أصمع) في دائرة المعارف الإسلامية حيث قال: «ووصلت شهرته إلى أسماع هارون الرشيد فاستدعاه إلى بلاطه، وجعله مؤدِّباً للأمين، وهناك تزعم الحياة العقلية الناشطة التي كان يحياها بلاط الرشيد»[2]. وهذا قد يدل على أن للأصمعي مكانة في بلاط الرشيد، ولم يقتصر الأمر على تأديب أولاد الخليفة. ولهذا نرجح أن الأصمعيات اختيرت بين مدة استقدام الأصمعي إلى بلاط الرشيد في بغداد، وحدوث نكبة البرامكة، وتم ذلك بين عام (170هـ) حيث استقدم الأصمعي إلى بغداد، وقبل حدوث نكبة آل برمك عام (187هـ) وكان عمر الأصمعي في تلك المدة بين (48 و65) عاماً تقريباً.

ومن الأمور التي تساعد على ترجيح كون الأصمعيات اختيرت في فترة إقامة الأصمعي في بغداد، ما تتحدث به الأخبار عن أولية المفضليات، قال ابن الأنباري: «وحدثت أن أبا جعفر المنصور تقدّم إلى المفضّل في اختيار قصائد للمهدي فاختار له هذه القصائد، فلذلك نُسبت إلى المفضل»[3]. وكان أبو جعفر المنصور قد تولى الخلافة سنة (136هـ) وذلك بعد وفاة أخيه السفاح. وتوفي المنصور سنة (158هـ) [4]. وكان المهدي ولد سنة (127هـ) [5].

ويفصل القالي في أولية اختيار المفضليات قائلاً: «مرّ أبو جعفر المنصور بالمهدي، وهو ينشد قصيدة المسيب التي أولها (أرحلت) وذكر القصيدة ثم قال: فلم يزل واقفاً

1973م، ص77.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص184.

(2) خورشيد، إبراهيم زكي/ الشنشتناوي، أحمد/ يونس، د. عبد الحميد: دائرة المعارف الإسلامية، ط2، دار الشعب، القاهرة، 1969م، مجلد 3، ص477.

(3) الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد: ديوان المفضليات، شرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1902، ص2.

(4) انظر: البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص54-61.

(5) البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص391.

من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها، ثم صار إلى مجلس له، وأمر بإحضارهما، فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها، وقال لو عمدت إلى أشعار المقلّين، واخترت لكل شاعر أجود ما قال، لكان ذلك صواباً ففعل المفضل»[1]. فالمفضليات اختيار تم بتوجيه من أبي جعفر المنصور.

وروى القالي عن الأخفش عن أبي جعفر محمد بن الليث الأصفهاني قال: «أملى علينا أبو عكرمة الضبي المفضليات من أولها إلى آخرها، وذكر أن المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي، وقرئت بعد على الأصمعي فصارت مئة وعشرين...»[2]. وهذا يظهر أن الأصمعي اطلع على اختيار المفضل، ووقف عليه، ثم أضاف إليه أربعين قصيدة. وقد أدى وقوف الأصمعي ذلك إلى اختلاط الاختيارين بعضهما ببعض اختلاطاً يصعب معه التمييز بين عدد القصائد أحياناً. ويدل وقوف الأصمعي على المفضليات، وزيادته عليها أنه اتبع فيها منهج المفضل على نحو ما، وأن كلاً من المفضليات والأصمعيات كانتا لأجل تأديب أولاد خلفاء.

الأصمعيات المنشورة

يأتي في القرن الماضي نشر الأصمعيات وفق تحقيقين:

المرة الأولى: حققها المستشرق وليم بن آلورد البروسي، وطُبعت في مدينة (ليبزج) في ألمانيا سنة 1902م. ضمن الجزء الأول من مجموع أشعار العرب وتضم سبعاً وسبعين قصيدة لخمسة وستين شاعراً، وقصائدها مرتبة حسب القوافي ترتيباً ألف بائياً بدأ بالأسعر الجعفي، وثنى بعدي بن رعلاء الغساني، وانتهى بشمر بن عمرو الحنفي.

المرة الثانية: حققها أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، وتضم اثنتين

---

(1) القالي: ذيل الأمالي والنوادر، ص130. قصيدة المسيب مطلعها:

أرَحَلْتَ من سَلْمى بغَيْر مَتاعِ ... قَبْل العُطاسِ ورُعْتَها بِوَداعِ

– التبريزي، يحيى بن علي الخطيب: شرح اختيارات المفضل بن محمد الضبي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دمشق، 1391هـ/ 1972م، ج1، ص303.

(2) القالي: ذيل الأمالي والنوادر، ص130.

وتسعين قصيدة لواحد وسبعين شاعراً، وتبدأ هذه الطبعة بسحيم بن وثيل الرياحي، وبعده خفاف بن ندبة، وآخر قصائدها للمتلمس الضبعي. وخرج من هذا التحقيق خمس طبعات، الأولى منها كانت عام (1375هـ/ 1955م)، وهي غير مرتبة على نحو معين، ويقول شاكر وهارون في وصف المخطوطة التي اعتمدا عليها في عملهما في التحقيق: «فهي غير مرتبة على قاعدة معينة، شأنها كشأن المفضليات، قصيدة بعد قصيدة، وفيها شروح لبعض الغريب، وفيها قصص لحوادث كانت سبباً لبعض القصائد»[1]. وهذا يدل على أنه خرجت على النحو الذي وجدت عليه. وأضاف المحققان تراجم لشعرائها، وجوّ كل قصيدة، وخرّجا أبياتها، وشرحا ما يحتاج إلى شرح من مفردات كل بيت، ووضعا ذلك في هوامشها.

وعزا هذا التحقيق بفهارس هي: فهرس الشعراء، وفهرس القوافي، وفهرس اللغة، وفهرس الحروف التي لم تذكر في المعجم، وفهرس الأوصاف، وفهرس التشبيهات، وفهرس الفخر، وفهرس المعاني العامة، وفهرس الأعلام، وفهرس القبائل والطرائف ونحوها، وفهرس البلدان والمواضع ونحوها. وإذا نظرنا في التحقيقين نجد شاكر وهارون يصفان عمل آلورد بقولهم: «فإن الظاهر أنه طبعها على نسخة سقيمة لا يوثق بها»[2]، بالإضافة إلى أنه رتبها على حروف المعجم واستبعد منها القصائد المشتركة بين الأصمعيات والمفضليات.

وقد أثبت شاكر وهارون جملة من الملحوظات على تحقيق آلورد في مقدمة تحقيقهما للأصمعيات.

ونود الإشارة هنا إلى الاعتماد في دراسة الأصمعيات هذه على تحقيق شاكر وهارون، لورود أكبر عدد من قصائد الأصمعيات المعروفة فيها، ولما فيها من فهارس عددناها. ونشرت بعض قصائد الأصمعيات التي ضمها تحقيق شاكر وهارون في كتاب الاختيارين

(1) شاكر، أحمد محمد/ هارون، عبد السلام محمد: مقدمة المفضليات، الضبي المفضل بن محمد بن يعلى، ط6، نشر دار المعارف، مصر، 1979م، ص17.
(2) شاكر/ هارون: مقدمة الأصمعيات، ص6.

للأخفش الأصغر (ت 315هـ).

يقول قباوة: «ثم جاء الأخفش الأصغر، فجمع بين المفضليات والأصمعيات في كتاب واحد، وعلّق عليها شرحاً يفسر بعض الغريب، ويوضح بعض المعاني البعيدة، فكان ما يسمى بالاختيارين»[1]. وهذا دليل على أن الأخفش الذي جاء بعد المفضل والأصمعي قد جمع بين المفضليات والأصمعيات على نحو يصعب فيه تحديد منهجه، بعد أن تداخلت قصائد الاختيارين، ولكن المقارنة بين الأصمعيات والاختيارين تطلعنا على إحدى وعشرين قصيدة لواحد وعشرين شاعراً، أوردها الأخفش في كتابه الاختيارين.

قصائد الأصمعيات وشعراؤها:

تبلغ قصائد الأصمعيات ومقطوعاتها في تحقيق شاكر وهارون اثنين وتسعين نصاً شعرياً بين قصيدة ومقطوعة لواحد وسبعين شاعراً، وتتراوح بين الطول والقصر، ففيها مقطوعات تضم أربعة أبيات كمقطوعة امرئ القيس الأصمعية الأربعين[2]، وقد تضم البيتين كمقطوعة خفاف بن ندبة الأصمعية الخامسة[3]، وأطول قصيدة في هذا الاختيار بلغت أربعة وأربعين بيتاً هي قصيدة سوار بن المضرب، تحمل الرقم واحداً وتسعين[4].

وتشمل الأصمعيات ثلاثة نصوص من الرجز، هي: الأصمعية السابعة وتقع في أحد عشر بيتاً لعمرو بن لجأ التيمي[5]. والأصمعية السابعة والخمسون تبلغ ستة أبيات لأبي محمد الفقعسي، وهو راجز إسلامي[6]. والأصمعية التسعون تبلغ ثلاثة وأربعين بيتاً نسبها الأصمعي لصحير بن عمير[7]. ونضيف إلى الشعراء السابقين شعراء أورد لهم الأخفش في الاختيارين قصائد استطعنا الاستدلال على أنها مما اختاره الأصمعي، ولم يوردها آلورد أو

(1) قباوة، د. فخر الدين: مقدمة كتاب الاختيارين، صنعة الأخفش الأصغر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1394هـ/ 1974م، ص3.
(2) الأصمعيات، ص129.
(3) المصدر السابق، ص31.
(4) المصدر السابق، ص239.
(5) المصدر السابق، ص34.
(6) المصدر السابق، ص163.
(7) المصدر السابق، ص234.

شاكر وهارون، وعدد هؤلاء الشعراء ستة هم:

الأسود بن يعفر النهشلي، أورد له الأخفش القصيدة الرابعة والتسعين في الاختيارين اعتماداً على مخطوطة «محفوظة في مكتبة الأمير وزيانا، بمدينة ميلانو في إيطاليا»[1]، وتبلغ ثلاثة وثلاثين بيتاً.

أفنون التغلبي، أورد له الأخفش القصيدة الرابعة والثلاثين، وتبلغ خمسة أبيات، وهي في المفضليات[2].

جبيهاء الأشجعي، أورد له الأخفش القصيدة الخامسة والثمانين، وجاء في مقدمتها: «وأنشد الأصمعي لجبيهاء الأشجعي...»[3]، وتبلغ القصيدة عشرة أبيات، وهي مفضلية.

عمرو بن قعاس المرادي[4]، أورد له الأخفش القصيدة السابعة والثلاثين في الاختيارين، وتبلغ ثلاثة عشر بيتاً.

مالك بن زغبة الباهلي، أورد له القصيدة الثالثة والثلاثين «وقال الأصمعي هي لجزء بن رباح الباهلي»[5]، وتبلغ ثمانية عشر بيتاً.

امرأة من الأعراب[6]، أورد لها القصيدة الواحدة والخمسين وتبلغ واحداً وأربعين بيتاً.

ويبلغ مجموع أبيات القصائد الواردة في الاختيارين، ولم ترد في تحقيق شاكر وهارون سبعة عشر ومئة بيت، وبهذا يصبح عدد القصائد الواردة في الاختيارين سبعاً وعشرين قصيدة مما اختاره الأصمعي في الأصمعيات.

وعثر كاتب البحث في بطون الكتب على أصمعيات لم ترد في الأصمعيات في كل النسخ المنشورة، ولم يتطرق إليها آلورد أو شاكر أو الأخفش، وكانت هذه القصائد مجهولة

(1) الأخفش: الاختيارين، ص11.
(2) المصدر السابق، ص203.
(3) المصدر السابق، ص510.
(4) المصدر السابق، ص211.
(5) المصدر السابق، ص196.
(6) المصدر السابق، ص287.

بالنسبة لهم، وبلغ عددها إحدى عشرة قصيدة، نوردها حسب الترتيب الألف بائي:

1 ـ قصيدة إسحاق بن سويد:

بَرِئْتُ من الخَوارِجِ لستُ منهم   من الغَزّالِ منهم وابنِ بابِ

2 ـ قصيدة امرئ القيس الكندي:

يا تَمْلِكُ يا تَمْلِي   صِلِيني وذَري عَذْلي

3 ـ قصيدة ثعلبة بن عمرو:

أأسماءُ لم تَسألي عن أبيكِ   والقَومُ قد كانَ فيهم خُطوبْ

4 ـ قصيدة الحويدرة:

بَكَرَتْ سُميّةُ غُدوَةً فتَمتَّعِ   وغَدَتْ غُدُوَّ مُفارِقٍ لم يَرجِعِ

5 ـ قصيدة أبي دواد الإيادي:

زَمُّوا بليلٍ جِمالَ الحيِّ وانجذَبوا   لم ينظُروا باحتمالِ الحي إشْرَاقا

6 ـ قصيدة عبد الله بن سليمة الغامدي:

لِمَنِ الدِّيارُ بتولعٍ فيَبُوسِ   فبَياضُ رَيْطَةَ غَيرُ ذاتِ أَنيسِ

7 ـ قصيدة عبيد بن الأبرص:

طافَ الخَيالُ علينا لَيلَةَ الوادي   من أُمِّ عمروٍ ولم يَلْمِمْ لِميعَادِ

8 ـ قصيدة المتلمس الضبعي:

صَبا من بَعْدِ سُلوتِهِ فؤادي   وأسْمَحَ للقَرينَةِ بانقيادِ

9 ـ قصيدة المرقش الأكبر:

هَلْ بالدِّيارِ أن تُجيبَ صَمَمْ   لو كانَ رسمٌ ناطقاً كَلَّمْ

10 ـ قصيدة مضرس بن ربعي:

فلمّا لحِقْناهُم قرَأْنا عَليْهمُ   تحيّةَ موسى رَبَّهُ إذ يُحاوِرُهْ

11 ـ قصيدة لرجل من تميم ذكر صاحب اللسان منها قوله:

السِّنُّ من جَلْفَزيزٍ عَوْزَمٍ خَلَقٍ   والعَقلُ عَقْلُ صَبيٍّ يَمْرُسُ الوَدَعَهْ[1]

فيبلغ عدد الأصمعيات عند كاتب هذا البحث تسعاً ومئة قصيدة، ويبلغ عدد شعرائها ستة وثمانين شاعراً. ونجد اثنين من الشعراء السابقين لهما قصائد في الأصمعيات المطبوعة هما: أبو دواد الإيادي، والمتلمّس، ومن القصائد السالفة أربع قصائد ذكرت في المفضليات هي: قصيدة ثعلبة بن عمرو العبدي وقصيدة الحادرة وقصيدة عبد الله بن سلمة الغامدي وقصيدة المرقش الأكبر. ويبلغ مجموع أبيات الأصمعيات عندنا ستة وسبعمئة وألف بيت.

الشعراء الجاهليون[2]

عددهم خمسة وخمسون شاعراً هم:

أحيحة بن الجلاح الأسدي[3]، الأسعر الجعفي، أسماء بن خارجة، الأسود بن يعفر النهشلي، أعشى باهلة، أفنون التغلبي، امرؤ القيس بن حجر، أوس بن غلفاء، تأبط شراً، ثعلبة ابن عمرو العبدي، الجميح الأسدي، حاجب بن حبيب الحادرة، الحارث بن عباد، حجل ابن نضلة، دريد بن الصمة، أبو دواد الإيادي، ذو الإصبع العدواني، ذو الخرق الطهوي[4]، زبان بن سيار، سبيع بن الخطيم، سعدى بنت الشّمردل[5]، سعية بن الغريض، سلامة بن جندل، السموءل، سنان بن أبي حارثة، شمر بن عمرو الحنفي، صخر بن الشريد، طرفة ابن العبد، طريف العنبري، عامر بن الطفيل، عبد قيس بن خفاف، عبيد بن الأبرص، عدي ابن رعلاء الغساني، عروة بن الورد، علباء بن أرقم، عمر بن حني التغلبي، عمرو بن

(1) سنذكر هذه الأصمعيات بأسانيدها في ملحق الدراسة (الأصمعيات المجهولة).
(2) نقصد بهم الشعراء الذين عاشوا معظم حياتهم في الجاهلية.
(3) نرجح أنه جاهلي؛ لأن يزيد الذي هاجاه جاهلي.
(4) نسبه إلى العصر الجاهلي. البغدادي: الخزانة، ج1، ص42.
(5) لم يذكر عصرها، ونرجح أنها جاهلية لأن البيت 19 منسوب لتأبط شراً في السمط ص36.

قعاس المرادي، عوف بن الأحوص، عوف بن عطية، قيس بن الخطيم، مالك بن حريم، المتلمس، مالك بن زغبة الباهلي، مرقش الأصغر، مرقش الأكبر، معاوية بن مالك، مضرس بن ربعي[1]، المفضل النكري، الممزق العبدي، المنخل اليشكري، مهلهل، يزيد بن الصعق، الأعرابية صاحبة القصيدة الواحدة والخمسين في الاختيارين[2]. وبلغ عدد قصائدهم في الأصمعيات تسعاً وستين قصيدة.

ويظهر من تقصي تراجم الشعراء أنه يمكن تصنيفهم وفق أصول شتى، فمنهم الجاهلي القديم، ومنهم شعراء المعلقات، ومنهم السادة، ومنهم الفرسان، ومنهم الصعاليك، ومنهم الأغربة.

قال ابن قتيبة في حديثه عن المنخل اليشكري: «وهو جاهلي قديم كان يشبب بهند أخت عمرو بن هند»[3]، فهو شاعر قديم، ومطلع قصيدته:

«إنْ كـنـتِ عـاذِلَـتـي فَـسِـيـري   نَـحـوَ الـعِـرَاقِ ولا تَـحُـورِي»[4]

ومنهم أيضاً عدي بن ربيعة، قال ابن قتيبة: «وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أي أرقه... وهو خال امرئ القيس، وجد عمرو بن كلثوم»[5]، وله في الأصمعيات قصيدتان: مطلع الأولى منهما:

«ألَـيـلَـتَـنـا بِـذي حُـسُـمٍ أَنِـيـري   إذا أنـتِ انـقَـضَـيْـتِ فـلا تَـحُـوري»

وتبلغ القصيدة تسعة أبيات يفتخر فيها بأخذه الثأر من قاتلي أخيه، ويصف فعله بهم.

أما القصيدة الثانية فمطلعها:

---

(1) ترجم له البغدادي في الخزانة، ج5، ص22.
(2) يموت، بشير: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المكتبة الأهلية، بيروت، 1353هـ/1934م، ص107. جعلها في الشاعرات الجاهليات.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص404. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص178.
(4) الأصمعيات، ص58.
(5) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص297. المرزباني: الموشح، ص74.

«يـا حَـــارِ لا تَـجـهَـلْ عـلـى أشـيـاخِـنـا   إنّـــا ذَوُو الـسَّــوراتِ والأحـــــلامِ»[1]

ويفخر فيها أيضاً بقومه، وسيادتهم.

ونجد إلى جانب هؤلاء بعض شعراء المعلقات ومنهم: امرؤ القيس وله في الأصمعيات قصيدة ومقطوعة، ومطلع القصيدة:

«نَـطـعَـنُـهُـم سُـلْـكَـى ومَـخـلـوجَـةً   لَـفْـتَـكَ لأْمَـيْــنِ عـلـى نــابِــلِ»[2]

ويصف فيها فعلهم ببني أسد قاتلي والده. ومطلع المقطوعة:

«ألا يـا لَـهْـفَ هِـنْـدٍ مـن أُنـاسٍ   هُـمُ كـانـوا الـشِّـفـاءَ فـلـم يُصابُوا»[3]

وتحدث فيها عن فرار بني أسد وكيف نجّاهم جدُّهم من امرئ القيس وقومه.

ومنهم طرفة بن العبد، ومطلع قصيدته:

«لا غَـــروَ إلاّ جـارَتـي وسُـؤالُـهـا   أَلا هَـل لـنـا أهـلٌ سُـئِـلـتِ كذلكِ»[4]

وفيها يتحدث عن سؤال جارته له. والبيتان الأخيران في وصف رحلة.

ومنهم عبيد بن الأبرص، ومطلع قصيدته:

«طــافَ الـخـيـالُ عـلـيـنـا لَـيـلَـةَ الـوادي   مـن أُمِّ عَـمـرٍو ولَـمْ يَـلْـمِـمْ لِميعادِ»[5]

استهلها بالنسيب ثم تحدث عن الموت، وفخر بعد ذلك بنفسه وقومه على عادة الشعراء العرب.

وهكذا نرى أن أربع قصائد من قصائد الأصمعيات كانت لبعض أصحاب المعلقات،

(1) الأصمعيات، ص156.

(2) المصدر السابق، ص129. السلكى: الطعنة المستقيمة. المخلوجة: على اليمين وعلى اليسار، اللسان ج3، ص84. النابل: الذي يرمي بالنبل، اللسان 14، ص166. اللفت: ليُّ الشيء على غير وجهه.

(3) الأصمعيات، ص131. امرؤ القيس: الديوان، ص138.

(4) المصدر السابق، ص149. ابن العبد: ديوان طرفة، ص72. ولا غرو...

(5) الأبرص: ديوان عبيد بن الأبرص، شرح وتحقيق: د. حسين نصار، ط1، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1377هـ/ 1957م، ص46.

ونجد أن بعض القصائد في الأصمعيات هي لشعراء كانوا سادة في أقوامهم، منهم دريد بن الصمة. قال ابن قتيبة: «وهو أحد الشجعان المشهورين، وذوي الرأي في الجاهلية»[1]. وكان بنو جشم يتيمنون بخروج دريد في غزواتهم رغم تقدم سنّه. واختار له الأصمعي قصيدتين يتحدث فيهما عن الثأر لأخيه[2].

وكذلك زبان بن سيار «وهو شاعر جاهلي كان سيداً في فزارة»[3]، واختار له الأصمعي قصيدتين، وهما أيضاً في المفضليات.

ونضيف إلى هؤلاء الشعراء معاوية بن مالك وهو «شاعر جاهلي، وفارس مشهور، وسيد شريف»[4]، وله في الأصمعيات قصيدتان أقصرهما الأولى وتبلغ أحد عشر بيتاً، ومطلعها:

«طَرَقَتْ أُمامةُ والمَزارُ بعيدُ　　وَهْناً وأصحابُ الرِّحالِ هُجُودُ»[5]

يتحدث فيها عن طيف الخيال، ويفخر بعشيرته، وقومه على عادة الشعراء العرب. أما القصيدة الثانية فتبلغ خمسة وعشرين بيتاً.

إن الشعراء السابقين كانوا سادة في أقوامهم، وجمعوا إلى السيادة صفة الفروسية. وفي الأصمعيات قصائد لشعراء هم فرسان اشتُهروا في قبائلهم، ومنهم من ذاع صيته بين قبائل العرب كافة، وشارك في أيامها المعدودة، ومن هؤلاء الشعراء الفرسان: الحارث بن عباد، ويعود في نسبه إلى بكر بن وائل، قال ابن قتيبة: «فلما كان يوم قضة، وهو آخر أيامهم، وكان على تغلب، أسر الحارث بن عباد مهلهلاً»[6]، فهو من فرسان بكر المعدودين. وقال النويري: «هو أحد فرسان بني بكر بن وائل ورؤسائهم»[7]، فهو سيد قومه أيضاً. وله

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص749. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص114.
(2) انظر: الأصمعيات، ص106، وما بعدها.
(3) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص1463. ذكره ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص167.
(4) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص1472. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص188.
(5) الأصمعيات، ص212. الوهن: نحو من نصف الليل وقيل بعد ساعة منه، اللسان ج17، ص345. الهجود: هجد القوم ناموا، اللسان ج4، ص442.
(6) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص298.
(7) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1350هـ/ 1931م، ج8، ص96.

مقطوعة في الأصمعيات مطلعها:

«قَــرِّبــا مَــربَــطَ الـنّـعـامَـةِ مِـنّـي لَـقِـحَـتْ حَــرْبُ وائِــلٍ عَـن حِيالِ»[1]

وتبلغ ثلاثة أبيات، كان الحارث قالها بعد مقتل بجير، وهو ابنه أو ابن أخيه عمرو بن عباد، واشتراكه في الحرب بعد أن اعتزل القتال.

ومنهم سلامة بن جندل، قال ابن قتيبة عنه: «جاهلي قديم، وهو من فرسان تميم المعدودين»[2]. ومطلع قصيدته في الأصمعيات:

«لِـمَـنْ طَـلَـلٌ مـثـلُ الـكـتـابِ الـمُـنَـمَّـقِ خَـلا عَـهـدُه بـيـنَ الصُّلَيبِ فمُطْرِقِ»[3]

وتعد من قصائد الأصمعيات الطويلة، وتبلغ أربعين بيتاً.

ومنهم عامر بن الطفيل، ويعود في نسبه إلى قيس عيلان. قال التبريزي: «هو شاعر مجيد، وفارس من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وذكراً»[4]. فقد تعدى ذكره قيس عيلان ليعرفه العرب، وعنه قال البغدادي: «وأبعدها اسماً حتى بلغ أن قيصر كان إذا قدِم عليه قادم من العرب قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإذا ذكر نسباً عظم عنده»[5]. ويظهرُ كلامُ البغدادي أن شهرة ابن الطفيل لم تكن في بلاد العرب فقط، بل تعدّتها إلى بلاد الروم. ولعامر في الأصمعيات قصيدتان، الأولى منهما تقع في ثلاثة عشر بيتاً مطلعها:

«لـقـد عَـلِـمَـتْ عُـليـا هَــوازِنَ أنّـنـي أنـا الـفـارسُ الـحـامي حقيقَةَ جَعفَرِ»[6]

ويلاحظ أن بعض شعراء الأصمعيات، هم من الشعراء الصعاليك مثل تأبط شراً. قال ابن

(1) الأصمعيات، ص71. النعامة: اسم فرسه. لقحت: حملت، هذا مثل ضربه لشدة الحرب.

(2) ابن قتيلة: الشعر والشعراء، ج1، ص272. التبريزي: اختيارات المفضل، ج2، ص565.

(3) الأصمعيات، ص132. ابن جندل: ديوان سلامة، ص153. الطلل: ما شخص من آثار الديار والرسوم، اللسان ج13، ص430. المنمق: نمق الكتاب حسنه وجوده اللسان ج12، ص239. الصليب ومطرق: موضعان.

(4) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص486. انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص334.

(5) البغدادي: خزانة الأدب، ج3، ص80.

(6) الأصمعيات، ص215. ابن الطفيل: ديوان عامر، دار صادر، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ص61. عُليا كل شيء عاليه وعاليته أرفعه، اللسان ج9، ص315. هوازن: أعداؤه.

قتيبة: «وكان شاعراً بئساً، يغزو على رجليه»[1]. ومطلع قصيدته:

«وشِعْبٍ كشَلِّ الثّوبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ   مَجامِعُ صَوْحَيْهِ نِطافٌ مَخاصِرُ»[2]

وتبلغ أربعة أبيات يفخر فيها بقطعه الفيافي من دون دليل أو رفيق أدرك هذه البلاد.

وفي الأصمعيات قصيدة لعروة بن الورد أمير الصعاليك وهو من قيس عيلان. قال ابن قتيبة: «كان يلقَّب عروة الصعاليك»[3]، ومطلع قصيدته:

أقِلّي عليَّ اللّومَ يا ابنةَ مُنذِرِ   ونامي، فإن لم تَشتَهي النومَ فاسهري»[4]

وتبلغ سبعة وعشرين بيتاً استهلّها بخطاب زوجته سلمى.

ومالك بن حريم الهمداني، وهو شاعر من «لصوص همدان»[5]، استهلّ قصيدته بقوله:

«جَزِعْتَ ولم تجزَعْ من الشّيبِ مَجْزَعَا   وقد فاتَ ربْعِيُّ الشبابِ فودَّعَا»[6]

تحدث فيها عن الشيب، ثم خلص إلى نعت فرسه، وفخره بقيادة قومه ووصفهم بأنهم سادة كرماء.

وفي الأصمعيات شاعران يعدّان من أغربة العرب:

أولهما: تأبط شراً وهو لقب غلب عليه واسمه «ثابت بن جابر»[7]، ويعود في نسبه إلى قيس عيلان، وهو من صعاليك العرب، وقصيدته في الأصمعيات قصيرة تبلغ أربعة أبيات.

---

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص312.

(2) الأصمعيات، ص125. تأبط شراً: ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، ط1، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 1404هـ/ 1984م، ص94. الشعب: ما انفرج بين الجبلين، شل الثوب: طريقة خياطته، اللسان ج3، ص352. الطريق الشكس: الذي يصعب الذهاب فيه. الصوحان: صوحا الوادي حائطاه، ويفرد فيقال صوح لوجه الجبل القائم، اللسان ج3، ص352. نطاف: جمع نطفة، اللسان ج11، ص349. مخاصر: الخصر البارد من كل شيء، اللسان ج5، ص326.

(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص675. المرزباني: الموشح، ص80.

(4) الأصميات، ص43. ابن الورد: ديوانه، ص66.

(5) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص237.

(6) الأصمعيات، ص62.

(7) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص312. البغدادي: الخزانة، ج1، ص133.

ثانيهما: خفاف بن ندبة السلمي، ويعود في نسبه إلى قيس عيلان، وهو شاعر مخضرم، قال ابن قتيبة: «وكان أحد أغربة العرب»(1). وتفرّد بمنزلة خاصة بين شعراء الأصمعيات؛ حيث اختار له الأصمعي أربع قصائد، وأطول تلك القصائد هي الأولى من حيث ترتيب قصائد خفاف، وتبلغ ثمانية وثلاثين بيتاً مطلعها:

«ألا طَرَقَتْ أسماءُ في غير مَطْرَقِ وأنّى إذا حلّتْ بنَجْرانَ نَلتَقي»(2)

استهلّها بالحديث عن طيف الخيال، وتعرّض فيها لأغراض أخرى منها الفخر، ووصف السحاب.

وهذا الاختيار الذي يضم شعراء من مختلف طبقات المجتمع، يدل على أن الأصمعي ينظر إلى جودة الشعر، وربما إنه لم يعنه سوى ذلك.

أما الشعراء الجاهليون من حيث النسب: فيرجعون إلى قبائل مختلفة تأتي في مقدمتها قيس عيلان ببطونها المختلفة، فمن غطفان: الحادرة، وعروة، وزبان بن سيار، وسنان بن أبي حارثة؛ ومن هوازن: عامر بن الطفيل، وعوف بن الأحوص، ومعاوية بن مالك؛ ومن باهلة: الأعشى الباهلي؛ ومن جشم: دريد بن الصمة؛ ومن عدوان: ذو الإصبع.

وتتلو قيس عيلان بكر وائل، ومن شعرائها: الحارث بن عباد، وطرفة بن العبد، وعلباء ابن أرقم، والمرقشان.

ومن بني أسد: حاجب بن حبيب، والجميح، وعبيد بن الأبرص.

ومن بني تميم: سبيع بن الخطيم، وسلامة بن جندل.

ويرجع الشعراء الآخرون إلى قبائل مختلفة منها تغلب، ومن شعرائها: المهلهل. وعبد القيس ومن شعرائهم: الممزق. ومن بني غسان: عدي بن رعلاء. ومن كندة: امرؤ القيس.

ويلاحظ أن الأصمعي لم يقف في اختياره على شعراء قبيلة دون أخرى، وإن ظهر تقدم

(1) المصدر السابق، ج1، ص341. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص108.
(2) الأصمعيات، ص21. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م، ص21. طرق القوم: جاءهم ليلاً.

بعض القبائل.

الشعراء المخضرمون:

الأجدع بن مالك الهمداني، امرؤ القيس بن عابس، خفاف بن ندبة، ربيعة بن مقروم الضبي، سحيم بن وثيل، سهم بن حنظلة الغنوي، ضابئ بن الحارث البرجمي، العباس بن مرداس، عبد الله بن سليمة الغامدي، عبد الله بن عنمة، عمرو بن معديكرب، مالك بن نويرة، مقاس العائذي. وهؤلاء الشعراء عاشوا حياتهم شطرين: أولهما في الجاهلية وثانيهما في الإسلام. أورد الأصمعي إحدى وعشرين قصيدة لهذه المجموعة من الشعراء.

ويظهر في الأصمعيات أن بعض هؤلاء الشعراء قد نزل منزلة مميزة عند الأصمعي، ومنهم خفاف بن ندبة الذي اختار له الأصمعي أربع قصائد، وهي منزلة تفرّد بها خفاف عن شعراء الأصمعيات. وعبد الله بن عنمة وعمرو بن معديكرب اللذان اختار الأصمعي لكل منهما ثلاث قصائد، وهذا الأمر لم يقع لأي من الشعراء الجاهليين.

وإذا نظرنا في تراجم بعض هؤلاء الشعراء فنجد أنهم أصحاب منزلة في أقوامهم، كخفاف بن ندبة. قال ابن قتيبة: «وشهد خفاف مع النبي ﷺ فتح مكة ومعه لواء بني سليم»[1]. وتسلّم خفاف لواء قومه دلالة على فروسيته ومكانته بينهم. ومنهم سحيم بن وثيل وفيه قال ابن سلام: «سحيم بن وثيل الرياحي شريف مشهور الأمر في الجاهلية والإسلام، جيد الموضع في قومه، شاعر خنذيذ»[2]. وقد افتتح الأصمعي أصمعياته بقوله:

«أنـــا ابـــنُ جَــلا وطَـــلّاعُ الـثّـنَـايَـا مَـتـى أضَــعِ الـعِـمـامَـةَ تَعْرِفُوني»[3]

وهو البيت الذي ذكره ابن قتيبة عندما ذكر سحيماً[4].

ومن بين هؤلاء عمرو بن معديكرب، قال ابن قتيبة: «هو من مذحج... وكان عمرو من

---

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص342.
(2) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص489.
(3) الأصمعيات، ص17.
(4) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص643.

فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية وأدرك الإسلام»[1]. وقصائده الثلاث في الأصمعيات تتحدث عن فروسيته وحياته، ومنها قوله:

«أعـــــدَدْتُ لـلـحـربِ فَضْـفـاضَـةً دِلاصـــــاً تَـثَـنّـى عـلـى الـرّاهِـشِ

وأجـــــرَدَ مُـــطَّـــرِداً كـالـرِّشــاءِ وسَـيـفَ سَـلامـةَ ذِي فائِشِ»[2]

وتضمنت وصفاً للجواد الأصيل، ورحلات الشاعر.

ومالك بن نويرة وهو يربوعي «وكان مالك فارس ذي الخمار»[3]، وهو من فرسان قومه أيضاً.

ويلاحظ قرب المعجم اللغوي عند هؤلاء الشعراء أكثر منه عند الشعراء الجاهليين؛ لاتصالهم به وعيشهم في بيئة واحدة، وكانوا حديثي العهد بالإسلام وأصولهم جاهلية.

أما قبائل الشعراء المخضرمين فمضر في مقدمتها، ومنها: ربيعة بن مقروم، وعبد الله بن عنمة، ومقاس. وتتبعها قيس عيلان ومنها: خفاف، والعباس، وسهم بن حنظلة الغنوي. ثم تميم ومنها: سحيم، ومالك. وانفردت بعض القبائل الأخرى كل واحدة بشاعر؛ فالأجدع همداني، وعمرو بن معد يكرب من زبيد كهلان.

الشعراء الإسلاميون عشرة شعراء هم:

إسحاق بن سويد، الحكم الخضري، جبيهاء الأشجعي[4]، سوار بن المضرب، عبد الله ابن ربعي بن خالد الفقعسي، عمرو بن لجأ، غريقة بن مسافع العبسي[5]، كعب بن سعد، أبو مهدية الكلابي، أبو النشناش النهشلي.

---

(1) المصدر السابق، ج1، ص372.

(2) الأصمعيات، ص177. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص121. الأجرد: الرمح. مطرد: مستقيم. سلامة ذي فائش: قيل من أقيال اليمن، فائش: واد باليمن.

(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص337. ذو الخمار: فرسه.

(4) شاعر أموي العصر. انظر: الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص77. البكري: سمط اللآلئ، ج2، ص640.

(5) يرجح أنه إسلامي اعتماداً على قول ابن دريد «ومن بني عبس غريقة شاعر في الإسلام». الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، مصر، 1958م، ص279.

ومجموع قصائد هذه المجموعة إحدى عشرة قصيدة. وانفرد كعب بن سعد من الإسلاميين بقصيدتين وردتا في الأصمعيات. وهؤلاء الشعراء الإسلاميون بعضهم لم يدركه الأصمعي مثل الحكم الخضري، وجبيهاء الأشجعي الذي يعد من شعراء العصر الأموي. ونلاحظ أن بعض هؤلاء الشعراء معاصر للأصمعي كما ورد في أول قصيدة الحكم الخضري.

«قال أبو سعيد: سمعتها من الحكم:

إلـى ابْـنِ بـلالٍ جَـوبِـيَ الـبـيـدَ والـدُّجَـى بـزيّـافَـةٍ إنْ تسمَعِ الـزَّجْـرَ تَغْضَبِ»(1)

فهذه إشارة صريحة إلى معاصرة الشاعر للأصمعي. وكذلك أبو مهدية الأعرابي. جاء في مقدمة قصيدته «وقال أبو سعيد: أنشدني أبو مهدية يصف حية:

قـد كـادَ يَـقـتُـلُـني أصَـمُّ مُـرَقَّـشٌ مـن جُـبِّ كَـلـثَـمَ والـخُـطـوبُ كَثيرُ»(2)

ومن الإسلاميين من هو سابق لهؤلاء من حيث الزمن.

ويلاحظ على قصائد الإسلاميين قصرها إذا استثنينا قصيدة سَوّار بن المُضَرَّب التي تبلغ أربعة وأربعين بيتاً مطلعها:

«ألـم تَـرَنـي وإنْ أَنْـبـأتُ أنّـي طَـوَيْـتُ الكَشْحَ عن طَلَـبِ الغَوَاني»(3)

ومنها أيضاً قصيدة كعب. وتظهر في شعر الإسلاميين الأهواء السياسية التي برزت في العصر العباسي كما في أبيات إسحاق بن سويد.

وقبائل هؤلاء الشعراء أولها قيس عيلان، ومنها: الحكم الخضري، وكعب بن سعد الغنوي. وتتلوها تميم، ومن شعرائها: سوار، وأبو النشناش النهشلي، وعمرو بن لجأ. ومن كلاب: أبو مهدية.

---

(1) الأصمعيات، ص32.

(2) المصدر السابق، ص123. الأصم: ما لا يقبل الرقية كأنه قد صم عن سماعها. المرقش: الذي فيه نقط سواد وبياض. جب كلثم: الظاهر أنه بئر.

(3) الأصمعيات، ص239.

الشعراء المجهولون:

أشار شاكر وهارون في تحقيقهما نصوص الأصمعيات إلى أن بعض القصائد هي لشعراء لم يعثرا لهم على تراجم، وبلغ عددهم سبعة شعراء. وتأتّى لنا العثور على شاعر مجهول، أورده صاحب لسان العرب، ولم يذكر في الأصمعيات التي حققها شاكر وهارون أو آلورد أو الأخفش في الاختيارين.

وهؤلاء الشعراء هم: دَوْسَرُ بن ذُهَيل القُرَيْعِيّ وقصيدته تحمل الرقم خمسين، مطلعها:

«وقائِلَةٍ ما بالُ دَوْسَرَ بَعدَنا صَحا قَلبُه من آلِ لَيلَى وعن هِنْدِ»(1)

صُحَيرُ بنُ عُمَير، وقصيدته أرجوزة مطلعها:

«تَهزأُ منّي أختُ آلِ طَيْسَلَهْ»(2)

عبد الله بن جِنْحٍ النّكري، وقصيدته تحمل الرقم ثلاثين مطلعها:

«زَعَمَ الغَواني أنْ أرَدْنَ صَريمَتي أَنْ قدْ كَبِرْتُ وأدْبَرَتْ حاجاتي»(3)

عُقبَةُ بن سابق، وقصيدته الأصمعية التاسعة، وتبدأ بقوله:

«وجَرْفٍ سَبْسَبٍ، يَجري عليه مُورُهُ، جَدْبِ»(4)

عمرو بن الأسود، وقصيدته هي الحادية والعشرون مطلعها:

«ولقد أمَرْتُ أخاكِ عَمراً أَمرَهُ فعصَى وضَيَّعَهُ بذاتِ العُجرُمِ»(5)

أبو الفضل الكِنانيّ، وقصيدته هي العشرون مطلعها:

---

(1) الأصمعيات، ص150.

(2) الأصمعيات، ص234. طيسلة: الراجح أنه اسم قبيلة.

(3) المصدر السابق، ص114.

(4) المصدر السابق، ص39. الجرف: ما تجرفه السيول، وأكلته من الأرض، اللسان ج10، ص368. السبسب: القفر والمفازة، اللسان ج1، ص442. مورة: الغبار المتردد وقيل التراب تثيره الريح، اللسان ج7، ص36.

(5) المصدر السابق، ص79. ذات العجرم: موضع بعينه.

«ومُسـتَلْحَـمٍ يَخشى اللَّـحاقَ وقـد تَلا   بـهِ مُـبطِـئٌ قـد مَـنَّـهُ الـجَـرْيُ فَاتِرُ»[1]

مُشَعَّثٌ العامريّ، وقصيدته تحمل الرقم ثمانية وأربعين مطلعها:

«بـإصْـــرٍ يَـتْـرِكْـنـي الـحَـيُّ يومـاً   رَهـيـنَـةَ دارِهِـــم وهُـــمُ سِراعُ»[2]

ومنهم رجلٌ من تميم، ذكر صاحب اللسان قوله في أصمعية:

«الـسِّـنُّ مـن جَـلْـفَـزيـزٍ عَـــوزَمٍ خَـلَـقٍ   والعَقلُ عَقْلُ صبيٍّ يَمْرُسُ الوَدَعَهْ»[3]

ولم يترجم أحد ممن ترجموا للشعراء لهؤلاء. وبلغت قصائدهم ثماني قصائد.

ويلاحظ على هذه القصائد أنها حوت أرجوزة صحير، وهي أطول أرجوزة في الأصمعيات، حيث بلغت ثلاثة وأربعين بيتاً. وتتلوها من حيث الطول قصيدة عقبة بن سابق، التي بلغت واحداً وعشرين بيتاً. وبلغ مجموع أبيات القصائد المجهولة عشرة ومئة بيت.

ويوضح الجدول الآتي نسبة شعراء الأصمعيات وقصائدهم وعدد الأبيات في كل عصر من عصور الشعر العربي[4]:

الشعراء حسب العصر	عدد الشعراء	النسبة	عدد القصائد	النسبة	عدد الأبيات	النسبة
الجاهليون	55	64%	69	63%	1030	60%
المخضرمون	13	15%	21	19%	397	23%
الإسلاميون	10	12%	11	10%	169	10%
المجهولون	8	9%	8	8%	110	7%
المجموع	86	100%	109	100%	1706	100%

(1) المصدر السابق، ص77. المستلحم: الذي روهق واحتوشه العدو في القتال. تلا به: تخلف به. مَنَّهُ الجري: أضعفه وأعياه. الفاتر: الذي لانت مفاصله وضعف، اللسان ج6، ص348.

(2) المصدر السابق، ص148. ذكره المرزباني: معجم الشعراء، ص475. قال أحسبه لقباً.

(3) اللسان، ج10، ص26.

(4) يضم الجدول القصائد الموجودة في الأصمعيات بتحقيق شاكر وهارون، وفي كتاب الاختيارين والأصمعيات المجهولة.

ولابد من الإشارة إلى قصائد الشعراء الذين عدّهم شاكر وهارون في تحقيق الأصمعيات مجهولين؛ إذ يمكننا ترجيح نسبة بعضهم إلى عصور مختلفة، ومن هؤلاء الشعراء صُحَير ابن عُمَير صاحب الأرجوزة التسعين؛ إذ ذكر صاحب السمط قول «النجيرمي هذا الرجز للأصمعي»[1]. وذكر أيضاً قول المبرد: «عن عبد الصمد بن المعذل قال: جئت أبا قلابة الجرمي ومعه الأرجوزة التي تنسب إلى الأصمعي تهزأ فسألته أن يدفعها إليّ فأبى»[2]. فهذه النصوص تعزو القصيدة للأصمعي الذي نرجح أنه نظمها بعد أن تمكن من الرجز.

عبد الله بن جِنْح النكري صاحب الأصمعية الثلاثين، يرجح نسبة الشاعر إلى العصر الأموي بدليل وجودِ البيتين الخامس والسابع في قصيدة منسوبة للوليد بن يزيد:

«مِـن مَعشَـرٍ يـأبَى الـهَـوانَ أخُـوهُـمُ ... شُـمِّ الأنــوفِ جَحـاجِـحٍ سـاداتِ

إن يَـطـلُـبـوا بـجَـرِيـرَةٍ يَـنـأَوْنَـهـا ... أو يُـطـلَـبوا لا يُـدرَكـوا بِتِراتِ»[3]

فإن وجود الأبيات منسوبةً للوليد يساعد على القول بأن عبد الله النكري من مغموري العصر الأموي.

عقبة بن سابق يظهر من اختلاط نسبة الأصمعية التاسعة بينه وبين أبي دؤاد الإيادي أن ناظمها من شعراء العصر الجاهلي[4].

عمرو بن الأسود صاحب الأصمعية الواحدة والعشرين، جاء في مقدمتها: «قال أبو سعيد: قال أبو عمرو بن العلاء: قال عمرو بن الأسود هذه القصيدة يوم ذي قار»[5]. وهذا يرجح نسبة الشاعر إلى العصر الجاهلي. والقصيدة تُنسب في الاختيارين لبشر بن سلوة[6]

(1) البكري: سمط اللآلئ، ج2، ص930.
(2) البكري: سمط اللآلئ، ج2، ص930.
(3) الأصفهاني: الأغاني، ج7، ص103. ورد الشطر الأول من البيت 5 «في فتية تأبى الهوان وجوههم»، وورد البيت 7 في الأصمعيات: «أن يطلبوا بتراتهم يعطوبها»، ص114. الترات: ج ترة، وهي الثأر.
(4) انظر تخريج الأصمعية، الأصمعيات، ص39.
(5) الأصمعيات، ص79.
(6) الأخفش: الاختيارين، ص184.

بتمامها، وهو شاعر جاهلي[1].

ويبقى أربعة من الشعراء المجهولين لم نستطع ترجيح عصورهم. وهذا يدل على نسب جديدة يبيّنها الجدول الآتي:

الشعراء حسب العصر	عدد الشعراء	النسبة	عدد القصائد	النسبة	عدد الأبيات	النسبة
الجاهليون	57	66%	71	65%	1068	63%
المخضرمون	13	15%	21	19%	397	23%
الإسلاميون	12	14%	13	12%	219	13%
المجهولون	4	5%	4	4%	22	1%
المجموع	86	100%	109	100%	1706	100%

ويظهر الجدول السابق أن ما يَقرب من ثلثي شعراء الأصمعيات يرجعون من حيث الزمن إلى العصر الجاهلي، وقصائدهم تقرب من ثلثي قصائد الأصمعيات، وهذا يدل على أن أكثر اختيار الأصمعي من الشعر الجاهلي. ورأينا أن بعضهم يرجعون إلى أزمنة متقدمة في الجاهلية. وإذا أضفنا إلى ما سبق أن بعض الشعراء المخضرمين عاشوا جزءاً كبيراً من حياتهم في الجاهلية كالأجْدَع بن مالك الهمداني[2]، وعبد الله ابن سلمة. ولا نستطيع الفصل بينهم وبين الجاهليين إلاّ من حيث المصطلح (جاهلي، مخضرم) فإنّ جلّ قصائد الأصمعيات يكون جاهلياً، أي ما يبلغ اثنين وتسعين نصاً شعرياً بين قصيدة ومقطوعة لسبعين شاعراً. ويبلغ مجموع أبياتها خمسة وسبعين وأربعمئة وألف بيت. وتبع هؤلاء الشعراء الذين ينتمون إلى العصر الإسلامي وبلغ عددهم أحد عشر شاعراً، وبلغت قصائدهم اثنتي عشرة قصيدة من مجموع شعراء الأصمعيات، وهي نسبة قليلة إذا قرنت بسابقتها، وبينّا أن بعضهم كان معاصراً للأصمعي، مما يدل على أن الأصمعي اختار هذه القصائد لجودتها، ولم ينظر فيها إلى العامل الزمني الذي اتخذه في الفحولة عندما توقف عن الحكم على شعر جرير

(1) الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص60. وردت كلمة سلوة معجمة.
(2) البكري: سمط اللآلئ، ج1، ص109.

والفرزدق[1]، واختار من أتوا بعدهم كأبي مهدية وغيره.

ويظهر من تقصّي تراجم شعراء الأصمعيات أن ما يقرب من نصف أولئك الشعراء أصحاب مكانة بارزة في التاريخ الأدبي عامة، وتاريخ الشعر العربي خاصة. وبينّا أن بعضهم من أصحاب المعلقات كامرئ القيس، وطرفة، وعبيد بن الأبرص. ومنهم أيضاً من كانوا سادة شرفاء في أوساط القبائل العربية وقبائلهم كأحيحة بن الجلاح، وأسماء بن خارجة، ودريد بن الصمة، وعبد قيس بن خفاف، وسحيم بن وثيل. وكان بعضهم فرساناً عرفتهم الجزيرة العربية بقبائلها، ومنهم من عرفته الأمم الأخرى وهم كُثُر منهم: الحارث بن عباد، وأسماء بن خارجة، وعمرو بن معديكرب. ومنهم أيضاً بعض الصعاليك؛ كتأبط شراً، وعروة بن الورد، وغيرهما. وبعض شعراء الأصمعيات يعدّون من أغربة العرب كخفاف ابن ندبة، وتأبط شراً. وفي هذا دليل على عدم وقوف الأصمعي في اختياره على جيل أو عصر دون آخر من جهة، ومن جهة أخرى فإن هؤلاء الشعراء يشكلون عصوراً تاريخية وأدبية مختلفة، وينتمون أيضاً إلى طبقات مختلفة في مجتمعاتهم، فمنهم من هو سيد ابن ملك كامرئ القيس بن حجر ملك كندة وقصة والده مشهورة. ولاحظنا أن منهم الفارس المشهور كأسماء بن خارجة، وعمرو بن معديكرب. وإلى جانب هؤلاء اختار الأصمعي قصائد لشعراء صعاليك. فلم يكن الأصمعي ينظر إلى مكانة الشاعر الاجتماعية، إنما كان يأخذ بمحتوى الشعر وما فيه من معانٍ وعادات افتخر بها العرب في عصور مختلفة.

أما مواطن هؤلاء الشعراء فهي مختلفة، وتتركّز قبائلهم شرقي نجد وغربها، وتصل إلى حدود البصرة حيث منازل عنزة وضبيعة، وفي الشمال الغربي دومة الجندل باتجاه بلاد الشام حيث تنزل ذبيان وفزارة من بطون قيس عيلان، وفي جهة الجنوب نجد منازل همدان، وكندة.

الأصمعيات في دواوين شعرائها

إن كثرة شعراء الأصمعيات تفرض النظر في دواوين بعضهم لبيان مدى اتفاق هذه القصائد واختلافها في الأصمعيات ودواوين شعرائها. وإذا نظرنا في القصائد التالية:

(1) انظر: فحولة الشعراء، ص24.

قصيدة امرئ القيس:

«ألا يا لَهفَ هِندٍ من أُناسٍ   هُمُ كانوا الشِّفاءَ فلمْ يُصابُوا»[1]

نجدها وردت في الديوان في الجزء المروي عن الأصمعي بالترتيب نفسه، وعدد الأبيات[2].

وقصائد خفاف بن ندبة الثلاث والمقطوعة، وهي على التوالي:

«ألا طَرَقَتْ أسْماءُ في غَيرِ مَطْرَقِ   وأنّى إذا حَلّتْ بنَجْرانَ نَلتَقي

وقوله:

طَرَقَتْ أُسَيماءُ الرِّحالَ وَدُونَنا   من فَيْدِ غَيقَةَ ساعِدٌ فكَثيبُ

وقوله:

يا هِندُ يا أُختَ بني الصّارِدِ   ما أنا بالباقي ولا الخالِدِ

وقوله:

لِمَ تأخذونَ سلاحَهُ لِقتالِهِ   ولِذاكُمُ عندَ الإلهِ إثَامُ»[3]

نجد القيسي جامع الديوان ومحققه أوردها كما هي تماماً[4].

ومن هذه القصائد قصيدة عامر بن الطفيل الأولى:

«لقد عَلِمَتْ عُليا هَوازنَ أنّني   أنا الفارسُ الحامي حَقيقةَ جَعفَرِ»[5]

ورد في مقدمتها في الديوان: «هذه القصيدة بعد يوم فيف الريح الذي فقأ فيه مسهر بن يزيد الحارثي عينه، فأضيف فيه عيب العور إلى عيب العقم، ويذكر اسم فرسه المزنوق،

(1) الأصمعيات، ص131.
(2) امرؤ القيس: ديوانه، ص138.
(3) الأصمعيات، ص21، 27، 29، 31.
(4) السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص27، 40، 44، 46.
(5) الأصمعيات، ص215.

وكان من أكرم الخيول العربية»[1]. وردت بالطول نفسه الموجود في الأصمعيات.

أما قصيدة العباس بن مرداس المنصفة، مطلعها:

«لأَسماءَ رَسْمٌ أصبحَ اليومَ دارِسا وأقْفَرَ منها رَحْرَحانَ فَراكِسا»[2]

وردت في الديوان بالطول نفسه[3].

وكذلك قصيدة عروة بن الورد:

«أقِلّي عليَّ اللّومَ يا ابنَةَ مُنذِرِ ونامي، فإن لم تَشتهي النّومَ فاسهَري»[4]

وردت في الديوان بشرح ابن السكيت بعدد الأبيات نفسها[5].

ونضيف إلى ما سبق قصيدة عمرو بن معديكرب العينية:

«أمِنْ رَيْحانةَ الدّاعِي السَّميعُ يُؤرِّقُني وأَصْحابِي هُجُوعُ»[6]

وردت أيضاً بالطول نفسه[7].

ونلاحظ أن القصائد السابقة جميعها قد وردت في دواوين شعرائها بالطول تفسه، كما اعتمد المحققون الذين حققوا بعض هذه الدواوين على رواية الأصمعي في تحقيقهم كما في ديوان خفاف بن ندبة.

وإذا نظرنا في قصيدة عامر بن الطفيل:

«ولَتَسْألَنْ أسماءُ وَهْيَ حَفِيَّةٌ نُصَحاءَها أَطُرِدْتُ أم لم أُطرَدِ»[8]

---

(1) ابن الطفيل: ديوان عامر، ص61.
(2) الأصمعيات، ص204.
(3) ابن مرداس: ديوان العباس، ص68.
(4) الأصمعيات، ص43.
(5) ابن الورد: شرح ديوان عروة، ص66.
(6) الأصمعيات، ص172.
(7) الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص136.
(8) الأصمعيات، ص216.

نجد هذه القصيدة تنقص بيتاً في الديوان عنها في الأصمعيات(1)، مما يدل على أن هنالك قصائد نقصت أبياتاً قليلة عن الأصمعيات.

وإذا أتينا ديوان السموءل، ونظرنا في قصيدته التي مطلعها:

«نُطفَةً ما مُنِيتُ يومَ مُنيتُ   أُمِرَتْ أمرَها وفيها وُبيتُ»(2)

نجد فيه زيادة أربعة أبيات هي:

«وسليمانَ والحواريّ يَحْيَى   ومَنسيَّ يوسف كأنّي وَليتُ

وبَقايا الأسْباطِ أسباطِ يعْـ   ـقوبَ دارسِ التوراةِ والتابوتُ

وانقلابُ الأمواجِ طَورَيْنِ عن   موسى وبَعْدُ المُملَّكُ الطّالوتُ

ومُصابُ الإفرِيسِ حينَ عصى الله   وإذ صابَ حَيْنَهُ الجالوتُ»(3)

فإن هذه الأبيات وردت في الديوان، ولم تُذكر في الأصمعيات.

أما قصيدة عمرو بن معديكرب:

«ومُرْدٍ على جُردٍ شَهِدْتُ طِرادَها   قُبَيلَ طُلوعِ الشمسِ أو حينَ ذَرَّتِ»(4)

نجد فيها قوله:

«هتفت فَجاءتْ من زبيد عصابةٌ   إذا طَردَت فاءت قريباً فكَرَّتِ»(5)

زيادة على ما في الأصمعية.

وإذا نظرنا في القصيدة الشينية من قصائد عمرو بن معديكرب التي يقول فيها:

---

(1) ابن الطفيل: ديوان عامر، ص61.
(2) الأصمعيات، ص85.
(3) السموءل: ديوانا عروة بن الورد والسموءل، دار صادر، بيروت، 1384هـ/ 1964م، ص82.
(4) الأصمعيات، ص121.
(5) الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص44.

«أعـــــدَدْتُ لـلـحـربِ فَـضْـفَـاضَـةً دِلاصـــاً تَـشـنّـى عـلَـى الرّاهِشِ»[1]

فإننا نجد قوله:

«حـســامـاً تـــراه كـمـثـلِ الـغَـديـرِ عـلـيـه كـنَـمْـنـمـةِ الـنـاقِـشِ

وقوله:

إذا مــا جــرى قـلـتُ شـــواذ نـقـا تـنـحّـى عـنِ الــوابـلِ الـفـاحـشِ

وقوله أيضاً:

وســعــد أبـــو حــكــم مـنـصـبـي بـه كُـنـتُ أعْـلـو عـلـى الطائِشِ»[2]

وقعت زيادة على الأبيات الموجودة في الأصمعيات.

وفي قصيدة المتلمس التي مطلعها:

«تُـعَـيِّـرُنـي أُمّـــي رجـــالٌ ولـن تَـرى أخَــا كَــرَمٍ إلاّ بــأن يتكرَّما»[3]

فنجد قوله:

«يَـــداهُ أصـــابَــتْ هـــذه حَـتْـفَ هـذه فـلـم تَـجـدِ الأخـــرى عليها مقدما»[4]

ورد زيادة على ما في الأصمعية، وهذه الرواية مأخوذة عن الأصمعي. وهذا دليل على أن هنالك اختلافاً بسيطاً وقع في هذه القصائد، وكان منه زيادة بيت أو ثلاثة أو أربعة أبيات.

وإذا نظرنا في بعض القصائد الأخرى، كقصيدة ذي الإصبع العدواني، وهي:

«عَـــذيــرَ الــحَــيِّ مِـــن عَـــدْوا نَ كــانــوا حَــيَّــةَ الأرضــــــِ»[5]

---

(1) الأصمعيات، ص177. فضفاضة: واسعة يريد الدرع. الدلاص: اللينة البراقة الملساء. الرواهش: عصب الذراع.

(2) الزبيدي: ديوان عمرو، ص121.

(3) الأصمعيات، ص244. الضبعي: ديوان المتلمس: ص14. رواية الديوان «تعيرني أمي رجال ولا أرى».

(4) الضبعي: ديوان شعر المتلمس، ص14.

(5) الأصمعيات، ص72.

وردت في الديوان تبلغ ستة وعشرين بيتاً[1]، في حين وردت في الأصمعيات خمسة أبيات.

وكذلك قصيدة طرفة بن العبد:

«لا غَـــروَ إلاّ جـارَتـي وسُـؤالُـهـا   ألا هَـلْ لنا أهْـلٌ، سُـئِلْتِ كذلكِ»[2]

تبلغ في الديوان سبعة عشر بيتاً[3]، بينما وردت في الأصمعية خمسة أبيات فقط. وهذه القصائد يمكن عدها من القصائد التي وقع فيها اختلاف كبير بين الأصمعيات ودواوين أصحابها، وكان الاختلاف مرتبطاً بعدد الأبيات.

ووردت قصائد أخرى وهي قصيدة الأعشى الباهلي:

«قـد جـاءَ مـن عَـلِ أنـبـاءٌ أُنـبَّـؤُهـا   إلـيَّ لا عَـجَـبٌ منها ولا سُخُرُ»[4]

وردت في الأصمعية ثلاثة وثلاثين بيتاً، بينما وردت في ديوان الأعشى والأعشيين الآخرين ستة وأربعين بيتاً[5].

أما في الجمهرة فقد وردت القصيدة ثمانية وثلاثين بيتاً في المراثي[6]، وفي اختلاف كبير في الترتيب. وكذلك قصيدة امرئ القيس:

«نَـطْـعَـنُـهُـمْ سُـلْـكَـى ومَـخـلـوجَـةً   لَـفْـتَـكَ لأمَـيْـنِ عـلـى نَـابِـلِ»

ورد منها في الأصمعية أربعة أبيات بينما وردت في الديوان عشرة أبيات، مطلعها:

---

(1) العدواني: ديوان ذي الإصبع، جمع وتحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني وآخرون، مطبعة الجمهور، الموصل، 1973م، ص46.
(2) الأصمعيات، ص149.
(3) ابن العبد: ديوان طرفة، ص71.
(4) الأصمعيات، ص88.
(5) الأعشى، كتاب الصبح المنير، ص266.
(6) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج2، ص710.

يـــا دارَ مـــــاويّـــــةَ بـــالـحـــائِـــلِ   فـالـسَّـهْـبِ فـالـخَـبْـتَـيْـنِ مِـنْ عاقِلِ»[1]

أورد منها الأصمعي أبيات الفخر.

وقصيدة دريد بن الصمة:

«أرَثَّ جَـديـدُ الـحَـبـلِ مِـن أمِّ مَـعبَـدِ   عـاقِـبَـةٍ وأَخْـلـفَـتْ كُـلَّ مَوعِدِ»[2]

وردت في الأصمعية ستة وعشرون بيتاً. أما في الديوان فهي أربعة وأربعون بيتاً[3]. ونجد القصيدة ذاتها في الجمهرة سبعة وثلاثين بيتاً، في المنتقيات[4].

أما قصيدة كعب بن سعد الغنوي:

«أَخـــي مـا أَخِـــي لا فـاحِـشٌ عـنـدَ بَـيـتِـه   ولا وَرَعٌ عِـنـدَ الـلـقـاءِ هَيوبُ»[5]

ورد الجزء الأول منها في أربعة وعشرين بيتاً، والجزء الثاني في واحد وعشرين بيتاً منسوباً لغريقة بن مسافع.

وقال المحققان: «والقصيدة قصيدة كعب بن سعد الغنوي يقيناً»[6]. وفي الجمهرة وردت في اثنين وستين بيتاً، مع اختلاف في ترتيب الأبيات. وقوله:

«تـقـولُ سُـلَـيْـمـى مـا لِـجِـسـمِـكَ شاحِباً   كـأنّـكَ يـحـمـيـك الـشّـرابَ طـبـيـبُ»

ورد ترتيبه الثالث في الجمهرة، وهو مطلع الجزء المنسوب إلى غريقة في الأصمعيات، وقد وردت القصيدة في قسم المراثي في الجمهرة.

والذي يظهر على القصائد الثلاث الأخيرة شدة الاختلاف من حيث عدد أبياتها وترتيب الأبيات بين الأصمعيات ودواوين أصحابها.

---

(1) امرؤ القيس: ديوانه، ص129.
(2) الأصمعيات، ص106.
(3) الجشمي: ديوان دريد بن الصمة، ص45.
(4) القرشي: جمهرة أشعار العرب، ج2، ص581.
(5) الأصمعيات، ص95.
(6) المصدر نفسه، ص98.

وما يلاحَظ على هذه القصائد أن اختلافاً في الروايات ورد في الشطر أو البيت، وهذا أمر طبيعي فرضته طبيعة الشعر العربي وحياته، ولا يمكن لهذا الاختلاف البسيط أن يغيّر من اتجاه القصيدة، وليس وراء ذلك إلاّ تعدد الروايات، وانتقال الشعر بين الرواة.

أما القصائد التي ورد فيها اختلاف كبير، فمن المرجح فيها أن هذا الاختلاف قديم ويرجع إلى عصر الرواة أو التدوين كقصيدة دريد بن الصمة السابقة. أو يكون صاحب الاختيار قد اكتفى من بعض هذه القصائد بأبيات شواهد على أغراض دون غيرها. ومن الأدلة التي بين أيدينا قصيدة امرئ القيس اللامية. فهي في الديوان عشرة أبيات، وفي الاختيار أربعة أبيات يصف فيها طعنهم بني أسد، وخيلهم، ويفخر بالثأر منهم، وباستباحته الخمر. وكذلك قصيدة طرفة بن العبد، فقد حُذِفَ منها الأبيات التي تحدث فيها عن خطاب الشاعر لابنة مالك، وتتضمن الشوق والوجد ووصف المسافة بينهما، وذكر نساء أخريات ومدح سعد بن مالك. وآخرها ثلاثة أبيات في الفخر. وهذا يبيّن أن الأصمعي قد انتقى بعض الأبيات انتقاءً يخدُم غرضه الأساسي. واستخدم بعض محققي الدواوين رواية الأصمعي في الأصمعيات بترتيبها في تحقيق دواوين بعض الشعراء.

الأصمعيات وفحولة الشعراء

إذا راجعنا الأصمعيات وكتاب فحولة الشعراء، نجد بعض الشعراء من الشعراء الذين أثنى عليهم الأصمعي في الفحولة، قد أورد لهم قصائد في الأصمعيات. وكان من هؤلاء الشعراء من لقّبه بالفحل، ومنهم من استجادَ له قصيدة واحدة أثبتها في الأصمعيات. وبلغ عدد الشعراء خمسة عشر شاعراً ترددت أسماؤهم في الأصمعيات وكتاب فحولة الشعراء. وجعل أول الشعراء امرأ القيس، قال: «بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذاهبه»(1).

وقال عن أبياته التي وقعت في الأصمعيات: «ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص13.

القيس:

وَقـــاهُـــمْ جَــدُّهُــم بِـبَــنـي أبـيـهـمْ   وبـالأشـقَـيْـنَ مـا كــان العِقابُ»[1]

ووردت له مقطوعة أخرى في الأصمعيات.

ومن الشعراء الذين سأل عنهم أبو حاتم؛ قيس بن الخطيم «قلت فقيس بن الخطيم؟ قال: فحل. قلت فالمرقشان؟ قال فحلان»[2]. وأورد في الأصمعيات قصيدة من شعر قيس مطلعها:

«رَدَّ الـخَـلـيـطُ الـجِـمـالَ فـانـصَـرَفـوا   مــاذا عـلـيـهـمْ لـوْ أنَّــهـم وَقَفوا»[3]

وتبلغ سبعة وعشرين بيتاً.

أما المرقشان، فيوجد في الأصمعيات مقطوعة للمرقش الأصغر، مطلعها:

«الـــــزِّقُّ مُـلْــكٌ لـمـن كـــانَ لـه   والـمُـلْـكُ مِـنـهُ طـويـلٌ وقَصيرْ»[4]

وتبلغ المقطوعة أربعة أبيات.

أما المرقش الأكبر فليس له ذكر في الأصمعيات المطبوعة، ولكن ابن قتيبة أشار إلى أن الأصمعي وضع في متخيّره قول الأعشى:

«هَـــلْ بـالـديـارِ أن تُـجـيـبَ صَـمَـمْ   لـو أنّ حَـيّـاً نـاطـقـاً كَـلَّـمْ»[5]

وتحدث عن شاعر آخر، قال: «وأرى أنّ مالك بن حَرِيم الهمداني من الفحول»[6]. وله في الأصمعيات قصيدة مطلعها:

---

(1) المصدر السابق، ص13. البيت في الأصمعيات، ص131. امرؤ القيس: ديوانه، ص138.
(2) المصدر السابق، ص20.
(3) الأصمعيات، ص196. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص101.
(4) المصدر السابق، ص153.
(5) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص72.
(6) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص23.

«جَزِعْتَ ولم تَجزَعْ من الشَّيْبِ مَجزَعا وقد فاتَ رِبْعِيُّ الشَّبابِ فودَّعَا»(1)

وتعد من القصائد الطويلة في الأصمعيات حيث تبلغ أربعين بيتاً.

وعندما سأله أبو حاتم عن المتلمس قال: «والمتلمس رأس فحول ربيعة»(2). وله في الأصمعيات قصيدة مطلعها:

«تُعيِّرُني أمّي رِجالٌ ولن تَرى أخَا كَرَمٍ إلاّ بأن يتكرّمَا»(3)

وتبلغ ثمانية عشر بيتاً يعاتب فيها خاله.

وكان الأصمعي أشار إلى مجموعة من الشعراء الفرسان، وكأنّه يريد بهم طبقة واحدة. قال أبو حاتم: «وسألته عن خُفاف بن ندبة، وعنترة، والزبرقان بن بدر، قال: هؤلاء أشعر الفرسان ومثلهم عباس بن مرداس»(4). وقد بينّا كيف حظي خُفاف بمنزلة لم يصل إليها شاعر آخر من شعراء الأصمعيات.

وورد اختيار من شعر عباس بن مرداس، وهي القصيدة المنصفة:

«لأَسماءَ رَسمٌ أصبحَ اليومَ دارِسا وأقْفَرَ منها رَحْرَحانَ فَراكِسا»(5)

وتبلغ القصيدة ثمانية وعشرين بيتاً.

وقال الأصمعي: «دريد بن الصمّة من فحول الفرسان»(6)، فكأنّ الأصمعي جعل دريداً في منزلة متقدمة على هذه الطبقة، وله في الأصمعيات قصيدتان ترتبطان بمقتل أخيه، أولاهما في رثائه، مطلعها:

«أرَثَّ جَديدُ الحَبلِ من أُمِّ مَعْبَدِ بعاقبةٍ وأخْلَفَتْ كُلَّ مَوعِدِ

(1) الأصمعيات: ص62.
(2) فحولة الشعراء، ص30.
(3) الأصمعيات، ص244. الضبعي: ديوان المتلمس، ص14. «تعيّرني أمي رجال ولا أرى».
(4) فحولة الشعراء، ص27.
(5) الأصمعيات، ص204. السلمي: ديوان العباس بن مرداس، ص68.
(6) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص30.

وقال في الثانية:

أيــا راكِــبــاً إمّــا عَــرَضْــتَ فـبَـلِّـغَـنْ أبَــا غــالِــبٍ أن قَــدْ ثَــأَرْنــا بِغَالِبِ»[1]

يفخر فيها بثأره من قاتلي أخيه، ويصف ما كان بينه وبين أعدائهم من حرب.

ومن هذه الطبقة أيضاً مالك بن نويرة، قال: «مالك بن نُوَيرة شاعر فارس مطيل»[2]. وله قصيدة، مطلعها:

«**إلاّ أَكُــــنْ لاقـيــتُ يــومَ مُـخَـطِّـطٍ فـقـد خَـبَّـرَ الـرُكـبـانُ مـا أتــــودَّدُ**»[3]

وتبلغ ستة عشر بيتاً.

ولدينا شعراء لم يقلْ: إنهم فحول، ومن هؤلاء: عروة بن الورد، وقال عنه: «شاعر كريم، وليس بفحل»[4]. ونجده اختار له قصيدته الرائية المشهورة.

وقال عن سَلامَة بن جَندَل «لو زاد شيئاً كان فحلاً»[5]. وأورد له في الأصمعيات قصيدته التي مطلعها:

«**لِـمَــن طَـلَـلٌ مِـثْـلُ الـكـتـابِ الـمُـنَـمَّـقِ خَـلا عـهـدُه بـيـنَ الصُّلَيبِ فَمُطرِقِ**»[6]

استهل القصيدة بذكر الأطلال، وسؤالها، ثم انطلق للحديث عن أسماء وتشبيهها، وتخلص إلى الفخر.

وقال الأصمعي عن أبي دواد: «صالحٌ، ولم يقل إنّه فحل»[7]. ولهذا الشاعر قصيدتان في الأصمعيات، الأولى أطولهما، مطلعها:

---

(1) الأصمعيات، ص106، وما بعدها. الجشمي: ديوان دريد بن الصمة، ص45، 27.
(2) فحولة الشعراء، ص37.
(3) الأصمعيات، ص192. اليربوعي: ديوانا مالك ومتمم ابني نويرة، ص59.
(4) فحولة الشعراء، ص21.
(5) المصدر السابق، ص30.
(6) الأصمعيات، ص132. ابن جندل: ديوان سلامة، ص153.
(7) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص22.

«مَـنَـعَ الـنّـومَ مـاوِيَ التَّـهْـمَـامُ   وجـديـرٌ بـالـهَـمِّ مَـن لا يَنامُ»[1]

يتحدث فيها الشاعر عن معاناته الهموم، ثم وصف الظعائن، ورحيلهن، ثم رثى من شعر بفَقْدِهم من أقاربه، وانتقل إلى وصف الإبل والخيل وما خاضَه من معارك.

أما القصيدة الثانية فمطلعها:

«ودارٍ يـقـولُ لـهـا الـرّائِـدو   نَ ويـلُ امِّ دارِ الـحُـذاقـيّ دَارَا»[2]

يصف فيها فرساً، وكان استهلّها بوصف دار اتخذها الرائدون مكاناً لهم، ثم انتقل إلى وصف الفرس والصيد.

وقال عن ابن لجأ التيمي «أنعتهم لمحلوب في الرجز»[3]. وأورد له قصيدة تبلغ أحد عشر بيتاً كلها في وصف الإبل، وسمنها وأعضائها، وصفاً دقيقاً.

ولدينا قصائد قد نصَّ عليها الأصمعي في حديثه عن الشعراء في الفحولة وجعلها في الاختيار، فعندما سأله أبو حاتم عن المهلهل قال: «ليس بفحل ولو كان قال مثل قوله، أَلَيلَتَنا بذي حُسُم أنيري، كان أفحلهم»[4]. ونجد القصيدة في الأصمعيات تتألف من تسعة أبيات يفخر فيها بالثأر من قاتلي كليب، ويصف ما ألحقه بأعدائه من هزائم ووقائع. وكان المهلهل أنصف أعداءهم في هذه القصيدة، قال:

«كـأنّـا غُـدْوَةً وبـنـي أبـيـنـا   بـجَـوفِ عُـنَـيـزَةَ رَحَـيَـا مُديرِ»[5]

وللمهلهل في الأصمعيات اختيار ثان يقع في خمسة أبيات، مطلعه:

(1) الأصمعيات، ص185. الإيادي، شعر أبي دواد: غوستاف فون غرنباوم، ترجمة: د. إحسان عباس وآخرون، منشورات دار الحياة، بيروت، 1959م، ص337.
(2) المصدر السابق، ص190. الإيادي: شعر أبي دواد، ص352.
(3) فحولة الشعراء، ص36.
(4) المصدر السابق، ص22.
(5) الأصمعيات، ص155. السندوبي، حسن: شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم، ط4، مطبعة الاستقامة، مصر، 1378هـ/ 1959م، ص277.

«يـا حَـــارِ لا تَـجـهَـلْ عـلـى أشـيـاخِـنـا إنّـــا ذَوو الـسَّـــوراتِ والأحْـــــلامِ»[1]

يحذر فيها قاتلي أخيه، ومنهم الحارث بن عباد البكري، ويفخر على عادة الشعراء والسادة العرب بالسيادة والمنزلة الرفيعة.

ومن الشعراء الذين ذكرهم كعب بن سعد الغنوي، قال: «ليس من الفحول إلاّ في المرثية»[2]. وأوردها قصيدتين في الأصمعيات.

وقال عن أعشى باهلة «من الفحول وله مرثية ليس في الدنيا مثلها»[3]. ومطلع القصيدة:

قـد جـــاءَ مـــنْ عَـــلِ أنـــبـــاءٌ أُنـبَّـــؤُهـــا إلــيَّ لا عـجَـبٌ مـنـهـا ولا سُخُرُ»[4]

والقصيدة في الأصمعيات طويلة وقعت في ثلاثة وثلاثين بيتاً. وقد أشرنا إلى الفرق في عدد الأبيات.

والأمر المستنتج من ورود بعض الشعراء في كتاب الفحولة والأصمعيات، أو ذكر قصائد بعينها في الفحولة ووجودها في الأصمعيات، يدل على أن هذا الاختيار لم يكن اختياراً عشوائياً من قبل الأصمعي، بل كان نتيجة اختيار راوية عالم بالشعر طالما ردد الأشعار في مجالس الخلفاء والوزراء. وأنه أورد هذه القصائد لمكانتها الفنية ومحتواها من عادات افتخر بها الشعراء العرب.

أبيات الأصمعيات في كتاب سيبويه

إذا نظرنا في كتاب سيبويه نجد أبياتاً من قصائد الأصمعيات ترد في فقراته، ونجد أيضاً مجموعة من شعراء الأصمعيات تتردد أسماؤهم في أبيات استشهد بها وليست من قصائد الأصمعيات. وسنقصر القول على أبيات الأصمعيات وما فيها من شواهد لغوية مرتبة حسب عصور شعرائها. أما عدد هذه الأبيات فهو تسعة في الأصمعيات. وكنا أشرنا إلى أن

(1) الأصمعيات، ص156.
(2) فحولة الشعراء، ص27.
(3) المصدر السابق، ص30.
(4) الأصمعيات، ص88. كتاب الصبح المنير، ص266.

الأصمعيات تزيد أو تنقص في دواوين شعرائها أحياناً.

الشعراء الجاهليون:

منهم جاريةُ بن الحجّاج «أبو دؤاد الإيادي»، والبيت من الأصمعية السادسة والستين:

«أَكُلَّ امرئٍ تَحْسَبينَ امرأً ونارٍ تَوقَّدُ باللّيلِ نارا

فاستغنيت عن تثنية كل لذكرك إياه في أول الكلام، ولقلة التباسه على المخاطب»[1]. فالشاهد في البيت نحوي؛ إذ حذف الشاعر لفظ كل ولم يكرره لرفع اللبس في معنى البيت.

ومنهم حُرْثانُ بن الحارث «ذو الإصبع العدواني». والبيت من الأصمعية الثامنة عشرة:

«عَذيرَ الحَيّ من عَدْوا نَ كانوا حَيّةَ الأرْضِ

الشاهد نصب عذير على تقدير فعل ووضعه موضعه»[2]. وورد البيت من الشواهد على الحذف كسابقه، حيث حذف الفعل ونصب مفعوله وأحلّه محله.

ومنهم طرفة بن العبد، أورد له سيبويه بيتاً من الأصمعية التاسعة والأربعين، هو قوله:

«رأَيتُ سُعوداً من شعوبٍ كثيرةٍ فلم تَرَ عيني مثلَ سعد بن مالك

الشاهد فيه جمع سعد مكسراً على سعود»[3]. استشهد سيبويه بالبيت في جمع أسماء الرجال والنساء، وليس في البيت ظاهرة لغوية أو شذوذ.

ومن هؤلاء عدي بن ربيعة «المهلهل». والبيت من الأصمعية الرابعة والخمسين، قال:

«يا حارِ لا تَجهَلْ على أشْياخِنا إنّا ذَوو السَّوَراتِ والأحْلامِ

الشاهد فيه ترخيم حارث، وعلته في الترخيم غلبته لكثرة استعماله بالتسمية»[4].

---

(1) سيبويه، أبو بشر: الكتاب، ط1، بولاق، 1316هـ، ج1، ص33. الإيادي: شعر أبي دؤاد، ص353.

(2) المصدر السابق، ج1، ص139. ذو الإصبع: ديوانه، ص46. العذير: العذر أو العاذر: يقال فلان حية الوادي إذا كان شديد الشكيمة حامياً لحوزته.

(3) المصدر السابق، ج1، ص97. ابن العبد: ديوان طرفة، ص72.

(4) سيبويه: الكتاب، ج1، ص335. يا حار: ترخيم للحارث بن عباد. السورات: جمع سورة، وهي الشرف.

وهذه الظاهرة كثيرة في الشعر العربي. وفي معلقة امرئ القيس مثالان هما قوله:

«أفاطمَ مهلاً بَعضَ هذا التدلّلِ وإنْ كُنتِ أزمَعْتِ صَرْمي فأجْمِلي

وقوله:

أحارِ تَرى بَرْقاً كأنَّ وميضَهُ كَلَمْعِ اليَدينِ في حبيٍّ مكللِ»[1]

ولم يشتبه الأمر عليهم لعلمهم بالأسماء وكثرة ورودها على ألسنتهم.

ومنهم مالك بن حَريم الهمداني والبيت في الأصمعية الخامسة عشرة، قال:

«فإنْ يَكُ غَثّاً أو سَميناً فإنّني سأجْعَلُ عَينَيْهِ لنَفسِهِ مَقْنَعا

أراد لنفسهي، فحذف الياء ضرورة في الوصل تشبيهاً بها في الوقف»[2]. وقع البيت في باب ما يحتمل الشعر؛ وحذف الياء لأن الشعر يحتمل ذلك، ويجوز فيه ما لا يجوز في النثر.

الشعراء المخضرمون:

ومنهم ضابئ البُرجُمي، والبيت من الأصمعية الرابعة والستين، قال:

«فمَن يَكُ أمْسَى بالمدينةِ رَحْلُهُ فإنّي وقَيّاراً بها لَغريبُ

أراد إني بها لغَريب وإنّ قياراً بها لغريبُ على مذهب سيبويه، فحذف من الأول اجتزاء بالآخر عنهما واحد فهو بمنزلة إنّي وقياراً بها لغريب»[3]. وفي هذا استغناء عن لفظ (غريب) في المرة الأولى والأمرُ بيّنٌ بعيدٌ عن اللبس.

ومنهم عامر بن الطفيل، والبيت في الأصمعية الثامنة والسبعين، قال:

«فَلأَبغِيَنّكُمُ قناً وعوارِضاً ولأقْبِلَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ

الشاهد فيه نصب «قناً وعوارض» بحذف الخافض لضرورة لأنهما مكانان مختصان

---

(1) امرؤ القيس: ديوانه، ص12، 24.
(2) سيبويه: الكتاب، ج1، ص10.
(3) المصدر السابق، ج1، ص38.

لا ينصبان نصب الظروف، فهما بمنزلة ذهبت الشام في الشذوذ»[1]. فالبيت من شواهد النصب على نزع الخافض.

ومنهم عمرو بن معديكرب، والبيت من القصيدة التي منها الأصمعية، قال:

«وخَيلٍ قدْ دَلَفْتُ لها بخيلٍ تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ

الشاهد فيه جعل الضرب تحية على الاتساع»[2]. ولا يوجد في البيت شذوذ أو ظاهرة لغوية غير الاتساع في استعمال الألفاظ.

الشعراء الإسلاميون:

ذكر سيبويه في باب تحقير الأسماء المبهمة بيتاً من أبيات كعب بن سعد الغنوي، في الأصمعية الخامسة والعشرين، قال:

«وخَبَّرْتُماني أنّما الموتُ في القُرى فَكيفَ وهاتَا هضْبَةٌ وقَليبُ

الشاهد في قوله هاتا ومعناه هذه، فإذا صغرت هذه قلت هاتيا على لفظ هاتا لئلا يلتبس بالمذكر»[3]. ونلاحظ أن سيبويه لم يذكر في استعماله هذه الأبيات شذوذاً أو ظاهرة قليلة الاستعمال في لغة العرب.

وتبين هذه الأبيات أنه كان لبعض الأصمعيات رواج في أوساط علماء ذلك العصر.

(1) سيبويه: الكتاب، ج1، ص82. في الأصمعية: لأهبطنّ الخيل. ابن الطفيل: ديوان عامر، ص55.
(2) المصدر السابق، ج1، ص365. البيت غير مذكور في الديوان.
(3) المصدر السابق، ج2، ص139. الهضبة: الجبل. القليب: البئر القديمة مطوية كانت وغير مطوية.

الأصمعيات ـ دراسة فنية

الوصف

وصف الطبيعة الثابتة:

نجد من بين ما وصفوه الأصيل، قال كعبُ بن سعد الغَنَوي:

«وعَافي الجَبا طَامي الجِمامِ وَرَدْتُهُ   بِذي خُصَلٍ ضَافي السَّبيبِ رَجيلِ

وقد نَفَّرَ اللّيلُ النهارَ وأُلْبِسَتْ   سَماوَةَ جَونٍ مُجنِحٍ لأصِيلِ»[1]

وصف الشاعر في هذين البيتين وروده تلك البئر التي تدفق ماؤها، ووصف جواده في البيت الأول، ثم وصف الأصيل حين شبّه الليل بإنسان وقد نفَّر النهار؛ أي أوشكت شمس النهار على الغروب حين ورد الماء يقود خلفه جواداً أصيلاً. وقال سلامة بن جندل:

«فعِزَّتُنا ليستْ بشِعْبٍ بحَرّةٍ   ولكنّهَا بَحرٌ بصحراءَ فَيْهقِ

يُقَمِّصُ بالبُوصِيِّ فيه غَوارِبٌ   متى ما يَخُضْها ماهرُ اللُّجِّ يَغرَقِ»[2]

نلاحظ فخر الشاعر بعزّته وقومه؛ حيث شبّه تلك العزة ببحر وجعل هذا البحر بصحراء لارتباطها في نفوسهم بالسعة التي تكاد تكون غير محدودة. وهم يرون الصحراء أكبر من البحر لتعاملهم معها أكثر من اقترابهم من البحر، ولكنهم لا يتراجعون عن تشبيه الشيء

---

(1) الأصمعيات، ص76. الجبا: ما جمع في الحوض من ماء السماء، اللسان ج18، ص139. العافي: الدارس، اللسان ج19، ص303. الجمام: ماء جمّ كثير، وجمعه جمام، اللسان ج14، ص371. الطامي: المرتفع. بذي خصل: بفرس له خصل من الشعر. ضافي السبيب: طويل شعر الذنب والعرف والناصية. الرجيل من الخيل القوي على المشي. ألبست: يعني الدنيا. الجون: الأحمر الخالص والجون الأبيض الخالص، اللسان ج16، ص254. سماوته: كسمائه. مجمع الأصيل: مائل إلى الأصيل.

(2) الأصمعيات، ص136. ابن جندل: ديوان سلامة، ص178. الشعب: الطريق في الجبل. فيهق: واسعة. يقمص: أي لا يستقر في موضع، اللسان ج8، ص350. البوصي: ضرب من السفن فارسي معرب، اللسان ج3، ص273. الغوارب: أعالي الماء. لج البحر: الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه، اللسان ج3، ص178.

الكبير الواسع بالبحر كما في تشبيه سلامة السابق. وكثيراً ما لفحت تلك الصحراء جباههم بحرّها في صيفهم، أو ببيرودتها في ليالي شتائهم نتيجة لطبيعة مناخها. وكان يزداد الفخر عند العربي بإطعام الضيف، وإيقاد النار في هذا الفصل أكثر من غيره من فصول السنة حيث الجدب، وجفاف الضرع والزرع. يقول أعشى باهلة[1] واصفاً شدة البرد:

«وأَجْحَرَ الكلبَ موضوعُ الصَّقيعِ به   وأَلْجَأَ الحَيَّ من تَنْفاحِهِ الحُجَرُ»[2]

فقد ازداد الصقيع حتى جعل الناس يلجؤون إلى غرفهم اتقاءً لشدته، ولم تقتصر تلك الشدة على البشر فقط، ولكن الإبل والكلاب قد انزوت في أماكنها لما لحق بها من الصقيع. وتشكل أوصاف فصل الشتاء وما يتصل به من برق ومياه صورة متكاملة الجوانب. وممن وصف البرق خفاف بن ندبة في قوله:

«فَدَعْ ذا ولكنْ هل تَرى ضَوءَ بارِقٍ   يُضِيءُ حَبيّاً في ذُرَى مُتألِّقِ»[3]

فالشاعر يشير إلى ضوء برق يظهر إلى ناظره، وهو يشق كبد السماء من وراء دجنة الليل، والسحاب المتجهم. كما وصف الشاعر ليالي الشتاء وما يعانيه الناس من مشقة في هذا الفصل، في حين نجده محطّ فخر عند آخرين.

ومن هؤلاء عبد الله بن عَنَمة[4]، في قوله راثياً بسطاماً:

---

(1) أعشى باهلة: عامر بن الحارث بن رياح بن ثعلبة بن وائل، جاهلي مجيد، عدّه ابن سلام في طبقة أصحاب المراثي. انظر: الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص169. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص14.

(2) الأصمعيات، ص89. الأعشى: كتاب الصبح المنير، ص267، والرواية فيه:

«وأحجرَ الكلبَ مبيضُ الصقيع به   وضمّت الحيّ من صُرادِها الحُجَرُ»

أحجره: أحجره إلى كذا ألجأه، اللسان ج5، ص187. الصقيع: الذي يسقط من السماء بالليل شبيه بالثلج. تنفاحه: من النفح وهو شدة الدفع. الحجر لكل شيء يحتفر في الأرض إذا لم يكن من عظام الخلق، اللسان ج5، ص187. ألجأتهم الحجر: عصمتهم.

(3) الأصمعيات، ص25. السلمي: شعر خفاف، ص36. الحبي من السحاب المتراكم، اللسان ج18، ص174. الذرى: جمع ذروة وذروة كل شيء أعلاه.

(4) عبد الله بن عَنَمة الضبي شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم. التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص154. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص389. البغدادي: الخزانة، ج3، ص580.

«فَإنْ تَجزَعْ عليه بَنُو أَبِيه ... لقد فُجِعُوا وفاتَهُمُ خَليلُ

بِمِطعامٍ إذا الأشوالُ رَاحَتْ ... إلى الحُجُراتِ ليسَ لها فَصِيلُ»[1]

فالشاعر يشيد بكرم بسطام ولاسيما أنه كان مطعاماً في زمن الجدب عندما شالت النياق وجفت ضروعها. وفي هذا الوقت لا يستطيع الإطعام إلاّ من كان صاحب منزلة في قومه وصاحب أموال تجود بها نفس كريمة. وافتخر الشعراء ببذلهم في هذا الزمن، قال المنخّل اليشكري:

«وإذا الرّيَاحُ تكَمَّشَتْ ... بجَوانبِ البَيتِ الكَبيرِ

أَلْفَيتِني هَشَّ النَّدَى ... بشَريج قِدْحي أو شَجيري»[2]

وهذا يدل على أن بيته لم يزل مجلساً لأصحابه الذين يقضون وقتهم في ألعاب اعتادوها. وهذا يدعو إلى إكرام الزائرين والقيام على حاجتهم، ولا يقدر كل إنسان على القيام بمثل هذا العمل. ووقع مثل هذا القول في قصيدة كعب بن سعد الغنَوي في رثاء أخيه[3]، وكذلك في قصيدة دريد بن الصمة[4]. ويقول سِنانُ بن أبي حارثة مفتخراً:

«وقد يَسَرْتُ إذا ما الشَّولُ رَوَّحها ... بَردُ العَشِيِّ، بشَفّانٍ وصُرّادِ»[5]

فالشاعر يفخر بتقديم الطعام في زمن شالت فيه الإبل، وساقها برد المساء إلى أماكن تتقي فيها شره. وتظهر هذه الصورة واضحة عند عِلْباء بن أرقَمَ في قوله:

«وإذا العَذارَى بالدُّخانِ تقَنَّعَتْ ... واستَعْجَلَتْ نَصْبَ القُدُورِ فمَلَّتِ

(1) الأصمعيات، ص37. الأشوال: هي الإبل التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها. الفصيل: ولد الناقة.
(2) الأصمعيات: ص59. تكمشت: أسرعت. الشريج: قدحه الذي هو له. والشجير: الغريب. والشريج أن تشق الخشبة بنصفين فيكون أحدهما شريج الآخر.
(3) المصدر السابق، ص96.
(4) المصدر نفسه: ص108.
(5) المصدر نفسه، ص209. روحها: ردها رواحاً. الشفان والصراد: ريحان باردتان، والشفان معها قطر وهو مأخوذ من الشفيف. الصراد: من الصرد وهو البرد، اللسان ج4، ص235.

دَرَّتْ بـــــأَرْزاقِ الـعِـيـالِ مَـغـالِـقٌ   بـيَـدَيَّ مـن قَـمَـعِ العِـشَـارِ الجِلَّةِ»[1]

فالشاعر يفخر بلعب الميسر، وإطعام الضيف، والفقير في زمن الجدب والبرد حين أصبحت العذارى تطيق الاقتراب من الدخان الذي بات كأنه قناع لهن، ولم يستطعن انتظار نصب القدور، ونضج ما بداخلها، فمللن في الدار. وفي هذا الزمن نجد الشاعر يفخر بأنه يطعم الفقراء من ذرى أسنمة عشار الإبل، وهذا كناية عن شدة كرمه فهو لم يدع تلك العشار حتى تنتج. ونرى أن وصف الشتاء كان مرتبطاً بإظهار شدة الجدب من جهة، والفخر بالكرم، ولعب الميسر، وزجر القداح، من جهة أخرى. وكان لزاماً على الكريم القِرى إذا الإبل شالت، أو نحر هذه الإبل في أوقات أخرى من أجل تقديمها لمن يستحقها من ذرية، وفقراء، وطارقين. ويتصل بالشتاء وصف السحاب، والغدران، قال سبيع بن الخطيم:

«ومُـسـيَّـبٍ خَـصِـرٍ ثـوى بمضَـلَّة   وإذا تُـحـرِّكُـهُ الـرِّيـاحُ يَـزيـفُ
حَـلَّـتْ بـه بـعـدَ الـهـدُوِّ نِطاقَـهـا   مـسْـعٌ مُـسـهَّـلَـةُ الـنِـتـاجِ رجُـوفُ
تَـزَعُ الـصَّـبـا رَيـعـانَـهُ ودَنَـتْ له   دُلُـحٌ يَـنُـؤْنَ عِـظـامُـهُـنَّ ضَـعـيـفُ
تَـنـفِـي الـحَـصَـى حَـجَـراتُـه فـكـأنَّـهُ   بِـرِحَـالِ حِـمـيَـرَ بالضُّحَى مَحْفوفُ»[2]

نرى الشاعر قد وصف تلك السحابة التي تدفعها رياح الجنوب إلى أن حلّت في هذه الأرض، وكأن ماءها يتدفق من فم مزادة بسبب غزارته، حتى ملأت ذلك الغدير البارد، الذي شبّه حركة أمواجه بحركة النعامة وقد بدأت في عدوها، وقد اكتنفت السحاب رياح تداعت عليه من كل جانب إلى أن حطّ رحالَه في المكان الذي أصبح نواره كأنّه رحالُ ملوك مزركشة الألوان. ونجد وصفاً للغدران في قول تأبط شراً:

(1) الأصمعيات، ص162. ملت: شوت الخبز أو اللحم في الملة. العيال: ج: عيل وهو الفقير. المغاليق: ج: مغلق وهي القداح. القمع: أعلى السنام من البعير والناقة وجمعها قمع. العشار: ج: عشراء وهي التي مضى لحملها عشرة أشهر. الجلة: جلت الناقة إذا أسنت.

(2) الأصمعيات، ص223. المسيب: الغدير المتروك. الخصر: البارد من كل شيء. الزفيف: سرعة المشي، وقيل هو أول عدو النعام. المسح: الجنوب. الرجوف: الرعد. تزع: الزعزعة تحريك الشيء. الريعان: أول الشيء. دُلح: الدلوح هي الثقيلة لكثرة مطرها. ينؤن: ينهضن. حجراته: نواحيه، يريد شدة وقع المطر. وخص حمير؛ لأنهم ملوك فرحالهم مختلفة الألوان.

«وشِعْبٍ كشَلِّ الثَّوْبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ مَجامِعُ صَوحَيهِ نطافٌ مَخاصِرُ
بهِ من سُيُولِ الصّيفِ بِيضٌ أقَرَّها جُبارٌ لصُمِّ الصّخرِ فيه قَراقِرُ»[1]

يقول إن تلك الغدران بقيةٌ من سيل جبار ترك أثراً في الصخور الصماء، وكان اقتلع بعضها من مكانه. ولعله يصف تلك الغدران بالبيض لصفائها، وبرودة مائها.

ويتصل في وصف الشتاء أيضاً وصفهم للركايا، والمياه الآجنة، قال تأبط شراً:

«به سَمَلاتٌ من مياهٍ قَديمةٍ مَوارِدُها ما إنْ لَهُنَّ مَصادِرُ»[2]

يؤكد الشاعر خبرته للشعب الذي اجتازه دون ليل، أو وصف من خبير لذلك المكان، ولكنه دخله، ويتبعه أصحابه كأنه على دراية بكل ما فيه حتى هذه السملات فهو يعرفها معرفة تامة. ويظهر من كل ذلك أن وصف الشتاء، وما يتصل به قليل إذا قورن بغيره من الأوصاف. ويرتبط وصف الشتاء بإظهار معاناة بعض الناس، واختيار بعضهم الآخر هذا الفصل بالذات لإظهار صفة الكرم التي كثيراً ما افتخر بها العرب. وكان هذا الوصف مرتبطاً ببعض العادات العربية التي توارثها العرب جيلاً بعد جيل.

وصف أدوات الحرب:

وصف الشعراء أدوات الحرب جميعها ومنهم أسماءُ بن خارجة في قوله:

«ورَأَيْتُ حَقّاً أنْ أُضَيِّفَه إذْ رامَ سِلْمي واتّقَى حَربي
فَوقَفْتُ مُعتاماً أُزاوِلُها بِمُهنَّدٍ ذي رَوْنَقٍ عَضْبِ
فعرَضْتُهُ في ساقِ أسْمَنِها فاجْتازَ بينَ الحاذِ والكَعْبِ»[3]

---

(1) الأصمعيات، ص125. تأبط شراً: ديوانه، ص94. الشعب: الطريق في الجبل. الطريق الشكس: الذي يصعب الذهاب فيه. الصوحان: جانبا الجبل أو حائطا الوادي. النطاف: جمع نطفة، وهي ما يجتمع من ماء المطر في موضع. مخاصر: باردة. بيض: الغدران. أقرها: تركها. جبار: يقصد به سيلاً.

(2) الأصمعيات، ص125. سَمَلاتٌ: ج سملة، وهي بقية الماء في الحوض، اللسان ج13، ص367.

(3) الأصمعيات، ص51. معتاماً: مختاراً، الاعتيام: الاختيار. المزاولة: المحاولة والمعالجة، اللسان ج13، ص333. الحاذ: ما وقع عليه الذنب من أوبار الفخذين، اللسان ج5، ص19.

يصور الشاعر قصة قراه لذئب جائع، وكيف أقدم على إبله وهو يحمل سيفاً ذا غربٍ قاطع، يعود في أصل صناعته إلى بلاد الهند، وكثيراً ما افتخر العرب بهذا اللقب للسيوف. ثم وصف الشاعر كيف عرقب أسمن هذه الإبل. وكان السيفُ ولم يزل موضع فخر واعتزاز للإنسان العربي، وهو أيضاً رمز لأدوات الحرب الأخرى، وذكره شعراء آخرون في الأصمعيات، قال سَلامةُ بن جندل:

«إذا الهُندُوَانيّاتُ كُنَّ عِصِيَّنا بها نَتَأيّا كلَّ ساقٍ ومَفرِقِ

نُجَلّي مِصاعاً بالسّيوفِ وجوهَنا إذا اعتَفَرَتْ أقدامُنا عندَ مَأزِقِ»[1]

ومثله في قول حَجْل بن نَضْلَة[2]:

«ومُهنَّدٌ في مَتنِهِ حَرَجِيَّةٌ عَضبٌ إذا مَسَّ الضَّريبةَ مِفصَلُ»[3]

ويظهر اقتراب المعنى في هذه الأبيات؛ حيث كانت السيوف موضع افتخار، وانتصار على أعدائهم. فسلامة يفخر بالسيوف الهندية، وباعتمادهم لقبيلهم يضربون هامه ومفاصله. وجعل حَجْلٌ هذه السيوف شديدة الفصل عندما تنال الضريبة، وكنّى عن كثرة استعمالها بما بقي عليها من آثار.

أما في قول زَبّان بن سيّار:

«أعدَدْتُها لبَني اللَّقيطةِ فَوْقَها رُمْحي وسَيفٌ صَارمٌ وشَليلُ»[4]

فقد أعد لأعدائه كل ما يؤذيهم، ويؤدي إلى هلاكهم من فرس محكمة الخلق، وسيف قاطع صقيل، ورمح، وما يجمع هذه الأدوات هو حدّتها، وافتخار أصحابها بها. ويتبع هذه

---

(1) الأصمعيات، ص136. ابن جندل: ديوان سلامة، ص180. الهندوانيات: السيوف المنسوبة إلى الهند. العصي: ج عصا. نتأيا: نقصد، وتأيا الشيء تعمد آية شخصه. المصاع: المقاتلة والمجالدة بالسيوف. اعتفر: تعفر.

(2) حَجْل بن نَضْلَة أحد بني عمرو بن عبد بن قتيبة من بني أعصر. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص82.

(3) الأصمعيات، ص139. حرجية: الحرج الإثم والضيق. مفصل: صيغة مبالغة من التفصيل.

(4) الأصمعيات، ص210. أعددتها: يريد فرسه. الشليل: يقصد الدرع. اللقيطة: هي نضرة بنت عصيم بن مروان من فزارة، سُموا بذلك «لأن أمهم زعموا التقطها حذيفة بن بدر في جوار وقد أضرت بهن السنة».

الأدوات وصف الدروع، قال المنخّل اليشكري:

«وفَوارسٍ كأُوَارِ حَرْ ... رِ النارِ أحْلاسِ الذُّكور

شَدّوا دَوابِرَ بَيضِهمْ ... في كلِّ مُحكَمَةِ القَتيرِ»(1)

فهؤلاء الفرسان كثر امتطاؤهم للجياد حتى كنى عنهم الشاعر بأحلاس الذكور، وهم متلببون بأسلحتهم. أما دروعهم فهي محكمة النسج والحلق، لا تخترقها الطعنات.

ويقول طريفٌ العَنبَري:

«تَحتي الأغَرُّ وفوقَ جِلدي نَثرَةٌ ... زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيفَ وهو مُثَلَّمُ»(2)

أضفى طريف على درعه صفتين هما: السَلاسة، والليونة، مما يسهل على الفارس استعمالها. أما متانتها في الحرب، فهي ترد السيف مثلماً إذا ما وصلها. ويقول عمرو بن معديكرب:

«أعْدَدْتُ للحربِ فَضْفاضَةً ... دِلاصاً تَثَنَّى عَلى الرّاهِشِ»(3)

ونلاحظ أن صفة اللين تكررت عند الشعراء الذين وصفوا الدرع، وانفرد عمرو بصفة السعة التي جعلها لدرعه، والمبالغة في وصف ليونتها حتى جعلها وكأنها تُثنى على ذراع لابسها. وإذا نظرنا إلى وصف السهام نجدها في قول عمرو بن معديكرب:

«وذاتَ عِدادٍ لها أزْمَلٌ ... بَرَتْها رُماةُ بَني وابِشِ

وكلَّ نَحيضٍ فَتيقِ الغِرارِ ... عَزُوفٍ عَلى ظُفُرِ الرّائِشِ»(4)

(1) الأصمعيات، ص59. الأوار: شدة الحر ولفح النار. الأحلاس: ج حلس وهو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل. البيض: قلانس الحديد. دوابرها: مآخيرها. القتير: رؤوس المسامير في الدرع.

(2) الأصمعيات، ص128. الأغر: فرسه. النثرة: الدرع السلسة المبلس وقيل هي الواسعة، اللسان ج7، ص42. الزغف: الدرع اللينة.

(3) الأصمعيات، ص177. الزبيدي: ديوان عمرو، ص121. فضفاضة: واسعة يريد الدرع. الدلاص: اللينة البراقة الملساء. الرواهش: العصب في ظاهر الدرع واحدتها راهشة، وراهش بغير هاء، اللسان ج8، ص196.

(4) الأصمعيات، ص177. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص122. ذات عداد: يريد القوس.

فهذه السهام من صنع بني وابش، ويبدو أنهم رماة حاذقون في صناعة القسي، وهي ذات صوت، وسهامها رقيقة عريضة الحدّ تسمع لها أصوات، وهذه خير صفات تكون عليها القوس. وقال أوس بن غلفاء يهجو يزيد بن الصعق:

«وهــمْ أدّوا إلـيـكَ، بَـنـي عَـديٍّ بــأفْــوَقَ نـاصِـلٍ وبـشـرٍّ ذَامِ»(1)

فقد استعمل أوس هذه السهام لذم يزيد عندما أدى إليه حقه بنو عدي، ولكن هذا الحق جاء ناقصاً. وقال التبريزي «وهذا مثل، والمعنى بحظ ناقص أحاط به الذم»(2). وشبهه الشاعر بالسهم الذي سقط نصله، ولم يستفد منه الفارس شيئاً.

وهذان الموضعان اللذان ذكرت فيهما السهام من أبيات الأصمعيات. أما الأبيات التي تناولت وصف الدرع فقد استعرضت صفاتها كافة فهي: محكمة القتير حيناً، ولينة طويلة أحياناً أخرى. وزاد عمرو بن معديكرب على صفة الليونة صفة الاتساع، وتشترك هذه الدروع في أنها ترد السيف مثلماً، ولا يسمع غير صليله، وتظهر فيه آثار الضربات وقد ثلمته. أما السيوف فهي هندية شديدة الفصل للضريبة.

وصف الحرب:

أما الحرب وما يتعلق بها من طعن وقتلى فقد حظيت بنصيب لا بأس به من الأصمعيات، ووردت أوصافها في قصائد كثيرة هي:

قصيدة عمرو بن الأسود من البيت الرابع إلى نهاية القصيدة. وقصيدة عمر بن حُنَيّ التغلبي فهي في وصف الحرب. وقصيدة مالك بن نويرة، ويبدأ فيها وصف الحرب من البيت الحادي عشر إلى نهاية القصيدة. وكذلك قصيدة المفضّل النُّكْري، ويبدأ فيها وصف

عدادها: صوتها ورنينها. الأزمل: الصوت، اللسان ج13،ص303. بنو وابش: قبيلتان: الأولى: بنو وابش بن دهمة بن سالم تنتهي إلى همدان، الثانية: بنو وابش بن زيد بن عدوان من قيس عيلان. النحيض: نحضت السهم أو السنان إذا رقعته، اللسان ج9، ص103. الغرار: هو المثال الذي يُضرب عليه النصل، اللسان ج6، ص413. الرائش: الذي يريش السهام.

(1) الأصمعيات، ص233. الأفوق: السهم الذي ذهب فوقه. الناصل: نصل السهم إذا خرج منه النصل، اللسان ج14، ص186.

(2) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص1571.

الحرب من البيت التاسع إلى نهاية القصيدة. وقصيدة عوف بن الأحوص وتبلغ تسعة أبيات، كلها في وصف الحرب. وسنتناول وصف مالك بن نويرة، والمفضّل النُكري.

أما قصيدة مالك فقد قالها في يوم من أيام الجاهلية، هو يوم (مخطط) وكان لبني يربوع على بكر بن وائل، ويعد مالك نفسه فارساً من فرسان قومه، وبدأ القصيدة بذكر ذلك اليوم، ثم وصف الحرب واستعدادهم لها هم وأعداؤهم في قوله:

«وقال الرئيسُ الحَوفَزانُ: تَلبَّبُوا   بَني الحِصْنِ إذ شارَفْتُم ثم جَدِّدُوا»(1)

ثم وصف قدومهم قال:

«فما فَتِئوا حتى رَأَونا كَأنّنا   مع الصُّبح آذِيٌّ من البحرِ مُزبِدُ
بملمومَةٍ شَهْباءَ يَبرُقُ خالُها   تَرى الشمسَ فيها حينَ ذَرَّتْ تَوقَّدُ
فما بَرِحوا حتى عَلَتْهُم كتائِبٌ   إذا لَقِيَتْ أقرانَها لا تُعَرِّدُ»(2)

فهو يصف الكتائب الخارجة إلى القتال بوصفين، أولهما: أنها كالموج المتلاطم المزبد. وثانيهما: أنها بيضاء لكثرة لمعان السلاح فيها، ولاسيما عندما تظهر الشمس عليها حيث يزداد اللمعان. فتبدو كأنها نار توقد. أما لواء تلك الكتيبة فكان واضحاً مميزاً رغم كثرة الكتائب المقاتلة، وفرسانها أشداء تميزوا بالشجاعة عند المنازلة. ثم وصف لقاء الفريقين قائلاً:

«ضَمَمْنا عليهم طايتيهم بِصائبٍ   من الطَّعنِ حتى استأسَروا وتَبدّدوا
بسُمرٍ كأشْطانِ الجَرورِ نَواهلٍ   يَجُورُ فيها زَوُّ المنايا ويَقْصِدُ
تَرى كُلَّ صَدْقٍ زاعِبيٍّ سنانه   إذا بَلَّهُ الأنْداءُ لا يتأَوَّدُ»(3)

---

(1) الأصمعيات، ص193. الحوفزان: هو الحارث بن شريك الشيباني. تلببوا: لبسوا السلاح.

(2) الأصمعيات، ص193. اليربوعي: ديوانا مالك ومتمم ابني نويرة، ص61. الآذي: الموج. ملمومة: كتيبة مجتمعة. شهباء: بيضاء لما فيها من بياض السلاح والحديد. الخال: اللواء يعقد للأمير. لا تعرد: لا تنفر.

(3) الأصمعيات، ص194. طايتيهم: جانبيهم، جاء الإبل طايات: قطعاناً. الجرور من الركايا والآبار البعيدة القعر، اللسان ج5، ص194. أشطانها: حبالها. زوّ المنايا: أحداثها. الصدق: الجامع للأوصاف

فقد ضمّ بنو يربوع على أعدائهم من كل جانب، وكانت وسيلتهم في ذلك طعن لا يخطئ مراميه حتى أسروا من وقع لهم أسيراً، وفرّ من استطاع الفرار. وكانت رماحهم كحبال بئر بعيدة القعر، وهذا كناية عن طولها وقوتها، والسلاح الطويل ينبئ بقدرة حامله وفروسيته، وهي رماح لا تُثنى إذا مسّها الندى. وطول هذه الرماح نجده في قول عنترة:

«يَـدعـونَ: عـنـترَ، والـرِّمـاحُ كـأنّـها أشْـطـانُ بِـئـرٍ فـي لَـبـانِ الأدْهَـمِ»[1]

أما صورة الموت أثناء لقاء هذه الكتائب فقد وصفها بقوله:

«يَـقَـعْـنَ مـعـاً فـيـهـم بـأيـدي كُـماتِـنـا كـأنَّ الـمَـنـونَ لـلأسِـنّـةِ مَـوعِـدُ

تُـدِرُّ الـعـروقَ الآبـيـاتِ ظُـبـاتُـنـا وقـد سَـنّـهـا طَـرٌّ ووَقْـعٌ ومِـبْـرَدُ

فـأقْـرَرتُ عـيـني حـيـن ظـلّـوا كـأنّـهُـم بـبَطْنِ الإيـادِ خُـشْـبُ أثْـلٍ مُسَنَّدُ»[2]

جعل قتل أعدائهم يكون جماعات، وكأن المنيّة كانت على موعد مع الأسنّة، والسيوف الحسنة التوقيع الحادة الجوانب. وهذا ما جعل الشاعر يقرّ عيناً حين ترك الأعداء ببطن الإياد. وزاد في وصفهم بأن شبههم بأصول الأثل كناية عن ضخامتهم وعدم حركتهم. وقال:

«صَـريـعٌ عـلـيـه الـطّـيـرُ تَـنـتِـخُ عَـيْـنَـهُ وآخَـرُ مـكـبـولٌ يَـمـيـلُ مـقـيّـدُ

لَـدُنْ غُـدوَةٌ حـتّـى أتـى الـلـيـلُ دُونَـهـم ولا تَـنـتَـهي عَـن مِـلـئِـها مـنـهُـمْ يدُ»[3]

فإن ذلك اللقاء كان غدوة، ولم يأت الليلُ إلا وقد أصبح جزء من الأعداء غذاءً للجوارح

المحمودة، والرمح يوصف بالطول، واللين والصلابة، اللسان ج12، ص61. الزاعبي: منصوب إلى زاعب رجل من الخزرج كان يعمل الأسنة.

(1) التبريزي، الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط3، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ص309. شرح ديوان عنترة، ص153.

(2) الأصمعيات، ص194. المنون: الموت. الظبات: جمع ظبة وهي حد السيف ونحوه. الطر: التحديد وطررت السنان حددته، اللسان ج6، ص170. الوقع: المطرقة أو المسن الطويل. بطن الإياد: موضع بالحزن لبني يربوع بين الكوفة وفيد. الأثل: أصول غليظة يسوى منها الأبواب، اللسان ج13، ص8.

(3) الأصمعيات، ص194. تنتخ: تنتزع وتقلع. المكبول: المقيد. لدن غدوة: في غدوة.

من الطير، والجزء الآخر مكبلاً بالسلاسل أسيراً. أما من لاذوا بالفرار فوصفهم قائلاً:

«فأصبحَ منهم يومَ غِبِّ لقائِهم بِقِيقاءَةَ البُرْدَيْنِ فَلٌّ مُطَرَّدُ
إذا ما اسْتَبالوا الخَيلَ كانَت أكفُّهُم فهم وقائعَ للأبْوالِ والماءُ أبْرَدُ
كأنّهم إذْ يَعْصِرون فُظوظَها بدِجْلَةَ أو فَيْضِ الخُرَيبةِ مَورِدُ»[1]

كان من آثار تلك الرحى الدائرة بين بني يربوع، وبني بكر بن وائل، أن نجت بعض فوارس بكر وائل لا يلوون، حتى على ماء يبلون به ظمأهم لما لحق بهم من تلك الحرب، وبلغ الأمر بالشاعر في فخره بهذه الهزيمة أن صوّرهم إذا ما استبالوا الخيل كأنهم على ضفاف دجلة وهو من الأنهار العذبة، أو على موارد البصرة، وخصّ الشاعر هذين الموردين لشهرتهما منذ العصور القديمة. وكانت نتيجة الحرب ظالمة على بكر وائل كما صوّرها الشاعر، فمنهم من بقي كالأثل المسند تنتخ عينه الطير، ومنهم من فرّ مستبولاً الجياد ليطرد حرّ صداه، وقد «نستطيع أن نجعل هذه القصيدة في عداد الملحمات الرائعة التي سجلها الشعر العربي»[2]، لما أظهرته من تصوير لرحى الحرب، والاستعداد لها، ونتائجها.

أما قصيدة المفضّل النُّكري، وهو جاهلي العصر من بني عدي بن شيبان، وأعداؤهم بنو عمرو بن عوف، والدوافع إلى دراسة هذه القصيدة هي: طولها بالنسبة لقصائد الأصمعيات، حيث تبلغ تسعة وثلاثين بيتاً، وذكره لأعدائهم وإنصافهم في فروسيتهم وشدتهم، ولعل هذا سبب تسميتها بالمنصفة.

ونلاحظ في هذه الأبيات صورة تنطق بأوار الحرب، ونيرانها، وصعوبة ممارستها، وبشاعة نتاجها. واستهل القصيدة على عادة الشعراء العرب بذكر الرحيل، قال:

«أَلَمْ تَرَ أنّ جِيرَتَنا استَقلّوا فَنِيّتُنا ونِيَّتُهم فَريقُ

(1) المصدر نفسه، ص195. غب لقائهم: أي بعده. القيقاءة: الأرض الغليظة. البُردان: غديران بنجد ويوم البردين من أيامهم. فَلّ: مهزومون وجاء فلّ القوم أي مهزوموهم. الوقائع: جمع وقيعة، وهي النقرة في الجبل. الفظوظ: الفظ: ماء الكرش يعتصر فيشرب منه عند عوزان الماء. الخريبة: موضع بالبصرة.
(2) الأصمعيات، ص194.

فـدَمـعـي لـؤلـؤٌ سَـلِـسٌ عُـراهُ   يَـخِـرُّ عـلى الـمَـهـاوي مـا يَليقُ»[1]

فقد أحس برحيل جيرانهم، وبدأ الشوق يتقد في صدره، ولم يستطع أن يملك نفسه عن البكاء، ثم بدأ بوصف بني حيي، قال:

«هُـمُ صَـبَـرُوا وصَـبْـرُهُـمُ تَـلِـيدٌ   عـلى الـعَـزّاءِ إذ بَـلَـغَ الـمَـضِـيقُ

وهـم دَفَـعـوا الـمَـنـيّـةَ فـاسْـتَـقَـلَّـتْ   دِراكـاً بَـعـدَ مـا كـادتْ تَحِيقُ»[2]

فهم معشرٌ صُبُرٌ، فرسانٌ لا يجزعون، ولا يخشون النوازل، بل يتجلدون في أحلك المواقف وأضيقها. ثم بدأ بعد هذه المقدمة بوصف مسيرهم إلى اللقاء، قال:

«تَـلاقَـيْـنـا بـغَـيـبَـةِ ذي طُـرَيـفٍ   وبـعـضُـهـمُ عـلـى بَـعْـضٍ حَـنـيـقُ

فَـجـاؤوا عـارضـاً بَـرِداً وجـئْـنـا   كَـسَـيـلِ الـعِـرضِ ضـاقَ بـه الـطَّـرِيـقُ

مَـشَـيـنـا شَـطْـرَهـم ومَـشَـوا إلـيـنـا   وقُـلـنـا الـيـومَ مـا تُـقْـضَـى الحقوقُ»[3]

فقد التقى الفريقان وفي صدر كل فريق منهم حقد قديم، يتقد، ويذكي المعركة بين الطرفين، وكل فريق يمني النفس من قبيلته. ثم وصف اللقاء بقوله:

«رَمَـيْـنـا فـي وجـوهِـهـمُ بِـرِشْـقٍ   تَـغَـصُّ بـه الـحَـنـاجِـرُ والـحُـلـوقُ

كـأنّ الـنَّـبْـلَ بـيـنَـهـمُ جَـرادٌ   تُـكَـفِّـيـهِ شـآمِـيَـةٌ خَـرِيـقُ

وبَـسْـلٌ أن تَـرى فـيـهـم كَـمِـيّـاً   كَـبـا لِـيَـدَيـهِ إلاّ فـيـه فُـوقُ

(1) الأصمعيات، ص200. استقل القوم: ذهبوا وارتحلوا. النية: النية والنوى الوجه الذي ينويه المسافر، اللسان ج20، ص222. العرى: جمع عروة، ويقال لطوق القلادة عروة، اللسان ج19، ص221. المهاوي: تهاوى القوم في المهواة إذا سقط بعضهم إثر بعض، اللسان ج2، ص246. يليق: ما يليق بكنه درهم ما يحتسب، اللسان ج12، ص209.

(2) الأصمعيات: ص200. التليد: القديم. العزاء: الصبر على كل ما فقدت، اللسان ج19، ص281. الدراك: اللحاق، ويعني طاق الفرس الوحشي، اللسان ج12، ص302.

(3) الأصمعيات، ص200. الغيبة: الهضبة من الأرض. طريف: اسم موضع، اللسان ج11، ص116. حنق: أحنق الرجل حقد حقداً لا يحمل، اللسان ج11، ص356. العارض: هو السحاب يعترض في أفق السماء. البرد: القر والبرد. العِرض: بكسر العين الوادي. ما تقضى الحقوق: أي قضاء الحقوق.

«يُــهَــزهِــزُ صَــعْــدَةً جَـــــرْداءَ فيـهـا   سِــنـانُ الـمَـوتِ أو قَــرْنٌ مَحيقُ»(1)

وهنا وصف اللقاء والتراشق بالسهام، وشبه النبل بالجراد الكثيف تقلبه ريح شديدة الهبوب. وهذا يجعله أكثر اقتراباً من بعضه وأسرع طيراناً، وأصابت هذه السهام المدلوكة الحادة فوارس كماةً، وكثيراً ما نجد من هؤلاء الفرسان من يحاول انتزاع سهم، أو سنان أو قرن من جسمه. كما وصف الشجر الذي اتخذوا منه قِسيّهم، قال:

«وجَـدْنـا الـسِّــدْرَ خَـــوّاراً ضعيفاً   وكــانَ الـنّـبـعُ مَـنـبِـتُـهُ وَثيقُ»(2)

فقد اختاروا شجر النبع يأخذون منه قسيّهم، لأن السِّدْر وجدوه لا يشفي غليلهم في مثل هذه المعركة. ولعل الصورة التالية في قوله:

«كــأنّــا هَــزيــزَنـا يــومَ الـتـقَـيْـنـا   هَــزيــزُ أَبـــــاءَةٍ فيـهـا حَـريــقُ
بــكُــلِّ قَـــــرارةٍ وبــكــلِّ رَيــــعٍ   بَـنــانُ فـتــىً وجُـمْـجُـمَـةٌ فَـلـيـقُ
وكـــم مـــن سَــيّــدٍ مـنـا ومـنـهـم   بِـذي الـطَّـرْفـاءِ مَـنـطِـقُـهُ شَهيقُ»(3)

تصور الحرب أصدق تصوير، من هول اللقاء، وكره النتائج. فالشاعر يشبه اللقاء بأجمة من القصب قد يبست، ثم اشتعلت فيها النار، وهذا وصف لشدة نار الحرب والتهامها كل ما تطاله. وكثُر القتلى حتى بات في كلِّ بقعةٍ من سهلها وحَزْنها أشلاء قتلى من الفريقين، وهم سادة في أقوامهم. ثم قال في وصف القتلى:

«بِــكــلِّ مَـجـالـةٍ غـــادَرْتُ خِـرْقـاً   مــن الـفِـتـيـانِ مَـبْـسِـمُـهُ رَقـيـقُ

(1) الأصمعيات، ص201. الرشق: الرمي بالسهام، اللسان ج11، ص407. تكفئه: تقلبه. شآمية: ريح تهب من الشام. الخريق: ريح خرقاء شديدة، اللسان ج11، ص360. البسل: بسل عبس من الغضب، والباسل الشجاع، اللسان ج13، ص56. الفوق: مشق رأس السهم. الصعدة: القناة المستوية. قرن: كانت العرب تضع مكان الأسنة القرن. المحيق: حاقه حوقاً دلكه، اللسان ج11، ص357. النبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسيّ، اللسان ج10، ص222.
(2) الأصمعيات، ص201.
(3) الأصمعيات، ص202. الهزيز: هزيز الريح دويها، اللسان ج7، ص291. الأباءة: القطعة من القصب، اللسان ج18، ص3. القرارة: المطمئن من الأرض، اللسان ج6، ص191. الريع: بالكسر الجبل، ومسيل الوادي من مكان مرتفع، اللسان ج9، ص497. ذو الطرفاء: موضع.

فـأشــبَـعْـنـا الـسِّـــبـاعَ وأشــبَـعـوهـا   فـــراحَـــتْ كـلُّــهـا تَـــئِـــقٌ يَـفــوقُ

تَــرَكْـنــا الــعُــرجَ عــاكِـفـةً عليهم   ولــلــغِــربــانِ مــن شِـــبَـــعٍ نَـغـيـقُ

فـأبـكَـيْـنـا نـســـاءَهُــمُ وأبْـــكَـــوْا   نــســاءً مــا يَــسُـــوغُ لـهـنَّ رِيـــقُ»(1)

فقد بقي من الفريقين قتلى تنعم بأشلائهم السباع والضباع، تعكف على مكان المعركة لتلتهم ما خلفته السيوف، والرماح. ثم عرض الشاعر إلى أثر هذه الحرب على أُسر القتلى ونسائهم التي باتت تبكي سادة شرفاء، وشبان أصبحت نساؤهم بحسرة دائمة. وقال في وصف أعدائهم، وعدد بعض قتلاهم:

«قَـتَـلْـنـا الـحَـارثَ الـوضَّـاحَ منهمُ   فَـــخَـــرَّ كـــأنّ لِـــمّـــتَـــهُ الــعُـــذُوقُ

أصـــابَـــتْـــهُ رِمـــاحُ بـنـي حِـيَـيٍّ   فَـــخَـــرَّ كـــأنـــهُ سَـــيـــفٌ دَلُـــوقُ

وقـــد قـــتَــلـــوا بِـــه مـــنّـــا غُــلامــاً   كَـريــمــاً لـــم تُـــؤَشِّـــبْـــهُ الــعُـــروقُ

وسَـــائِــلَـــةٍ بـثَـعـلـبـةَ بـــنِ سَـــيْـــرٍ   وقـــد أوْدَتْ بـثَـعْـلـبَـةَ العَلوقُ»(2)

فذكر الحارث، وهو من فرسان قومه قتله بنو حيي، فكان سقوطه كسيف سهل الخروج، وقُتل ثعلبة بن سيار في حين نالت رماح قوم الحارث شاباً كريماً ينحدر من أصول عربية شريفة. وكل هؤلاء ضحايا لهذه الحرب المهلكة. ولكن ما لبث أوار تلك الحرب أن خمد حين رأى هؤلاء الأقوام صبر بعضهم على القتال، والمجالدة، وعدم الاستكانة لرحى الحرب من جانب، ومن جانب آخر تذكّرهم لما بينهم من صلات قربى. قال:

«فـلـمـا اســتَـيـقَـنـوا بـالـصَّـبـرِ مِـنّـا   تُـــذُكِّـــرَتِ الـعَـشـائِـرُ والـحَـزيـقُ

---

(1) الأصمعيات، ص202. الخرق: بخسر الخاء: الكريم المتخرق في الكرم، وقيل الفتى الكريم الخليقة. التئق: الممتلئ نشاطاً. اليفوق: فاق يفوق أخذه البهر. العرج: العرجاء الضبع خلقة فيها والجمع عرج.

(2) الأصمعيات، ص203. العذوق: العذق القنو من النخل والعنقود من العنب وجمعه أعذاق وعذوق، اللسان ج12، ص109. الدلوق: سيف دالق ودلوق إذا كان سلس الخروج من غمده من غير سلّ وهو أجود السيوف، اللسان ج11، ص391. التأشيب: هو الخلط، يريد ثعلبة بن سيار فغيره للضرورة والعلق الدواهي، وفي اللسان، وقد علقت بثعلبة، اللسان ج12، ص133.

فأبْقَينا ولو شِئْنا تَرَكْنا لُجَيماً لا تَقودُ ولا تسوقُ
وأنْعَمْنا وأبْأَسْنا عَليهم لنا في كُلِّ أبْياتٍ طَليقُ»[1]

فكأن استيقان كل من الفريقين بصلابة الآخر، وما زهق من أرواح، جعلهم يتذكرون دماءهم ويكفّون عن استمرار القتال.

ويتبع الحرب وأوارها الطعن في ساحة الوغى. ومن الشعراء الذين وصفوا الطعن، دريد ابن الصمة، قال:

«تَكُرُّ عليهم رَجْلَتي وفَوارِسي وأُكْرِهُ فيهم صَعْدَتي غَيرَ ناكِبِ
فإن تُدْبِروا يأخُذْنَكُم في ظُهورِكم وإنْ تُقْبِلوا يأخُذْنَكُم في التّرائِبِ
وإن تُسْهِلوا للخيلِ تُسْهَلْ عليكمُ بِطَعنٍ كإيزاغِ المَخاضِ الضّوارِبِ»[2]

يصف الشاعر تدفق الدماء خلف الطعنة الحادة المستقيمة ببول الناقة الحامل، ويفخر بملاحقة أعدائهم وطعنهم أينما وجدوهم، فإن أقبلوا ففي الترائب، وإن أدبروا ففي الظهور، وإن أسهلوا فهذا أشد على الأعداء[3].

ويمكن القول بأن الطعن والطعنات حظيت بأوصاف معدودة تكررت في بعض أبيات الأصمعيات. فهي: مستقيمة، أو ملتوية، وهي خدباء[4]، أو سحساحةٌ مشلشلة، أو نجلاء. وتجمع بينها صفةُ جعلها ترشُ الدماءَ رشاً. وشبه دريد بن الصمة الدماء بالبول ترميه النياقُ الحواملُ وورد هذا الوصف عند مَقّاس العائدي. وأحياناً توصف الطعنة بعجز الطبيب عن

---

(1) الأصمعيات، ص203. الخريق: الجماعة من الناس، اللسان ج11، ص330. لجيماً: بطن، اللسان ج16، ص6. القود: ضد السوق وأكثر ما يكون القود للخيل والسوق للإبل.

(2) الأصمعيات، ص112. الجشمي: ديوان دريد، ص28، مع اختلاف الترتيب. الرجلة: جمع راجل؛ من ليس له ظهر في سفر يركبه. الصعدة: القناة التي تنبت مستقيمة. إكراهها: إدخالها بقوة. غير ناكب: غير عادل عنهم. الترائب: عظام الصدر وقيل ما ولي الترقوتين. تسهلوا: تنزلوا السهل من الأرض. الإيزاغ: إخراج البول دفعة واحدة. الضوارب من الإبل: التي تمنع بعد اللقاح. المخاض: الحوامل من النوق.

(3) انظر: وصف الطعن في الأصمعيات. قول مالك بن نويرة، ص194. قول مقاس العائدي، ص57. قول امرئ القيس، ص129. قول عدي بن رعلاء الغساني، ص152. قول صحير، ص237.

(4) الخدباء: الطعنة التي تهجم على الجوف.

مداواتها، كما في أبيات عَديّ بن رَعلاء الغساني، والأبيات المنسوبة لصحير بن عمَير.

وصف الرحلة والأطلال:

قال قيس بن الخطيم[1]:

«رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرَفوا ماذا عليهِمْ لو أنّهمْ وقَفوا
لو وَقفوا ساعةً نُسائِلُهُم رَيثَ يُضَحّي جِمالَهُ السَّلَفُ»[2]

بدأ الشاعر قصيدته بوصف الرحلة، وكان أهل الخليط قد أعادوا جمالهم من المرعى طلباً للعجلة في الرحيل، ويتمنى لو أنهم وقفوا ساعة ليودعَهم، ويشفي غليله، ثم أخذ في وصف لعوب من نسائهم. وقال المفضّل النُّكْري:

«ألم تَرَ أنّ جيرَتنا استقلّوا فنيَّتُنا ونيّتُهم فَريقُ
فدَمعي لؤلؤٌ سَلِسٌ عُراهُ يَخِرُّ على المَهاوي ما يَليقُ
عدَتْ ما رُمْتَ إذ شَحَطَتْ سُلَيمى وأنت لذكرِها طَرِبٌ مَشُوقُ»[3]

والمفضل يبدأ قصيدته بذكر الرحلة، وكان جيرانه قد ارتحلوا، وبانوا، ولذلك فدمعه يتهاوى ولا يستطيع أن يزجر عينيه عن البكاء حنيناً وشوقاً إلى أهل سليمى، ثم استمر في وصفها على عادة الشعراء العرب.

ولم تكن الرحلة في الأصمعيات كثيرة الذكر. أما الأطلال فقد تكرر ذكرُها في قصائد الأصمعيات. ومن الذين تناولوها بالوصف سلامةُ بنُ جَندل في قوله:

---

(1) قيس بن الخطيم بن عدي من الأوس شاعر جاهلي قوي الشكيمة، أعجب النبي بشعره ودعاه للإسلام، لكنه مات بعد البعثة بقليل. الجمحي: الطبقات، ص190. المؤتلف والمختلف، ص112. وفي معجم الشعراء، ص321، قال: اسمه ثابت بن عدي.

(2) الأصمعيات، ص196. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص101. الخليط: القوم الذين أمرهم واحد. ضحى جماله: رعاها بالضحى. السلف: الجماعة المتقدمون، اللسان ج11، ص58.

(3) الأصمعيات، ص200.

«لِمَنْ طَلَلٌ مِثلُ الكِتابِ المُنمَّقِ خَلا عهدُه بينَ الصُّلَيبِ فمُطرِقِ
أكَبَّ عليه كاتبٌ بدَواتِهِ وحادِثُهُ في العَينِ جِدَّةُ مُهْرَقِ
لأسماءَ إذْ تَهوى وِصَالَكَ إنّها كَذي جُدَّةٍ من وَحْشِ صَاحَةَ مُرْشِقِ»[1]

فهو يشبّه تلك الأطلال بكتاب أجاد كاتبه في كتابته، وتغير العهد على هذه الديار التي تبين الشاعر أنها ديارٌ كانت لأسماء في غابر الزمان. ونجد هذا الوصف في قول معاوية بن مالك:

«فإنّ لها مَنازلَ خاوِياتٍ على نَمَلى وقَفْتُ بها الرِّكابَا
مِنَ الأجْزاعِ أسْفلَ من نُمَيلٍ كما رَجَّعْتَ بالقلم الكِتَابا
كِتابَ مُحبِّرٍ هاجٍ بَصيرٍ يُنمِّقُه وحاذَرَ أن يُعَابا»[2]

فالشاعر يصف دياراً في بلاد بني عامر، وزاد في وصفها عن سابقه أن جعل صاحب هذا الكتاب على دراية، وبصيرة بالحروف، وتنميقها، وهو يخشى أن يعابَ عليه في شيء من ذلك الخط، فزاد اهتمامه به إلى حدٍّ بعيد. وقال عبد الله بن عَنَمة أيضاً:

«فَلمّا رأيتُ الدّارَ قَفْراً سألتُها فعَيَّ علينا نُؤيُها ورَمادُها
فلمْ يَبْقَ إلاّ دِمْنَةٌ ومَنازلٌ كما رُدَّ في خَطِّ الدّواةِ مِدادُها»[3]

ونلاحظ اعتناءَ الشعراء الثلاثة ووصفهم للديار الدارسة، والأطلال البالية، وقد ترددت في أبياتهم صورة الديار مشبهة بالكتاب الذي أخذ كاتبه ينمقه، وهو مكب مرة على كتابه،

(1) الأصمعيات، ص132. ابن جندل: ديوان سلامة، ص153. الطلل: ما شخص من الآثار. المنمق: نمق الكتاب حسّنه وجوّده، اللسان ج12، ص239. الصليب ومطرق: موضعان. حادثه: جديده. المهرق: الصحيفة البيضاء، اللسان ج12، ص244. الجدة: الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه، اللسان ج4، ص77. صاحة: موضع. المرشِق: من النساء والظباء التي معها ولدها، والارتشاق امتداد أعناقها وانتصابها، اللسان ج11، ص407.

(2) الأصمعيات، ص213. نَملى: موضع في ديار بني عامر. نُمَيلٌ: تصغير نملى. التحبير: تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه، اللسان ج5، ص228. الهاجئ: القارئ. التنميق: تسوية الحروف.

(3) المصدر السابق، ص226. النؤي: الحاجز من تراب حول الخباء. الدمنة: آثار الناس وما سودوا.

ومرة بصير بالكتابة والقراءة. وقال ضابئ البُرجمي[1]:

«غَشِيتُ للَيلى رَسْمَ دارٍ ومَنْزِلا ... أبَى باللِّوى فالتِّبرِ أنْ يتَحَوَّلا

تكادُ مَغانِيها تَقولُ منَ البِلى ... لسائِلِها عن أهْلِها لا تَغَيَّلا

وقَفتُ بِها لا قاضِياً لي حاجَةً ... ولا أن تُبينَ الدّارُ شيئاً فأَسْألا»[2]

فهذه الرسوم الدارسة أبت أن تبين لسائلها، كأنها أعجمي لا يجيب سؤالاً. فقد رأينا أن شعراء الأصمعيات تناولوا الأطلال بالوصف والتشبيه الذي لم يتعد هذين التشبيهين، فهي: إما كالكتاب المنمق، أو كالأعجمي لا تجيب شيئاً، وقد غيرها تعاقب الليل والنهار.

وصف الخيل:

حظيت الخيل بمنزلة خاصة تفردت بها بين ما وجد له وصف في الأصمعيات وزادت الأبيات التي ذكر فيها الفرس على ثمانين بيتاً، تناولت كل ما يتعلق بالفرس من وصف لجسمه، وارتفاعه، وقوائمه، وسرعة جريه. ونظراً لهذه الأهمية الخاصة سنحاول أن نتبين صورة هذا الجواد من خلال الأبيات. قال مالكُ بن حَريم يصف جسم فرسه:

«وتَهْدِي بي الخيلَ المُغيرَةَ نَهدَةٌ ... إذا ضَبَرتْ صابَت قَوائمُها معا»[3]

وقال عمرو بن معديكرِب:

«وقد أغدُو يُدافِعُني سَبُوحٌ ... شَديدٌ أسْرُهُ فَعْمٌ سَريعُ»[4]

---

(1) ضابئ بن الحارث البرجمي، كان رجلاً بذياً كثير الشعر، وكان بالمدينة. الجمحي: الطبقات، ص143. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص267.

(2) الأصمعيات، ص179. رسم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض. اللوى: موضع. التبر: موضع. المغني: المنازل التي كان بها أهلها، واحدها مغنى، اللسان ج19، ص372. لا تغيلا: لا تتغيل، المتغيل: الداخل في الشجر الكثير الملتف. وورد ذكر للأطلال في قصيدة العباس بن مرداس، ص204.

(3) الأصمعيات، ص66. تهدي الخيل: تتقدمها. النهدة: المرتفعة الخلق. ضبرت: ضبر الفرس جمع قوائمه ووثب، اللسان ج6، ص150.

(4) المصدر نفسه، ص174. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص113. السبوح: التي تسبح في سيرها. الأسر: الخلق. الفعم: الممتلئ، اللسان ج15، ص353.

وقال سَهمُ بن حَنظلة:

«مِـلءِ الـحِـزامِ إذا مـا اشْـتَـدّ مَـحزِمُـهُ   ذِي كـاهِـلٍ ولَـبـانٍ يَـمْـلأُ اللَّبَبا»[1]

وإذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد وصف الجواد يكاد يكون واحداً، فهو جواد ملء الحزام، ولببه ممتلئ.

ونجد مرادفاً آخر عند عمرو يكرب، فهو ممتلئ وأعضاؤه شديدة الأسر. وهي خيول مرتفعة الهياكل، وارتفاع الخيول يشكل أهمية بارزة في اختيارها؛ حيث يساعد ارتفاع الجواد على سرعة جريه، وتفرّده. ومن الشعراء الذين ذكروا ارتفاع الجياد، عامر بن الطفيل بقوله:

«فِـيـئـي إلـيـكِ، فـلا هَـوادَةَ بَـيـنَـنـا   بـعـدَ الـفـوارسِ، إذ ثَـوَوا بـالـمَـرْصَـدِ

إلاّ بـكـلِّ أحَـمَّ، نَـهْـدٍ، سَـابـحٍ   وعُـلالـةٍ مـن كـلِّ أسْـمَـرَ مِـذْوَدِ»[2]

وقال أبو دواد الإيادي:

«ضَـرُوحَ الـحَـماتَـينِ سـامي التَّـليلِ   وَثُـوبـاً إذا مـا انـتَـحـاهُ الخَبَارا»[3]

وقال دريد بن الصمة:

«سَليمِ الشَّظا عَبْلِ الشَّوَى شَنِج النَّسا   طَـويـلِ الـقَـرا نَـهْـدٍ أسـيـلِ المُقلَّدِ»[4]

---

(1) المصدر نفسه، ص54. ذي كاهل: أي عظيم الكاهل. اللَّبان: الصدر. اللبب: ما يشد على صدر الدابة أو الناقة... يكون للرحل والسرج يمنعها من الاستئخار، اللسان ج3، ص225.

(2) الأصمعيات، ص216. ابن الطفيل: ديوان عامر، ص75. فيئي إليك: ارجعي لنفسك. الأحم: الفرس لونه إلى السواد. النهد: العظيم المرتفع. العلالة: السقية الأولى، النهل، والثانية العلل، وأعللت الإبل أخرجتها قبل ريها، اللسان ج13، ص495.

(3) الأصمعيات، ص191. الإيادي: شعر أبي دواد، ص353. الضروح: الفرس النفوح برجله، اللسان ج2، ص375. الحماتان: اللحمتان المجتمعتان في ظاهر الساقين في أعاليهما، اللسان ج18، ص214. سامي التليل: مرتفع العنق. انتحاه: قصده. الخبار: من الأرض ما لان واسترخى، اللسان ج5، ص308.

(4) الأصمعيات، ص109. الجشمي: ديوان دريد، ص51. الشظا: عظم لاصق بالوظيف، وقيل عظم لاصق بالذراع، اللسان ج19، ص162. عبل الشوى: غليظ القوائم. القرا: الظهر. النهد: الجسيم المشرف.

وتتضح في هذه الأبيات صفة أخرى من صفات هذا الجواد، وهي أنه ضخم البنية مرتفع سامي الجسم، ويظهر ارتفاع عنقه لرائيه من بعيد. وارتفاع الفرس، وضخامة جسمه ملازمان لطول قوائمه. وقد تناول شعراء الأصمعيات قوائم هذا الجواد بالوصف، قال خُفاف بن ندبة:

«ونَهْبٍ كجُمّاعِ الثُّرَيّا حَوَيتُهُ غِشاشاً بمُحتَاتِ القَوائِمِ خَيْفَقِ»[1]

وقال أيضاً:

عَبْلِ الذّراعَين سَليمِ الشَّظا كالسِّيدِ تحتَ القِرَّةِ الصّارِدِ»[2]

فهذا النهب الذي جمعه خفاف، وشبّهه بالكواكب المجتمعة لكثرته، ساعده في جمعه فرس عظيم تدفعه قوائم عظيمة في خلقها، وهي أيضاً ممتلئة سليمة، وسلامة الفرس أمر لابد منه. قال الأسعَرُ الجُعْفيُّ:

«وإذا هو استَدبَرتَه فتَسُوقُهُ رِجْلٌ قَمُوصُ الوَقعِ عاريةُ النَّسا»[3]

وقال دريد بن الصمة:

«سَليم الشّظا عَبْلِ الشّوى شَنِج النَّسا طَويلِ القَرا نهْدٍ أسيلِ المقلَّدِ»[4]

فهذا الفرس قوائمه سليمة من الأمراض التي قد تؤدي إلى إعاقة سرعة الخيول. وبالاستطاعة القول: إن الصفات التي ذكرها شعراء الأصمعيات في قوائم الفرس هي العظم في تكوينها، وامتلاؤها والخفة في السير أو الجري، وكذلك سلامتها من الأمراض ولاسيما

---

(1) المصدر نفسه، ص23. السلمي: شعر خفاف، ص31. جماع الثريا: كواكبها المجتمعة. الغشاش: بكسر الغين وفتحها: العجلة. المحتات: العظيم الخلق. الخيفق: السريع الخفيف.

(2) المصدر نفسه، ص23. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص44. عبل الذراعين: ضخمها. الشظا: عظم لاصق بالركبة. السيد: الذئب، اللسان ج4، ص217. القرة: البرد. الصادر: البرد.

(3) المصدر نفسه، ص141. رجل قموص: من قماص الفرس إذا استن وهو يطرح يديه معاً ويعجن برجليه، اللسان ج8، ص350.

(4) المصدر نفسه، ص109. عبل الشوى: الشوى اليدان والرجلان، اللسان ج19، ص176. الشنج: المتقبض وهو مدح. القرا: الظهر وقيل وسط الظهر، اللسان ج20، ص34. الأسيل: الأملس المستوي، اللسان ج13، ص14. المقلد: موضع القلادة.

مرض النسا الذي يصيب الخيول.

أما عنق الفرس فنجد وصفه عند بعض الشعراء، منهم حاجب بن حبيب بقوله:

«طويلُ العِنانِ قليلُ العِثا ... رِ خاظِي الطّريقةِ رَيّانُها»(1)

وقال المفضّل النُّكري:

«تَشُقُّ الأرْضَ شائِلةَ الذُّنابَى ... وهادِيَها كأنْ جِذْعٌ سَحُوقُ»(2)

وتظهر في الأبيات صفات عنق الفرس فهو طويل ممتلئ كجذع النخلة، ويشترك الفرسان بصفة الامتلاء، وكنى حاجب عن طول عنق فرسه بطول العنان. وذكر الشعراء ناصية الفرس، ويطالعنا في الأصمعيات قول سَهم بن حنظلة:

«اِعْصِ العواذِلَ وارْمِ الليلَ عن عُرُضٍ ... بذي سَبيبٍ يُقاسي ليلَهُ خَبَبا»(3)

وقول كعب الغنَوي:

«وعافِي الجَبا طامِي الجِمامِ ورَدْتُهُ ... بذي خُصَلٍ ضافي السَّبيب رَجيلِ»(4)

ونلاحظ أن سهماً جعل لفرسه سبيباً ولم يحدده بالطول، أو القصر، بينما شبه كعب هذا السبيب بالخصل مما يزيد في جمال الفرس.

أما سرعة الفرس فقد تناولها كثير من الشعراء ومنهم حاجب بن حبيب بقوله:

يَجُمُّ على الساقِ بَعدَ المِتانِ ... جُموماً، ويُبلَغُ إمْكانُها»(5)

---

(1) الأصمعيات، ص220. الخاظي: الكثير اللحم، اللسان ج18، ص254. الطريقة: طريقة متنه. قليل العثار: يريد الإعثار فيه.

(2) المصدر نفسه، ص203. الهادي: العنق لتقدمه، وفي اللسان: جموم الشد شائلة الذنابى، اللسان ج20، ص338. الجذع: ساق النخلة. السحوق: الطويل.

(3) المصدر نفسه، ص54. السبيب من الفرس شعر الذنب والعرف والناصية، اللسان ج1، ص438. الخبب: ضرب من العدو، اللسان ج1ن ص330.

(4) المصدر نفسه، ص76. الجبا: محفر البئر والجبا شفة البئر، اللسان ج18، ص139. الطامي: المرتفع، اللسان ج19، ص239. الرجيل: القوي على المشي. انظر الأصمعيات، ص40.

(5) الأصمعيات، ص220. يجم: يكثر جريه. المتان: جمع متن وهو ما صلب من الأرض وارتفع.

وهذه صورة فريدة للفرس، وهو يزيد في سرعته إذا مراه فارسه، وخص تلك السرعة في الأرض الصلبة وهذا أظهر لسرعة الفرس، الذي يجم كالماء. وشبيه بهذا قول عامر بن الطفيل:

«إلاّ بكلِّ أحَمَّ، نهدٍ، سابحٍ، وعُلالةٍ من كلِّ أسْمَرَ مِذْوَدِ»(1)

فهو فرس ضخم في بنيته، وكأنه يسبح في سرعته، وهي من الصفات المستحبة في الجياد. وانفرد المفضّل النُّكري في تشبيه يقول فيه:

«وأفْلَتَنا ابنُ قُرّانٍ جَريضاً تَمُرُّ به مُساعِفةٌ حَرُوقُ»(2)

فهذه فرس كريمة لا تدع شيئاً من جهدها إلا دفعت به فهي تعدو بفارسها وكأنها تحرق نفسها. وقال معاوية بن مالك:

«إذا نَزَلَ السَّحابُ بأرضِ قوْمٍ رَعَيْناهُ وإن كانوا غِضابا
بكلِّ مُقَلِّصٍ عَبْلٍ شَواهُ إذا وُضِعَتْ أعِنَّتُهنَّ ثَابا»(3)

وهذه من صفات الجياد الكريمة، فإذا تراجعت الخيل عن مواصلة جريها، وجد الفارس عند هذا الجواد قوة ونشاطاً جديداً رغم تراجع الخيول الأخرى. وذكر خفاف بن ندبة سرعةَ الفرس في قصيدتين قال:

«إذا ما استَحَمَّتْ أرْضُه من سَمائِه جَرى وهو مَوْدُوعٌ وواعِدُ مَصْدَقِ
ومَدَّ الشِّمالَ طعْنُهُ في عِنانِه وباعَ كَبَوْعِ الشادِنِ المُتطَلِّقِ»(4)

---

(1) الأصمعيات، ص216. ابن الطفيل: ديوان عامر، ص57.

(2) المصدر نفسه، ص203. الجريض: يقال أفلت فلانا جريضاً أي يكاد يقضي، يجرض بريقه: يغص به، اللسان ج8، ص399. مساعفة حروق: يعني فرسه وفرس حراق إذا كان يحترق في عدوه.

(3) المصدر نفسه، ص214. السحاب: يريد به المطر. وضعت أعنتهن: عند التقصير في الجري.

(4) المصدر نفسه، ص24. السلمي: شعر خفاف، ص33. مودوع: من الدعة التي هي السكون، اللسان ج10، ص260. المصدق: بفتح الميم والدال الصدق في كل شيء. طعن الفرس في العنان: إذا مده وتبسط في السير. البوع: بسط الباع، اللسان ج9، ص369. الشادن: ولد الظبية إذا قوي واشتد. المتطلق: تطلقت الخيل إذا مضت مطلقاً لم تحتبس إلى الغاية، اللسان ج12، ص95.

وقال:

«حَامٍ على دُبُرِ الشِّياه كأنّه إذْ جَدَّ سَجْلٌ نَزُّهُ مَصْبُوبُ»[1]

نجد خفافاً قد وصف الجواد في صورتين تدلان على سرعته. وفي الأولى شبّه الجواد بالشادن المنطلق لا يلوي على شيء، وأشار إلى سرعته عندما غزر عرقه، وهذه من صفات كرام الخيول التي لا تبدأ بالجري الصحيح إلا بعد أن يزداد عرقها.

أما في الصورة الثانية: فتبدو صورة الفرس وهو ملازم للشياه في عدوها، والشياه من أسرع المخلوقات ولكن الجواد لم يدعها تفلت منه. وكنى الشاعر عن كثرة عرق هذا الجواد بتشبيهه بالدلو العظيمة.

وكان بعض الشعراء قد وصف وثوب الفرس ومنهم أبو دؤاد، قال:

«مَرْوحاً يُجاذِبُنا في القِيادِ تَخَالُ من القَودِ فيه اقْوِرَارا

ضَرُوحَ الحَماتَينِ سامي التَّليلِ وَثُوباً إذا ما انْتَحاهُ الخَبارا»[2]

وقال مالك بن حَريم:

«وتَهْدي بيَ الخيلَ المُغيرَةَ نَهدَةٌ إذا ضَبَرَتْ صابتْ قوائمُها معا

إذا وقَعَتْ إحدى يَديها بِثَبْرَةٍ تَجاوبَ أثناءُ الثَّلاثِ بدَعْدَعا»[3]

وأبو دؤاد جعل فرسه وثوباً في الأرض اللينة، وهذه صعبة عسيرة على الجياد إلا القوي منها. أما مالك فوصف الفرس بأنها ضخمة، تقع قوائمها معاً وإذا عثرت أو علقت إحدى قوائمها فلا يشعر بذلك فارسها لأنها اكتسبت من القدرة ما يجعلها لا تتأثر إذا عثرت.

(1) المصدر نفسه، ص28. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص42. الشياه: بقر الوحش. السجل: الدلو العظيمة، اللسان ج13، ص346.

(2) الأصمعيات، ص191. الإيادي: شعر أبي دواد، ص353. مروحاً: وصف من النشاط والخفة. القياد: الحبل الذي يقاد به. الاقورار: تشنج الجلد وانحناء الصلب هزالاً وكبراً. الضروس: الفرس النفوح برجله. الحماتان: اللحمتان في عرض الساق. سامي التليل: مرتفع العنق. انتحاه: قصده.

(3) المصدر السابق، ص66. تهدي الخيل: تتقدمها. النهدة: المرتفعة الخلق. ضبرت: جمعت قوائمها ووثبت. الثبرة: الهوة. أثناء الثلاث: معطفها. دعدع: كلمة تقال للعاثر.

وكثيراً ما استعملت الخيول السريعة في الصيد وارتبط ذكرها بذكر الظباء والقنص. قال أبو دؤاد:

«وبِتْنا نُغرِّثُهُ باللِّجامِ نُريدُ به قَنَصاً أو غِوَارا

وقال في وصف الصيد:

وباتَ الظّليمُ مكانَ المجَنْـ ـنِ تَسمَعُ بالليلِ منهُ عِرارا[1]

يقول: إنهم خرجوا بذلك الفرس يريدون غارة يشنونها، أو قنصاً يرقبون ظهوره عليهم. ولكن رحلتهم هذه كانت للصيد، وعنّ لهم ظليم وهو موصوف بسرعة عدوه ونشاطه، ولكنهم استطاعوا أن يلحقوا به حياً دون رمي.

وقال خفاف بن ندبة:

«يَصيدُكَ العَيْرَ برَفِّ النَّدا يَحْفِرُ في مُبتَكِرِ الراعِدِ»[2]

فخفاف يجعلُ صيدهم باكراً، حين تكون العير في أول نشاطها وهذا أقدر على حركتها وخفتها، وصعوبة اللحاق بها، وهو بدوره أظهر لقوة الفرس. وقال عقبة بن سابق:

«ويُرْدي الخاضِبَ الأَخْـ ـرَجَ في ذي عَمَدٍ صُهْبِ

وفَحْلَ العانَةِ الجُونِ الـ ـخِماصِ النُّحْصِ الحُقْبِ»[3]

وهذه من الصور الجميلة التي تظهر سرعة الجواد، وصيده للحُمُر الوحشية، حيث اعتمد الشاعر على إظهار الصفات التي تجعل الحمر سريعة، فالظليم كأنّ رجليه عمد،

---

(1) المصدر السابق، ص190. الإيادي: شعر أبي دواد، ص352. نغرثه: الغرث أيسر الجوع وقيل شدته، اللسان ج2، ص478. الغوار: الغارة. الظليم: ذكر النعام. المجن: الترس. العرار: صوت الظليم.

(2) الأصمعيات، ص30. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص42. العير: حمار الوحش. رف الندا: تلألؤه، والمراد أنه يصيد في البكور. الراعد: السحاب ذو الرعد.

(3) المصدر نفسه، ص42. يردي: يسقط. الأخرج: الذي لونه رمادي. عمودا الظليم: رجلاه. الصهب: جمع أصهب وصهباء، والصهبة: الحمرة. الخاضب: الذي احمرّت ساقاه، اللسان ج1، ص345. العانة: القطعة من إناث الحمير. النحص: جمع نحوص وهي الأتان الوحشية التي لا ولد لها. الحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض وقيل هو الأبيض، اللسان ج1، ص314.

أما الأتن فهي ضامرة، خمصاء، بيضاء البطون، ولا يوجد لها أولاد تعطف عليها، وفحلها بطبيعة الحال سيكون أشدّ وأقوى منها، ولكن الشاعر جعله يسقط أمام هذا الجواد ليظهر قدرته، ولشدة اعتناء فارسه به.

ووقع وصف واحد في الأصمعيات للفرس البطيء في قول أبي الفضل الكِنانيّ:

«ومُستَلْحَمٍ يَخْشى اللَّحاقَ وقد تَلا بـه مُبطِئٌ قد مَنَّهُ الجَرْيِ فاتِرُ

ضَعيفُ القُوى رِخوُ العِظامِ كأنّها حِبالٌ، نَضَتْهُ مُبطِئاتٌ مَحامِرُ»[1]

وإن كان الشاعر قد وصف هذا الجواد بالضعف والإبطاء، وقد أفرغت تلك المعركة جهده، فهو يريد إظهار نجدته، وقوته في الحرب. وهذا ما تظهره بقية القصيدة.

ولم تخلُ الأصمعيات من الإشارة إلى وضع التمائم على الجياد، قال خفاف بن ندبة:

«يُعْقَدُ في الجِيدِ عليهِ الرُّقَى مِن خِيفَةِ الأنفُسِ والحاسِدِ»[2]

وهذه العادة تدل على إكرامهم للجياد، وخوفهم عليها من الأذى والحسد، وهي عادة قديمة، ولم تزل قائمة.

ومن هذا الاستقراء تظهر لنا صورة الجواد متكاملة في الأصمعيات، فهو ضخم البنية، مرتفعُ القوائم، طويلُ العنق ممتلوءه، سليمٌ من الأمراض وقد عُلِّقَت في عنقه التمائم خشية عليه، وهو سريعٌ يردي الحُمُر الوحشية.

أما الصور التي استعملها الشعراء في إظهار سرعة الجياد فهي مستمدة من البيئة المحيطة بهم. واعتمد بعض الشعراء في ذلك على تصوير سرعة الحمر، والظباء، بمقارنة خفية فازَ في نهايتها الجياد. ويكاد يكون الوصف شاملاً لكل أعضاء الفرس في أبيات الأصمعيات.

---

(1) المصدر نفسه، ص77. المستلحم: الذي رهق واحتوشه العدو. تلا به: لحق به. منّه الجري: أضعفه وأعياه. الفاتر: فتر جسمه ولانت مفاصله وضعف، اللسان ج6، ص348. نضته: سبقته وتقدمته. محامر: جمع محمر لئيم يشبه الحمار في جريه من بطئه، والجمع المحامر، اللسان ج19، ص47.

(2) الأصمعيات، ص30. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص42.

وصف الإبل:

يحتل وصفُ الإبل المرتبة الثانية بعد وصف الخيل؛ حيث وصف الشعراء أعضاءها وكُلَّ ما يتعلق بها. وممن وصفوا أجسامها، عبد الله بن عنمة، قال في رثاء بسطام بن قيس:

«أَجــــدَّكَ لــن تَـــراهُ ولـــن تَـــراهُ تَــخُــبُّ بــه عُــذافِــرَةٌ ذَمُــــولُ»(1)

وقال عقبة بن سابق:

«تــعــسَّــفْــتُ عــلــى وَجْــنــا ءَ حَـــرْفٍ حَـــرَجٍ رَهْـــبِ

وقال:

وعَـــنْـــسٍ قـــد بَـــراهـــا لَـــذْ ذَةُ الـمَـوكِـبِ والـشَّـــرْبِ»(2)

وتظهر الأبيات السابقة صفات للناقة، فهي شديدة ضخمة الجسم، غليظة، صلبة القوام، ووصفت بأنها غُذافرة، ووجناء، وعنس، ووقعت لها ألقاب أخرى. قال ضابئ بن الحارث:

«بِـأدْمـاءَ حُـرجُـوجٍ كـأنّ بِـدَفِّـهـا تَـهـاويـلَ هِـرٍّ أو تَـهـاويـلَ أخْـيَـلا

وقال:

كـأنّي كـسَـوْتُ الـرَّحْـلَ أخْـنَـسَ ناشِطاً أحَـمَّ الـشَّـوى فَـرداً بـأجْـمادِ حَوْمَلا»(3)

يصف الشاعر ناقة ممتلئة السنام والأطراف، مرتفعة عن الأرض، قوية نشيطة، وشبهها

---

(1) الأصمعيات، ص37. أجدك: أجداً منك. تخب: تسير الخبب. العذافرة: الشديدة الضخمة. الذمول: ضرب من سير الإبل وقيل هو السير اللين، اللسان ج13، ص275.

(2) المصدر نفسه، ص40. تعسفت: التعسف ركوب المفازة وقطعها بغير هداية ولا قصد. الوجناء: الناقة التامة الخلق غليظة لحم الوجنة. الحرف: الضامرة. الحرج: الجسيمة الطويلة. الرهب: ناقة رهب ضامر. العنس: الناقة القوية شُبهت بالصخرة لصلابتها. الشرب: اسم لجمع شارب.

(3) المصدر نفسه، ص182. أدماء: الأدمة لون مشرب سواداً أو بياضاً وقيل هو البياض، اللسان ج14، ص273. الحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. الدف: الجنب. التهاويل: ما يهول به. الأخيل: طائر يتشاءمون به. الأخنس: يريد ثوراً. الناشط: الثور الوحشي. الأحم: الأسود. الشوي: جماعة الأطراف. الأجماد: جمع جمد وهو ما ارتفع من الأرض. حومل: موضع. لمزيد من صفات الإبل، انظر: الأصمعيات، ص34، 143، 221.

في سرعتها ونشاطها بالثور الوحشي وجعله من مكان (حومل) فرداً، وهذا أظهر لنشاطه ونفوره إذا فزع.

وورد وصف للإبل في قول عوف بن عَطِيّة:

«مَهاريسَ لا تَشكو الوجومَ ولو رَعَتْ جُماد خُفافٍ أو رَعَتْ ذا جَماجِما

وتَشرَبُ أسْآرَ الحِياضِ تَسُوفُها وإنْ وَرَدَتْ ماءَ المُرَيْرَةِ آجِما»[1]

يصف الشاعر إبلاً في سِني جدبٍ، فكأنها مهاريس للشجر اليابس لا تدع شيئاً منه، وهي أقدر على تحمّل الجوع والمشاق. وقال سَوّارُ بن المُضرَّب[2]:

«إذا ما المُسنِفاتُ علَوْنَ منها رَقاقاً أو سَماوَةَ صَحْصَحانِ

يَخِذنَ كأنّهنَّ بكلِّ خَرْقٍ وإغساءَ الظّلامِ على رهانِ

وإن غوَّرْنَ هاجِرةً بفَيفٍ كأنّ سَرابَها قِطعُ الدُّخانِ

وضَعْنَ به أجِنَّةَ مُجهِضاتٍ وُضِعْنَ لثالثٍ عَلقاً وثانِ»[3]

ينعت تلك الإبل بتقدمها، وقطعها الفيافي الواسعة والبيد المترامية، كأنها باتت هي والليل في رهان دائم. رغم أنه أشد الأوقات صعوبة على المسافر، وفي الظهر حين يشتد الحر ويتلألأ السراب كأنّه قطعُ دخان جعل هذه النياق تلقي أجنتها من مشقة ذلك المسير.

ومن المستحب في الإبل نشاطها، وقدرتها على السفر، ولاسيما في أكناف الصحراء لتحملِ الإبل مشاق السفر، والصبر على قلة الماء. وقد رصد الشعراء سلوك هذه الإبل وصوروه في أشعارهم. قال الممزَّق العَبديُّ:

---

(1) الأصمعيات، ص168. المهاريس: من الإبل التي تقضم العيدان، وقيل الشداد، وقيل الجسام، اللسان ج8، ص133. الوجوم: السكوت على غيظ. ذو جماجم: بضم الميم وفتحها ماء من مياه العرب. تسوفها: تشمها. المريرة: ماء لبني عمرو بن كلاب. الآجم والآجن: الماء إذا كان متغيراً.

(2) هو سوار بن المضرب السعدي، سعد بني تميم، شاعر إسلامي. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص183.

(3) الأصمعيات242. المسنفات: المتقدمات في سيرها. الرقاق: الأرض المنبسطة. الصحصحان: الأرض المستوية. الوخد ضرب من السير السريع. أغسى الليل: إذا أظلم. التغوير: القيلولة. مجهضات: مسقطات

«كـأنَّ حَصـى الـمَـعْـزَاءِ عـنـدَ فُـروجِـهـا نَـوادَي رَحـىً رَضّـاخَـةٍ لـم تُدَقِّقِ»[1]

فكأن تطاير الحصى بين قوائم هذه الراحلة تطاير النوى على جانبي الرحى، ولاسيما عند مسيرها في أرض كثيرة الحصى. وقال الحكم الخضري:

«إلـى ابـنِ بـلالٍ جَـوبِـيَ البـيـدَ والـدُّجى بـزَيّـافـةٍ إن تَـسـمَـعِ الـزَّجْـرَ تَغضَبِ»[2]

فقد تنبّه الشاعر إلى كُره هذه الراحلة للزجر إذا ما وقع من صاحبها. وهذا النوع من الإبل محبب في السفر لنشاطه وسرعته، لاسيما إذا كانت المسافات بعيدة. وتنبه الشعراء أيضاً إلى أثر الرحل في جانبي الناقة، وسنامها أحياناً، يقول الممزقُ العبدي:

«وقـد تَـخِـذَتْ رِجلي لَـدى جَنبِ غَـرْزِهـا نَسيفاً كـأُفْـحُـوصِ الـقَـطـاةِ المُطَرَّقِ»[3]

وهنا ظهرت آثار رجلي الشاعر كأنها مجاثم قطا، وهو يحثها على المسير في رحلته هذه. وكان الشاعر حريصاً في كثير من الأحيان على أن يظهر حنين راحلته في سفره ليدل على بُعده عمن يريد من جهة، وليدل على قدرته على تحمّل المشاق من جهة أخرى. قال عمرو بن معديكرب:

«لَـعَـمـرُكَ مـا ثـلاثٌ حـائـمـاتٌ عـلـى رُبَـعٍ يَـرُغْـنَ ومـا يَـريـعُ
ونـابٌ مـا يَـعـيـشُ لـهـا حُـوارٌ شَـديـدُ الـطَّـعـنِ مِـشْـكـالٌ جَـزُوعُ
سَـديـسٌ نَـضَّـجَـتْـهُ بَـعْـدَ حَـمْـلٍ تَـحَـرَّى فـي الـحَـنـيـن وتَـسـتَـلـيـعُ
بـأوجَـعَ لَـوعَـةً مـنّـي ووَجْـداً غَـداةَ تـحـمَّـلَ الأنَـسُ الجميعُ»[4]

(1) الأصمعيات، ص165. المعزاء: المكان الصلب الكثير الحصى. فروجها: ما بين قوائمها. النوادي: ما تطاير من الرحى عند رضخها النوى ونحوه. رضاخة: من الرضخ وهو الدقّ والكسر.
(2) المصدر السابق، ص32. البيد: الصحارى. جوبها: قطعها. الزيافة: الناقة التي زيف بالرحل.
(3) المصدر السابق، ص165. النسيف: أثر الركض بجنبي البعير إذا انحسر عنه الوبر. الأفحوص: مجثم القطاة. المطرق: صفة للأفحوص.
(4) المصدر السابق، ص176. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص143. ثلاث: يريد من النوق. حائمات: طائفات. الربع: الفصيل الذي ينتج في الربيع وهو أول النتاج، اللسان ج9، ص455. الناب: الناقة المسنة. الحوار: ولد الناقة من حين يوضع حتى يفطم، اللسان ج5، ص296. تستليع: من اللوعة

وقال دوسر بن ذهيل:

«وحَنَّتْ قَلوصي من عَدانَ إلى نَجدٍ   ولم يُنْسِها أوطانَها قِدَمُ العَهدِ»(1)

يظهر أن الشاعرين لم يريدا من وراء وصف حنين الناقة إلا تصوير نفسيهما، وما يلتهب بجوانح كل واحد منهما من شوق إلى عهود قديمة كانت له، وأصحاب أو أحباب في هذه الديار. وقد يكون حنين الإبل واقعياً حين تفقد الناقة القطيع الذي اعتادته. وجعل دوسر حنين قلوصه إلى بلاد نجد، وهو حنين قديم. وما كانت الإبل لتذكرَ قديمَ العهود، إنما هي ذكريات الإنسان لماضيه. واعتمد الشعراء على المقارنة بين أنفسهم وحنين الإبل لتوضيح مدة الحب والحنين للعهود القديمة. وكما يظهر في أبيات عمرو بن معديكرب حين جعل النوق تُرجعُ الحنين على حوارٍ مات، وجعل هذا الحوار أول نتاج ليدل على شدة حبهم له، وهذه من صفات الإنسان حين يكون الأبوان أشدّ تعلقاً وحباً لأول أولادهما، وأضاف صفة أخرى حين جعل الناقة الثكلى مسنة، وهذا أشد ليأسها في الإنجاب، فتضطرم نار الحزن في صدرها، والشاعر في الحقيقة يصف نفسه وقد ملأ الحزن صدره، فقرنه بوصفه للإبل.

ونتبينُ من استقراء الأصمعيات أن وصفَ الإبل ورد في نحو ستة وأربعين بيتاً تناولت قوتها، وصلابتها، وتحمّلها الأسفار. وتناول الوصف أكثر أعضائها وتفردت بعض الأبيات في وصف الحنين عند الناقة. ولكن الشاعر سخّرها ليصف شدة تعلّقه بالماضي، أو شعوره لحظة الفراق، وبيان أثر الفراق على الخليط من الأقوام. وتظهرُ الأبياتُ عموماً صورةَ نجائب الإبل وكرامها.

وصف المرأة:

تحتلُ المرأةُ المنزلةَ الثالثة في الأصمعيات، وورد هذا الوصف على عادة الشعراء العرب من تشبيهات وكنايات. وتحدث بعضهم عن طيف الخيال وزيارته. قال خفاف بن نُدبة:

«تَجاوَزَتِ الأعْراضَ حتى توَسَّدَتْ   وِسادي ببابٍ دَونَ جِلذانَ مُغلَقِ

وهي حرقة القلب من الحزن وغيره.

(1) الأصمعيات، ص150.

بِـغُــرِّ الـثّـنـايـا خَـيَّـفَ الـظَّـلْـمُ نَبتَـه   وسُـنَّـةِ رئـمٍ بـالـجُـنَـيـنَـةِ مُونِقِ»[1]

يتحدث خفاف عن زيارة طيف أسماء له في وقت متأخر من الليل، ثم وصف أسنانها البيضاء الناصعة. ووصف الشعراء عيون المرأة وورد هذا القول في قول عمرو بن معديكرب:

«كــأنَّ الإثــمِــدَ الــحَــارِيَّ فيها   يُـسَـفُّ بـحيـثُ تَـبـتَـدِرُ الدُّموعُ»[2]

وقال قيسُ بن الخَطيم:

«حَــوراءُ جَـيــداءُ يُـسـتَـضـاءُ بها   كـأنّـهـا خُــوطُ بـانـةٍ قَصِفُ»[3]

نلاحظ اعتناء الشاعرين في إظهار لون العين، فعمرو جعلَ الإثمدَ كأنه مغروزٌ في عيني هذه المرأة. أما قيس فنعتها بالحور، وهذه من الصفات المستحبة في المرأة. ولم يدع الشعراء وصف دلِّ المرأة، قال العباس بن مِرداس:

«لـيـالي سَـلْـمـى لا أرَى مِـثـلَ دَلِّـهـا   دَلالاً وأُنـسـاً يُـهْـبِـطُ العُـصْـمَ آنسا»[4]

فسلمى صاحبةُ دلالٍ انفردَتْ به عن غيرها من النساء، وهي ذات حديث تأنس النفسُ به. وقال ابنُ الخطيم واصفاً عذوبة الحديث:

«ولا يَـغَـثُّ الـحـديـثُ مـا نَـطَـقَـتْ   وهــو بـفـيـهـا ذو لَــذّةٍ طَــرِفُ

تَــخْــزُنُــه وهــو مـشـتَـهـىً حَـسَـنٌ   وهــو إذا مـا تَـكـلَّـمَـتْ أُنُــفُ»[5]

---

(1) الأصمعيات، ص22. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص27. الأعراض: قيل كل واد ذي عرض، وجمع كل ذلك أعراض، اللسان ج9، ص26. التوسن: الطروق عند النوم. التوسن: بيان الأسنان، وقيل رقة الأسنان وشدة بياضها، اللسان ج15، ص266. الرئم: الخالص البياض، اللسان ج15، ص14. الجنينة: موضع. مونق: معجب.

(2) الأصمعيات، ص173. الحاري: نسبة إلى الحيرة. الإسفاف: أن يغرز الجلد بإبرة ثم يُحشى كُحلاً، اللسان ج11، ص53.

(3) المصدر السابق، ص197. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص107. الحور: أن يشتد بياض العين وسواد سوادها، اللسان ج5، ص296. الجيداء: طويلة العنق في حُسن. البان: شجر. الخوط: الغصن الناعم، اللسان ج9، ص168. قصف: يقال قصف النبت إذا طال، اللسان ج11، ص190.

(4) المصدر السابق، ص205. ابن مرداس: ديوان العباس، ص68. العصم: الوعول.

(5) المصدر السابق، ص197. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص109. الأنف: المرأة طيبة ريح الأنف.

وقال المفضلُ النكري:

«تُـلَـهّـي الـمـرءَ بـالـحُـدثـانِ لَـهْـواً وتَـحـدِجُـه كَـمـا حُـدِجَ المُطيقُ»(1)

فالحديث مشتهى طريف مادامت المرأة تنطق به، وتأسر محبها، وتلهيه عن نفسه. ويبقى الرجل مشغوفاً بهذه الأحاديث، وتثير الشجون والوجد في نفسه إذا ما بان الخليط. كما ذكر بعض الشعراء خوف المرأة على زوجها، ورجاءها أن يترك الغارات في سبيل الحياة، قال عروة بن الورد:

«أَقِـلّـي عـلـيَّ الـلـومَ يـا ابـنـةَ مُـنْـذرِ ونـامِـي، فـإن لـم تَشتَهي النّـومَ فاسْهَري

ذَريـنـي ونَـفْـسـي أُمَّ حـسّـانَ، إنّـنـي بها قَبلَ أنْ لا أملِكَ البَيعَ مُشتَري»(2)

وقال كعب بن سعد الغنوي أيضاً:

«تـقـولُ: ألا يـا اسْـتَبْقِ نَفسَكَ، لا تكُنْ تُـســاقُ لـغـبـراءِ الـمُـقـامِ دَحُـــولِ

كَـمُـلقَـى عِـظـامٍ أو كـمُـهـلَـكَ سـالـمٍ ولـسْـتَ لـمَـيْـت هـالـكٍ بـوَصـيـلِ

أراكَ امــرأً تَـرْمـي بـنَـفْـسـكَ عـامِـداً مَــرامــيَ تَـغْـتــالُ الـرِّجــالَ بِـغُـولِ

ومَــن لا يَـــزَلْ يُـرْجَـى بِـغَـيـبٍ إيـابَـه يَـجـوبُ ويَـغشَـى هَـولَ كـلِّ سبيلِ»(3)

فالشاعران يخاطبان على أن يتركا ما اعتادا عليه من مغامرات، ولكن عروة يذكر تأكيده على مواصلة سبيله الذي تعوّده في الحياة من ارتكاب للأهوال، والمغامرات. ونجد المعنى نفسه يتكرر بصورة أخرى عند كعب، وإن أشار للمنية، وجعلها مورداً لكل الناس، ولكنه موردٌ أغبر كالبئر التي تآكلت جوانبها. وباتت أُمُّ قيس تلوم الشاعر لرميه نفسَه عامداً في

(1) المصدر السابق، ص200. الحدثان: بكسر الحاء وضمّها جمعُ الحديث. تحدجه: تغلبه بدلّها وحديثها.

(2) الأصمعيات، ص43. ابن الورد: ديوان عروة، ص66. ابنة المنذر: امرأته سلمى، وهي سبية من كنانة. أم حسان: كنية زوجته. البيع: هنا الشراء.

(3) المصدر نفسه، ص74. دحلت البئر إذا حفرت في جوانبها، اللسان ج13، ص253. ملقى: مصدر ميمي بمعنى الإلقاء. عظام: اسم رجل. على قلت: على خوف هلاك أو شر. لمقيل: لا يدعه يصل إلى أقرب مقيل.

مهالك تأخذ الرجال، وهو يرى أن من لم يزل يخشى المغامرات ويفكر في عالم الغيب سيبقى قاصراً في همّته عن إدراك مبتغاه. ويقول: إن المهالكَ محيطةٌ بالمسافر في كل لحظة، وقد لا تدعه يصل إلى أقرب مكان يريده.

وورد وصفُ المرأة البائسة في قول عروة بن الورد:

«أبَى الخَفْضَ مَن يَغْشاكِ مِنْ ذي قَرابةٍ ومن كلِّ سَـوداءِ المَعاصِمِ تَعْتَري»[1]

فهذه المرأة اسودت معاصمها من جراء شظف العيش، وقساوته، مما غيّر حالها وسود معاصمها.

ونلاحظ أن وصفَ المرأة في الأصمعيات، يأتي في المنزلة التالية للفرس، والإبل، وانصب الوصف على إظهار أعضاء المرأة الحسية من عيون، وجيد، وتنعم، ووصف حديثها، وتعلق الرجل بطرافة الحديث، وعذوبته. ووجدت بعض الأبيات تصف شعور المرأة الداخلي، وهو خوفها على زوجها من عوادي الزمن وأهواله.

---

(1) الأصمعيات، ص45. ابن الورد: ديوان عروة، ص69. الخفض: العيش الطيب، اللسان ج9، ص40. سوداء المعاصم: يريد أنها جهدت من الجدب والجهد والهزال.

أغراض الشعر في الأصمعيات

الرثاء:

جعل قدامة بن جعفر المراثي ثالث أغراض الشعر[1]. وعقد ابن رشيق فصلاً خاصاً بالرثاء في كتاب العمدة[2]، تحدث فيه عن الرثاء.

ونجد في الأصمعيات قصائد غرضها الرثاء هي قصيدة الأعشى الباهلي، وقصيدة دريد ابن الصمة في رثاء أخيه عبد الله، وقصيدة سُعدى بنت الشمردل الجهنية، وقصيدة عبد الله ابن عنَمة، وقصيدة كعب بن سعد الغنَوي مع الجزء المنسوب لغُرَيقَة بن مسافع، وقصيدة الأعرابية التي ترثي ابنها وهي في الاختيارين تحمل الرقم واحداً وخمسين. كما حوت قصائد أخرى أبياتاً معدودة[3].

قال الأصمعي عن قصيدة الأعشى «ليس في الدنيا مثلها»[4]، تناول فيها الأعشى رثاء أخيه عامر بن الحارث من بني وائل، وبلغت القصيدة ثلاثة وثلاثين بيتاً.

وتتبعها في الأصمعيات قصيدة كعب بن سعد الغنَوي، ونسب الجزء الآخر منها لغُرَيقة العبسي، وكان الأصمعي قال عن كعب: «ليس من الفحول إلاّ في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثلها»[5]. فكأنّ الأصمعي جعل كعباً في منزلة الفحول لأجل هذه المرثية، وقال أبو هلال العسكري: «قالوا: ليس للعرب مرثيةٌ أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثي فيها أخاه أبا المغوار»[6]. وقول العسكري هذا يدل على أن للقصيدة مكانةً بارزةً بين قصائد الرثاء في الشعر العربي، وبلغت في الأصمعيات واحداً وخمسين بيتاً، استهلّها كعب بقوله:

(1) ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1367هـ/1948م، ص98.

(2) انظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص147.

(3) انظر: الأصمعيات، ص68، 218.

(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص30.

(5) المصدر السابق، ص27.

(6) العسكري، أبو هلال: ديوان المعاني، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، 1352هـ، ج2، ص178.

«أخــي مـا أخــي لا فـاحـشٌ عِـنـدَ بَـيتـه ... ولا وَرَعٌ عِـنـدَ الـلـقـاءِ هَـيـوبُ

هـو الـعَـسَـلُ الـمـاذِيُّ حِـلـمـاً ونـائِـلاً ... ولَـيـثٌ إذا يَـلقَـى الـعـدوَّ غَضُوبُ»[1]

ويؤيد كلام العسكري السابق أن قدامة استشهد باثني عشر بيتاً من هذه القصيدة في حديثه عن نعت الرثاء.

وإذا نظرنا إلى مقدمة قصيدة الأعشى وقصيدة سُعدى الجُهنِيّة فنجدهما قد بدأتا بالحديث عن الموت وعدم السخرية منه. قال الأعشى الباهلي:

«قـد جـاءَ مـن عَـلٍ أنْـبـاءٌ أُنَـبَّـؤُهـا ... إلـيَّ لا عـجَـبٌ مـنـهـا ولا سُـخُـرُ

فَـظَـلْـتُ مُـرتَـفِـقـاً لـلـنّـجـمِ أرْقُـبُـه ... حَـرّانَ مُكـتَـئِـبـاً لـو يَـنـفَـعُ الحَذَرُ»[2]

فهو يرى أن الحذر لا ينفع ولا يرد قضاءَ الله. وقالت سعدى:

«أَمِـنَ الـحَـوادثِ والـمَـنـونَ أُرَوَّعُ ... وأَبِـيـتُ لَـيـلـي كُـلَّـه لا أَهْـجَـعُ

ثم قالت:

إنَّ الـحَـوادثَ والـمَـنـونَ كليهما ... لا يُـعْـتِـبـانِ ولـو بَـكـى مَـنْ يَـجْـزَعُ

ولـقـد عَـلِـمـتُ بـأنَّ كـلَّ مُـؤَخَّـرٍ ... يَـومـاً سَـبـيـلَ الأوّلـيـنَ سَيَتْبَعُ»[3]

ويظهر تشابه المعنى في كل من المطلعين حيث تردد سُعدى سؤالها، ثم تقول: إن الحوادث والمنونَ لا يعتبان ولا يفيد معهما جزع من الحي؛ لأنه سيتبع سبيل الراحلين. أما مطلع قصيدة دريد بن الصمة، فهو فريدٌ حيث بدأ بالنسيب، قال:

«أرَثَّ جَـديـدُ الـحَـبـلِ مِـن أمِّ مَعبَدِ ... بِـعـاقِـبـةٍ وأخْـلَـفَـتْ كُـلَّ مَوعِدِ»[4]

(1) الأصمعيات، ص95. الورع: الجبان. الماذي: العسل الأبيض. والقصيدة في الاختيارين، ص750، مطلعها:

تقولُ سُليمى ما لجسمكَ شاحباً ... كـأنّـكَ يحميكَ الشّـرابَ طبيبُ

(2) الأصمعيات، ص88. كتاب الصبح المنير، ص266.

(3) المصدر السابق، ص102.

(4) المصدر السابق، ص106. الجشمي: ديوان دريد بن الصمة، ص45.

تحدث الشاعر عن هجر أم معبد، ثم تخلص إلى رثاء أخيه.

وقال ابن الكلبي: «لا أعلمُ مرثيةً أولها نَسيبٌ إلا قصيدة دريد بن الصمة»[1]. ولعل ما احتواه البيتان الأوليان من الحديث عن البين والفراق، جعل المحققين يعلّقان على هذه البداية بقولهما: «وقد بدأ مرثيته لأخيه بضربٍ من النسيب يلائم الرثاء، وهو خُلفُ الحبيبة وبينها»[2]، حيث جمع بين الشوق والوجد إلى الاثنين معاً، وقد حرص الشعراء على إظهار صفات من يرثونهم، ومن تلك الصفات الشجاعة. وقال الأعشى في رثاء أخيه:

«لم تُرَ أرْضٌ ولم يَسمَعْ بها أحَدٌ ... إلاّ بِها مِن نَوادي وَقْعِهِ أثَرُ

أخو حُروبٍ ومِكسابٌ إذا عَدِموا ... وفي المَحافِلِ مِنه الجِدُّ والحَذَرُ»[3]

جعل الأعشى أخاه معروفاً عند نازلي كل أرض عرفها الناس أو لم يعرفوها، وجعله أخا للحرب. وفي هذا المعنى يقول دريد بن الصمة:

«وإنْ يَكُ عَبدُ الله خَلّى مَكانَه ... فَما كانَ وَقّافاً وَلا طائِشَ اليَدِ

كَميشُ الإزَارِ خارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... صَبُورٌ عَلى العَزّاءِ طَلاّعُ أنْجُدِ

رَئيسُ حُرُوبٍ لايَزالُ رَبيئَةً ... مُشيحاً على مُحقَوقِفِ الصُّلبِ مُلْبَدِ»[4]

فإن دريداً يصف أخاه بالإقدام والتهيّؤ للأمور النازلة به، ووصف صبره على العزاء وهو رئيس القوم وربيئة لهم.

وذكر الشعراء في المراثي صفة الكرم، قال الأعشى[5]:

---

(1) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص151.

(2) الأصمعيات، ص106.

(3) المصدر السابق، ص90. كتاب الصبح المنير، ص267، ورواية الصبح المنير:

.... تسمع بساكنها... ... إلا بها من بوادي وقعة أثر

.... وفي المخافة منه الجدُّ والحذرُ

(4) المصدر السابق، ص108. الجشمي: ديوان دريد، ص49. المشيح: الجاد. المحقوقف: المعجوج. الملبد: الفرس شُدَّ عليه لبد السرج.

(5) انظر في هذا المعنى: الأصمعيات، ص38، 103.

«نَعَيْتَ مَنْ لا تُغبُّ الحَيَّ جَفنَتُه إذا الكَواكِبُ أخْطأَ نَوءَها المطرُ
وراحتِ الشَّوْلُ مُغبَرّاً مَباءَتُها شُعثاً تغَيَّر منْها النِيُّ والوَبَرُ
وأجْحَرَ الكَلبُ مَوضوعُ الصَّقيعِ بهِ وألجأ الحَيَّ مِن تَنفاحِهِ الحُجَرُ
عَليهِ أوّلُ زَادِ القومِ إنْ نَزَلوا ثمَّ المطِيَّ إذا ما أرْمَلوا جَزرُوا»[1]

ويلاحظ أن الأعشى جعل جفنة المنتشر لا تفارق الحي في الشدة والجفاف، وألحّ في جعل هذه الصفة تدوم في زمن الشتاء حين تضيق الحال بأهل البادية خاصة، ولم يتوقف كرم المنتشر على الجفان. قال الأعشى:

«أَخُو رَغائِبَ يُعْطيها ويُسْأَلُها يَأبَى الظُلامَةَ منْه النَّوفَلَ الزُّفَرُ»[2]

فهو صاحب عطايا، يقصده المحتاجون لأنه يطيق عطاءهم، ويغدق عليهم. وأشار الشعراء إلى كرم المرثي في الشتاء، قال كعب الغنَوي:

«أَخو شَتَواتٍ يَعلَمُ الضّيفُ أنّه سيَكثُرُ ما في قِدْرِه ويَطِيبُ»[3]

فكعب يكني عن كرم أخيه بقوله أخو شتوات[4]، إظهاراً لكرمه. وذكر الشعراء الحلم عند من يرثونهم، قال كعب الغنَوي:

«لقد كان أَمّا حِلمُهُ فمُرَوَّحٌ علينا، وأمّا جَهلُهُ فَعَزيبُ
حَليمٌ إذا ما سَورَةُ الجَهلَ أطلَقَتْ حُبَى الشَّيبِ للنّفسِ اللَّجُوجِ غَلوبُ»[5]

(1) الأصمعيات، ص89. كتاب الصبح المنير، ص267. رواية الصبح المنير: تنعى امرأً... وراحة الشول مغبراً مناكبها... وأجحر الكلب مبيض الصقيع به... القوم قد علموا... تُغبُ: تأتي يوماً بعد يوم. الشول: جمع شائلة، وهي الناقة التي أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فخفّ لبنها. مباءتها: مراحها الذي تبيت فيه. النيّ: الشحم. أجحره: ألجأه إلى أن دخل جحره.
(2) الأصمعيات، ص90. كتاب الصبح المنيرن ص267. الرغائب: العطايا الواسعة. الزافر: السيد.
(3) المصدر السابق، ص96.
(4) انظر: الأصمعيات، ص38، 104.
(5) الأصمعيات، ص98. مروح: من الرواح. غريب: بعيد. سورة الجهل: حدته. اللجوج: المتمادية، تقال للذكر والأنثى.

فإنّ كعباً جعل حلم أخيه يأتيهم مروحاً إلى أهله، وقابل بين مروح وغريب في البيت الأول، وكذلك أشار إلى حلمه عند الغضب، وهذا أدلّ على حلمه وذكائه. والتفت بعض الشعراء إلى العفة فذكرها قال كعب:

«إذا ما تَـراءَتْـهُ الـرِّجـالُ تـحَـفـظّوا   فـلَـمْ تُـنْـطَـقِ الـعَـوراءُ وهـوَ قَرِيبُ»[1]

وذكر بعض الشعراء أن لا يد للبشر في رد أمر الموت، فإذا حلَّ القضاء لا تجدي في دفعه الفدية. قالت سُعدى الجُهنية:

«فـــوَدِدْتُ لـو قُـبِـلَـتْ بـأسْـعَـدَ فِـديَـةٌ   مـمّـا يَـضَـنُّ بـه الـمُـصـابُ المُوجَعُ»[2]

فهي تتمنى لو يقبل بأسعد فدية يفتدى بها، من عزيز مالها الذي يضنّ به، ولكن أنّى لها ذلك. ومثل هذا في قول كعب:

«فـلـو كـــانَ مـيـتٌ يُـفـتَـدَى لـفَـديـتَـهُ   بِـمـا لـمْ تَـكـنْ عِـنـدَ الـنُّفوسِ تَطيبُ»[3]

وهذا شبيه من حيث معناه بقول سُعدى السابق.

ويلاحظ في قصائد الرثاء أن أربعاً منها في رثاء الإخوة، فالأعشى يرثي أخاه المنتشر، ودريد بن الصمة يرثي أخاه عبد الله، وسُعدى بنت الشمردل ترثي أخاها أسعد، وكعب بن سعد يرثي أخاه أبا المغوار. ووردت قصيدة أخرى في كتاب الاختيارين لامرأةٍ ترثي ابناً لها مطلعها:

«يـا عَـمـرو، مـا بـي، عـنـكَ، مـن صَبر   يـا عـمـرو، يـا أسَـفـاً عـلـى عَـمـرو

لله، يــا عَـــمـــرو، وأيَّ فَـتـى   كـفـنـتُ، ثـمّ وضـعـتُ، فـي القبرِ»[4]

فقد صورت حزنها على ابنها، ووصفت تربيتها له، وكيف خرجت به من الحضر خشية عليه، قالت:

(1) الأخفش: الاختيارين، ص754.
(2) الأصمعيات، ص104.
(3) الأخفش: الاختيارين، ص754.
(4) المصدر السابق، ص287.

«أَدعُ المَزارعَ، والحُصونَ، بهِ   وأَحلُّه في المَهمَهِ القَفْرِ
أَبْني الرُّواقَ على أريكتِهِ   ليَقيلَ دونَ الشّمسِ، في سترِ
مازلتُ أُصْعدُه، وأحدرُهُ   من قترِ موماةٍ إلى قترِ
هرَباً بهِ والموتُ يَطلبهُ   حيثُ انتَويتُ بهِ ولا أدْري»[1]

فهي تنتقل به من مكان إلى مكان خوفاً عليه من نائبات الدهر، وحرصاً على فلذة كبدها، ولم تكن تدري أنّ الموت يحيط به. وأشارت أيضاً إلى الفدية بقولها:

«لو قيلَ تفديهِ بَذَلتُ له   نفْسي وما جَمَعْتُ من وُفَرِ
أو كنتُ مُقتَدِراً، على عُمري   آثَرتهُ بالشّطْرِ من عُمري»[2]

وهنا يظهر حنان الأم حيث تود لو أنها تستطيع فداء ابنها بنفسها ومالها، وأكدت ذلك في البيت الثاني حيث آثرته بالشطر المتبقي من عمرها. ولكنها سرعان ما أذعنت مسلمّة أمرها لقضاء الله بقولها:

«لا يبعدنّكَ اللهُ، يا عَمرو   أمَّا مَضيتَ فنَحنُ بالإثرِ
هذا سبيلُ الناسِ كلّهمُ   لابدّ سَالكها على صغرِ»[3]

فهي تواسي نفسها بأن هذا الطريق سبيل كل حي يأتيها صاغراً مذعناً للموت.

وما يلاحظ على قصائد الرثاء أنها تعود لعصور مختلفة جاهلية وإسلامية وأن بعضها كان معروفاً في الأوساط العلمية في زمن الأصمعي وبعده، كما رأينا عند قدامة بن جعفر، وهي قصائد طويلة إذا قارنّاها بقصائد الأصمعيات الأخرى؛ حيث منها ما تعدى الثلاثين بيتاً كقصيدة الأعشى الباهلي، وقصيدة كعب بن سعد التي بلغت أربعين بيتاً في الاختيارين.

(1) المصدر السابق، ص289. الرواق: مقدمة البيت. القتر: الموماة، الموماة: القفر.
(2) الأخفش: الاختيارين، ص391.
(3) المصدر السابق، ص392. الصغر: الذل والقهر.

الفخر

الفخر بالحرب:

فخر العرب بحروبهم، وكانت الحرب تدور بين قبائلهم داخل أطراف الجزيرة حتى إن حياتهم كانت أشبه برحى دائرة. ولذلك افتخروا بالنيل من أعدائهم وهجومهم. قال طريفٌ العنبَريُّ:

«ولــكــلِّ بَــكــريٍّ لَــــديَّ عَــــداوةٌ   وأبـــو رَبـيـعـةَ شــانِـئٌ ومُحلِّمُ»(1)

ويظهر الحسُّ القبلي جلياً في فخر الشعراء، فطَريف شاعر وفارس تميمي، وبين تميم وبكر عداوة. فلذلك جعل عداوته لكل بكري، ولم يخص بطناً من بطون القبيلة. وهذا الفخر كان سائداً في حياة القبائل العربية؛ حيث يفخر الشعراء بالنيل من أعدائهم وقتلهم، قال المهلهل:

«فــإنــي قــد تَــرَكْــتُ بِـــوارِداتٍ   بُـجَـيـراً فـي دَمٍ مـثـلِ العَبيرِ»(2)

يفخر المهلهل بنيله من أعدائه، وتركه بجيراً متخبّطاً بدم كالعبير في نقائه.

وكانت تهب رياح الثأر بين القبائل العربية، وتوقد أوارها. وأدرك بعض الشعراء ذلك وذكروه في شعرهم، قال مالك بن حريم:

«يَـقـودُ بـأرْسـانِ الـجِـيـادِ سَـراتُـنـا   لِـيَـنْـقِـمْـنَ وِتْـراً أو لـيـدْفَـعْـنَ مَـدْفَـعـا

وقال أيضاً:

---

(1) الأصمعيات، ص128. أبو ربيعة: يقصد قبيلة هانئ بن مسعود الشيباني. شانئ: مبغض، اللسان ج19، ص175. محلم: هو ابن ذهل بن شيبان. وانظر الصفحات: 211، 244.

(2) المصدر نفسه، ص155. السندوبي: شرح ديوان امرئ القيس، ص275. واردات: موضع كان فيه يوم معروف بين بكر وتغلب. بجير هو ابن الحارث بن عباد قتل ذلك اليوم. العبير: أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران. انظر: ص162.

فأصْبَحْنَ لم يَترُكْنَ وِتْراً عَلِمْنَهُ   لهَمْدانَ في سَعْد وأصْبَحنَ طُلَّعا»[1]

وافتخر الشعراء بعدم تركهم ديناً من الثأر عليهم، حتى إن ساداتهم كانوا يقودون الخيول طلباً للثأر من كلِّ واتر. وفخر بعض الشعراء بقيادة الكتائب وخوض المعارك، قال سهم الغَنَوي:

«لا تُخفَضُ الحَربُ للدُّنيا إذا اسْتَعَرَتْ   ولا تَبوخُ إذا كُنّا لَها شُهُبا»[2]

فهو يفخر بأنهم يوقدون نار الحرب، ويضرمونها، ويقتلون جموع أعدائهم، ويسبون نساءهم، ويعودون بسوامهم. وقال عَديٌّ بن رَعلاءَ:

«فَصَبَرْنَ النُّفوسَ للطَّعْنِ حتّى   جَرَتِ الخَيلُ بينَنا في الدِّماءِ»[3]

فهو يشير إلى صبرهم على مكروهات الحرب، وتحمل لظاها، وسعيرها حتى كأنما الخيل تجري بهم في لجّة ماء. وتوجّه بعض الشعراء إلى ذكر السلاح الذي أعدّوه لمقارعة أعدائهم والنيل منهم، وفخروا بتلك الأسلحة، قال حجل بن نضلة:

«إن تَلْقَني لا تَلقَ نُهزَةَ واحِدٍ   لا طائِشٌ رَعِشٌ ولا أنا أعْزَلُ
تَحتي الأغَرُّ وفَوقَ جِلدي نَثْرَةٌ   زَغْفٌ تَرُدُّ السّيفَ وهو مُفلَّلُ
ومُقارَبُ الكَعبينِ أسمَرُ عاتِرٌ   فيه سِنانٌ كالقُدامَى مِنجَلُ
ومُهنَّدٌ في مَتنِهِ حَرَجيّةٌ   عَضْبٌ إذا مَسَّ الضّريبةَ مِفصَلُ»[4]

---

(1) المصدر نفسه، ص65-66. الأرسان: جمع رسن وهو الحبل الذي يقاد به الفرس أو غيره. السراة: الأشراف. لينقمن: ليكافئن بالعقوبة. الوتر: الثأر. مدفعاً: مصدر ميمي من المدافعة. طلع: جمع طالعة، ويعني أنها تطلع الجبال والهضاب. انظر: ص44.

(2) الأصمعيات، ص56. الخفض: ضد الرفع، يريد خمودها. تبوخ: تسكن وتفتر. شهب: جمع شهاب، الشعلة من النار. انظر: ص23، 209، 216.

(3) المصدر نفسه، ص152.

(4) المصدر نفسه، ص139. النهزة: اسم للشيء الذي هو معرض لك كالغيمة. الأغر: فرسه. النثرة: الدرع السلسة الملبس. الزغف: الدرع اللينة. مقارب الكعبين: قصرت أنابيبه فتقاربت كعوبه. عاثر: مضطرب، اللسان ج6، ص210. منجل: واسع الجرح. قدامى النسرك قوادمه. حرجية: آثار دقيقة جداً. مفصل: شديد الفصل. وانظر: ص136، 224.

فقد أعد الشاعر للحرب كل ما تتطلبه، فنفسه أبية مقدامة، وفرسه أغر، ودرعه لينة قوية النسيج، تفلل السيف، ورمحه لين كأنّ سنانه قادمة نسر في دقته، أما سيفه فطالما استعمله في حروب وظهرت آثار ذلك في غربه. وشبّه بعض الشعراء سنان الرمح بجمر الغضى حين تضطرم.

وكان الفخر بالحرب منصباً على وصف الكتائب والغارات والفخر بها وبكل ما يتصل بها من قيادة وسلاح، وصبر على مكاره الحرب، ومطاعنة الفرسان. كما يظهر صوت العداء القبلي واضحاً. وإن تناول بعض الشعراء الهجاء فيصبونه على القبائل دون الأفراد. وهذا أمر فرضته طبيعة حياة الجاهلية العربية.

الفخر بالنفس:

نجد في كثير من قصائد الأصمعيات فخراً بالنفس، وكان الفخر منصباً على العادات العربية من كرم، وشجاعة، وأخلاق حميدة توارثها الأبناء عن الآباء. ومنهم من فخر بالحلم، قال كعبُ الغنَوي:

«وأُعـرِضُ عن مـولايَ لو شِئتَ سَبَّني ... ومـا كـلُّ يـوم حِـلـمُـه بـأَصـيـلِ

ولـنْ يلبَثَ الجُـهّـالُ أن يَتـهَضّـموا ... أَخَـا الحِلمِ ما لـمْ يَسْتَعِنْ بجَهولِ»[1]

وقال شمرُ بن عمرو الحنفيّ:

«ولـقـدْ مَـرَرتُ على اللئِيم يَسُبُّني ... فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنيني»[2]

فالشاعران كلاهما يفخر بالحلم وإعراضه عن لئام البشر، حتى لو تناولوه بالشتم، فيمضي وكأنه يسمع شيئاً لا يعنيه، ولا يناله أبداً. وقال السموءل:

«ضَـيِّـقُ الـصّـدرِ بـالـخِيـانـةِ لا يَنْـ ... ـقُـصُ فَـقـري أمـانَـتـي مـا بَـقـيـتُ

(1) الأصمعيات، ص76. الجهل: ضد الحلم. يتهضموا: المتهضم والهضيم: المظلوم، اللسان ج16، ص96.

(2) المصدر نفسه، ص126.

رُبَّ شَتمٍ سَمِعْتُه فتَصامَمْتُ وغَيٍّ تركتُه فكُفيتُ»[1]

فالشاعر يذكر حلمه، وترفعه عن لئام البشر، وتركه للغي، وهو أيضاً لا يطيق خيانة الأمانة، وكنى عن كراهيته لذلك بضيق الصدر. وقصة وفاء السموءل مشهورة. وكان الشعراء يدركون مكانتهم وسط قبائلهم، والقبائل العربية، ويخشون أن ينال أحداً منهم حتى بعد وفاتهم، قال سنان بن أبي حارثة:

«ولا أجيءُ بسَوءاتٍ أُعَيَّرُها حتّى يَجيءَ من القَبرِ ابنُ مَيّاد»[2]

فهو يخشى أن يعير حتى لو رجع الأموات إلى الدنيا، وهذا من إدراكهم لمنازلهم في قبائلهم، وكان بعضهم سادة في أقوامهم. ومنهم سُحَيمٌ بن وثيل[3]، الذي يقول مفتخراً:

«أنا ابنُ جَلا وطلاّعُ الثّنايا متى أضَعِ العَمامةَ تَعرفوني

وإنّ مكانَنا من حِمْيَريٍّ مكانُ اللّيثِ من وَسَطِ العَرينِ»[4]

يفتخر الشاعر بأصله وسط القبائل العربية، وبمنزلة أسرته داخل قبيلته تميم، فهم ليسوا من عامة الناس بل سادة شرفاء. وذكر بعض الشعراء عفّتهم، قال مالك بن حريم الهمذاني:

«أَهِيمُ بها لم أقْضِ منها لُبانةً وكُنتُ بها في سَالفِ الدّهْرِ مُوزَعا»[5]

فالشاعر يمتدح بعفته رغم هيامه بمعشوقته سابقاً.

ويلاحظ في أبيات الأصمعيات كثرة ما افتخر الشعراء بأنفسهم وذكروا أخلاقهم وسجاياهم الحميدة التي لا يخشون فيها لومة إنسان قريب أو بعيد، وأعرضوا عن شتم

---

(1) المصدر السابق، ص85. السموءل: ديوان السموءل، ص81. ضيق الصدر بالأمانة لا يفجع فقري أمانتي ما بقيت.

(2) المصدر السابق، ص209. ابن مياد: رجل من عذرة.

(3) سحيم بن وثيل الرياحي من بني تميم، شاعر مخضرم. انظر: ابن سلام: الطبقات، ص489. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص643.

(4) الأصمعيات، ص17. ابن جلا: الواضح البيّن. الثنايا: جمع ثنية، هي الطريق في الجبل، وعنى بذلك أنه جلد مغالب للصعوبات. انظر: ص20، 56.

(5) المصدر نفسه، ص63. اللبانة: الحاجة. الموزع: المعزى.

اللئيم وما يجلب سبّة للنفس أو العشيرة. وافتخروا بأداء الأمانة ولو نال الجوع والفقر منهم. ويمكن القول: إن الفخر بالنفس تناول كل جوانب الحياة التي يعيشها الشاعر وكل ما فخرت به العرب من عادات. الفخر بالقبيلة:

يفتخر العرب بانتسابهم إلى قبائلهم، وقد تحدث الأفراد منهم بلفظ الجمع لكي يضموا أنفسهم إلى قبائلهم، وكثيراً ما صوّر الشعراء ذلك الانتماء وافتخروا به، قال المتلمّس:

«أمُنتَقِلاً من نَصْرِ بُهثَةَ خِلْتَني ألا إنَّني منهم وإن كنتُ أينَما

ألا إنَّني منهم وعِرضِيَ عِرضُهم كذي الأنفِ يَحْمي أنفَه أن يُصَلَّما»(1)

فالشاعر يصرّح باعتزازه، وحبه للقبيلة، وإن لم يكن في مضاربها، فجعل عرضه من عامة أعراض أبناء القبيلة. ثم كنّى عن عزهم بالأنف، وهو رمز الشمم، والعزة عند العرب، والشاعر يخشى أن ينقل عزهم كما يخشى الإنسان أن يصلهم أنفه، وللأنف مكانته البارزة في وجه الإنسان، ولهذا اختاره الشاعر وغيره من الشعراء وجعلوه رمزاً للسمو والرفعة والأنفة. وكان لزاماً على الشاعر أن يدافع عن القبيلة، قال دَوسَرٌ القُرَيعيّ:

«وأرْمي الذي يَرمُونَ عن قَوسٍ بَغضَةٍ وليسَ على مَولايَ حَدّي ولا عَهدي»(2)

فالشاعر يناصر قومه لأنه واحد منهم، من دون قيد أو شرط سوى الرباط الدموي الذي تنتهي كل الروابط أمامه، وتقف حدودها دون حدّه، قال معاوية بن مالك:

«وكنتُ إذا العَظيمةُ أفزَعَتهم نَهَضْتُ ولا أَدِبُّ لَها دِبَابا»(3)

فالشاعر يحمل على مفزعة القوم، وينهض إلى لقائها إذا حلت نهوضَ قادرٍ، يدافع عن قومه بكل ما يستطيع. وفرضت حياة الجاهلية على القبائل أن تقاتل بطونها بعضها بعضاً. وتنبّه الشعراء إلى خطورة هذا الأمر ولكنهم أمام نظام فرضه عليهم دهرهم. قال المفضل

(1) الأصمعيات، ص245. الضبعي: ديوان المتلمس، ص19. رواية الديوان: أمنتقلاً من آل بهثة خِلتَني... انتقل: رجل نقيل إذا كان في قوم ليس منهم، اللسان ج12، ص197. بهثة: هو ابن ضبيعة بن ربيعة، والشاعر منهم. يصلهم: يستأصل كناية عن الذل.
(2) المصدر نفسه، ص151. المولى: القريب أو الحليف.
(3) المصدر نفسه، ص214. الفزع: شدة الخوف. دبّ: مشى على هينته.

النكري:

«فلمّا استيقنوا بالصَّبْرِ منّا   تُذُكِّرَتِ العَشائِرُ والحَزيقُ»[1]

فلما أيقن الفريقان المتحاربان من بأس بعضهم وشدتهم، تداركوا أنفسهم بتذكر ما يربطهم من صلات دم، قال قيس بن الخطيم:

«لمّا بَدَتْ غُدوَةً وجوهُهُمُ   حَنّتْ إلينا الأرْحامُ والصُّحُفُ»[2]

فهو يذكر أن ما جعل الطرفين المتحاربين يكفّان عن القتال ما تجاوبت به النفوس من حنين للأرحام، ولكنهم أمام نظام فرضته عليهم طبيعة الحياة. وكان لابد من غياب صوت الفرد حتى تظهر الجماعة، قال معاوية بن مالك:

«نُعطِي العَشيرَةَ حقَّها وحَقيقَها   فِيها ونغْفِرُ ذَنْبَها ونَسُودُ»[3]

فهم لا ينقصون شيئاً من حق القبيلة، ويحمون ذمارها أن ينال منه، ويسودون سادة شرفاء.

وهذه الأمثلة تظهر حديث الشاعر عن قبيلته في أبيات الأصمعيات، فهو مرة عاطف عليها، أو منتصر لها، وذائد عن حياضها، وهو لسان القبيلة في المحافل.

الفخر بالعادات العربية:

افتخر الشعراء العرب بعادات مجتمعهم، وتغنّوا بها في مجالسهم، وأول العادات التي تحدثوا عنها عادة الكرم. قال المنخل اليشكري:

«لا تَسألي عن جُلِّ ما   لي وانظُري حَسَبي وخِيري
وإذا الرِّياحُ تكمَّشَتْ   بِجَوانبِ البَيتِ الكَبيرِ

(1) الأصمعيات، ص203. الحزيق: الجماعة من الناس.
(2) المصدر السابق، ص198. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص117. وفي الديوان: «جباههم».
(3) المصدر السابق، ص212.

ألْـفَـيـتِـنـي هَـشَّ الـنَّـدَى بشَـريـج قِـدْحـي أو شَجيري»[1]

فالكرم يذهب الأموال، ولهذا هبت عاذلة الشاعر تلومه على إنفاقه وكرمه، ولكنه أبى ذلك الأمر منها، وجعل كرمه في وقت نضبت فيه الموارد، وجفّت أثداء الحلوب، وسيطر سلطان الشتاء. وقال الأسعَرُ الجُعفي[2]:

«يـا رُبَّ عَـرجَـلَـة أَصـابـوا خَـلَّـةً دَأَبُـوا وحـارَدَ لـيـلُـهُـم حَـتّـى بَكى
بـاتَـتْ شـآمِـيَـةُ الـرِّيـاحِ تَـلـفُّـهـمْ لَـدْنُ الـمَـهَـزّةِ ذو كـعـوبٍ كـالـنَّـوى
حـتّـى أتَـونـا بَـعـدَمـا سَـقَـطَ الـنَّـدَى فنَهضْتُ في الـبَـرْكِ الـهُـجُـودِ وفـي يَـدي
أحْـذَيـتُ رُمْـحـي عـائِـطـاً مَـمـكـورةً كَـومـاءَ أطْـرافُ الـعِـضـاهِ لـهـا حُـلَـى
بـاتَـتْ كِـلابُ الـحَـيِّ تَـسـنَـحُ بَـيـنـنـا يـأكُـلـنَ دَعْـجَـلَـةً ويَـشـبَـعُ مَـنْ عَفا»[3]

يرسم الشاعر صورة لكرمه في الشتاء حين آوى قوماً في زمن اشتدت فيه ريح شآمية باردة، فإذا به ينهض وفي يده رمحه طالباً من إبله أسمنها، فقرى ضيوفه وكل سائل. وجعل الشاعر زمن هذا الكرم في الشتاء أيضاً. ويظهر أن عادة الكرم هي أكثر العادات العربية تكراراً في أبيات الأصمعيات، وخصّ هذا الكرم في زمن الشتاء في الغالب. ولم يكن الفخر بالكرم وليد الشتاء فقط، بل هنالك عادة شرب الخمر وزجر القداح، وترتبط هذه العادات بالكرم من جهات أخرى. قال علباءُ بنُ أرقَم:

«وإذا الـعَـذارى بـالـدُّخـانِ تقنَّعَتْ واسـتـعْـجَـلَـتْ نَـصْـبَ الـقُـدورِ فمَلَّتِ

(1) الأصمعيات، ص59. تكمشت: أسرعت، اللسان ج8، ص234. الشريج: الخشبة المشقوقة نصفين. الشجير: القدح المستعار تيمناً بفوزه.

(2) الأسعر الجعفي: مرثد بن حمران، وأبو حمران هو الحارث بن معاوية، شاعر فارس، ذكره ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص867. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص47. البكري: السمط، ص94.

(3) الأصمعيات، ص142. عرجلة: رجالة وجمعها عراجل. حارد: قل. الخلة: الحاجة. البرك: جماعة من الإبل. لدن المهزة: أراد به رمحاً يهتز من لينه. أحذيت: أعطيت. العائط: من الإبل البكرة أدركت اللقاح ولم تلقح. الممكورة: المدمجة الخلق. الكوماء: الضخمة السنام. العضاة: شجر عظام. تسنح: تعرض. دعجلة: الأكل بنهمة. من عفا: طالب المعروف. انظر: الصفحات 209، 224، 237.

دَرَّتْ بِأرْزاقِ العِيالِ مَغالِقٌ بِيَديَّ من قَمَعِ العِشارِ الجِلَّةِ»[1]

ومثل هذا في قول عَوف بن عطية[2]:

«فلقد زَجَرْتُ القِدْحَ إذ هَبّتْ صَباً خَرْقاءُ تَقذِفُ بالحِظارِ المُسنَدِ

في الزّاهِقاتِ وفي الحُمولِ وفي التي أَبقَتْ سَناماً كالغَرِيِّ المُجْسَدِ»[3]

يفتخر الشاعران بعادة زجر القداح، وهي عادة كانت سائدة في عصرهم، ولا يجد من يمارسها حرجاً في المجتمع، بل اتخذها الشعراء وسيلة من أجل فخرهم، ولاسيما أنهم ذكروا قيامهم بها في زمن الشتاء حين لا يقدر كل إنسان على تيسير تبعات هذه اللعبة.

وتعدّى الفخر الإنسان حتى وصل إلى الحيوانات المفترسة في الصحراء، قال أسماءُ بن خارِجَة:

«ولقد أَلَمَّ بنا لِنَقْرِيَهُ بادي الشَّقاءِ مُحارَفُ الكَسْبِ»[4]

ثم قال:

«فوقَفْتُ مُعتاماً أُزاوِلُها بِمُهنّدٍ ذي رَوْنَقٍ عَضْبِ

فعَرَضْتُهُ في ساقِ أَسمَنِها فاجتازَ بينَ الحاذِ والكَعبِ

فتركتُها لِعِيالِهِ جَزَراً عَمْداً، وعلَّقَ رَحْلَها صَحْبي»[5]

(1) الأصمعيات، ص162. ملت: ملت الخبز إذا عملته في الملة، اللسان ج14، ص151. العيال: جمع عيل، وهو الفقير، اللسان ج13، ص516. المغاليق: جمع مغلق، وهي قداح الميسر. القمع: جمع قمعة وهي أعلى السنام من الإبل. العشار: جمع عشراء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر. الجلة: ناقة جلالة ضخمة، اللسان ج13، ص122.

(2) عوف بن عطية بن الخرع التميمي أحد سادات تميم الرباب وأشرافهم، شاعر مفلق جيد الشعر. الجمحي: الطبقات، ص36. البكري: السمط، ص377.

(3) الأصمعيات، ص170. زجر القداح: هو ضربها. الصَّبا: ريح مهبها من الشرق. خرقاء: هوجاء لا تدوم على جهتها في هبوبها. الحظار: حظيرة الإبل. الزاهقات: السمين من الإبل الذي اكتنز لحمه ومخه. الحمول: الإبل عليها الأحمال. الغري: نصب كان يذبح عليه النسك.

(4) الأصمعيات، ص50. ألم بنا: نزل بنا. المحارف: الذي لا يصيب خيراً من وجه توجّه له.

(5) المصدر السابق، ص52. معتاماً: مختاراً. أزاولها: يزاول عرقبتها بسيفه. الحاذ: موقع الذنب من الفخذين.

استمر الشاعر في وصف حديثه مع الذئب، ووصف قراه في عشرين بيتاً، ونقل في نهايتها صورة الذئب الذي وقف كأنه يستدرُّ عطفَ الشاعر حتى ترك له هذه الجزور ينهش أوصالها هو وعياله، ويقتلون بها سغب الجوع. وفي حقيقة الأمر لا يكون هذا إلا تصويراً مبالغاً فيه لعادة الكرم عند العرب، وقد توارثها الأبناء عن الآباء والجدود. وساعدت طبيعة الحياة العربية آنذاك على استمرار هذه العادة، وهي حياة بسيطة رغم شقائها، وقد طبعت أبناء العرب بطابعها.

ولدينا كثير من العادات افتخر بها العرب، وكانوا يرونها كالكرم في حياتهم، منها فخرهم بالرحلة وقطع القفار، قال خُفاف بن نُدبة:

«ومُـعَـبَّـدٍ بَـيْـضُ الـقَـطـا بـجُـنـوبِـه ... ومـن الـنّـواعِـجِ رِمَّـةٌ وصَـلـيـبُ

نَـفَّـرْتُ آمِـنَ طَـيـرِه وسِـبـاعِـهِ ... بـبُـغـامِ مـجْـذامِ الـرَّواحِ خَبوبُ»[1]

وقال كعبٌ الغنَوي:

«وشَخْصٍ درَأْتُ الشّمسَ عنه براحَتي ... لأنْـظُـرَ قـبـلَ الـلـيـلِ أيـنَ نُـزولـي

ومُـنـشَـقِ أعْـطـافِ الـقَـمـيـصِ دَعَـوتُـه ... وقـد سَـدَّ جَـوزُ الـلـيـلِ كُـلَّ سَـبـيـل

فـقـلـتُ لـه: قـد طَـالَ نـومُـكَ فـارتَـحِـلْ ... ومـا ذاقَ طَـعْـمَ الـنَّـومِ غـيـرَ قَليلِ»[2]

فخفاف بن ندبة يفتخر بطروقه هذه الطريق التي تهلك كرام الإبل قبل قطعها، ولكنه سار فيها مطمئناً، ينفر حيوانها وطيرها، بصوت راحلته السريعة.

ويرسم كعب صورة رائعة لمسافر في ذاك الزمان، ويبدو لنا وهو واقف ينظر في عرض الأرض لعله يرى رسماً، أو مكاناً يختاره مأوى لنفسه في ليلته وقد تداركه الليل، ثم التوى إلى وصف صاحبه، وتصوير آثار السفر عليه؛ فثيابه ممزقة، وليله سرى متواصل، ولم يذق

(1) الأصمعيات، ص27. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص41. المعبد: الطريق. النواعج: الإبل البيض. الصليب: ودكُ العظام، اللسان ج2، ص12. البغام: بغمت الناقة قطعت الحنين ولم تمده، اللسان ج14، ص317. مجذام الرواح: الإجذام السرعة في السير، اللسان ج14، ص353. الخبوب: نوع من السير.

(2) الأصمعيات، ص75. أعطاف القميص: جوانبه. جوز الليل: معظمه، اللسان ج7، ص191.

طعم النوم إلا قليلاً.

وتجد في الأصمعيات ذكراً لبعض القيم العربية، التي كان العربي يعتزّ بها، ويحثّ أبناءه على التمسك بها من بعده، قال مالكُ بن حَريم:

«فإنْ يَكُ شَابَ الرَّأسُ منّي فإنَّني ... أبَيْتُ على نَفْسي مَناقِبَ أرْبَعا

فواحِدةٌ: أنْ لا أبِيتَ بغِرّةٍ ... إذا ما سَوامُ الحَيّ حَولي تَضوَّعَا

وثانيةٌ: أن لا أُصَمِّتَ كَلبَنا ... إذا نَزَلَ الأضيافُ حِرْصاً لنُودَعا

وثالثةٌ: أن لا تُقَذَّعَ جَارَتي ... إذا كانَ جارُ القَومِ فيهِم مُقَذَّعا

ورابعةٌ: أن لا أُحَجِّلَ قِدْرَنا ... على لَحمِها حينَ الشِّتاءِ لَنَشْبَعا»(1)

ففي هذه الأبيات نجد قيماً تمسّك بها الشاعر، والمجتمع العربي آنذاك، فهو يأبى على نفسه أن لا يأمنه الجار على أمواله، وخصّ في البيت الأول السوام لأنها أشد عرضة للغزو وغيره. وكذلك فالشاعر ممن يعزّونَ الجار، ويخشون أن تنال ألسنتهم من حرائر جيرانهم، إذا كان هذا الشيء مباحاً لدى غيرهم من الأقوام. أما الخصلتان الثانية والرابعة فتتعلقان بالكرم، فهو لا يصمت كلبهم خشية أن يسمع الطارقون صوته، فيحلون ضيوفاً عليه، ولا يخفي قِدَره عن أهل بيته أو ضيفه.

وباستطاعتنا القول إن فخر الشعراء الوارد في الأصمعيات تناول معظم العادات التي يعتز بها الإنسان العربي آنذاك، ومنها مايزال موضع فخار العربي حتى يومنا هذا. وكان لبعض هذه العادات مكانة بارزة في أبيات الأصمعيات كالكرم، فقد ذكره كثير من الشعراء، وتميز ذكرهم للكرم أن جعلوا عقرهم للإبل يتم في فصل الشتاء أكثر من الفصول الأخرى، ولهذا دلالة على كرمهم في أشد الظروف جدباً. واتصلت بعادة الكرم أيضاً عادة لعب الميسر، وسارت مسارها في المجتمع العربي آنذاك. وظهر الفخر بالقتال بشكل جلي، وارتبطت

(1) الأصمعيات، ص64. الغرة: الغفلة، اللسان ج6، ص314. السوام: الإبل السائمة. لنودع: لنترك، تقذع: ترمي بالخنى والفحش، اللسان ج10، ص133. لا أحجل: لا نسترها ونجعلها في حجلة، والحجلة بيت كالقبة يستر بالثياب، اللسان ج13، ص151. انظر: ص67.

به عادة قيادة الكتائب في الحرب وكل ما يحمله الفرسان من سيوف ورماح ودروع لُقِّبَت مراراً بالسابغات وأخرى بغيرها. وافتخروا بالصبر على رحا الحرب الدائرة بينهم، وقدرة فرسانهم على خوض غمارها.

ومما يُظهِرُ الشجاعة في غير الحرب الرحلة في أطراف بلادهم المترامية؛ ولاسيما إذا كانت الرحلة في الليل؛ حيث يقطع الرجل منهم طريقه منفراً حيوانات البيداء أو طيورها. ويرد ذكر المخلوقات البرية مع ذكر الطريق ليدل على أنها مجهولة وقد آنستها فاستقرت بها.

المدح:

جعل قدامة بن جعفر المديح أول أغراض الشعر(1)، وقال ابن رشيق في باب المديح: «وسبيل الشاعر – إذا مدح ملكاً – أن يسلكَ طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية...»(2)، وفي هذا جلاء لصفات الممدوح. قال المُمزَّق العَبدي يمدح عمرو بن هند:

«تَروحُ وتَغدو ما يُحَلُّ وَضينُها ... إليكَ ابنَ ماءِ المُزنِ وابنَ مُحَرِّقِ

عَلَوتُمْ مُلوكَ النّاسِ في المَجدِ والتُّقى ... وغَرْبِ نَدىً من عُروة العِزِّ يَستَقي

وأنتَ عَمودُ الدِّين مَهما تَقُلْ يُقَلْ ... ومَهما تضَعْ من باطِلٍ لا يُلحَّقِ

وإنْ يَجْبُنوا تَشْجُعْ وإنْ يَبخَلوا تَجُدْ ... وإنْ يَخرِقُوا بالأمرِ تَفصِلْ وتَفْرُقِ»(3)

وهذه الأبيات الأربعة من قصيدة بلغت عشرين بيتاً، استهلها الشاعر بذكر همومه، ثم وصف راحلته التي أعياها السفر، وجعلها ضامرة حتى وصل إلى النعمان مادحاً مستعطفاً. وقد أجمل الشاعر عدة صفات في ممدوحه هي: النسب والتقى والعز والدين والشجاعة

(1) ابن جعفر: نقد الشعر، ص58.

(2) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص128.

(3) الأصمعيات، ص166. الوضين: بمنزلة الحزام. الغرب: الدلو العظيمة. حزق بالشيق: جهله ولم يحسن عمله.

والكرم والحزم في الأمور دون أن يطيل في مدحه. وفي المدح يحرص بعض الشعراء على وصف مشقة الرحلة وأنضاء الراحلة كما في قصيدة الحكم الخضري:

«إلـى ابـنِ بـلالٍ جَـوْبِـيَ الـبِـيـدَ والـدُّجى   بـزَيّـافَـةٍ إن تَـسْـمَـعِ الـزَّجْـرَ تَغْضَبِ»[1]

فقد ذكر الممدوح في الشطر الأول ثم استغرق القصيدة في وصف الناقة، ولولا أنه ذكر ابن بلال في الشطر الأول لأسرع إلى ذهن قارئ الأبيات أنها في وصف الناقة والرحلة.

والتفت بعض الشعراء إلى صفة الشجاعة في الممدوح فأظهرها، ومن هذا قول عبد الله ابن عَنَمة الضبي:

«إذا الـحـارِثُ الـحَـرَّابُ عـادَى قَبيلةً   نَـكـاهَـا ولـمْ تَـبـعُـدْ عَـلـيـه بـلادُهـا

سـمَـوْتَ بـجُـردٍ فـي الأعِـنَّـةِ كالقَنا   وهُـنَّ مَـطـايـا مـا يَـحـلُّ فِـصـادُهـا

تُـعَـلِّـقُ أضْـغـاثَ الـحَـشـيـشِ غُـواتُـهـا   وتُـسـقَـى لـخِـمْـسٍ بَـعدَ عِـشْـرٍ مُـرادُهـا

يُـطـرِّحْـنَ سَـخْـلَ الـخَـيـلِ فـي كُـلِّ مَـنزلٍ   تَـبـيَّـنُ مـنـه شُـقْـرُهـا وَوِرادُهـا»[2]

فالحارث فارس يصيب أيَّ قبيلة عادته، ويتبعها مهما كانت أرضها بعيدة عن أرضه. وكنّى الشاعر عن ذلك بأن جعل الخيل تطرح أجنتها.

ويمكن القول بعد استقراء الأصمعيات: إنها حوت أبياتاً قليلة في المدح، توجّه الشعراء في أكثرها لإظهار صفة الشجاعة والعزة في الممدوح.

النسيب:

قال قدامة: «النسيب ذكر الشاعر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن، وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق ما بين النسيب والغزل، والفرق بينهما أن

---

(1) المصدر السابق، ص32.

(2) الأصمعيات، ص226. سموت: ارتفعت. الجرد: القصير الشعر. فصادها: ما يفصد من دمها فيؤكل. الأضغاث: جمع ضغث وهو مثل الحزمة ملء الكف ونحوه. غواتها: جمع غاو، وهو الهزيل. السخل: أصله ولد المعز والضأن وجعله هنا للخيل.

الغزل هو المعنى الذي اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء»[1]. يفرق قدامة بين النسيب والغزل جاعلاً النسيب هو ما ينتج من أحوال الهوى في النفس، والغزل ما يكون خيال الإنسان فيما يتعلق بالمرأة. ولكن الغزل والنسيب تربطهما وشائج واحدة هي الدوافع الداخلية في الإنسان. وقد استعمل القدماء هذين اللفظين للتعبير عن تلك الدوافع مما يجعل أمر الفصل بينهما عسيراً.

يقول الحوفي بعد أن تعرض لآراء القدماء في الغزل والنسيب والتشبيب: «رأيتُ أن آخذ برأي اللغويين والأدباء من القدماء فلا أغرق بين مدلولات هذه الكلمات. وقد اخترت كلمة الغزل دالة على الأنواع كلها لأنها أخف نطقاً وأكثر شيوعاً»[2]. وهذا يعني أن القدماء كابن سلام الجمحي، وابن رشيق استعملوا هذه الألفاظ للدلالة على شيء واحد. ولهذا سنجعل التشبيب والغزل غرضاً واحداً.

وقد ذكر بعض شعراء الأصمعيات المرأة في مطالع قصائدهم، قال مالك بنُ حَريم الهَمداني:

«تَذكَّرتُ سَلمى والرِّكابُ كأنَّها ... قَطاً وارِدٌ بينَ اللفاظِ ولَعْلَعا
فَحَدّثتُ نَفْسي أنَّها أو خَيالَها ... أَتانا عِشاءً حينَ قُمنا لنَهْجَعا
فقُلتُ لها بِيتي لدَيْنا وعَرِّسي ... وما طَرَقَتْ بَعدَ الرُّقادِ لتَنْفَعا»[3]

يتحدث الشاعر عن خيال سلمى الذي طرقه عندما كان في سفر، وقد زاره في ساعة متأخرة من الليل. ووصف الشاعر نفسه في حديثه مع الطيف. ونلاحظ أن حديث الشعراء عن المرأة ارتبط به حديثهم عن طيف الخيال الذي ورد أربع مرات في الأصمعيات. ولعل الشعراء كانوا يجدون في حديث الطيف تعبيراً عن كوامن أنفسهم، فهو «يعلل المشتاق

(1) قدامة: نقد الشعر، ص123.
(2) الحوفي، أحمد محمد: الغزل في الشعر الجاهلي، ط1، طبع ونشر مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1370هـ/ 1950م، ص11.
(3) الأصمعيات، ص63. اللفاظ: ماء لبني إياد. لعلع: موضع.

المغرم، ويُمسكُ رمقَ المعنى المسقم»[1]. ولهذا عبر الشعراء من خلال الطيف عن مشاعرهم. ويظهر في الأصمعيات أن كلام الشعراء عن المرأة كان مرتبطاً بالزمن الماضي، قال عِلباء بن أرقَم:

«حَـلّـتْ تُـمـاضِـرُ غَـربَـةً فاحـتـلَّـتِ ... فَـلْجاً وأَهْـلُـكَ بـالـلِّـوى فالحِلَّتِ»[2]

عبّر الشاعر عن رحيل تماضر بالفعل الماضي حلت، ومن الأفعال التي استعملها الشعراء: بانت وأشت، وقال ربيعةُ الضبي:

«تَـذكّـرْتَ والـذِّكـرَى تَهيـجُكَ زَينـبَا ... وأَصْـبـحَ بَـاقـي وَصْـلِـها قَـد تقَضَّبا

وَحُـــلَّ بـفَـلْـجٍ فـالأَبـاتِـرِ أهـلُـها ... وشَـطَّـتْ فحطّـتْ غَـمْـرَةً فمُثَقَّبا»[3]

فالشاعر يتذكر عهداً قد مضى حين كان أهلُ زينب ينزلون في المواضع التي عددها، وربما كان تعداد المواضع يشير إلى علاقة قوية بين الشاعر والمرأة التي يذكرها من جهة، وليعبر عن شدة وجده من جهة أخرى. وصوّر بعض الشعراء جمال المرأة، قال قيس بن الخَطيم:

«فيـهـم لَـعـوبُ الـعِـشـاءِ آنـسَـةُ الـدْ ... دلِّ عَـروبٌ يَـسـوْؤُهـا الـخُـلُـف

بـيـنَ شُـكُـولِ الـنِّـسـاءِ خِـلقَـتُـها ... قَـصْـدٌ فـلا جَـبْـلَـةٌ ولا قُـضُـفُ

تَـغـتـرِفُ الـطَّـرْفَ وهْـيَ لاهِـيـةٌ ... كـأنَّـمـا شَـفَّ وَجْـهَـهـا نُـزَفُ»[4]

وصف الشاعر خلق المرأة وظرفها ودلالها وحديثها الذي وصفه الشعراء بأنه مشتهى.

---

(1) المرتضى، علي بن الحسين: طيف الخيال، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، راجعه: إبراهيم الأبياري، ط1، دار إحياء الكتب العربية، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/ 1962م، ص5.

(2) الأصمعيات، ص161.

(3) المصدر السابق، ص224. القيسي، د. نوري حمودي: شعراء إسلاميون، ط2، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/ 1984م، ص248. تقضب: تقطع. فلج والأباتر وغمرة ومثقب: مواضع.

(4) المصدر السابق، ص196. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص103. شكول: جمع شكل، وهو الضرب. الضرب: القصد بين الطرفين. القضف: النحيفة. تغترف النظر: تشغله بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها. النزف: الضعف.

قال المفضّل النكري:

«تُـلَـهِّـي الـمَـرءَ بـالـحِـدْثـانِ لَـهْـواً وتَـحْـدِجُـه كما حُـدِجَ المُطِيقُ»[1]

فكأنَّ من يستمع لحديث هذه المرأة يلهو عن شأنه لجمال حديثها.

وذكر بعض الشعراء شدة وجدهم لفراق المرأة، قال مالك بن حَريم:

«أَهِـيـمُ بـهـا لـم أقْـضِ مـنـهـا لُـبـانَـةً وكُنتُ بِها في سَالِفِ الدَّهْرِ مُوزَعا»[2]

فالشاعر يصرح بأن وجده بسلمى قديم، وكان مغرماً بها، وقال المفضّل النكري:

«فـدَمْـعـي لـؤلـؤٌ سَـلِـسٌ عُـراهُ يَـخِـرُّ عَـلـى الـمَـهـاوي ما يَليقُ»[3]

فكأن الشاعر لم يستطع إخفاء وجده وحزنه بسبب رحيل جيرانه، فانهملت دموعه تفرج ضيق صدره.

ومن استقراء الأصمعيات نجد المرأة ذكرت في تسع عشرة قصيدة ذكراً يتصل بالغزل، وكان ذكرها يشغل البيت والبيتين في بعض تلك القصائد، وتعدّاها أحياناً إلى العشرة أبيات كما في قصيدة قيس بن الخطيم. وكان ذلك الغزل على عادة الشعراء العرب في ذكرهم المرأة من حديثهم عن الطيف، ورحيل الجيران، وتشبيه المرأة بالظبية، ووصف دلالها، ولم يكن فيه شيء من الغزل الفاحش قط.

الهجاء:

قال قدامة: «فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له»[4]. يرى قدامة أن يعمد الشعراء إلى الفضائل التي يمتدح بها فيسلبونها من المهجو. وقال ابنُ رشيق: «فقد حكى محمد بن سلام الجمحي عن يونس بن حبيب أنه قال: أشد الهجاء الهجاء بالتفصيل،

(1) المصدر السابق، ص200. الحدثان: جمع الحديث.
(2) الأصمعيات، ص63. اللبانة: الحاجة. الموزع: المغرى.
(3) الأصمعيات، ص200. يليق: يحتبس.
(4) قدامة: نقد الشعر، ص90.

وهو الإقذاع عندهم»[1]. ولعل يونس يرى تفصيل القول في صفات المهجو. وورد في الأصمعيات قول الأسعر الجعفي يهجو إخوتَه لأبيهِ:

«أَبلِغْ أبا حُمرانَ أنَّ عَشيرَتي نَاجَوْا ولِلقَوْمِ المُناجِينَ التَّوَى

باعُوا جَوادَهُمُ لِتَسْمَنَ أُمُّهُم ولِكَي يَعودَ عَلى فِراشِهِمُ فَتى

عِلْجٌ إذا ما بَزَّ عَنها ثَوْبَها وتَخامَصَتْ قالتْ لَه: ماذا تَرَى»[2]

فقد فصل الشاعر في هجائه من بيع جواد إخوته إلى حديث أمهم، وهذا من أقذع الهجاء حيث جرّدهم من أهم ما يفخر به العرب وهو حماية العِرض. وعمد بعض الشعراء إلى سلب الشجاعة عمن يهجون، قال دريد بن الصمة:

«ومُرَّةَ قَد أخْرَجْنَهم فتَرَكْنَهُم يَرُوغونَ بالصَّلعاءِ رَوْغَ الثَّعالبِ»[3]

فقد شبّه أولئك القوم بالثعالب؛ حيث لم يثبتوا في القتال أمام عدوهم. وانصبّ بعض الهجاء في الأصمعيات على الأجسام، قال عوفُ بن عطيّة:

«أَتأكُلُ أشْباهُ المَغازِلِ ذِمَّتي ولمّا تَكُنْ فِيها الرِّبابُ عَماعِما

فأمّا الدِّقاقُ الأَسْوُقِ الضُّلعُ منهمُ فَلسْتُ بهاجِيهِمْ وإنْ كنتُ لائما»[4]

ذكر الشاعر الصفات الجسدية، وهجا أعداءه بها. وعن المعايب الجسمية يقول ابن رشيق: «فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب، فالهجاء به دون ما تقدم»[5]، وذلك لأن الرجال تمدح بأخلاقها. ويلاحظ على الهجاء في الأصمعيات أن أكثره كان منصباً على

---

(1) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص170.

(2) الأصمعيات، ص140. ناجوا: من المناجاة والمساورة. التوى: الهلاك. العلج: الرجل الشديد الغليظ. بزّ الثوب: انتزعه. تخامصت: تجافت عن الفراش ليظهر خمصها وضمورها.

(3) المصدر السابق، ص112. الجشمي: ديوان دريد، ص28. يروغون: يذهبون ههنا وههنا كما يروغ الثعلب. الصلعاء: موضع بين حاجر والنقرة.

(4) المصدر السابق، ص168. الرباب: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة، وهم: ضبة وقور وعكل وتيم وعدي. الأسوق: جمع ساق. الضلع: جمع أضلع وهو الشديد الغليظ.

(5) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص174.

نزع صفات الكرم والشجاعة وحماية العِرض. أما ما توجّه به الشعراء إلى الصفات الخلقية، فقد نظروا إلى ما يظهر جمال الخلقة عند المرأة خاصة وذكروا ضده[1].

الوعيد والإنذار:

قال ابن رشيق: «كان العقلاء من الشعراء، وذوو الحزم، يتوعدون بالهجاء ويحذرون من سوء الأحدوثة»[2]. فالشعراء يحذرون في هذا الباب من سوء عواقب الأمور، وما تأتي به من مضارّ. ونجد بعض شعراء الأصمعيات قد تطرقوا إلى الوعيد، ومنهم الأجدع الهمداني في قوله:

«أَبلِغْ لدَيكَ أبا عُمَيرٍ مُرْسَلاً ... فلقد أنَختَ بمنزلٍ جَعْجاعِ

ولقد قَتلْنا من بَنيكَ ثَلاثةً ... فلْتَنزِعَنَّ وأنْتَ غَيرُ مُطاعِ

إنّ الفَوارِسَ قد عَلِمْتَ مَكانَهُم ... فانْعِقْ بشاتِكَ نَحْوَ أهْلِ رُداعِ»[3]

فالشاعر يهدد أبا عُمير مشبهاً مصيره في هذه الحرب كمن ينزل في أرض صلبة، ثم سلك سبيلاً أشد قساوة في التهديد عندما عيّره بقتل أولاده الثلاثة، وأشار عليه بالابتعاد عن بلاد ينزلها الأجدع وقومه. ومن التهديد قول دريد بن الصمة:

«فلليَوْمِ سُمِّيتُم فَزارَةُ فاصْبِرُوا ... لِوَقْعِ القَنا تَنْزُون نَزْوَ الجَنادِبِ

تَكُرُّ عَليهم رِجْلَتي وفَوارِسي ... وأُكْرِهُ فيهم صَعْدَتي غيرَ ناكِبِ

فإنْ تُدبِروا يأخُذْنَكُم في ظُهورِكم ... وإن تُقبِلوا يأخُذْنَكُم في التَّرائِبِ

وإن تُسْهِلوا للخيل تُسْهِلْ عَليكمُ ... بطَعْنٍ كإيزاغِ المَخاضِ الضَّوارِبِ»[4]

(1) انظر في المعايب الخلقية: الأصمعيات، ص235.

(2) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص167.

(3) الأصمعيات، ص69. الجعجاع: الأرض الغليظة. نزع في الأمر: كف وانتهى. نعق بغنمه: صاح بها وزجرها. رداع: مخلاف من مخاليف اليمن.

(4) المصدر السابق، ص112. الجشمي: ديوان دريد، ص28. النزو: الوثبان. الجنادب: ضرب من صغار الجراد. الرجلة: جمع راجل. الصعدة: القناة المستوية. غير ناكب: غير عادل عنها. الترائب: عظام الصدر. الإيزاغ: إخراج البول دفعة واحدة. الضوارب: اللواقح. المخاض: النوق الحوامل.

يتوعد دريد بن الصمة بني فزارة إن دارت عليهم رحا الحرب فسيجعلهم كصغار الجراد كناية عن شدة دريد وقومه؛ لأنهم سيأخذون فزارة بها في إقبالهم وإدبارهم بطعن يجعل الدم يتدفق كتدفق بول النوق.

ويلاحظ على ما ورد في الأصمعيات من أبيات الوعيد والتهديد أن صورة الخوف فيها تكاد تكون واحدة، فالشاعر يحذر أعداءه ويُنذِرُ من شر الواقعة إن حدثت، فهي واقعة مرة كما صوّرها سنانُ بن أبي حارثة بقوله:

«قُل للمثلَّمِ وابنِ هندٍ بعدَه ... إن كُنْتَ رائمَ عِزِّنا فاستقدِمِ

تَلْقَ الذي لاقى العَدوُّ وتَصْطَبحْ ... كَأسَاً صُبابَتُها كطَعْمِ العَلْقَمِ»[1]

وصور الشعراء حال أعدائهم في الحرب ليكون عبرة لمن يتوعدونه[2]

(1) الأصمعيات، ص208.

(2) انظر: أبيات عامر بن الطفيل، ص216. المهلهل، ص156.

الصورة البيانية في الأصمعيات

الاستعارة:

ورد في معجم البلاغة العربية الاستعارة: «هي تشبيه حُذف أحد طرفيه»(1)، ونضع هذا التعريف تجنباً للتعريفات المتعددة عند القدماء كابن المعتز، وأبي هلال العسكري وغيرهما في تحديدهم لمصطلح الاستعارة. ومن هذا المنطلق سنعتمد على معجم البلاغة في كل من مصطلح المجاز والكناية. ومن خلال النظر في الأصمعيات نجد استعارات مختلفة، نورد نماذج منها، قال ضابئ البُرجُميّ في حديثه عن الديار:

«تكادُ مَغانِيها تَقولُ من البِلَى   لِسائِلِها عَنْ أهْلِها: لا تَغَيَّلا»(2)

يتحدث الشاعر عن ديار ليلى وقدمها، وقد استعار لها من صفات الإنسان ردّ الخطاب ومخاطبة السائل، والإنسان هو المشبهُ به، ودلّت عليه صفاته، وهذه من الاستعارات المكنية. وفي الحديث عن قطع الديار المقفرة، قال سَوّارُ بنُ المُضَرَّب:

«رَمَى بلدٌ به بلداً فأضْحى   بظَمأى الرّيحِ خاشِعَةِ القِنانِ»(3)

والشاعر يتحدث عن قطعه الديار المقفرة جاعلاً تلك الديار ترمي به من بلد إلى آخر وقد أعطاها صفة الرمي، وهي من صفات الإنسان، وهذا على سبيل الاستعارة المكنية أيضاً. وقد جعل الشعراء للطبيعة بعض صفات الإنسان. قال الأسعر الجعفي:

«يا رُبَّ عَرْجَلَةٍ أصابوا خَلّةً   دَأَبوا وحارَدَ ليلُهم حتّى بَكى»(4)

أعطى الشاعر لليل صفة البكاء، وهي من صفات الإنسان. وقال سُبَيعُ بن الخَطيم في

---

(1) طبانة، د. بدوي: معجم البلاغة العربية، ط1، منشورات جامعة طرابلس، 1397هـ/ 1977م، مجلد 2، ص598.
(2) الأصمعيات، ص179. انظر: قول عبد الله بن عنَمة، ص226، بيت 4.
(3) المصدر السابق، ص240. القنان: جمع قنة. الخاشعة: اليابسة لم تمطر.
(4) المصدر السابق، ص142. عرجلة: رجالة. الخلة: الحاجة.

وصف سحابة:

«حَـلَّـتْ بـه بَـعـدَ الـهـدُوِّ نِطـاقَـها   مِـسْـعٌ مُـسَـهَّـلـةُ الـنِّـتـاجِ رَجـوفُ»(1)

يضم البيت استعارتين، الأولى: هي استعارة النطاق للسحابة عندما شبهها بالمرأة.

أما الاستعارة الثانية فهي استعارة النتاج للسحابة، حيث شبهها الشاعر بالناقة. وفي الاستعارتين حذف الشاعر المشبّه به وأبقى ما يدل عليه، في الأولى النطاق، وفي الثانية النتاج. ومن الاستعارات التصريحية، قول أبي دواد يصف إبلاً:

«فـإذا أقـبَـلَـتْ تَـقـولُ إكـامٌ   مُـشْـرفـاتٌ فَـوقَ الإكـامِ إكـامُ

وإذا أعـرَضَـتْ تـقـولُ قُـصـورٌ   مـن سَـمـاهِـيـجَ فَـوقَـهـا آطـامُ»(2)

يتحدث الشاعر عن إبل سمنت، وتغير حالها فشبهها مرة بالآكام، وقد بدت للناظر أسنمتها كأنها آكام فوقها، وفي البيت الثاني شبهها بالقصور في ضخامتها وعلو أسنمتها، وحذف الشاعر الإبل وهي المشبه في البيتين وأبقى المشبه به.

وإن ما يلاحظ على الاستعارة في الأصمعيات أن الشعراء نظروا إلى بعض صفات الإنسان فأعطوها لغيره كصفة ردّ الخطاب أو السؤال، والبكاء والوداع، والهداية، وغيرها من صفات. وهذه الاستعارات بجملتها قد استخدمها الشعراء إما لوصف أحوالهم أو لوصف الطبيعة المحيطة بهم مما يقع لأعينهم وهي استعارات محسوسة.

التشبيه:

يحتل التشبيه المنزلة التالية للوصف في أبيات الأصمعيات. وقد تناول التشبيه كثيراً من جوانب الحياة، وأكثر الشعراء من تشبيه الخيل، والإبل، والمرأة. وتكاد تتقارب تشبيهات الإبل والمرأة من حيث عدد الأبيات.

---

(1) الأصمعيات، ص223. النطاق: شقة تلبسها المرأة تشد بها وسطها. المسع: ريح الجنوب. رجوف: تسير ببطء.

(2) المصدر السابق، ص188. الإيادي: شعر أبي دواد، ص339. سماهيج: جزيرة في وسط البحر بين عمان والبحرين. آطام: جمع أطم وهو الحصن المبني بالحجارة.

تشبيه الخيل:

أما تشبيه الخيل فهو مأخوذ من البيئة المحيطة بالشعراء مما تقع عليه عيونهم من طيور أو حيوانات برية سريعة، ولاسيما أن الجياد كانت حاجة ماسة للعربي، فهي وسيلة التنقل، ومطية الحرب. ولذلك حافظ الشعراء على تشبيهها بالطيور السريعة والجارحة أحياناً كالقطاة والحدأة والبازي والصقر. ومن الشعراء الذي ذكروا سرعتها امرؤ القيس، قال:

«إذ هـيَ أقْسـاطٌ كـرِجْـلِ الـدَّبَـا   أو كـقَـطـا كـاظِـمَـةَ النّاهِلِ»(1)

وقال ربيعةُ بن مَقروم:

«وواردةٍ كـأنَّـهـا عُـصَـبُ الـقَـطـا   تُـثـيرُ عَـجاجاً، بالسَّنابك، أصْهَبا»(2)

نجد في الأبيات السابقة تكراراً لصورة الخيل، وقد شُبهت بالقطا، وجعل الشعراء القطا في حالة ورود إلى الماء حيث يكون ذلك أسرع لطيرانها، وتكون أشد انصباباً نحو الماء، وشُبهت الخيل بالطيور الجارحة، ومما شبهت به الحدأة، قال عامر بن الطفيل:

«فَـلأبْـغِـيَـنَّـكُـمُ الـمَـلا وعُـوارضـاً   ولأُهـبِـطَـنَّ الـخـيـلَ لابَـة ضَـرْغَـد

بـالـخـيـلِ تَـعـثُـرُ فـي الـقـصـيـدِ كـأنَّـهـا   حِـدَأٌ تَـتـابَـعُ في الطـريـقِ الأَقْصَدِ»(3)

جعل الشاعر تتابع الخيول في هذه الغارة كأرسال الحدأ، وهي من جوارح الطير وتمتاز بالسرعة. ومن الجوارح التي شبّه بها الجواد الصقر، قال الأسعَر الجُعفي:

«أمّـا إذا اسـتـقـبَـلـتَـهُ فَـكـأنَّـهُ   بـازٌ يُـكَـفـكَـفُ أنْ يَـطـيرَ وقـد رَأى»(4)

شبّه الفرس بالصقر في منظره، وسرعة انقضاضه، وجعل بعض الشعراء الصقر في

(1) الأصمعيات، ص130. امرؤ القيس: ديوانه، ص121. أقساط: يريد الخيل. الدبا: القطا قبل أن يطير، ورجله جماعته. الناهل: العطشان. كاظمة: جو على سيف البحر من البصرة على مرحلتين وفيها ركايا كثيرة، وماؤها شروب.

(2) المصدر نفسه، ص224. العصب: جمع عصابة وهي الجماعة، ويعني بها خيلاً. انظر: ص54، 220.

(3) الأصمعيات، ص216. الطفيل: ديوان عامر، ص55. رواية الديوان: ولا أوردن الخيل لابة... والخيل تردي الكماة كأنها... الملا وعوارض: مواضع. اللابة: الحرة. القصد: كسر القنا.

(4) الأصمعيات، ص141. الباز: ضرب من الصقور يصاد به. وانظر: ص191.

حال رؤيته للصيد حيث يكون أشد انقضاضاً على فريسته. وكما شبهت الخيول بالطيور الجارحة، شبهت بالحيوانات البرية سريعة الجري كالشادن، وحمار الوحش، والذئب. قال خُفاف بن نُدبة:

«ومَدَّ الشِّمالَ طعْنُهُ في عِنانِه وَباعَ كبَوْعِ الشادِنِ المُتَطَلِّقِ»(1)

وشبه الفرس بالثور الوحشي، وحرص الشعراء على جعل المشبّه به (الغزال أو غيره) في صورة ذعر وخوف؛ حيث يكون أشد فزعاً وجرياً من أجل الحفاظ على حياته، وعمدوا إلى جعل الغزلان في مناطق سهلة ليكون انطلاقها أيسر ودافعها في ذلك خوفها على نفسها، وعدم وجود حاجز طبيعي يعيق انطلاقها، وشبّه الفرس كذلك بالذئب، قال دريد بن الصمة:

«وغارةٍ بينَ اليوم والليل فَلتَةٍ تَداركْتُها ركضاً بسِيدٍ عَمَرَّدِ»(2)

جعل هذا الفرس كالذئب، وهي صورة مناسبة للغرض الذي سيقت لأجله، فالذئب من الحيوانات المعروفة بعدوِها السريع الخاطف، وبشراستها. وانفرد خفاف بن ندبة في تشبيه قال فيه:

«حَامٍ عَلى دُبُرِ الشِّياهِ كأنَّه إذْ جَدَّ سَجْلٌ نَزُّهُ مَصْبوبُ
بَرِدٌ تُقَحِّمُهُ الدَّبورُ مَراتِباً مُلقَى ضَواحي بينَهنَّ لُهوبُ»(3)

فخفاف يجعل لفرسه صورتين مستمدتين من الماء وشبهه في الأولى بدلو عظيمة، وفي الثانية شبهه بسحاب محمل بالبرد، وقد أخذت رياح الدبور تدفعه من مكان لآخر. ومن

---

(1) الأصمعيات: ص24. شعر خفاف، ص33. طعن الفرس في العنان إذا مدّه وتسط في السير. باع يبوع بوعاً: مد الذراع في المشي. المتطلق: كناية عن السرعة. وانظر الصفحات: 69، 135، 177.

(2) المصدر السابق، ص109. الجشمي: ديوان دريد، ص50. وغارة بين اليوم والأمس قبله. الفلتة: كان للعرب في الجاهلية ساعة يغيرون فيها يسمونها فلتة، وهي آخر ساعة في آخر يوم من جمادى الآخرة. السيد: الذئب. العمرد: الطويل. وانظر: ص54.

(3) الأصمعيات، ص28. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص42. الشياه: هنا البقر الوحشي. البرد: بفتح الباء وكسر الراء السحاب ذو البرد. تقحمه الدبور مراتباً: تدفعه منزلاً منزلاً. الضواحي: جمع ضاحية، وهي ما ظهر وبرز للشمس. اللهوب: جمع لهب بكسر فسكون وهو الشعب الصغير في الجبل، كالحائط لا يستطاع ارتقاؤه، اللسان ج2، ص240. وانظر: ص144.

المستحب في الخيول ضمورها، ليساعدها على السرعة. قال خفاف بن ندبة:

«ولقد هَبَطتُ الغَيْثَ يدفَعُ مَنكِبي   طِرْفٌ كسافِلَةِ القناةِ ذَنوبُ»[1]

يشبه ضمور فرسه بقناة الرمح.

ومن استعراض مواقع تشبيه الخيل في أبيات الأصمعيات، نجد أن أكثر أبياته اعتمد أصحابها على إظهار سرعة الفرس. وشبهوه بكل ما يرونه حولهم من حيوانات سريعة كالحُمر الوحشية والظباء النافرة تجوب القيعان. كما شبهوا الخيول بالطيور، ولاسيما في الغارة، فصوروا جماعاتها بجماعات القطا في وروده. وشبهوها ببعض الطيور الجارحة التي لا تدع فريستها تفلت منها. ووقعت أبيات مفردة في تشبيه بعض أعضاء الفرس كالعنق والساقين وغيرها. وكل هذه التشبيهات ترمي إلى إظهار قوة الجواد، أو سرعته.

تشبيه الإبل:

شُبهت الإبل بالصقور، وبالنخيل، وبالعانس، وشبهوا الناقة بالفحل من الإبل وحمار الوحش، والشيطان. ولم يقع التشبيه على جسمها كله مجتمعاً بل انبرى بعض الشعراء يشبهون سنامها، ويديها، وساقيها. ومن الأبيات التي شبّه الشعراء فيها الإبل بالضخامة قول أبي دواد:

«فإذا أقبلَتْ تَقولُ إكامٌ   مُشْرفاتٌ فَوقَ الإكامِ إكامُ
وإذا أعْرضَتْ تقولُ قُصورٌ   من سَماهِيجَ فَوقَها آطامُ
وإذا ما فَجِئْتَها بَطْنَ غَيب   قلتَ نَخلٌ قد حانَ منها صِرامُ
وهي كالبَيضِ في الأَداحيِّ ما يُو   هَبُ منها لمُستَتِمٍّ عِصامُ»[2]

(1) المصدر نفسه، ص28. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص42. الغيث: المطر والكلأ، اللسان ج2، ص480. الطرف: الفرس الكريم الأطراف، يعني الآباء والأمهات، اللسان ج11، ص116. سافلة الرمح: أسفل القناة. وانظر ص226.

(2) الأصمعيات، ص188. الإيادي: شعر أبو دواد، ص339. سماهيج: جزيرة في وسط البحر بين عمان والبحرين، اللسان ج3، ص125. الآطام: جمع أطم وهي الحصن المبني بالحجارة، اللسان ج14، ص284. الأداحي: جمع أدحى، وهي الموضع الذي تبيض فيه النعامة. المستتم: الذي يطلب الصوف

فهذه الإبل قد اكتسبت من الضخامة والحجم، ما جعل الشاعر يشبهها بالآكام، وبالقصور في جزيرة سماهيج، وقد تظهر أحياناً كالنخيل الباسق، وهي كريمة عند أصحابها، ولا يفرطون حتى بشيء من وبرها، وهذا دليل مكانتها وكرامتها عندهم. ومن الشعراء الذين شبّهوا الناقة بالفحل من الإبل ضابئ بن الحارث قال:

«وتُصبحُ عن غِبِّ السُّرى وكأنَّها   فَنيقٌ تَناهَى عَن رِحالٍ فَأرْقَلا
وتَنجُو إذا زال النَّهارُ كَما نَجا   هِجَفٌّ أبو رَألَينَ رِيعَ فأَجفَلا»[1]

وقد حرص الشعراء على تشبيه الناقة بالفحل الشديد لقدرته على تحمل السفر ومشاقه أكثر من النياق. وكانت الناقة طوعاً لمرتحلها في رحلته. وكنى بعض الشعراء عن قوة الناقة بتشبيهها بالفحل المستكبر وسط القطيع.

وفي البيت الثاني تظهر صورة الناقة وكأنها أب لصغيرَي نعام يخشى عليهما، وزاد الشاعر ما يدل على سرعتها بأن جعل ذلك الأب قد ريع وهذا أكثر حافزاً لسرعته.

وقد شبّه الشعراء الفرس بالقطا فقد أخذ هذا التشبيه شعراء وجعلوه للرواحل. قال مالك بنُ حَريم:

«تذكَّرتُ سَلمى والرِّكابُ كأنّها   قَطاً وارِدٌ بين اللُّفاظِ ولَعْلَعا»[2]

فقد نظر الشعراء إلى القطا في حال وروده الماء جماعات ونقلوا هذه الصورة ليشبهوا بها إبلهم حين ورودها، وأحياناً ليدللوا على سرعتها. وكانت التشبيهات التي تناولت صورة الإبل تنصب على بيان سرعة الناقة وقوة جسمها، فهي مشبهة بالقصور وبالفحل، واعتمدوا في بيان سرعتها على تشبيهها بأسرع الحيوانات التي عرفوها في أكناف جزيرتهم، وتعدوا ذلك حتى شبهوها بالشيطانة، وألقوا عليها ألقاباً مثل ناجية، وغسانية.

والوبر يتم به نسج كسائه، اللسان ج14، ص333. العصام: عصام الوعاء عروته وعصام المزادة طريقة طرفها، اللسان ج15، ص297.

(1) المصدر نفسه، ص181. الفنيق: الفحل المكرم من الإبل. تناهى: كفّ وترك. رحال: جمع رحل. أرقل: أسرع. تنجو: تسرع. زال النهار: ارتفاع. الهجف: ذكر النعام. الرأل: ولد النعام.

(2) الأصمعيات، ص63.

تشبيه المرأة:

إذا نظرنا في الأبيات التي تناولت تشبيه المرأة نجدها قريبة في نسبتها من الأبيات التي تحدثت عن الإبل. وإن كانت تعددت مشبهات الفرس، والناقة، فإن تشبيهات المرأة كانت معدودة، قال سلامة بن جندل:

لأَسماءَ إذ تَهْوى وِصالَكَ إنَّها كَذي جُدَّةٍ من وَحْشِ صاحَةَ مُرْشِقِ»[1]

وقال عِلباءُ بن أرقم:

«فيَوماً تُوافِينا بوَجهٍ مُقَسَّمٍ كأنْ ظَبيةً تَعْطو إلى ناضِرِ السَّلَمْ»[2]

ويظهرُ حرصُ الشاعرين على نقل صورة الظبية إلى المرأة، وهي تمد عنقها مرة، وتنظر بعينيها الجميلتين مرة أخرى. ويريد الشاعر إظهار جمال المرأة من وراء ذلك. ونقل بعض الشعراء صورة الظباء من أجل تشبيه النساء المخدرات المصانات بخمورهن وهوادجهن. قال أبو دواد مشبهاً الظعائن:

«نَخَلاتٌ من نَخْلِ بَيسانَ أيْنَعْـ ـنَ جميعاً ونَبْتُهُنّ تُؤَامُ»[3]

وهو يشبّه تلك الظعائن بتمايلها، وجمالها بنخيل قد تم نضجه. وترك بعض الشعراء وصف قوام المرأة ليشبهوا رضابها وأسنانها، قال عمرو بن معديكرب:

«إذا يَضْحكْنَ أو يَبْسِمْنَ يَوماً تَرى بَرَداً ألَحَّ به الصَّقيعُ»[4]

فهو يصف أسنان هذه المرأة بالبياض الشديد، ويشبهها بقطع البرد المتجمد ليدل على شدة بياضها وجمالها. وشبّه بعض الشعراء مشية المرأة ببقرة وحشية، قال قيسُ بن الخطيم:

(1) الأصمعيات، ص132. ابن جندل: ديوان سلامة، ص154. الجدة: بضم الجيم، الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه. صاحة: موضع. المرشق: الظبية المادة عنقها.

(2) المصدر نفسه، ص157. مقسم: من القسام، وهو الجمال والحسن، اللسان ج15، ص378. تعطو: تتناول. السلم: ضرب من شجر البادية يعظم وله شوك واحدته سلمة. وانظر: ص186.

(3) المصدر نفسه، ص186. الإيادي: شعر أبي دواد، ص338. توءَام: جمع توءم؛ وهو من الجمع العزيز.

(4) المصدر نفسه، ص173. الزبيدي: ديوان عمرو بن معد يكرب، ص138. البرد: حب الثمام. الصقيع: الجليد. انظر في تشبيه الرضاب، ص63.

«تَمْشي كمَشي الـزَّهْـراءِ في دَمَـثِ الرْ   رَمـلِ إلـى السّـهلِ دونَـهُ الجُرُفُ»[1]

فقد شبه قيس المرأة ببقرة وحشية تسير في رمل لين، جعلها تنتقل ببطء وسهولة ليظهرَ مقدار تنعّم هذه المرأة، وشبهت مشيتها بمشية القطاة. ويلاحظ حرص الشعراء الذين صوروا المرأة على إظهار صفات الجمال فيها من حيث تشبيهها بالظبي أو النخلة، ورصد الشعراء حركات المرأة وشبهوا مشيتها بمشية البقرة الوحشية والقطاة. ولم تتجاوز هذه التشبيهات الظواهر الحسية في المرأة. وورد تشبيه للمرأة القبيحة في قول صُحَير:

«مِـثْـلَ الأتـــانِ نَـصَـفـا جَعَندلَهْ»[2]

فلم يترك الشاعر مكاناً يوصف بالجمال في المرأة إلا ونقضه، وأتى بضده. فنظر إلى الرشاقة وبدلها في الجمود حين جعل هذه المرأة كالصخرة. ونظر إلى الأنف فجعله عريضاً، وإلى الساق فجعله قصيراً دقيقاً، وعمد إلى صوت المرأة فجعله ككشيش الأفعى، وهو من أجمل صفات المرأة.

وما نخلص إليه أن تشبيه المرأة ينقسم قسمين: أحدهما أظهر مفاتن المرأة، وجمالها، والثاني: نظر إلى كل ما ينقض الجمال وجاء به، وهذا ما انفردت به الأرجوزة المنسوبة إلى صحير في الأصمعيات.

تشبيه الرجل:

تناولت بعض أبيات الأصمعيات تشبيه الرجل، وكان أكثر هذه الأبيات في سبيل إظهار شجاعة الرجل وإقدامه. قال سُحيم بن وَثيل:

«بِـــذِي لِـبَـدٍ يَـصُـدُّ الـرَّكـبُ عنه   ولا تـوئَـى فَـريـسَـتُـهُ لِحينِ»[3]

فهو يفخر بنفسه، ويرى أن قرنه لا يعود إليه في اليوم التالي إلا مستنجداً بفارس شديد

(1) الأصمعيات، ص197. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص108. الزهراء: البقرة الوحشية، اللسان ج5، ص420. الجرف: ما تجرفته السيول، وأكلته من الأرض، اللسان ج10، ص368.

(2) المصدر نفسه، ص235. وانظر بقية الأبيات. الجعندل: البعير القوي الضخم، اللسان ج13، ص119.

(3) الأصمعيات، ص19. ذو لبد: أسد.

وكأنه أسد ذو لبد. وقال أبو الفضل الكناني:

«فَنَهْنَهْتُ عَنه القومَ حتّى كأنّما   حَبا دُونَه لَيثٌ بِخَفّانَ خادِرُ»(1)

يشبّه الشاعر نفسه بأسد جعله خادراً في مأسدة معروفة، وهذا أشد لضراوة القتال والفتك. ومن الأبيات الفريدة في وصف الشجاعة قول أبي دواد:

«وشَبابٌ كأنَّهُم أُسْدُ غِيلٍ   خالَطَتْ فَرْطَ حَدِّهِم أَحلامُ»(2)

ولعل هذا البيت من أجمل تشبيهات الرجل في الأصمعيات؛ حيث وصف الشباب عندما يكون الإنسان في أوج قوته، فشبههم بالأسود التي تعيش بعيدة عن الأنس، ولكنهم إذا ما غضبوا تبقى أحلامهم ترشد أفعالهم. وشبّه الرجل الحليم بالعسل، قال كعب الغنَوي:

«هُو العسَلُ الماذِيُّ حِلماً ونائلاً   وليثٌ إذا يَلقى العدوَّ غَضُوبُ»(3)

وهذه أيضاً صورة للرجل في حالي السلم والحرب، فهو كالعسل لمن يرجو نواله وحلمه. أما في الحرب فهو ليث غاضب. وكثر تشبيه الرجل في الأصمعيات، فشبه الرجل الشجاع بالليث والرمح وبنصل السيف، وشبه الرجل الصعلوك المجد بالشهاب المتنور. وانبرى الشعراء لتشبيه المهجو بالضب عاقاً، والمغزل لؤماً، وبغيرها من التشبيهات التي تحط من قدره.

تشبيهات مختلفة:

إذا تركنا الجوانب التي حظيت بنصيب كبير من أبيات الأصمعي، فإننا نجد كثيراً من الظواهر التي ورد لها تشبيه في بيت أو بيتين، وهي لا تشكل ظواهر بارزة.

ومن هذه الظواهر: تشبيه الأطلال بالكتاب، وتشبيه الرسوم الدارسة في قول سلامة بن

---

(1) المصدر نفسه، ص77. نهنهت: كففت وزجرت. حبا: اعترض، اللسان ج18، ص174. خفان: مأسدة قرب الكوفة. خادر: اتخذ المأسدة خدراً. وانظر الصفحات: 80-81.
(2) المصدر السابق، ص187. الإيادي: شعر أبي دواد، ص339. الغيل: الشجر الكثير الملتف، اللسان ج14، ص24. الحد: الحدة والغضب. الفرط: فرطت القوم إذا تقدمتهم، اللسان ج9، ص241.
(3) المصدر السابق، ص95.

جَندل:

«ومـــاذا تُـبـكِّـي مـن رُســـومٍ مُـحـيـلَـةٍ   خَـلاءٍ كسَـحقِ الـيَـمـنـةِ المُتمَزِّقِ»(1)

فهي رسوم باتت خلاء، ولم يترك الزمن منها إلا بقية كباقي البرد اليماني، وهي برود مشهورة ورد ذكرها في بعض الأشعار العربية. ويرتبط بالطلول والرسوم تشبيه طريق الرحلة، قال خفاف بن ندبة:

«رَبَـــأْتُ وحُـرجُـوحٍ جـهَـدْتُ رَواحَـهـا   على لاحبٍ مثْلِ الحَصير المُشَقَّقِ»(2)

فقد أخذت تشبيهات الطريق من البيئة المحيطة بالشعراء، وما يلاحظ على تشبيههم للطريق صعوبتها على سالكها. فهي كشل الثوب، وكالغارب. وكان الطريق محفوفاً بالأخطار، والحيوانات المفترسة. قال خفاف:

«كـــأنَّ مَـحـافـيـرَ الـسِّـبـاعِ حِـيـاضُـهُ   لتَعْريسِها جَـنْـبَ الإزاءِ المُمَزَّقِ»(3)

وإن كان خفاف شبه الطريق الواضحَ بالحصير المشقق، فهو يراه محفوفاً بالمخاطر والحيوانات المفترسة. وحوت بعض أبيات الأصمعيات تشبيهاً للأعداء، قال سلامة بن جندل:

«كـأنّـهُـمُ كـانـوا ظِـبـاءً بـصَـفْـصَـفٍ   أَفـاءَتْ عَليهم غَـبْـيَـةٌ ذاتُ مَصْدَقِ»(4)

(1) الأصمعيات، ص133. ابن جندل: ديوان سلامة، ص108. الرسوم: آثار الديار. المحيلة: الدار غاب عنها أهلها منذ حول، اللسان ج13، ص195. السحق: الثوب الخلق البالي، اللسان ج12، ص18. اليمنة: برود تنسب إلى اليمن.

(2) المصدر نفسه، ص25. السلمي: شعر خفاف، ص35. ربأت: الربيئة هو الطليعة أو العين للقوم. الحرجوج: الناقة الجسيمة الطويلة على الأرض. اللاحب: الطريق الواضح البيّن. انظر الصفحات: 125، 180.

(3) المصدر السابق، ص25. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص35. محافير: جمع محفر مصدر ميمي. التعريس: النزول ليلاً. الإزاء: مصب الماء في الحوض.

(4) المصدر نفسه، ص134. ابن جندل ديوان سلامة، ص167. الصفصف: الأرض المستوية الملساء. أفاءت: رجعت. الغبية: الدفعة من المطر. المصدق: أراد القوة. انظر في تشبيه الأعداء الصفحات: 56، 122، 169.

فقد شبه الشعراء أعداءهم بكل ما يشينهم ويحط من مكانتهم، فهم كالظباء التي لا تجد ملاذاً أمام قبيلة سلامة، وهم كالكلاب استعدت للمهارشة، أو كطيور البوم، وهو طائر معروف بالشوءم عند العرب. وتناول هذا الهجاء الأفراد حيناً، والقبائل أحياناً أخرى، والمشبه به مأخوذ من البيئة المحيطة بالشعراء.

الكناية:

جاء في معجم البلاغة العربية أن «الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك»(1). ومن استقراء الأصمعيات نجد في أبياتها كثيراً من الكنايات، وتأتي صفة الكرم في مقدمة ما تحدثوا عنه، قال غُرَيقَةُ بن مُسافِع العبسيّ:

«كثيرُ رَمادِ القِدرِ رَحْبٌ فِناؤُهُ إلى سَنَدٍ لم تحتَجنهُ غُيُوبُ»(2)

فالشاعر يشير إلى صفة الكرم، وقد كنّى عنها بكثرة رماد ممدوحه، وعزز تلك الصفة بأن جعله صاحب فناء رحب ويكثر من يقدمون إليه، ولا يحجب هذا الممدوح عن زائريه حاجب. وكثيراً ما ألح الشعراء على إظهار صفة الكرم في الشتاء، قال عبد الله بن عنمة في رثاء بسطام:

«بمِطعامٍ إذا الأشْوالُ راحَتْ إلى الحُجُراتِ ليسَ لها فَصيلُ»(3)

فالشاعر يذكر أن بسطاماً كان كثير الكرم في زمن الشدة عندما شالت الإبل لبنها حيث يكون الناس أشد حاجة إلى الغذاء، ولاسيما إذا كان اعتمادهم على الإبل والغنم كثيراً، ويقول أعشى باهلة:

«نَعَيْتَ من لا تُغِبُّ الحَيَّ جَفنَتُهُ إذا الكواكبُ أخْطا نَوْءَها المطَرُ»(4)

فكأنّ المنتشر كان صاحب جفنة قد اعتاد إخراجها إلى حيه، وجعل الشاعر هذه

(1) طبانة: معجم البلاغة العربية، مجلد 2، ص777.

(2) الأصمعيات، ص99. السند: ما ارتفع من الأرض. تحتجنه: تحتوي عليه.

(3) المصدر السابق، ص38. انظر المعنى نفسه في الأصمعيات، ص104، البيت 27.

(4) المصدر السابق، ص89. كتاب الصبح المنير، ص267. تغب: تأتي يوماً بعد يوم. انظر الأصمعيات، ص96، البيت 7–10.

الاستمرارية في الكرم في زمن الجدب، وغالباً ما كان هو زمن الشتاء؛ حيث تتغير فيه حالة الأعراب نتيجة لاعتمادهم على المواسم. وكنّى الشعراء عن كرم الممدوح بأن جعلوه منزلاً للأضياف والطارقين، أو بأنه يلزم نفسه بزاد صحبه في السفر، ومن تعبيراتهم عن الكرام قولهم: أخو شتَوات، وقاتل السغب وغيرها من تعبيرات توحي بفعل الكرم أو تدل عليه. وكنّى الشعراء عن صفة الشجاعة، قال أعشى باهلة:

«أخو حُروبٍ ومِكسابٌ إذا عَدِمُوا وفي المَحافِلِ منهُ الجِدُّ والحَذَرُ»(1)

يذكر الأعشى أخاه مشيراً إلى أنه ملازم للحروب كثيراً ما يخوض غمارها. وكان بعض الشعراء يفخرون بأنهم ممارسو حروب، قال سهم بن حنظلة الغنوي:

«لا تُخْفَضُ الحَربُ للدُّنيا إذا اسْتَعَرَتْ ولا تَبوخُ إذا كُنّا لَها شُهُبا»(2)

فهو يكني عن ممارسة الحرب، ومثل هذه الحرب لا يقوم بها إلا فوارس شجعان يصبرون على ويلاتها. ويمكن أن نضيف إلى الحروب ما يتعرض له الإنسان من قطع للمفازات والأودية، وورود للماء في أوقات خطرة، قالت سُعدى الجُهنيّة:

«جَوّابُ أوْديةٍ بغيرِ صَحابَةٍ كَشّافُ داوِيِّ الظَّلامِ مُشَيَّعُ»(3)

جعلت أخاها يقطع الأودية بغير رفقة، وهذا أدل على شجاعته، ولاسيما أنه يجوب الأودية في الظلام. وكما ذكر الشعراء الشجاعة ذكروا العفة وافتخروا بها، قال كعب الغنَوي:

«وعَوراءَ قد قِيلَتْ فلم أَسْتَمِعْ لَها وما الكِلْمَةُ العَوراءُ لي بقَبُولِ»(4)

فهو لا يستمع للعوراء إذا قيلت، ولا يقبلها، ويبتعد عن الحديث بها. والتفت الشعراء إلى بُعد الرحلة أو بعد ديار الحبيبة فذكروا ذلك، قال ضابئ البرجمي:

---

(1) الأصمعيات، ص90.

(2) المصدر السابق، ص56. انظر: ص38، بيت 11.

(3) المصدر السابق، ص104. المشيّع: الشجاع لأن قلبه لا يخذله.

(4) المصدر السابق، ص75. انظر الأصمعيات، ص100، بيت 21.

«وكــم دونَ ليلى مـن فَــلاةٍ كـأنَّـما تــجَـلَّـلَ أعــلاهــا مُـــلاءً مُـعَـضَّــلا
مَـهـامـهَ تـيـهٍ مـن عُـنـيـزةَ أصْـبَـحَـتْ تَـخـالُ بها القَـعْـقـاعَ غـارِبَ أجْـزَلا»[1]

إن ما يريد الشاعر قوله من وراء هذا الوصف أن ديار هذه المرأة أصبحت بعيدة ومن ينظر إليها تبدو لعينيه صورة السراب، وقد توارى خلفه كلّ شيء. وفي الكناية عن البُعد يقول سوّار المُضرَّب:

«تــكِــلُّ الــرِّيــحُ دونَ بــلادِ سَـلمى وسِـــرّاتُ الـمـنـوَّقَـةِ الهِجانِ»[2]

بلغ البُعد بين ديار الشاعر وديار سلمى، ما جعل الشاعر يعبّر عنه بكلل الريح، وكرام الإبل قبل الوصول إلى تلك البلاد. وكنّى الشعراء عن دلال المرأة، قال قيسُ بن الخطيم:

«تــنــامُ عــن كُــبْـرِ شَــأنِـهـا فــإذا قــامَــتْ رُوَيــداً تَـكـادُ تَنغَرِفُ»[3]

فإن دلال هذه المرأة ولين عيشها جعلها لا تنهض لقضاء حاجاتها. كما حوت القصائد التي افتخر بها الشعراء كنايات تتناول عزّهم ومجدهم وغلبتهم على أعدائهم، وكثيراً ما كنّوا عن كثرة الكتائب والخيل بجماعات القطا عند وروده الماء، قال امرؤ القيس:

«إذْ هــي أَقْـــســاطٌ كـرِجـلِ الـدَّبـا أو كـقَـطَـا كـاظِـمـةَ النّاهِلِ»[4]

ومثل هذا المعنى في قول صخر بن الشريد:

«وحَـــيٍّ حَـريـدٍ قـد صـبَـحْـتُ بـغـارَةٍ كـرِجـلِ جَـــرادٍ أو دَبــاً كُتُفانِ»[5]

فالشعراء يشبهون كثرة عددهم في غاراتهم إما بالجراد الذي لم يستطع أن يطير بعد أو بالقطا حين ورود الماء. ويتبع وصفهم للغارة ما يتعلق بها من هول المعركة ووصف السيف والرمح والدرع، فقد أشار بعض شعراء الأصمعيات بالكناية إلى كل ذلك.

(1) المصدر السابق، ص180. تجلل المُلاء: لبسها.
(2) الأصمعيات، ص242. المنوقة: المذللة.
(3) المصدر السابق، ص197. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص106.
(4) المصدر السابق، ص130. امرؤ القيس: ديوانه، ص257. الدَّبا: الجراد قبل أن يطير.
(5) المصدر السابق، ص147. الكتفان: هو الجراد قبل أن يطير.

وكنى الشعراء عن ذلّ عدوهم، قال أوس بن غَلفاء الهُجَمي في هجاء يزيد بن الصعق:

«وهُــمْ تـرَكـوكَ أسـلَحَ من حُبـارى   رأتْ صَقْراً وأشْـرَدَ مـن نَعامِ»[1]

كنى أوس عن ذل يزيد بصورتين مستمدتين من البيئة، مستعملاً صيغة (أفعل) ليظهر مهجوّه في درك من الذل.

ويمكن القول: إن بعض شعراء الأصمعيات تناولوا ما يدور حولهم، أو ما يعرض لهم من أحداث، وكنّوا عنه بصور من واقعهم وأحداثهم التي يعيشونها.

المجاز:

ورد في معجم البلاغة العربية «المجاز اللغوي قسمان، هما المجاز المرسل والمجاز الاستعاري (الاستعارة). والمجاز المرسل ما كانت العلاقة بين المجاز والمعنى المراد فيه غير المشابهة»[2]. وسنعرض لأمثلة من المجاز المرسل وردت في الأصمعيات، ومنها قول معاوية بن مالك:

«إذا نَـزَلَ السـحابُ بـأرْضِ قَـومٍ   رَعَـيْـنـاهُ وإنْ كـانُـوا غِضَابا»[3]

في البيت مجاز مرسَل علاقته السببية، وذلك لأن الماشية لا ترعى السحاب، وإنما ترعى النبات الذي يكون الغيث سبباً في نموه.

وفي قول عمرو بن معديكرب الزبيدي:

«وذاتَ عِـدادٍ لَـهـا أزْمَـلٌ   بَـرَتْـهـا رُمـاةُ بَـنـي وابِـشِ»[4]

مجاز مرسل علاقته الكلية (برتها رماة بني وابش) لأنه أطلق الكل أي جميع الرماة وأراد بعضهم، وهم قوم مشهورون بالرماية.

(1) الأصمعيات، ص233.
(2) طبانة: معجم البلاغة العربية، مجلد 1، ص304.
(3) الأصمعيات، ص214.
(4) المصدر السابق، ص177. الزبيدي: ديوان عمرو بن معد يكرب، ص122. رواية الديوان: ... براها براة بني وابش.

وفي قول قيس بن الخطيم:

«نَـفْـلـي بـحَـدِّ الـصَّـفـيـحِ هـامَـهُـمُ وفَـلْـيُـنـا هـامَـهـم بـهـا عُـنُـفُ»[1]

مجاز مرسل علاقته الكلية؛ إذ أطلق (الصفيح) بشكل عام، وأراد حد السيف، وهو جزء منه.

وقال مالك بن نويرة:

«فما بَرِحوا حتّى علَتْهُم كَتائبٌ إذا لَقِيَتْ أَقرانَها لا تُعَرِّدُ»[2]

مجاز مرسل علاقته الكلية؛ إذ أطلق لفظ (الكتائب) وأراد أفرادها ورجالها.

وقال ضابئ بن الحارث البرجمي:

«عَهدتُ بها الحَيَّ الجميعَ فأَصبَحوا أتَوا داعياً للهِ عَمَّ وخَلَّلا»[3]

مجاز مرسل علاقته المحلية في قوله (عهدت الحي) لأنه ذكر الحي، وهو يريد من يحلون في الحي، وهم أهل ليلى.

وقال غُرَيقَةُ بن مُسافِع العَبسي:

«قَريبٌ ثَراهُ لا يَنال عَدُوُّه لَه نَبَطاً، عندَ الهَوان قَطوبُ»[4]

في البيت مجاز مرسل علاقته المسببية في قوله (قريب ثراه) لأن الثرى مسبب لوجود الخير، وأطلق الشاعر لفظ الثرى، وأراد به الخير.

وفي قول دريد بن الصمة:

«فَطاعَنْتُ عَنه الخَيلَ حتّى تَبَدَّدَتْ وحتّى عَلاني حالِكُ اللَّونِ أسْوَدُ»[5]

---

(1) المصدر السابق، ص198. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص115.

(2) المصدر السابق، ص194. اليربوعي: ديوانا مالك ومتمم ابني نويرة، ص62.

(3) الأصمعيات، ص180.

(4) المصدر السابق، ص100.

(5) المصدر السابق، ص109. الجشمي: ديوان دريد بن الصمة، ص48.

نجد مجازاً مرسلاً علاقته الملزومية في قول الشاعر (فطاعنت عنه الخيل)، وإنما أراد فرسان الخيل لما بين الخيل والفرسان من التلازم.

وفي قول مالك بن نويرة:

«يَـقَـعْـنَ مَـعـاً فـيـهـم بـأيـدي كُـمـاتِـنـا   كـأنَّ الـمَـنـونَ لـلأسِـنَّـةِ مَوْعِدُ»(1)

مجاز مرسل علاقته الملزومية إذ أطلق (الأسنة)، وأراد ما يلازمها من طعان وموت، فقد استعمل الشعراء المجاز المرسل لعده وسيلة من الوسائل البيانية التي اهتدى إليها الشاعر للتعبير عن المعاني وتصويرها بصورة محسوسة؛ إذ به يخرج المعنى الذي يريده الشاعر مجسماً للعيان معبّراً عن فكر صاحبه.

دراسة نماذج من الأصمعيات:

هذه دراسة نماذج من قصائد الأصمعيات، لبيان البناء الداخلي لبعض هذه القصائد. وسنتناول قصيدتين لشاعرين، هما: خُفاف بنُ نُدبة السلمي، وعمرو بن معدِيكَرِب، وذلك لأسباب منها: أن كثيراً من قصائد الأصمعيات هي لشعراء فرسان، وتجمع بين الشاعرين هذه الصفة أيضاً. وخفاف يعود في نسبه إلى قيس عيلان، وللأصمعي رأي صريح في شعرائهم وفرسانهم، قال: «أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم،؟ فذكر عدة منهم عنترة، وخفاف بن ندبة...»(2).وحسبنا في منزلة خفاف عند الأصمعي أنه قرين عنترة بن شداد فارس العرب، ومضرب المثل في الشجاعة والنجدة، وفي ديوانه شواهد على كل صفات نجدته. ولا تقل منزلة عمرو بن معديكرب عن منزلة خفاف بن ندبة، بل قد تفوقها، وفيه يقول صاحب كتاب الشعراء الفرسان: «وكان عمرو من أولئك الشعراء الفرسان الذين اشتهروا في النصف الثاني من المئة السادسة قبل الميلاد، وعرفت لهم الوقائع والغارات أمثال عنترة، وعامر بن الطفيل»(3). وكانا من المشهورين في أوساط القبائل العربية بوقائعهم.

---

(1) المصدر السابق، ص194. اليربوعي: ديوانا مالك ومتمم، ص62.
(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص35.
(3) البستاني، بطرس: الشعراء الفرسان، دار المكشوف، بيروت، 1966م، ص116.

ويعدُّ عمرو «أحد من يصدق عن نفسه في شعره»(1)، ولهذا جاءت قصيدته تصور الحرب تصويراً صادقاً. ومن الأسباب التي تدفع إلى دراستهما المنزلة التي حظي بها كل من الشاعرين، فخفاف بن ندبة له ثلاث قصائد ومقطوعة من بيتين وعلى هذا يكون مجموع ما اختار له الأصمعي أربع قصائد من مجموع الأصمعيات، وأطولها القصيدة التي نحن بصددها، ومطلعها:

«ألا طَـرَقَـتْ أَسْـمـاءُ في غَـيـرِ مَـطْـرَقِ وأنّـى إذا حَـلَّـتْ بـنَـجْـرانَ نَلتَقي»(2)

وهذه المنزلة اقتصرت على خفاف بن ندبة فقط. أما عمرو بن معديكرب فورد له ثلاث قصائد أيضاً، وأطولها قصيدته التي مطلعها:

«أمِـــنْ رَيْـحـانَـةَ الـدّاعـي الـسَّـمـيـعُ يُـؤَرِّقُـنـي وأصْـحـابـي هُجوعُ»(3)

وهذه المنزلة شاركه فيها عبد الله بن عنَمة. وتتقارب القصيدتان من حيث الطول تعدان من قصائد الأصمعيات الطويلة. وتبلغ قصيدة خفاف ثمانية وثلاثين بيتاً. وتنقص قصيدة عمرو عنها بيتاً واحداً. وبالإضافة إلى ما سبق فإن القصيدتين تبدآن بالحديث عن طيف الخيال، وتكررت هذه الظاهرة في قصائد أخرى من الأصمعيات، ويضاف إلى ذلك تشابه البناء الداخلي للقصيدتين.

وإذا نظرنا في القصيدتين نجدهما خاليتين من ذكر الأطلال كما عادة الشعراء، بل بدأ الشاعران بذكر طيف الخيال. قال خُفاف بن نُدبة:

«ألا طَـرَقَـتْ أسْـمـاءُ في غـيـرِ مَـطـرَقِ وأنّـى إذا حَـلَّـتْ بـنَـجْـرانَ نَـلـتَـقي

سَـرَتْ كُـلَّ وادٍ دونَ رَهْـوَةَ دافـعٍ وجِـلْـذانَ أو كَـرْمٍ بـلِـيَّـةَ مُـحْـدِقِ

تَـجـاوَزتِ الأعْـراضَ حتّـى توسَّـنَـتْ وِسـادي بِـبـابٍ دُونَ جِـلـذانَ مُغْلَقِ»(4)

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص373.

(2) الأصمعيات، ص21. السلمي: شعر خفاف، ص27. مطرق: اسم مكان أو زمان، وهو الطروق ليلاً.

(3) المصدر السابق، ص172. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص136 وما بعدها.

(4) المصدر السابق، ص21. رهوة: جبل أو طريق بالطائف. جلذان: موضع قرب الطائف. دافع: صفة لواد يدفع الماء. محدق: محيط. الأعراض: جمع عرض وهو الوادي أو جانبه. توسنت: أتت عند النوم.

وكذلك كانت بداية قصيدة عمرو بن معديكرب، قال:

«أَمِـــنْ رَيـحـانَـةَ الـدّاعـي الـسّـميعُ   يـؤَرِّقُـنـي وأصْـحـابـي هُـجـوعُ

يُـنـادي مِـن بَـراقِـشَ أو مَـعـيـنٍ   فـأسـمَـعَ واتـلأَبَّ بـنـا مَليعُ»[1]

فالشاعران لم يقفا، أو يستوقفا، أو يبكيا الطلول الدارسة، بل نجدهما افتتحا قصيدتيهما بالحديث عن الزائر في ساعات متأخرات من الليل، وكل منهما يذكر امرأة، فأسماء قد حلت بنجران، وبات بينها وبين الشاعر بلاد بعيدة، ولم يكن رآها إلا سُويعات أيام الحج. أما عمرو فقد جاوزته ركائب ريحانة، وبانت، قال:

«وقـد جـاوَزْنَ مـن غُـمـدانَ دَاراً   لأبـوالِ الـبِـغـالِ بـهـا وَقـيـعُ»[2]

ذكر الشاعران «زيارة الطيف على بُعد الدار وشط المزار، ووعرة الطريق، واشتباه السبل، واهتدائه إلى المضاجع من غير هادٍ يُرشده»[3]. وبعد أن ذكر خُفاف زيارة طيف أسماء بدأ في وصف صاحبة الطيف، وكيف بدت، قال:

«بِـغُـرِّ الـثَّـنـايـا خَـيَّـفَ الـظَّـلْـمُ نَـبـتَـه   وسُـنَّـةِ رِئـمٍ بـالـجُـنَـيـنَـةِ مُـونِـقِ

وقال:

وأبْـدى شُـهـورُ الـحـجِّ مـنـهـا محاسناً   ووجهاً متى يَحْلِلْ له الطيبُ يُشرِقِ»[4]

فشبّه أسماء بالرئم الخالص البياض، وهي ذات أسنان بيضاء، وإذا أحل لها الطيب فكأن وجهها يُشرقُ، والتفت الشاعر إلى دلِّ أسماء، فجعلها كصغير غزال في موضع بعينه.

أما عمرو بن معديكرب فترك ذكر ريحانة، ودواعي طيفها إلى ذكر امرأة أخرى هي

---

(1) المصدر السابق، ص172. الزبيدي: ديوان عمرو، ص136. ريحانة: امرأته المطلّقة، وقيل أخته أم دريد بن الصمة. براقش أو معين: حصنان باليمن. اتلأبّ: استقام واستوى. المليع: المستوي من الأرض.

(2) الأصمعيات، ص173. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص137. جاوزن: يعني الركاب. غمدان: قصر مشهور باليمن. الوقيع: مناقع الماء.

(3) المرتضى: طيف الخيال، ص6.

(4) الأصمعيات، ص22. الظَّلْم: ماء الأسنان. الرئم: الخالص من البياض، اللسان ج15، ص14. سنته: طريقته. الجنينة: موضع. مونق: معجب.

سلمى، وكان هناك من يغريه بالابتعاد عنها، ولكنه لم يزدَدْ إلا تمسّكاً، وحباً لها. حتى بات ذلك المُغري كأنه شفيع لها في فؤاد عمرو، قال:

«ورُبَّ مُحَرِّشٍ من جَنْبِ سَلمى يُعَلُّ بعَيبِها، عِندي، شَفيعُ
كأنّ الإثمِدَ الحارِيَّ فيها يُسَفُّ بحيثُ تَبتدِرُ الدُّموعُ»(1)

فذكر عمرو منزلة سلمى في فؤاده، والتفت إلى جمال عيونها، وكيف بدأ الإثمد فيها. ولكن عمرو لم يكتف بذكر سلمى؛ حيث ذكر أبكاراً أخرى في مقطع يبلغ ستة أبيات استهلّه بقوله:

«وأبْكارٍ لَهَوْتُ بهنَّ حيناً نَواعمَ، في أسرَّتِها الرُّدُوعُ»(2)

وكان لذكر المرأة في الشعر من الأسباب ما يدع الشعراء يوغلون في هذا الضرب من الشعر؛ لأن «التشبيب قريب من النفوس، لايطٌ بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء»(3). وكانت طبيعة الحياة العربية القديمة بما تكتنفه من حلٍّ وترحالٍ، فرضتهما سُبُلُ الحياة على أبناء العرب عاملاً وثيق الصلة بازدهار الغزل والنسيب في الشعر العربي، ونجد خفافاً ذكر الشيب في خطاب أسماء قائلاً:

«فإمّا تَرَيْني أقْصَرَ اليومَ باطِلي ولاحَ بَياضُ الشَّيْبِ في كُلِّ مَفرَقِ
وزايَلَني رَيْقُ الشّبابِ وظِلُّهُ وبُدِّلْت منه سَحْقَ آخرَ مُخلِقِ»(4)

فالسن قد تقدمت به، وغزاه الشيب، واستبدل بثوب الشباب ثوب وهبته إياه السنون. كما ذكر ذلك عمرو بن معديكرب، قال:

---

(1) المصدر السابق، ص173. التحريش: الإغراء بين القوم، اللسان ج8، ص167. يعل: يسقى مرة ثانية، من العلل. الحاري: نسبة إلى الحيرة. الإسفاف: أن يغرز الجلد ثم يحشى كحلاً، اللسان ج11، ص53.
(2) الأصمعيات، ص173. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص137. الأسرة: الأسارير الخدان، والوجنتان، ومحاسن الوجه، اللسان ج6، ص31.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص75.
(4) الأصمعيات: ص23. أقصر: كف، اللسان ج6، ص406. المفرق: وسط الرأس. ريق الشباب: أفضله وأوله. السحق: الثوب البالي.

«وقــد عَـجِـبَـتْ أُمــامــةُ أن رأتــنـي   تــفَــرَّعَ لِـمَّـتـي شَـيـبٌ فَظيعُ»(1)

فذكر الشيب يكاد يكون واحداً عند الشاعرين، وكلاهما مغزو من الشيب. ونلاحظ أن عَمراً قد ذكر امرأة ثالثة في قصيدته بالإضافة إلى مقطع جعله خاصاً بذكر العذارى اللائي لها بهنّ حيناً من الزمن. ولكن الشاعرين لم يكن شبابهما راحلاً من دون جدوى، بل خلف كل واحد منهما ما يفخر به بعد أن غزاه الشيب. ولننظر في مقاطع الفخر واحداً بعد آخر. فخُفاف يفتخر بنجدته ونصرة مستغيثه وكرمه وبجواده، قال:

«فـعَـشْـرَةِ مَـولـىً قـد نَـعَـشْـتُ وأُســرَةٍ   كِــرامٍ وأبــطــالٍ لَــدى كـلِّ مــأزِقِ
وحِـــرّةِ صــادٍ قـد نـضَـحْـتُ بـشُـربَـةٍ   وقــد ذُمَّ قَـبـلـي لَـيـلُ آخــرَ مُـطـرِقِ
ونَــهــبٍ كـجُـمّـاعِ الـثُـريّـا حـوَيْـتُـهُ   غِشاشاً بمُحتاتِ القوائمِ خَيْفَقِ»(2)

فالشاعر مستجيب للدعاء وعندما تشتد الحاجة للنجدة يكون حاضراً، وهو منزل للأضياف، وذكر أن ذلك يكون ليلاً وهذا أدلّ على كرمه. ثم تخلص لذكر فرسه الذي استطاع به أن يحوي ما شبهه بالثريا. ثم توجه للفخر بفروسيته، وخوضه المعارك، قال:

«ومَـعـشـوقـةٍ طـلّـقـتُـهـا بـمُـرِشَّـةٍ   لـهـا سـنَـنٌ كـالأتـحَـمـي الـمُـخـرَّقِ
فـبـاتَـت سَـلـيـبـاً مـن أُنـاسٍ تُـحِـبُّـهُـمْ   كئيباً ولـولا طَعْنَـتي لـم تُطَلَّقِ»(3)

فقد شهد المعارك بنفسه ولم يكن رحيماً على أقرانه من الفرسان، وكان سبباً في طلاق تلك المعشوقة من زوجها؛ لأنه قتله.

ثم واصل فخره بجواده الذي شهد به غمار الحرب فذكر مقطعاً كاملاً بلغ سبعة أبيات، وصفه فيها بخلقه العظيم، وسلامة شظاه، قال:

(1) المصدر نفسه، ص174. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص139. تفرعه: علاه. اللمة: بالكسر، شعر الرأس، اللسان ج16، ص21.
(2) الأصمعيات، ص23. نعشت: النعش الرفع، اللسان ج8، ص247. الحرة: بكسر الحاء، أشد العطش، اللسان ج5، ص249. الصادي: الظمآن. نضح عطشه: سكّنه. جماع الثريا: كواكبها المجتمعة.
(3) الأصمعيات، ص23. المرشة: الرشاش ما ترشش من الدمع والدم، اللسان ج8، ص192. السنن: الطريق. الأتحمي: ضرب من البرود أحمر اللون.

«وَخَيلٍ تَعادَى لا هَوادةَ بينها شهِدتُ بمَدْلُوك المَعاقِمِ مُحنِقِ
طَويلٍ عُظامٍ غَيرِ خافٍ نمى بهِ سَليمُ الشَّظا في مُكرَباتِ المُطَبَّقِ»[1]

ثم وصف سرعة هذا الجواد، فهو صادق في عدوِه وتزداد سرعته إذا ما استحم بعرقِه، وهذا دلالة على عظم سلالة الجواد وأصالته، ويؤكد ذلك في قوله:

«وَعَتْهُ جَوادٌ لا يُباعُ جَنينُها بمنسوبةٍ أعراقُه غيرِ مُحمِقِ»[2]

أما لدى عمرو فإننا نجد المقطع الذي ذكر فيه الشيب، يتلوه مقطع فخر فيه بجواده وبخروجه إلى صيد، وجعل ذكر الجواد مرتبطاً بذكر حمار الوحش. وبلغ هذا المقطع ثمانية أبيات استهلّها مفتخراً بقوله:

«وقد أغْدُو يُدافِعُني سَبوحٌ شَديدٌ أسْرُهُ فَعْمٌ سَريعُ
وأَحْمِرَةُ الهُجَيرَةِ كلَّ يَومٍ يَضوعُ جِحاشَهُنَّ بما يَضُوعُ»[3]

ورسم صورة لجماعة الصيد وربيئتهم، وكيف وافاهم بعدد الحمُر الوحشية، ثم كيف لحق هذا الجواد بالحمر، وشبّهه بخليع يسير بأقداحه، قال:

«تَراهُ حينَ يعثُرُ في دِماءٍ كَما يَمشي بأقدُحِهِ الخَليعُ»[4]

وكما وصل خفاف بن ندبة شهوده للحرب بوصف جواده، فإن عمرو بن معديكرب تخلّص من وصف رحلة الصيد ليذكر فخره بقيادة الجيش، وسوق الكتائب لملاقاة الأعداء والنيل منهم، ويبلغ هذا المقطع خمسة أبيات يسبقها بيت سادس يلتمسُ لنفسه فيه العذر من الشيب، قال:

---

(1) الأصمعيات، ص23. تعادى: تتعادى من العدو. المعاقم فقر مؤخر الصلب. العظام: العظيم. غير خاف: ظاهر بين الخيل. الشظا: عظم لاصق بالركبة. المطبق: المفصل.

(2) الأصمعيات، ص24. وعته: حفظته، والمراد أمه. أعراق: جمع عرق، وهو الأصل. المحمق: التي تلد الحمقى.

(3) الأصمعيات، ص174. السبوح: التي تسبح في سيرها للسرعة. الأسر: الخلق، اللسان ج5، ص76. الفعم: الممتلئ. أحمرة: جمع حمار. الهجيرة: موضع باليمن. يضوعها: يروعها ويفزعها.

(4) الأصمعيات، ص175. الأقدح: جمع قدح. الخليع: المخلوع المقمور ماله.

«أَشــــــابَ الــــرأسَــ أيـــــامٌ طِـــوالٌ   وهَـــــــمٌّ مـــا تــبَــلَّــغُــهُ الــضُّـــلــوعُ
وسَـــــوقُ كَـتيـبـةٍ دَلَــفَـــتْ لأُخْـــرى   كـــأنَّ زُهـــاءَهـــا رَأســُـــ صَليعُ»[1]

فكان سبب الشيب تجارب الحياة وتعاقب الحدثان، وما يجلبانه من أمور مختلفة على الفرد، حتى إن ما يأتي من حوادث خلالهما لا تسعه الضلوع. ثم ذكر الحرب وهي بحاجة لرجل ثابت الجأش قوي العزيمة، ولاسيما قيادة الكتائب الضخمة العدد، وكنّى عن عظم الكتيبة بقوله: كأنّ زهاءها رأس صليع. ويختمُ هذا المقطع ببيتين يثبت بهما حكمة عامة، قال:

«إذا لــم تَـسْـتَـطِـعْ شَـيـئـاً فـدَعْـهُ   وجــــــاوِزْهُ إلـــى مـــا تَـســتَـطـيـعُ
وصِـــلْــهُ بــالــزِّمــاعِ فـكُـلُّ أمْـــرٍ   سَـما لـكَ أو سَـمَـوْتَ لـه وَلـــوعُ»[2]

فهو يوصي بالجدّ والحزم في كل أمر يقدم عليه الإنسان، فلا يكون وصول من دون عزيمة وجدية في تناول الأمور. ثم نجد الشاعرين يشتركان في مقطع واحد، وهو الرحلة خلال الفيافي، وهذا الأمر متعارف عليه بين الشعراء العرب.

ذكر ابن قتيبة في حديثه عن الشاعر القول الآتي: «فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب، والسهر، وسرى الليل، وحرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير»[3]، وهذا ما ينطبق على المقطع التالي لدى الشاعرين خفاف وعمرو بن معديكرب. وخفاف يبدأ هذا المقطع مفتخراً بأنه كان نفسه ربيئة على أعدائه من مكان مرتفع، وافتتح المقطع الذي يبلغ ستة أبيات بقوله:

«ومَــرقَـبَــةٍ طَـيَّــرْتُ عنـهـا حَـمـامَـهـا   نَـعـامَـتُـهـا مـنـهـا بِـضَــاحٍ مُــزَلَّــقِ
تَـبِـيـتُ عِــتــاقُ الـطـيـرِ فـي رَقـبـاتِـهـا   كَــطُــرَّةِ بَـيـتِ الـفـارسـيِّ الـمُـعـلَّـقِ

(1) الأصمعيات، ص175. تبلعه: لم يتتلع. دلفت: تقدمت، اللسان ج11، ص5. زهاءها: زهاء الشيء قدره، اللسان ج19، ص80.
(2) الأصمعيات، ص175. الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه، اللسان ج10، ص5. الولوع: هو مولع أي مغري، اللسان ج10، ص291.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص75.

رَبَــأتُ وحُــرْجُــوجٍ جـهَـدْتُ رَواحَـهـا على لاحِـبٍ مثلِ الحَصيرِ المُشَقَّقِ»(1)

صور المكان الذي يرقب منه بارتفاعه، وكنّى عن ذلك بقوله: تبيت عتاق الطير في رقباتها. وهي لا تأمن على نفسها إلاّ في المناطق المرتفعة، ثم شبّه تلك المرقبة بشرفة البيت الفارسي. ولكنه كان يرتقيها رقيباً. ثم التوى إلى وصف الناقة والطريق المقفرة التي لا يستطيع أن يقطعها إلا من اعتاد سرى الليالي، وقطع الفيافي، وكثيراً ما كان الشعراء يفخرون بمثل هذا، وخفاف واحد منهم، فقد أجهد ناقته في هذا الطريق الذي يظهر وكأنه لا نهاية له في مرمى النظر، وهذا الطريق قليل الطروق، فالركايا فيه قد تغطت بالطحالب لعدم وجود الواردين، وهذا دليل على خطورة الطريق التي يسلكها، قال:

«تَـبـيـتُ إلـى عِــدٍّ تـقـادَمَ عَـهـدُهُ بـحَـرٍّ، تَـقَـى حـرَّ الـنـهـارِ بغلفقِ

كَــأنَّ مَـحـافـيـرَ الـسِّـبـاعِ حِـيـاضَـهُ لتَعْريسـهـا جَـنْـبَ الإزاءِ الـمُـمَـزَّقِ

مُـعَـرَّسُ رَكْــبٍ قـافـلـيـنَ بِـصِـرّة صِـرادٍ إذا مـا نـارُهـم لـم تُحَرَّقِ»(2)

في البيت الثاني ما يدل على خشية الناس من هذا الطريق، حيث آمنت الحيوانات المفترسة العيش في جواره لانقطاع الأنيس. وزاد الشاعر في ذلك؛ حيث شبّه محافير السباع بآثار الركب المعرسين في أيام شتاء باردة، وقد عجزوا عن إيقاد نارهم. وإذا قارنّا هذا المقطع بما يشابهه عند عمرو بن معديكرب، نجده يشبهه تماماً، ومن ناحية الطول لو حذفنا البيتين اللذين ذكر فيهما أنه ربيئة فيكون كل مقطع من أربعة أبيات. ونجد عمراً قد بدأ هذا المقطع بذكر سلمى، وما يفصل بينهما من أرض مترامية الأطراف معدومة الأنس، قال:

---

(1) الأصمعيات، ص24. المرقبة: المكان الذي يرقب عليه. النعامة: كل بناء على الجبل كالمظلة والعلم. الضاحي: البارز للشمس. المزلق: الأملس. عتاق الطير: جوارحها. رقباتها: المراد أعاليها. الطرة: الناصية. ربأت: صرت ربيئة. الحرجوج: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. جهد دابته: بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها. اللاحب: الطريق الواسع المنقاد. اللسان ج2، ص232.

(2) الأصمعيات، ص25. العد: القديمة من الركايا. الغلفق: الطحلب. محافير: جمع محفر مصدر ميمي من الحفر. المعرس: مكان التعريس. قافلين: عائدين. الصرة بكسر الصاد: البرد. صراد: أصابهم البرد.

«فـكـمْ مِـن غـائِـطٍ مـنْ دونَ سَـلمى قَـلـيـلِ الأُنْـسِ لـيـسَ بـهِ كَتيعُ»[1]

وإن كان خفاف صوّر لنا محافير السباع في طريقه، فإن عمراً ذكر الذئب والهيئة التي وجده عليها، قال:

«بـه الـسِّـرحـانُ مُـفْـتَـرِشـاً يَـدَيْـهِ كـأنَّ بـيـاضَ لَـبَّـتِـهِ الـصَّـديـعُ
وأرضٍ قـد قـطَـعْـتُ بـهـا الـهَـواهـي مـن الـجِـنّـانِ سَـرْبَـخُـهـا مَـلـيـعُ
تَـرى جِـيَـفَ الـمَـطـيِّ بـحـافَـتَـيْـه كـأنَّ عِـظـامَـهـا الـرَّخَـمُ الوُقوعُ»[2]

في أبيات عمرو تبدو الطريق أشد خوفاً ووحشةً، وإذا كان خفاف ذكر محافير السباع فعمرو يصور الذئب، وقد بدا وهو يفترش يديه مطمئناً في هذه الأرض. ويضيف في صورة هذه الأرض ما يزيد الخوف من طروقها فكأنها لانقطاع الأنس فيها وترديد الرياح في ثناياها كعزف الجن. بالإضافة لهلاك المطايا قبل اجتيازها. ولكن الشاعر طرقها مطمئناً بنفسه وراحلته.

وانفرد خفاف بمقطع يصف فيه المطر، والسحاب، والبرق. وقد خلت منه قصيدة عمرو بن معديكرب، ويبلغ هذا المقطع عشرة أبيات تخلص مما يسبقها على عادة الشعراء الجاهليين بقوله:

«فَـدَعْ ذا ولـكـنْ هَـل تَـرى ضَـوْءَ بـارِقٍ يُـضـيءُ حَـبـيّـاً فـي ذُرَى متألِّقِ»[3]

ونظير هذا في قول امرئ القيس:

«أَحـارِ تَـرى بَـرقـاً كـأنَّ وَمـيـضَـهُ كـلَـمْـحِ الـيَـدَيـنِ فـي حَـبـيٍّ مُـكـلَّـلِ

(1) الأصمعيات، ص176. الغائط: المطمئن من الأرض الواسع. الكتيع: المنفرد من الناس.
(2) الأصمعيات، ص176. السرحان: الذئب. اللبة: الصدر والمنحر. الصديع: الصبح. الهواهي: ضوضاة الجن. السربخ: المضلة التي لا يهتدى فيها الطريق، اللسان ج3، ص502. المليع: الواسع من الأرض.
(3) الأصمعيات، ص25. الحبي: السحاب المتراكم، اللسان ج18، ص174. الذرى: ذروة كل شيء أعلاه والجمع الذرى، اللسان ج18، ص309.

يُضـــيءُ سَـــنـاهُ أو مَـصـابيـحُ راهِــبٍ   أهــانَ السَّليطَ في الـذُّبـال المُفتَّلِ»[1]

ونحن نلاحظ قرب المعنى بين قول خفاف، وقول امرئ القيس. وهذا دليل على تمسك الشاعر بعادات سابقيه.

يقول نصرت عبد الرحمن: «في صورة المطر عدة عناصر، أولها مناجاة الصاحب، ويغلب على هذه المناجاة أن يطلب الشاعر من صاحبه النظر إلى البرق»[2]، وهذا القول ينطبق على ما صدّرَ به خفاف مقطع وصف المطر، وقوله: دع ذا، مخاطباً صاحبه ليشاركه النظر فيما يراه، وفي بقية البيت ذكر للبرق ولم يتعده، وهذا ما نجده في قول نصرت: «وثانيهما: الوصف القصير للبرق وللرعد...»[3]، وهل هذه الخلاصة بعيدة عن قصيدة خفاف؟ لقد رأينا طبيعة المناجاة في البيت الأول، ولننظر في بقية المقطع، وانطباق العنصرين الأخيرين عليه. وإن كان الشاعر في البيت الأول يريد من سامعه أن يترك ذاك الوصف وما يتعلق به ليدخل معه في وصف جديد، وبدا البرق يشق صدر السماء، ويضيء ظلمة السحاب المطير، الذي غشي كل تلك الأرض، قال فيه:

«عَـلا الأُكْـــمَ مـنـه وَابِـــلٌ بـعـدَ وابـلٍ   فـقـد أُرهِـــقَـــتْ قِـيـعـانُـه كُـلَّ مُـرهَـقِ

يَـجُـرُّ بـأكـنـافِ الـبِـحـارِ إلـى الـمَلا   رَبـابـاً لَـه مـثـلَ الـنّـعـامِ الـمُـعـلَّـقِ

إذا قُـلـتَ تَـزهـاهُ الـرِّيـاحُ دَنـا لَـه   رَبـابٌ لَـهُ مـثـلُ الـنَّـعـامِ المُوَسَّقِ»[4]

نلاحظ صورة المطر وقد لفع سحابه كلَّ الذرى. وقد شبهه الشاعر بالنعام في موضعين. فكأن البرق يجر من البحار إلى الملا هذا السحاب الذي يشبه النعام جراً. وكلما ظن الناظر

---

(1) امرؤ القيس: ديوانه، ص24.

(2) عبد الرحمن، نصرت: الصورة الفنية في الشعر العربي الجاهلي في ضوء النقد الحديث، مكتبة الأقصى، عمان، 1976م، ص67.

(3) المرجع السابق، ص77.

(4) الأصمعيات، ص25–26. الأكم: جمع أكمة، اللسان ج14، ص286. أرهقت: غشيت، يعني الماء. القيعان: جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة. يجر: يعني الحبي. الأكناف: النواحي. البحار والملا: موضعان. الرباب: سحاب أبيض، اللسان ج1، ص384. تزهاه: تسوقه. الموسق: الوسق: الطرد، اللسان ج12، ص258.

أن سيل السحاب انتهى، تدفقت منه دفعات أخرى كأنها نعام يُساق إلى هذا المكان. ثم رسم صورة لحداة وإبلهم التي أنتجت حديثاً قال:

«كــأنَّ الــحُــداةَ والـمَـشـايـعَ وَسْـطَـهُ   وعُــوذاً مَـطـافِـيـلاً بـأمْـعَـزَ مُـشرِقِ»[1]

فكأن الإبل لشدة السيل أصبحت تسير في أرض حزنة غليظة، عسيرة المسار، ولاسيما تلك الإبل التي تخشى على صغارها. واستمر في وصف هذا السيل الذي تعاظم وغزا مناطق عديدة، قال:

«أَسـالَ شَقـاً يَعــلو العِضــاهَ غُثاؤُه   يُـصَـفِّـقُ فـي قِـيـعـانِـهـا كُــلَّ مَـصْـفَـقِ

فَـجـادَ شَــرَوْراً فـالـسِّـتـارِ فـأصْـبَـحَـتْ   يُـعـارُ لـه والــوادِيــانِ بــمَــوْدِقِ»[2]

فالسيل يتعاظم حتى أن الغثاء قد علا شجراً من العضاة، وهو يجوب كل تلك القيعان حتى بلغ منازل بني سُليم، وقد خرجت حيوانات الصحراء من مآويها خشية على أرواحها من السيل القاحم، الذي لم يدع ضباً ولا ذئباً إلى أخرجه حتى أوشك الوصول إلى منازل العقبان في ذرى الجبال، قال:

«كــأنَّ الـضِّـبـابَ بـالـصَّـحـارَى عَـشـيّـةً   رِجــالٌ دَعـاهـا مُـسـتَـضـيـفٌ لـمَـوْسِـقِ

لـه حَــدَبٌ يـسـتـخـرِجُ الـذئـبَ كـارهـاً   يُـمِـرُّ غُـثـاءً تَـحـتَ غـارٍ مُـطَـلَّـقِ

يَـشُـقُّ الـحِـدابَ بـالـصـحـارى وينتَحي   فِــراخَ العُـقـابِ بـالـحِـقـاءِ المُحلِّقِ»[3]

فكأنَّ الضباب تستغيث والذئاب مكرهة على الخروج، والسيل تشق أمواجه خروق

---

(1) المشايع: شايع الإبل دعاها، اللسان ج10، ص54. العوذ: الحديثات النتاج. المطافيل: التي معها أولادها، اللسان ج13، ص226. الأمعز: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة، اللسان ج7، ص277.

(2) الأصمعيات، ص26. شقا: موضع بعينه. العضاه: ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكه. الغثاء: ما يحمله السيل من الزبد والوسخ ونحوه. شرورا والستار ويعار: مواضع في بلاد بني سليم. جاده: أصابه بالجود وهو المطر الغزير.

(3) الأصمعيات، ص26. الضباب: جمع ضب. المستضيف: المستغيث. الموسق: اسم مكان من الوسق. الحداب: حدب السيل ارتفاعه، اللسان ج1، ص291. ينتحي: يقصد. الحقاء: الموضع الغليظ المرتفع من السيل. المحلق: المرتفع في طيرانه.

الأرض وكأنه يقصد منازل تلك الكواسر من الطير. وهذا ما يوافقه قولُ نصرت في تحديد عناصر صورة المطر، قال: «وثالثها ذكر البقاع التي هطل عليها المطر»[1]، ولاحظنا كيف تعرّض لها. أما المقطع الأخير من قصيدة عمرو بن معديكرب فيتألف من أربعة أبيات، قال فيه:

«لَعَمْرُكَ ما ثلاثٌ حائماتٌ ... على رُبَعٍ يَرُعْنَ وما يَريعُ

ونابٌ ما يَعيشُ لَها حُوارٌ ... شديدُ الطَّعْنِ مِشْكالٌ جَزوعُ

سَديسٌ نضَّجَتْهُ بعدَ حَملٍ ... تَحرّى في الحَنينِ وتَستَليعُ

بأوْجَعَ لَوْعةً منّي ووَجْداً ... غَداةَ تَحمَّلَ الأنَسُ الجَميعُ»[2]

يصور الشاعر حنينه ووجده إلى القوم الظاعنين، وربط هذا الحنين بحنين الناقة التي يظهر في صورة ثلاث من الإبل يُرجّعن على صغير مات. وزاد في صفة الحنين حين جعل أم الحوار ناقة تقدمت بها السن، ولم يترك لها الزمان صغيراً يكون أدعى لحزنها، وأرق لحنينها، وأكثر وجداً ولوعة عند سامعها. ولكن لماذا اختار الشاعر الناقة ليشبه حنينَه؟

يقول رومية: «يصعب أن نحدد – على وجه اليقين – السرّ في هذه العلاقة، علاقة الشاعر بناقته الراسخة بأصدق العواطف البشرية وأخلدها»[3]. فالحنين يعبر أصدق التعبير عن كوامن النفس، وما يدور في خلجاتها، ولذلك اختار الشعراء الإبل ليقرنوا حنينهم بحنينها. ومن يسمع ترجيع ناقة يدرك بنفسه شيئاً من دواعي المقارنة اتخذه الشعراء لإظهار

---

(1) عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ص77.

(2) الأصمعيات، ص176. الزبيدي: ديوان عمرو بن معديكرب، ص143. ثلاث: يريد من النوق. حائمات: طائفات. الربع: الذي ينتج في الربيع. يرعن: راعه الشيء أفزعه، اللسان ج9، ص494. الناب: الناقة المسنة. الحوار: ولد الناقة. السديس: من الإبل ما دخل في الثامنة. نضجته: زادت على وقت الولادة. تحرى: تتحرى. تستليع: من اللوعة. الأنس: جماعة الناس، اللسان ج7، ص306. الجميع: المجتمعون.

(3) رومية، وهب: الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ/ 1979م، ص167.

ما بداخلهم، ولعل ذلك «يعني أن الرفقة الحميمة هي كل ما بين الشاعر وناقته»(1)، وتلك الرفقة فرضتها البيئة العربية بكل جوانبها، ومتطلباتها. ونلاحظ تكرار الصورة عند غيره من الشعراء في قوله:

«لعَمرُكَ ما خُوصُ العُيونِ شَوارقٌ رَوائِمُ على أظارٍ عَطَفنَ على سَقْبِ
يغذينه لو يستطعنَ ارتشفْنَه إذا استغنه يزددن نكباً على نَكْبِ
بأوجدَ منّي يومَ ولَّتْ حُمولُهم وقد طَلَعَتْ أولى الرَّكائبِ من النَّقبِ»(2)

قارن كل من الشاعرين مقدار وجده بوجد هذه النياق، واستعمل كل منهما صيغة (أفعل) ليدل على شدة وجده وحنينه. وما يلاحَظ على القصيدتين تصويرهما لمشاعر الشاعرين في الحديث عن طيف الخيال، وكيف استدعى أشواق كل منهما ووصفهما للحرب، وما تحدّث به عمرو عن شوق النوق مقارناً به شوقه وحنينه، ولحظنا فخر الشاعرين بقطع المفاوز في الرحلة والأماكن الخالية من السكان.

الأوزان والقوافي في الأصمعيات:

أحصينا قصائد الأصمعيات في جدول يبين نسبة ورودها، وقد أظهرت النسبة أن بحر الطويل يأتي في مقدمة هذه البحور، وجاءت عليه خمس وثلاثون قصيدة. ثم يليه بحر الكامل وجاءت على وزنه ثمان وعشرون قصيدة. أما الوافر فجاءت عليه ست عشرة قصيدة. ثم البسيط وجاءت عليه إحدى عشرة قصيدة. ولعل خصائص هذه البحور الداخلية من تَعاقُب حركاتها وسكناتها هي ما جعلت بعضها يتّسع لتدفق الشعور، واحتواء المعاني أكثر من البعض الآخر.

والبحر الطويل «بحر كثير النّظم فيه منذ العهد الجاهلي، وقيلت على وزنه القصائد

(1) المرجع نفسه، ص168.
(2) الأصفهاني، أبو بكر محمد بن سليم داود: النصف الأول من كتاب الزهرة، د. لويس نيكل البوهيمي، ط1، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1351هـ/ 1932م، ص357. الخوص: غؤور العين. شوارق: يقولون شرق بريقه غصّ. أظار: جمع ظئر، هي العاطفة على ولد غيرها، اللسان ج6، ص186. وانظر أبيات ثعلبة في المرجع نفسه، ص256.

الطوال»[1]، فما جاء من قصائد على هذا البحر يؤكد قدَمه، وأن كثيراً من شعراء الجاهلية نظموا على هذا الوزن.

وتناول إبراهيم أنيس قصائد الجمهرة والمفضليات بدراسة قال فيها: «أما الجمهرة والمفضليات فقد اشتملت على ما يقرب من 5200 بيت من الشعر موزّعة حسب النسب الآتية: الطويل 34% والكامل 19% والبسيط 14% والوافر 12% وكل من الخفيف والمتقارب والرمل 5%، والسريع 4%، والمنسرح 1%»[2]. وتتفق بعض هذه النسب أو تكاد تتفق، فنسبة الطويل واحدة في الجمهرة والمفضليات والأصمعيات، وتقرب نسبة الوافر من بعضها في المجموعتين. أما نسبة المتقارب والمنسرح فقد وافقت بعضها في كل من المجموعتين. «فإذا قورنت هذه النسب بعضها ببعض استطعنا الحكم بسهولة على أن البحر الطويل قد نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره، ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم ولاسيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن. وهو لكثرة مقاطعه يتناسب وجلال مواقف المفاخرة، والمهاجاة، والمناظرة، تلك التي عني بها الجاهليون عناية كبيرة»[3].

ولعلّ وراء نسبة النظم على الطويل أسباباً هي: طول البحر عن سواه من أوزان الشعر العربي، واتساعه ليضم إحساس الشاعر، كما أن طبيعة الحياة العربية وما تكتنفه من عصبية قبلية ومهاجاة وفخر بين أبنائها وجدت في حركات الطويل سجلاً ومتسعاً لها.

ثم احتل وزن الكامل المرتبة التالية للطويل في الأصمعيات، ويقول أنيس: «ثم نرى كلاً من الكامل والبسيط يحتل المرتبة الثانية في نسبة الشيوع، وربما جاء بعدهما كلٌّ من الوافر والخفيف»[4]، فالنسبة واحدة في كل من مجموعة الأصمعيات، والجمهرة والمفضليات، ويقل من حيث عدد حركاته وسكناته عن بحر الطويل بعض الشيء، ويعد من البحور الطويلة، وتبلغ حركاته اثنتين وأربعين حركة.

(1) الحنفي، الشيخ جلال: العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، مطبعة العاني، 1398هـ/1987م، ص144.
(2) أنيس، د. إبراهيم: موسيقى الشعر، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ب، 1972م، ص191.
(3) المرجع السابق، ص191.
(4) المرجع السابق، ص191.

أما المرتبة التالية لهذين الوزنين فقد احتلها بحر الوافر، قال الحنفي: «إنه من بحور الشعر الجميلة، ذات الإيقاع الغنائي الذي ينساب في الأسماع ويأتلف والأذواق»[1]. وجاء في الأصمعيات أربع عشرة قصيدة على هذا الوزن.

أما وزن البسيط فهو «من بحور الشعر التي أولع الشعراء بركوبها منذ الجاهلية وذلك لاتساع أفقه وامتداد رقعته وجمال إيقاعه»[2]. ورغم اتساع هذا البحر وكثرة حروفه، جاء في المرتبة الرابعة في الأصمعيات، ووردتنا على وزنه عشر قصائد.

أما المتقارب والخفيف فتكاد نسبتاهما تكون واحدة في مجموعات الشعر الأولى، الجمهرة والمفضليات والأصمعيات أيضاً.

وتساوت نسبة قصائد الرجز والسريع، ويعد السريع «نمَطاً من الرجز»[3]، وجاء على كل وزن منهما ثلاث قصائد. وقد خلت قصائد الجمهرة والمفضليات من هذا الوزن.

أما الهزج فهو «بحر غنائي الجرس والأداء، وقد جاءت تسميته من كون هذا الاسم يعني لوناً من ألوان أغانيهم وإنشادهم في الجاهلية»[4]. وجاء على هذا الوزن ثلاث قصائد في الأصمعيات. وكان المنسرح أقلّ هذه البحور وروداً في الأصمعيات، وجاءت على هذا الوزن قصيدة واحدة هي قصيدة قيس بن الخطيم، مطلعها:

«رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فانْصَرَفوا   ماذا عَلَيْهِمْ لَو أنّهم وَقَفوا»[5]

وتبلغ القصيدة سبعة وعشرين بيتاً.

وقال الحنفي: «المنسرح من البحور التي تمتاز بعض أوزانها بأناقة التعبير ورصانته، وهو في بعض صوره يبدو مشدوداً إلى النثر شيئاً من الشد»[6]، وربما تكون طبيعة تركيبه

(1) الحنفي: العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، ص428.
(2) المرجع السابق، ص164. نقلاً عن محققة القسطاس المستقيم للزمخشري.
(3) المرجع السابق، ص573.
(4) المرجع السابق، ص91.
(5) الأصمعيات، ص196. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص101.
(6) الحنفي: العروض، ص449.

ورصانته هي وراء قلة استعمال الشعراء له في الشعر العربي. ونسبته واحدة في كل من الجمهرة والمفضليات والأصمعيات. ويلاحظ أن هذه البحور جاءت على الأوزان التامة إلا قصيدة المنخّل اليشكري:

«إنْ كُنتِ عاذِلَتي فَسيرِي نَحْوَ العِراقِ ولا تَحُورِي»[1]

جاءت على مشطور الكامل.

وقصيدة مرقش الأصغر:

«الزِّقُّ مُلكٌ لِمَنْ كانَ لهُ والمُلكُ مِنهُ طَويلٌ وقَصيرْ»[2]

جاءت على مشطور البسيط.

وبعد أن بينّا على وجه المقارنة بين كل من الأصمعيات والجمهرة والمفضليات، نستطيع القول: إن الأوزان الطويلة هي التي تحتل المكانة الأولى في الأصمعيات خاصة والشعر العربي عامة، وجاء في مقدمة هذه الأوزان عامة الطويل، ويتلوه بحر الكامل، وتقدم في الأصمعيات بحر الوافر على البسيط. وكان وراء ذلك أسباب منها طبيعة هذه البحور، وطبيعة الحياة العربية واعتماد أكثر أبنائها على الإنشاد والذاكرة.

ترتيب القصائد حسب البحور:

بحر الطويل: 35 قصيدة، بحر الكامل: 28 قصيدة (إحداها من المشطور)، بحر الوافر: 16 قصيدة، بحر البسيط: 11 قصيدة (إحداها من المشطور)، بحر المتقارب: 5 قصائد، بحر الخفيف: 4 قصائد، بحر الرجز: 3 قصائد، بحر السريع: 3 قصائد، بحر الهزج: 3 قصائد، بحر المنسرح: قصيدة واحدة.

قوافي الأصمعيات

إن النظر في الأصمعيات يظهر أنّ قصائدها جاءت على حروف دون غيره، فقد وردت

---

(1) الأصمعيات، ص58.

(2) الأصمعيات، ص153.

القصائد على سبعةَ عشر حرفاً من حروف الهجاء العربية. وكان بينها تفاوت من حيث عدد القصائد التي وردت على كل حرف، ويأتي في مقدمتها حرف الباء، وردت عليه ست عشرة قصيدة كلها مطلقة القوافي. ويأتي بعده حرف الميم، وعليه أربع عشرة قصيدة إحداها مقيدة هي قصيدة عِلباء بن أرقم، مطلعها:

«أَلا تِلكُما عِرْسي تَصُدُّ بوَجهِها وتَزعُمُ في جاراتِها أنّ مَنْ ظَلَمْ»[1]

ويشترك الحرفان بكونهما يخرجان من الشفتين، وأنهما مجهوران[2]. ويأتي بعدهما حرف الراء وجاءت عليه ثلاث عشرة قصيدة إحداها جاءت على مشطور الرجز، هي قصيدة مرقش الأصغر:

«الرِّزْقُ مُلكٌ لِمَنْ كانَ لهُ والمُلكُ منهُ طويلٌ وقَصيرْ»[3]

وهذا الحرف لثوي المخرج، وهو أيضاً من الحروف المجهورة والمتكررة[4]. وهذه الصفات تجعل له وقعاً خاصاً على السمع. ويتبعه الدال الذي وردت عليه اثنتا عشرة قصيدة كلها مطلقة القوافي، ومخرج هذا الحرف أسناني لثوي[5]، قال أنيس هو «صوت شديد مجهور»[6].

ويأتي في المرتبة الثانية حرف اللام، فقد وردت عليه إحدى عشرة قصيدة إحداها من الرجز. ويتفق الحرفان (الدال واللام) من حيث المخرج، واللام أيضاً من الحروف المجهورة. ويتلوه حرفا التاء والعين، والتاء صوت «شديد مهموس»[7]، أما العين فهو «صوت مجهور مخرجه وسط الحلق»[8]، وجاء على كل واحد منهما ثماني قصائد مطلقة

(1) الأصمعيات، ص157.
(2) أنيس، د. إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م، انظر ص45.
(3) الأصمعيات، ص153.
(4) الجدول الملحق.
(5) الجدول الملحق.
(6) أنيس: الأصوات اللغوية، ص48.
(7) أنيس: الأصوات، ص61.
(8) المرجع السابق، ص88.

من مجموع قصائد الأصمعيات.

أما حرفا القاف والنون، والقاف في مخرجه «صوت لهوي نسبة إلى اللهاة»(1)، وهو من الأحرف المهموسة. والنون «صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة»(2). وجاء على كل واحد من الحرفين ست قصائد. أما الأحرف الأخرى فقد وردن على حرف السين قصيدتان وكذلك الفاء، وقصيدة واحدة على كل من (الهمزة والشين والضاد والكاف والياء). ويلاحظ على هذه القوافي أن معظمها جاء مطلقاً وحروف رويّها مجهورة تناسب طبيعة الشعر العربي وإنشاده. كما أن لنبرات رويّه وقعاً بيّناً واضحاً على السمع يلفت الانتباه.

مخارج	انفجارية (شديدة)				احتكاكية رخوة				مركبة	خلاف ذلك			
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور كلي			
	مفخم	غير مفخم	مفخم	غير مفخم	مفخم	غير مفخم	مفخم	غير مفخم		جانبي	تكراري	أنفي	نصف حركة
شفوية		ب											و
أسنانية شفوية								ف					
مما بين الأسنان					ظ	ذ		ث					
أسنانية لثوية	ض	د	ط	ت						ل		ن	
لثوية						ز	ص	س			ر		
لثوية حنكية								ش	ج [dj]				

(1) المرجع السابقن ص87.

(2) المرجع نفسه، ص66.

وسط الحنك													ي
أقصى الحنك				ك		غ		خ					
لهوية				ق									
حلقية						ع		ح					
حنجرية	الهمزة							هـ					

الجدول مصَوَّر من كتاب (علم اللغة العام: د. كمال محمد بشر، ط2، دار المعارف بمصر، 1971م، ص75)

ترتيب قصائد الأصمعيات المطبوعة والفائتة حسب عدد قوافيها:

1 ـ الهمزة: قصيدة واحدة
2ـ الباء: 16 قصيدة
3 ـ التاء: 9 قصائد
4 ـ الحاء: قصيدة واحدة
5 ـ الدال: 13 قصيدة
6 ـ الراء: 14 قصيدة
7 ـ السين: قصيدتان
8 ـ الشين: قصيدة واحدة
9 ـ الضاد: قصيدة واحدة
10 ـ العين: 8 قصائد
11 ـ الفاء: قصيدتان
12 ـ القاف: 7 قصائد
13 ـ الكاف: قصيدة واحدة
14 ـ اللام: 11 قصيدة
15 ـ الميم: 14 قصيدة
16 ـ النون: 7 قصائد

17 ـ الياء: قصيدة واحدة

ترتيب القوافي حسب الأكثر وروداً:

1 ـ الباء: 16 قصيدة

2 ـ الراء: 14 قصيدة

3 ـ الميم: 14 قصيدة

4 ـ الدال: 13 قصيدة

5 ـ اللام: 11 قصيدة

6 ـ التاء: 9 قصائد

7 ـ العين: 8 قصائد

8 ـ القاف، النون: 7 قصائد

9 ـ السين، الفاء: قصيدتان

10 ـ الهمزة، الحاء، الشين، الضاد، الكاف، الياء: قصيدة واحدة

نتيجة عامة

إن الأصمعيات ليست نسخة الأصل التي اعتمد عليها الأصمعي، والمرجح أنّها نسخة مجازة إلى واحد من تلاميذه، ومن أدلة ذلك ما نجده في مقدمات بعض القصائد من تكرار عبارة: وقال أبو سعيد كذا، وأنشدني لفلان من الشعراء...

وإن ترتيب الأصمعيات الحالي ليس بوحي من الأصمعي أو اعتماداً على رأيه، وهذا يظهر من قول البكري عندما تحدّث عن الأسعر الجعفي وأورد قوله:

لكنْ قَعيدةُ بَيتِنا مَجْفوَّةٌ بادٍ جَناجِنُ صَدْرِها ولها غِنَى

قال: «والقصيدة أول كلمة في اختيار الأصمعي»(1). في حين وردت تحمل الرقم أربعة وأربعين في النسخة التي بين أيدينا. وأن الجانب الغالب على قصائد الأصمعيات هو الفخر بالعادات العربية التي تكررت في كثير من قصائدها وقصائد الشعر العربي عامة؛ حيث وردت أبيات الفخر فيما يزيد على خمسين قصيدة.

(1) البكري: سمط اللآلئ، ص94.

وقد اكتفى الأصمعي من بعض القصائد بأبيات الفخر فقط. وما يزيد على ثلثي قصائد الأصمعي يُنسَب لشعراء أكثرهم فرسان، يلحق بهم بعض السادة والحكماء من الشعراء.

ويظهر أن الأصمعي كان ميالاً في اختياره إلى شعراء قيس عيلان؛ حيث وقع لهم حوالي عشرين اختياراً بين قصيدة ومقطوعة، وهذا يوافق جوابه لأبي حاتم عندما قال: «وسألته عن خُفاف بن ندبة، وعنترة، والزبرقان بن بدر؛ قال: هؤلاء أشعر الفرسان، ومثلهم العباس بن مرداس»[1]، وقال في موضع آخر: «أفي الدينا مثل فرسان قيس وشعرائهم؟»[2]. وأضاف إلى مجموعة الفرسان السابقين دريد بن الصمة.

وما يظهر على هذا الاختيار أنه تعليمي، ويرجح ذلك ما رواه القالي عن الأخفش عن أبي جعفر محمد بن الليث الأصفهاني قال: «أملى علينا أبو عكرمة الضبي المفضليات من أولها إلى آخرها، وذكر أن المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي، وقرئت بعد على الأصمعي، فصارت مئة وعشرين»[3].

وقد رجحنا أسباب تأليفها، وأن ما احتوته هذه القصائد من قيم وعادات مثل: النجدة، والشجاعة، والفخر بالكرم الذي تخطى به الشعراء الإنسان ليقدموا قراهم إلى حيوانات الصحراء المفترسة. وافتخر الشعراء باجتيازهم الفلوات والأرض المقفرة. كما لاحظنا أن بعض شعراء هذه القصائد من الفرسان المشهورين في قبائلهم، وفي القبائل العربية كافة.

وإن لوجود القصائد الملقبة بالمنصفات أثرها في الأصمعيات، وهما قصيدة: المفضل السلمي، وقصيدة العباس بن مرداس. وكذلك خلت أبيات الأصمعيات من الهجاء المقذع. كما أن أبيات النسيب أو الغزل التي احتوتها الأصمعيات كانت تتعلق بالمفاتن التي كثيراً ما ذكرها الشعراء العرب في عصور مختلفة من الشعر العربي، ولم تشمل الغزل الصريح. وهذه الخصائص التي تظهر على الأصمعيات تؤكد أن اتجاهها اتجاه تعليمي يحث على الفروسية والعادات العربية الكريمة وما يرتبط بها من نجدة وغيرها.

---

(1) فحولة الشعراء، ص27.

(2) القالي: ذيل الأمالي والنوادر، ص130. المصدر السابق، ص35.

(3) القالي: ذيل الأمالي والنوادر، ص130.

الفصل الثالث

نصوص شعرية مستحسنة

قصائد مستحسنة

علاوة على جمع الأصمعي لقصائد ومقطوعات في اختياره المطبوع المشهور بالأصمعيات، فإن أبا سعيد الأصمعي عبّر عن ثناء على قصائد أخرى، ومقطعات وأبيات شتى من الشعر العربي، ولم تُروَ في الأصمعيات، وسيتطرق البحث لهذه القصائد والأبيات المستحسنة.

ونقلت إلينا المصادر استحسان الأصمعي خمس قصائد أولها:

كافية زهير بن أبي سلمى:

«بانَ الخَليطُ ولم يَأووا لِمَن تَرَكوا　　وزوّدوكَ اشتِياقاً أيَّةً سَلَكُوا

وزعم الأصمعي أنه ليس للعرب قصيدة كافية أجود من هذه»[1]. وتبلغ القصيدة في شرح ديوان الشاعر ثلاثة وثلاثين بيتاً على بحر البسيط. ويلاحظ أن الشاعر لم يبدأها بالوقوف على الأطلال، أو ذكر الأحبة على عادة الشعراء الأولين، وخلت القصيدة من ذكر لأي امرأة. وبدأت بالحديث عن الإبل، وراعيها، وانتهت بتحذير الحارث الذي استغرق حديث الشاعر عنه سبعة أبيات هي المقطع الأخير من القصيدة، قال:

«يا حارِ، لا أُرْمَيَنْ منكم بداهِيةٍ　　لم يَلْقَها سُوقةٌ قبلي، ولا مَلِكُ»[2]

ولم يسلك زهير فيه سوى الوعيد:

«لئن حَلَلْتَ بجَوٍّ في بَني أسَدٍ　　في دِين عَمروٍ، وحالَتْ بيننا فَدَك

---

(1) الشنتمري: أشعار الشعراء الستة، ج1، ص308. القصيدة في شرح ديوان زهير، ص164.

(2) ابن أبي سلمى: شرح ديوان زهير، ص180.

لـيـأتـيَـنَّـكَ مـنـي مَـنـطِـقٌ قَـذَعٌ بـاقٍ، كـمـا دنَّـسَ القُـبـطيَّـةَ الـوَدَكُ»[1]

وعلى الرغم من فعلة الحارث فإنّ زهيراً لم يهجه، ولم يستعمل ألفاظاً نابية. واشتملت القصيدة على تشبيهات بديعة، ولم يذهب فيها الشاعر إلى غرض غير حديثه عن الإبل.

وإذا نظرنا في بعض الدواوين الجاهلية نجدها خالية من قصائد جاءت على حرف الكاف مثل: ديوان امرئ القيس، وعنترة بن شداد، والنابغة الذبياني. ووقعت قصائد على الكاف، أولها: مقطوعة في ديوان أوس بن حجر على بحر البسيط، مطلعها:

«زَعَـمـتُـم أنَّ غَـولاً والـرَّجـامَ لـكُـم ومَـنـعِـجاً فـاذكـرُوا والأمـرُ مُشترَكُ»[2]

وتبلغ خمسة أبيات فقط.

ثانيها: قصيدة لعبيد بن الأبرص على بحر الطويل، مطلعها:

«تُـحـاوِلُ رَسـمـاً مـن سُلَيمى دَكـادِكـا خَـلاءً تُـعَـفّـيـهِ الـرِّيـاحُ سَواهِكا»[3]

وتبلغ ثمانية عشر بيتاً.

وثالثها: قصيدة لعلقمة بن عبدة على بحر الطويل مطلعها:

«لَـحـى اللهُ دَهـراً ذَعـذَعَ الـمـالَ كـلَّـهُ وسـوَّدَ أَشـبـاهَ الإمـاءِ العَوارِكِ»[4]

ولا تبلغ مرتبة قصيدة زهير.

رابعها: قصيدة الأعشى الكبير على بحر الطويل، مطلعها:

«أتَـشـفِـيـكَ (تَـيّـا) أم تُـرِكْـتَ بـدائِـكَـا وكـانَـت قَـتُـولاً لـلـرِّجـالِ كَذلكا»[5]

وتبلغ اثنين وثلاثين بيتاً، وهي القصيدة التي قاربت قصيدة زهير من حيث طولها، ولكن

(1) المرجع السابق، ص183. جو: واد. عمرو: هو عمرو بن هند بن المنذر المعروف بالمحرق. فدك: أرض. القبطية: ثياب كتان بيض، اللسان ج9، ص248.
(2) ابن حجر: ديوان أوس، ص80.
(3) ابن الأبرص: ديوان عبيد، ص91. السواهك: الريح العاصفة الشديدة المرور، اللسان ج12، ص330.
(4) الشنتمري: شرح ديوان علقمة، ص30.
(5) الأعشى: ديوان الأعشى الكبير، ص89.

موضوعها يختلف، فهذه في المدح.

ولعل تفرّد قصيدة زهير من حيث طولها ووحدة موضوعها، وتشبيهاتها، جعلها تحتل مكاناً مميزاً بين القصائد التي جاءت على الكاف، ولعل هذا ما جعل الأصمعي يتحدث عن جودتها.

عينية سويد:

وهي قصيدة لسويد بن أبي كاهل، نالت قبولاً في مجالس العرب، وأوساطهم.

روى الأصفهاني: «... قال حدثنا أبو نصر صاحب الأصمعي أنه قرأ شعر سويد بن أبي كاهل على الأصمعي فلما قرأ قصيدته:

بَسَطَتْ رابعةُ الحَبلَ لَنا فوَصلْنا الحبلَ منها ما اتَّسَعْ

فضلها الأصمعي، وقال كانت العرب تفضلها، وتقدمها، وتعدّها من حكمها. ثم قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر أنها كانت في الجاهلية تسمى اليتيمة»(1).

وقد يكون الأصمعي وافق من سبقه في تفضيل هذه القصيدة، وهي مسطورة في المفضليات، وتبلغ ثمانين ومئة بيت، جاءت على وزن الرمل. وقال ابن سلام في حديثه عن سويد: «له شعر كثير ولكن برزت هذه على شعره»(2)، ويقصد بها قصيدته العينية. وقال ابن قتيبة في معرض ترجمته للشاعر «وكان الحجاج تمثّل يوم رستقباذ على المنبر بأبيات من قصيدته»(3)، وأورد منها أربعة عشر بيتاً، ولم يذكر له أي بيت آخر، وهذا دليل على جودتها، وكرامتها. واستجادة الأصمعي لها نابعة من استجادة الأوائل من العلماء لها، ولما احتوته من معان سامية.

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص102. هو سويد بن أبي كاهل من بني ذبيان بن كنانة بن يشكر، شاعر مخضرم عدّه ابن سلام في طبقة عنترة الجمحي : طبقات فحول الشعراء: 152/1ابن قتيبة: الشعراء والشعراء، ج1، ص421.

(2) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص129، ... فوصلنا الحبل منها فانقطع.

(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص421.

زائية الشماخ:

روى ابن قتيبة قول الأصمعي: «ما قيلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشماخ في صفة القوس»[1]، ومطلع القصيدة:

عَـفـا بَـطـنُ قـوٍّ مـن سُـلَـيـمَـى فَعـالِـزُ فـذاتُ الغَضا فالمُشرِفاتُ النَّواشِزُ»[2]

وتبلغ القصيدة في الديوان ستة وخمسين بيتاً جاءت على وزن الطويل. وأثبتها القرشي في الجمهرة، فهي الخامسة من المشوبات[3].

واحتل ذكر القوس اثنين وعشرين بيتاً من القصيدة بدأه الشاعر بقوله:

«**قَـلـيـلُ الـتِّـلادِ غَـيـرَ قَـوسٍ وأَسْـهُـمٍ كـأنّ الـذي يَـرْمـي من الـوَحـشِ تارِزُ**»[4]

ووصف النصال، وكيف تخيرها الصائد من فرع ضالة بعد أن استوت نمواً في مكان حفظها عن أعين الناس، ووصف طريقة وصوله بفأسه إلى الفرع الذي نماها ليقدها ويعدّها جاعلاً منها قوساً، واستمر في هذا المقطع تسعة أبيات. وبدأ بعدها بمقطع آخر يتحدث فيه عن موافاته أهل الموسم، قال:

«**فَـوافَـى بـهـا أَهْـلَ الـمَـواسِـم فـانْـبَـرى لَـهـا بَـيِّـعٌ يُـغْـلـي بـهـا الـسَّـومَ رائِـزُ**»[5]

وذكر كلام أهل الموسم عن ثمنها في مقطع من خمسة أبيات، جاء بعده مقطع يصور مناجاة صاحب القوس مع نفسه، قال:

---

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص659.

(2) الذبياني: ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، 1388هـ/1968م، ص173. قو، عالز، ذات الصفا: مواضع. المشرفات والنواشز: مرتفعات.

(3) القرشي: الجمهرة، ص826.

(4) الذبياني: ديوان الشماخ، ص183. التلاد: كل مال قديم. التارز: اليابس أي كأنه يابس قبل أن يصيبه السهم.

(5) المرجع السابق، ص187. المواسم: جمع موسم، المراد الأسواق التي يجتمع فيها الناس. الرائز: المجرب.

فَـظَـلَّ يُـنـاجـي نَـفـسَـه وأَمِـيـرَهـا   أَيـأْتِـي الـذي يُعطَى بِها أم يُـجاوِزُ؟» [1]

وهو مقطع من ثلاثة أبيات يظهر فيه حديث النفس وشدة الحدث (البيع) حتى أفاضت العين دموعها. وأتبع ذلك بمقطع من خمسة أبيات قال فيه:

«وذاقَ فـأعـطْـتُـه مـن الـلِّـيـنِ جـانِـبـاً   كَفى، ولها أن يُغرِقَ السَّهمَ حاجِزُ»[2]

وصور في هذا المقطع محاولة المشتري تجريب القوس، وقد سمع من ترنم أوتارها صوتاً يشبه صوت الثكلى، ووجدها قوساً قذوفاً، قد اعتنى بها صاحبها، فكأنها طليت بالزعفران من يد خبير به، وبلغ حفاظ صاحبها لها أنه يغطيها بثوب جديد خشية أن تسقط الأنداء عليها. وقد «استوحى الشماخ في هذه القصيدة عاطفته فوصف قوساً صنعها قواس، ثم باعها، فترقرقت تلك العاطفة بجداول الحب والحنان، وترنمت بأصوات الزهور والاعتزاز، واضطرمت بمارج اللوعة والأسى في وصف ساحر بارع جارى فيه الشماخ عظماء من استلهموا الهياكل والجبال المقدسة، فجادت عليهم بالآيات البيّنات»[3]. وتظهر مقاطع القصيدة أن إعجاب الأصمعي بها آت من الوصف البارع للقوس، وتخيّر صاحبها لها واهتمامه بها، ثم من تقلب النفس الإنسانية بين البيع أو عدمه.

زائية المتنخل:

أورد ابن قتيبة قول الأصمعي «ما قيلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشماخ في صفة القوس، ولو طالت قصيدة المتنخل كانت أجود، وهي التي يقول فيها:

يـا لَـيـتَ شِـعـري وهَــمُّ الـمَـرءِ يُنـصِـبُـهُ   والـمـرءُ لـيـسَ لـهُ فـي الـعَـيـشِ تَـحـريـزُ

هـل أجْـزِيَـنْـكُـمـا يـومـاً بـقَـرْضِـكُـمـا   والقَرضُ بالقَرضِ مَجْزِيٌّ ومَجلُوزُ»[4]

(1) المرجع السابق، ص189.

(2) المرجع السابق، ص190. ذاق: الضمير للمشتري. وذقت القوس: جربت وترها. إغراق السهم: استيفاء جذب القوس فتلين فربما أصاب السهم يد الرامي.

(3) شاكر، محمود محمد: مقال في مجلة الكتاب، مجلد 11، 1952، ص154.

(4) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص659. شرح أشعار الهذليين، ج3، ص1265. ينصبه: يتعبه. تحريز: تقطع، اللسان ج7، ص199. التجليز: الذهاب في الأرض والإسراع، اللسان ج9، ص186.

وفي النص دلالة واضحة على استجادته لزائية المتنخل وقد حال قصرها دون سبقها لقصيدة الشماخ. ومطلع القصيدة:

«لا دَرَّ دَرّيَ إن أطعَمْتُ نازِلَكُمْ قِرْفَ الحَتّي وعِندي البُرُّ مَكنُوزُ»(1)

وتبلغ أحد عشر بيتاً على بحر البسيط، وهي الثانية في ديوان المتنخل بينما بلغت قصيدة الشماخ ستة وخمسين بيتاً.

طائية المتنخل:

روى الأصفهاني قال: «أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: أجود طائية قالتها العرب قصيدة المتنخل:

عَرَفْتُ بأجدُثٍ فنِعافِ عِرقٍ عَلاماتٍ كتَحبيرِ النِّماطِ

كأنَّ مَزاحِفَ الحَيّاتِ فيها قُبَيلَ الصُّبحِ آثارُ السِّياطِ»(2)

وهي القصيدة الثالثة في شعر الشاعر على بحر الوافر وتبلغ أربعين بيتاً في الديوان. وأوردها صاحب الجمهرة؛ حيث كانت القصيدة السابعة في المنتقيات، وزاد عليها بيتاً وهو قوله:

«فآبُوا بالسُّيوفِ بها فُلولٌ كأمْثالِ العِصيّ منَ الحَماطِ»(3)

وهو زيادة على ما في الديوان، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

ويظهر أن بعض هذه القصائد كان رائجاً عند معاصري الأصمعي، فقصيدة سويد وردت في المفضليات، وأورد ابن قتيبة جزءاً منها. وبعض هذه القصائد راج بعد عصر الأصمعي

---

(1) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج3، ص1263. القرف: القشر. الحتي: المقل.

(2) الأصفهاني: الأغاني، ج24، ص107. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص660. شرح أشعار الهذليين، ج3، ص1266 الأبيات 1-29. أجداث، نعاف، عرق: كلها مواضع. النماط: ثياب منقوشة. التحبير: النقش.

(3) القرشي: جمهرة أشعار العرب، ج2، ص594. الحماط: بلغة هذيل، شجر عظام ينبت في بلادهم تألفها الحيات.

أيضاً مثل: قصيدة الشماخ الزائية، وقصيدة المتنخل الطائية. ونلاحظ أن الأصمعي قد فاضل بين هذه القصائد معتمداً على الموازنة بين قوافيها. وكان لطول القصيدة أثر في منزلتها عنده، كما لحظنا في تقديمه لقصيدتي سويد والشماخ.

كما أن الموازنة بين هذه القصائد تبيّن إدراك الأصمعي لأهمية القافية «والكاف أعسر ما تكون إذا جاءت مضمومة كما عند زهير – البيت – والشاعر في مثل هذه القافية لا يستطيع أن يستعين بالضمائر، لأنها لا تجيء مضمومة والإجادة في مثلها تدل على فحولة متأصلة»(1). فمجيء القافية على هذا النحو بالإضافة إلى ما سبق من أسباب كانت وراء تقديم الأصمعي لكافية زهير.

أما قافية قصيدة سويد فهي من القوافي المقيدة. وعن استعمال هذه القوافي يقول الطيب: «ولكن استعمالها من غير أن يسبقها مدّ غير كثير، وفيه عُسر شديد في البحور الطوال، إلا بحري الرمل والمتقارب لخفتهما، فمثال الأول قول سويد بن أبي كاهل – البيت»(2)، ولعلّ طبيعة هذا البحر من حيث تركيبه الداخلي هو ما ساعد على سهولة استعماله. أما مكانة هذه القصيدة فيكفي ما ينقل عن تسميتها باليتيمة من قبل أهل اللغة السابقين.

أما قافيتا الزاي والطاء فجعلهما الطيب في عداد القوافي النفر، قال: «هي الصاد، والزاي، والضاد، والطاء... أما الزاي فجاءت فيها كلمات نادرة كمجمهرة الشماخ»(3)، وذكر أيضاً زائية المتنخل. ويبدو أن القصائد التي جاءت على هذه القافية قليلة في الشعر العربي. ومثلها الطاء ومثل لها الطيب بقصيدة المتنخل(4). على أن هذه القصائد التي عرفها الأصمعي بقوافيها، تبيّن دقته في استجادتها، وتفردها بين نظائرها في الشعر العربي.

أما شعراء هذه القصائد فمنهم الجاهلي، ومنهم المخضرم، ويرجعون إلى قبائل مختلفة، فزهير جاهلي، يرجع نسبه إلى مزينة، وسويد بن أبي كاهل من الشعراء المخضرمين، ويرجع

---

(1) الطيب، عبد الله: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ج1، ص48.

(2) الطيب، عبد الله: المرشد، ج1، ص43.

(3) المرجع السابق، ج1، ص59.

(4) المرجع السابق، ج1، ص61.

نسبه إلى بني كنانة بن يشكر من بني بكر بن وائل. أما الشماخ فهو مخضرم، يرجع نسبه إلى بني ذبيان، ويرجع المتنخل في نسبه إلى بني هذيل.

مطالع مستحسنة

روى الجاحظ: «إن شبيب بن شيبة كان يقول: الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء»[1]. فهو يتحدث عن تفضيل الناس ابتداء القصائد، وأثره على نفس السامع، وأهميته في القصيدة؛ لأنه أول ما ينبّه السامع.

وقال ابن رشيق (ت 456هـ): «والمطلع – وهو أول البيت – جودته أن يكون دالاً على ما بعده»[2]، فهو يعرّف المطلع ويبين سبب جودته بدلالته على ما يأتي بعده من كلام في القصيدة. وقال أيضاً: «فإن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة»[3]. فالمطلع بمنزلة العنوان للقصيدة، يظهر قدرة الشاعر على النظم، وما يريد أن يقوله في قصيدته. واتّبع الشعراء أنماطاً معينة من الابتداءات كثيراً ما تكررت في قصائدهم. وكان الأصمعي استجاد بعض هذه المطالع. روى الحاتمي (ت 388هـ) أن الأصمعي قال: «لامرئ القيس بيت لم يسبقه إليه، ولا ابتدأ بمثله شاعر، وقف فيه واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الأحبة والمنازل، ووصف الدمن، فقال:

قِفا نَبكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ بسَقطِ اللِّوى بين الدّخول فَحَوْمَلِ»[4]

ويظهر من كلام الأصمعي، ووصفه، وثنائه على البيت، استجادته لمطلع المعلقة الذي انفرد به امرؤ القيس، وأجمل فيه عدة جوانب.

وقال ابن رشيق عن مذهب الشعراء في الافتتاح: «فطريق أهل البادية ذكر الرحيل

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص112. هو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن الأهتم من رهط خالد بن صفوان، ج1، ص24.
(2) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص216.
(3) المرجع السابق، ج1، ص218.
(4) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص96. امرؤ القيس: ديوانه، ص8.

والانتقال، وتوقع البين والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول»(1). ولم تكن وقفة امرئ القيس إلا فاتحة حديث طويل عن ذكرياته، وشوقه إلى خوالي أيامه.

وذكر الحاتمي قول الأصمعي: «وقد أحسن الأعشى في ابتدائه:

كَفى بالذي تُولِينَهُ لو تجَنَّبَا   شِفاءً لسُقْمٍ بَعدَما عادَ أَشْيَبا»(2)

يبدو أن استجادة الأصمعي لهذا المطلع جاءت نتيجة إلى ما يصوره من حالة نفسية؛ حيث يميل الخيال الإنساني إلى إزالة كل نقص أو عيب في الحبيب. فلذلك لا يرى الشاعر في الصدّ والهجر إلا زيادة تعلّق بمحبوبته رغم تقدّم السن به.

وقال ابن رشيق: «وأهل الحاضرة يأتي أكثر تغزّلهم في ذكر الصدود، والهجران»(3)، وهذا ينطبق على المطلع السابق، وهو مطلع قصيدة تبلغ ثلاثة وأربعين بيتاً. وروى ابن قتيبة (ت 276هـ) «قال الأصمعي: ولم أسمع قط ابتداء مرثية أحسن من مرثيته – أوس بن حجر:

أيتُها النّفسُ أَجمِلي جَزَعَا   إنَّ الذي تَحذَرِينَ قَد وَقَعا»(4)

وزاد الحاتمي قوله:

«إنّ الذي جمَعَ السّماحَةَ والنْـ   ـنَجْدَةَ والحَزْمَ والندى جُمَعَا

الألمَعيَّ الذي يَظُنُّ بك الظْـ   ـظَنَّ كأنْ قد رَأى وقَدْ سَمِعا

لأنه افتتح المرثية بلفظ نطق به على المذهب الذي ذهب إليه منها في القصيدة فأشعرك بمراده في أول بيت وهذا نهاية وصف الشعر والشاعر»(5). فقد أوضح سبب استجادته لهذا الشعر، ولم يدع للناس مذاهب في تفسيره. وكأن الشاعر أجمل حسن المطلع، أو بعض الجوانب الداخلية المستحبة في مطلع يحدث عن مثل هذا الغرض. ويبدو من كلام

(1) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص225.
(2) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص99. الأعشى: شرح ديوانه، ص113. أولاه المعروف: صنعه له.
(3) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص225.
(4) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص135. ابن حجر: ديوان أوس، ص53.
(5) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص97.

الأصمعي عن ابتداء امرئ القيس، أنّه يقصد بالمطلع البيت الأول من القصيدة، بينما قصد به ابن رشيق أول البيت من أبيات القصيدة.

أما عن رواج هذه المطالع قال ابن قتيبة: «وما يتغنى به من شعره، قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل»(1). وتغلب صفة الغناء على الشعر العربي، ونجد ابن رشيق قد استعمل الشطر الأول من بيت امرئ القيس، وبيت أوس بن حجر، ليدلل على المطالع الجيدة؛ وقال عن بيت امرئ القيس: «وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر»(2)، وهذا يُظهِر أن للأبيات التي استجادها الأصمعي رواجاً بين النقاد من بعده. وحسبنا أن بيت امرئ القيس هو مطلع معلقته على شهرتها، وعدّ حسين عطوان هذه المقدمة مثالاً للمقدمات النابضة بالحياة وقال عنها: «ومن المقدمات التي عني فيها الشعراء بالتعبير عن مشاعرهم الحزينة مقدمة امرئ القيس لمعلقته المشهورة؛ إذ لا نرى فيها إلا اسم الأطلال مفرداً مجرداً، وبعر الآرام في ساحاتها، ودموعه المسفوحة، ووقوفه الطويل عند هذه الديار»(3). ولم يكن ذلك إلا بسبب تصوير الشاعر نفسه، وما يعتلجها من كوامن الشوق والحنين إلى العهود الماضية. ونلمس أثراً لبناء هذه المطالع في تفضيلها، وذلك من حيث القافية والمصراع.

قال قدامة بن جعفر (ت 337هـ) في نعت القوافي: «أن تكون عذبة الحروف سلسة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها؛ فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدامى والمحدثين يتوخّون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه»(4). ومثل لذلك بمطلع معلقة امرئ القيس، وإذا نظرنا في القصيدتين الأخريين نجد أنهما تماثلان مطلع معلقة امرئ القيس، وهذا ما زاد في جمال هذه المطالع.

أما شعراء هذه القصائد فهم من أوائل شعراء الجاهلية وأقدمهم، ويرجعون إلى قبائل عربية مختلفة، فامرؤ القيس كندي، والأعشى من بني سعد بن ضبيعة بن قيس من بني بكر بن وائل، أما أوس بن حجر فهو مضري، ولم يقع اختيار الأصمعي على شعر قبيلة دون أخرى.

---

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص56.
(2) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص218.
(3) عطوان، د. حسين: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ت، ص179.
(4) ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، ص42.

استحسان الأصمعي لأبيات ومقطوعات

أبيات في الاعتذار:

وكان الأصمعي فيما تروي الأخبار «يكثر التعجب في قول النابغة:

وعَـيّـرتْـنـي بَـنـو ذُبـيـانَ خَـشـيَـتَـهُ وَهـل عَـلـيَّ بـأنْ أخْـشـاكَ مـن عَارِ؟»[1]

ولعل تعجّب الأصمعي سببه شدة الصلة بين مكانة النعمان الملك، وخوف الشاعر منه وتعبيره عن نفسه، وفي واقع الأمور لا يُلام النابغة على خشيته؛ فالنعمان كان في تلك المدة يشكل لنفسه مملكة على قدر من الأهمية. بالإضافة لما بين النابغة والملك من مودة وصداقة. وقال الأصمعي في بيت آخر للنابغة: «وما سبق إليه ولم يجاذبه قوله في أول شعره:

كِـلـيـني لـهَـمٍّ يـا أُمَـيـمَـةَ ناصِبِ»[2]

فهو يرى أن النابغة سابق إلى هذا المعنى، ولم يحاول أحد أن يأخذه من بعده، وفي البيت دلالة على شدة قلق الشاعر وحزنه.

وقال أيضاً «ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة الذبياني:

فـإنّـكَ كـالـلّـيـلِ الـذي هُـو مُـدرِكـي وإنْ خِلتُ أنَّ المُنتأى عَنكَ واسِعُ»[3]

والبيت يصور نفس الشاعر في شدة رهبتها، وكأن يد النعمان تصل إلى كل مكان يظن الشاعر أن يلجأ إليه كالليل الذي لا يدع جزءاً من الكون إلا أتاه. والاعتذاريات قليلة في الشعر العربي، وقصائد النابغة أفضلها، وأشدّها وقعاً على النفس لأسباب أهمها: مكانة النعمان في ذلك العصر، وهو صاحب بأس وشأن عظيمين، وصلة المودة بينه وبين الشاعر الذي أخذ

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص171. العقد الفريد، ج5، ص359. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1977م، ص78.

(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص177. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص40. وتمام البيت: ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب.

(3) المرتضى: الأمالي، ج1، ص512. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ص38.

يكفر وقيعة الوشاة ينهما، ولم يدع وسيلة أو إيماناً صادقاً إلا وأقسم به إنه لصادق. ونلمس العاطفة الملتهبة، والنفس الحائرة اليائسة تريد أن ترأب الصدع بين الشاعر والملك.

وقال الأصمعي في أبيات الحارث بن هشام المخزومي: إنها «أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار؛ قال:

اللهُ يَعلمُ ما وليتُ ظهري محمداً وأصحابَهُ جبناً ولا خيفة القَتْلِ

ولكنني قلبتُ أمري فلم أجِدْ لسيفي عناءً إن ضَربْتُ ولا نَبْلي

وقَفتُ فلما خِفتُ ضَيعت مَوقفي رَجعتُ لعودٍ كالهِزَبر أبي الشِّبلِ»[1]

فالشاعر يعتذر لإدباره بطريقة تتفق مع المقام والحال، فلم يكن فراره جيداً كما يقول، أو خشية من القتل، ولكن لما جعله لسلاحه من موضع لا يجدي فيه.

أبيات في الجوار:

قال الأصمعي: «أحسن ما قيل في حُسن الجوار:

جاورتُ شَيبانَ فاحْلَولى جِوارُهم إنَّ الكرامَ خِيارُ النّاسِ للجارِ»[2]

ويظهر أن حكم الأصمعي ينصبّ على الشطر الثاني من البيت بالذات لما فيه من حثّ على رعاية الجار، والقيام بواجباته. وكثيراً ما افتخر العرب بحماية الجار ونصرته، وذم من توانى عن حماية جاره.

---

(1) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري: بهجة المجالس وأنس الجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مراجعة: د. عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، تاريخ المقدمة 1962م، ج1، ص490. هو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، صحابي، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام. انظر: ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة التجارية الكبرى، صر، 1358هـ/ 1939م، ج1، ص293.

(2) المرجع السابق، ج1، ص290.

أبيات في الرثاء:

ومن الأبيات المفردة التي نالت منزلة عند الأصمعي قول جرير في الرثاء:

«ومن عجبٍ أنْ بتّ مُستشعِرَ الثّرى   وبتّ بما زوّدتني مُتمتّعا

ولو أنني أنْصفتكِ الودَّ لم أبتْ   خَلافك حتّى نَنطوي في الثّرى مَعا»[1]

وربما يكون سبب استجادة الأصمعي لهذين البيتين ما فيهما من ذكر للإنصاف وتعجب يراهما الراثي في تصرف الدهر، كما أن عاطفة الشاعر الحزينة ظاهرة في الأبيات.

أبيات في الشيب:

روى الأصفهاني: «... قال حدثنا الرياشي: قال سمعت الأصمعي يقول: قال هذا الباهلي محمد بن خازم[2] في وصف الشيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهلي كفاك قوله:

كَفاكَ بالشّيبِ ذَنْباً عندَ غانيةٍ   وبالشّبابِ شَفيعاً أيُّها الرجلُ

فقال: إياه عنيت»[3].

ولعلّ استجادة الأصمعي للبيت ناتجة عن المقارنة بين عصري الشيخوخة والشباب ورؤية الغانيات للرجل في كل منهما. وكثيراً ما ذكر الشعراء عصر الشيخوخة ونفور النساء منه.

أبيات في الفخر:

روى صاحب الأغاني بسند إلى الأصمعي أنه «أُنشدَ قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزيمة بن خازم:

إذا كانَت الأَحْرارُ أَصْلي ومَنصِبي   ودافِعَ ضَيمي خازِمٌ وابنُ خازِمِ

(1) العسكري: المصون في الأدب، ص18. لم ترد الأبيات في الديوان.

(2) محمد بن خازم التميمي السعدي من أهل الكوفة، عباسي العصر. تاريخ بغداد، ج5، ص242.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج14، ص110.

عَطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتَناولتْ يدايَ الثُريا قاعِداً غيرَ قائمِ

قال: فجعل الأصمعي يعجب منهما، ويستحسنهما، وكان بعد ذلك يذكرهما ويفضلهما»[1].

ولعل تفضيل الأصمعي لهذين البيتين مرتبط بما فيهما من الفخر والشعور بالرفعة والسمو، فمن الذي تبلغ يداه الثريا وهو قاعد؟

إن خيال الموصلي وشاعريته جعل يديه تدنيان الثريا بالإضافة لأصله العريق. وروى الأصفهاني عن الرِّياشي قال: «أنشدنا الأصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها: قاتل الله نصيباً ما أشعره:

فإنْ يَكُ من لونِي السّوادُ فإنّني لَكالمسكِ لا يَرْوَى من المِسك ذائقُهْ

وما ضَرَّ أثْوابي سَوادي وتَحتَها لِباسٌ من العَلياءِ بيضٌ بنَائقُهْ

إذا المرءُ لمْ يَبذُلْ مِنَ الودِّ مثلَ ما بذلتُ له فاعلَمْ بأنّي مُفارقُهْ»[2]

والأبيات غاية في الفخر، أشار فيها الشاعر إلى لونه الأسود، ولكن ذلك لم يؤثر في حياته، ثم شبّه نفسه بالمسك، فالإنسان ما كان ليملّ رؤية المسك أو رائحته. وأكد ذكر لونه في البيت الثاني، ولكن نفسه في مرتبة المعالي التي لا تصلها إلا النفوس ذات الهمم، وكنّى عنها بقوله بيض بنائقه، وإن لم يعامله صاحبه بود كان بذله له فإنه سيدعه. روى الأصفهاني قال: «أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية:

أنتَ ما استَغْنَيتَ عَن صا حِبِكَ الدَّهرَ أخوهُ

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج5، ص278. هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي من أشهر ندماء الخلفاء العباسيين، تميمي بالولاء. انظر: تاريخ بغداد، ج6، ص338. وفيات الأعيان، ج1، ص182.
(2) الأصفهاني: الأغاني، ج1، ص354. هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من كنانة. انظر: الشعر والشعراء، ج1، ص410. الأغاني، ج1، ص324. السمط، ص291.

فـــــــإذا احـــتـــجْـــتَ إلـــيـــهِ   ســـــاعَـــةً مَـــجَّـــكَ فُـــــــوهُ»[1]

فإن كان نصيب يفخر بنفسه في أبياته الأولى، ويذكر في البيت الأخير منها تعامله مع الناس، فأبو العتاهية يتكلم عن حقيقة عامة في الناس، توضحها التجارب الإنسانية المتكررة. وندرج بيتاً استجاده الأصمعي ولم يذكر شاعره، روى العسكري قال: وأحسن ما وصف به هاجرة قوله:

«أشـــمُ مَـخـــارِمِ الأعـــلامِ صَـخـد   كـأنَّ الـشـمسَ تَـنـفُـخُ فيـه نَــارا»[2]

فقد كنّى الشاعر بنفخ الشمس للنار عن شدة الحر الذي أحاط بكل الأرض من حوله.

أبيات في المرأة:

تذكر الأخبار أن أبا سعيد كان يستجيد أشعاراً تتعلق بوصف المرأة، مفاتنها وأخلاقها، ومن هذه الأبيات قول الشنفرى في مفضليته:

«فـدَقَّـتْ وجـلَّـتْ واسـبَـكَـرَّتْ وأُكـمِلَـتْ   فلو جُـنَّ إنـســانٌ، مـن الـحُـسـنِ، جُـنَّـتِ

قال الأصمعي: لم توصف المرأة بأوجز وأحسن منه»[3]. فقد وصف الأعضاء الحسية في المرأة دون تكرار، وجاء في شرح البيت «دقت في محاسنها وجلت في مناصبها... ويجوز دق من أعضائها ما يستحب دقته، وفخم ما يستحب فخامته»[4]، وكل ذلك يتعلق بإظهار حسن هذه المرأة.

وفي قول الشنفرى:

«إذا هـو أمـسـى آبَ قـــرَّةَ عـيـنِـه   مـآبَ السعيدِ، لـم يَـسَـلْ: أيـنَ ظَـلَّـتِ؟

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص11. أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق، تاريخ المقدمة 1384هـ/ 1964م، ص423. هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي بالولاء، مشهور بأبي العتاهية. تاريخ بغداد، ج6، ص250. وفيات الأعيان، ج1، ص198.

(2) العسكري: المصون في الأدب، ص25. صخد: شديد الحر.

(3) الجرجاني، عبد القاهر: الطرائف الأدبية، صححه وخرّجه عبد العزيز الميمني، لجنة التراث والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م، ص33. الإيجاز والإعجاز، ص142. اسبكرت: طالت وامتدت.

(4) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، تحقيق: د. قباوة، ج1، ص519.

... قال الأصمعي: هذه الأبيات أحسن ما قيل في خفر امرأة وعفتها، وأبيات أبي قيس بن الأسلت:

وتُكرِمُها جاراتُها، فيَزُرْنَها ... وتَعتَلُّ عن إتيانهنَّ، فتُعْذَرُ

وليسَ لها أنْ تَستَهينَ بجارةٍ ... ولكنَّها عَن ذاكَ تحيا وتَحصَرُ

وإنْ هي لم تَبرُزْ لهنّ أتَيْنَها ... نواعِمُ بيضٌ مشيُهُنَّ التأطُّرُ»[1]

وتظهر الأبيات السابقة أخلاق امرأة خفرت حياء وعفة، ويزينها جمال قد لا يكون من نصيب غيرها، وهي قليلة الخروج من منزلها.

وفي الأغاني «... قال حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: الشمردل بن شريك[2]، وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها ويقول: إنها لمن طريف الكلام:

ثم استقلَّ مُنَعَّمَاتٌ كالدُّمَى ... شُمُسُ العتابِ قليلةُ الأحقادِ

كُذُبُ المواعِدِ مايزال أخو الهَوى ... مِنهنّ بينَ مودّةٍ وبعادِ

حتى ينالَ حِبالَهنَ معلقاً ... عقلَ الشّريدِ وهنّ غيرُ شِرادِ

والحبُّ يصلحُ بعدَ هجرٍ بيننا ... ويهيجُ معتبةً بغيرِ بعادِ»[3]

ومن المرجح أن تفضيل الأصمعي هذه الأبيات ناتج عن محتواها، فقد بدأت بوصف جمال النساء المشبهات بالدمى، ثم تحدث عن أخلاقهن، وكيف يبقى المحب بين وصل وصدود تنتهي كلها بلقاء الحبيب.

ومن الأمور الوثيقة الصلة بالمرأة الغيرة، وكثيراً ما تطرّق لها الشعراء في أقوالهم،

(1) المصدر السابق، ج1، ص518. أبو قيس كنيته، وقيل اسمه الحارث، وقيل عبد الله، وقيل صيفي بن عامر وهو من أزدكهلان وكان سيد الأوس. راجع: التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص1232. الخزانة، ج3، ص409.

(2) الشمردل بن شريك بن عبد الملك من بني ثعلبة بن يربوع تميمي، شاعر محسن في القصيد وفي الرجز. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص139.

(3) الأغاني، ج13، ص363.

وقد حازت استحسان الأصمعي أبيات للدارمي. روى المرتضى في أماليه قال: «وقال الأصمعي: أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي:

ألا أيُّها الغائِرُ المُستَشيطُ ... علامَ تَغارُ إذا لمْ تُغَرْ

فما خَيرُ عِرسٍ إذا خِفتَها ... وما خَيرُ بيتٍ إذا لم يُزَرْ

تَغارُ على الناس أن يَنظُروا ... وهَل يَفتِنُ الصّالِحاتِ النَّظَرْ

فإني سأُخْلي لها بَيتَها ... فتَحفَظُ لي نَفسَها أو تَذَرْ

إذا اللهُ لم يُعطِهِ وُدَّها ... فلن يُعطيَ الودّ سوطٌ مُمَرٌّ

ومَن ذا يُراعي لهُ عِرسَهُ ... إذا ضمَّهُ والمطِيَّ السَّفَرْ»(1)

فالدارمي يتحدث عن الغيرة، وما تجعله من أثر في نفس الإنسان، ويتساءل تساؤلاً إنكارياً بقوله: وهل يفتن الصالحات النظر؟ ثم قال إذا كان الإنسان لم يهبْه الله ودّ من يحب فلن يحظى بشيء منه في وسائل القوة والغيرة، وربما استحسنها الأصمعي لما فيها من قول ينسجم مع الطباع الإنسانية.

ومن الأبيات التي نالت إعجاب الأصمعي ما يرويه للعديل، روى صاحب الأغاني قال: «دخلت على الرشيد يوماً، وهو محموم فقال: أنشدني يا أصمعي شعراً مليحاً، فقلت: أرصيناً فحلاً تريده يا أمير المؤمنين أم شجياً سهلاً؟ فقال: بل غزلاً بين الفحل والسهل، فأنشدته للعديل بن الفرخ العجلي:

صَحا عن طِلاب البِيضِ قبلَ مَشيبِه ... وراجع غَضَّ الطّرف فهو خَفيضُ

كأنّي لم أرعَ الصِّبا ويروقُني ... من الحيِّ أحْوى المقلتينِ غَضيضُ

(1) المرتضى: الأمالي، ج1، ص475. الدارمي: ديوان مسكين، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري/ خليل إبراهيم العطية، ط1، مطبعة دار البصري، بغداد، 1389هـ/1970م، ص40. في الديوان «... علام تغار إذا لم تمر». الدارمي: هو ربيعة بن عامر ينتهي نسبه إلى بني حنظلة من تميم، معاصر لجرير والفرزدق. انظر: الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص68. ياقوت: معجم الأدباء، ج11، ص126. الخزانة، ج3، ص69.

دَعـــانــي لــه يــومــاً هـــوىً فـأجـابَـه فُـــؤادٌ إذا يـلـقـى الـمِـراضَ مـريـضُ
لـمُـســتـأنـســاتٍ بـالـحـديـثِ كـأنّـهُ تــهـلُّـلُ غُـــرٍّ بَـــرقُــهــنَّ ومـيـضُ

فقال لي: أعدها فمازلت أكررها عليه حتى حفظها»[1].

فاختيار الأصمعي لهذه الأبيات في شروط معينة يدل على سعة حفظه، وقوة ذاكرته، وإلمامه بضروب الشعر العربي. ونلاحظ أن الألفاظ سهلة مناسبة لغرضها واضحة المعاني، بالإضافة لجمال التشبيهات الواردة في الأبيات ووضوحها. والناظر في الأبيات لا يكاد يجد لفظاً لم يطرق سمعه رغم البُعد الزمني بين عصرهم وعصرنا، ولكن الشاعر نظمها بطريقة تجذب النفس، وشاهدنا على ذلك استحسان أمير المؤمنين لها، وهذا يدل على درايته بالشعر.

أبيات في الثغر:

أما في وصف الثغر، فقد وقع اختياره على أبيات كثيرة لشعراء مختلفين.

روى المرتضى في أماليه خبراً عن المرزباني مسنداً إلى الأصمعي «ما وصف أحد الثغر إلا احتاج إلى قول بشر بن أبي خازم:

يُـفَـلِّـجْـنَ الـشِّـفـاهَ عـن أقْـحـوانٍ جَـــلاهُ غِـــبَّ ســـارِيـــةٍ قِـــطــارُ»[2]

فقد وصف الشاعر الثغر ونضارته مشبهه بأقحوان، وزاد في جماله ما جلاه من ماء سحابة سارية.

وعن الرياشي: «سمعت الأصمعي يقول: أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرُمّة:

وتَـجْـلـو بـفَـرْعٍ مـن أَراكٍ كـأنَّـهُ مـنَ العَنبَرِ الـهِـنـديِّ والمِسكِ يُصبَحُ
ذُرى أُقـحـوانٍ راحَــهُ الـلـيـلُ وارتَـقـى إلـيـهِ الـنَّـدَى مـنْ رامَـةَ الـمُـتَـروِّحُ

---

(1) الأغاني، ج22، ص343. هو العديل بن الفرخ العجلي... من رهط أبي النجم، وله خبر مع الحجاج. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص413.

(2) المرتضى: الأمالي، ج1، ص511. الأسدي: ديوان بشر بن أبي خازم، ص63.

هِجانَ الثّنايا مُغْرِباً لو تَبَسَّمَتْ   لأَخْرَسَ عَنهُ كادَ بالقَولِ يُفصِحُ»[1]

ولله در عاشق مية. فأي شفاه تلك التي تجعل الأخرس إذا وقعت عيناه عليها لحظة ابتسامة ينطق؟ فالشاعر لم يترك جانباً من الثغر إلا وصفه، فقد جعل السواك من عنبر هندي ومسك، ولم يجعل الثغر قليل الماء فيؤدي إلى تشقق الشفاه فيؤثر فيها، ولا كثيره فيؤذي منظره، بل جعله كالنّدى عندما يقع على أجفان الأقحوان، وجعل ثناياها بيضاً ناصعة. وليس الأمر بعيداً عن ذي الرمة الشاعر الذي لا يكاد يخلو ديوانه من قصيدة لم تذكر فيها معشوقته ميّة التي جعلته يأنس الصحراء في سبيل لقائها. وشبيه بقول ذي الرمة، قول كعب بن زهير:

«تَجلو عَوارضَ ذي ظلم إذا ابتسمتْ   كأنّه مَنهلٌ بالرّاحِ مَعلولُ

فقد وصف ماء الأسنان وبريقها وقيل رقتها وشدة بياضها»[2]، وهي صفات تبيّن جمال الثغر.

أبيات في العيون:

وفي جمال العيون روى المرتضى قول الأصمعي: «ولا وصف أحد عيني امرأة إلا احتاج إلى قول عديّ بن الرقاع:

لَولا الحَياءُ وأنّ رأسيَ قد بَدا   فيهِ المَشيبُ لَزُرتُ أُمَّ القاسِمِ

وكأنّها وَسْطَ النِّساءِ أَعارَها   عَينَيهِ أحوَرُ من جآذِرِ جاسِمِ

وَسْنانُ أقْصدَهُ النُّعاسُ فرنَّقَتْ   في عَينِهِ سِنَةٌ وليس بنائِمِ»[3]

(1) المرجع نفسه، ج1، ص513. الحصري: زهر الآداب، ج1، ص241. ذو الرمة: ديوانه، ص83. هجان: بيض. المغرب: الذي كل شيء منه أبيض، اللسان ج2، ص129.

(2) الأنصاري، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن هشام: شرح قصيدة بانت سعاد، ط1، المطبعة الأزهرية المصرية، مصر، 1317هـ، ص16.

(3) المرتضى: الأمالي، ج1، ص511. الحاتمي: حلية المحاضرة، ص69. الأبشيهي: المستطرف، ج2، ص16. العسكري: المصون، ص15، وردَ البيتان الأخيران. عدي بن الرقاع العاملي من بني زيد مناة من تميم، شاعر أموي. انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص618. المرزباني: الموشح، ص190.

فالحور من أجمل ألوان العيون، وزاد الشاعر على هذه الصفة بتحديده للمكان (جاسم) وهي منطقة مشهورة بالظباء. وسلّط الشاعر سلطان النعاس على تلك العيون لتفتن رائيها.

أبيات في اللون:

قال الأصمعي: «ولا وصف أحد اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة:

وَهْـــيَ مَكـنـونـةٌ تَـحـيَّـرَ منْهـا   فـي أديـمِ الـخـدّيـنِ مـاءُ الشَّـبـابِ

شَـفَّ مِـنـهـا مـحـقَّـقٌ جَـنـدِيٌّ   فَهْيَ كالشّمسِ من خلالِ السَّحابِ»[1]

يصف الشاعر وجهاً قد تدفق فيه ماء الشباب، وبدا إلى العيون ناظراً، ويزيد في جماله أنّه في طور مبكر من العمر.

أبيات في الغزل:

روى صاحب الأغاني قال: «حدّث محمد بن سعيد عن الرياشي: قيل للأصمعي – أو قلت له – ما أحسن ما تحفظ للمحدثين؟ قال قول العباس بن الأحنف[2]:

لـو كـنـتِ عـاتـبـةً لـسَـكَّـنَ رَوعَـتـي   أمَـلـي رِضـاكِ وزُرتُ غـيـرَ مُـراقِـبِ

لـكـن مَـلِـلْـتِ فـلـم تَـكـنْ لـي حيـلَـةٌ   صَـدُّ الـمـلُـوكِ خِـلافُ صـدِّ العاتِبِ»[3]

نلحظ أن موضوع الأبيات في شكوى صدود، وهي تصور حال العاشق يأمل وصال الحبيب العاتب، وكان ذلك الصدّ خلاف جفاء الملوك. وعاطفة الحب ظاهرة في قوله.

---

(1) المرتضى: الأمالي، ج1، ص511. العسكري: المصون في الأدب، ص14. ابن أبي ربيعة: ديوان عمر ابن أبي ربيعة، تحقيق وشرح: إبراهيم الأبياري، مكتبة صادر، بيروت، 1952م، ص63.

البيت الثاني:

أذكرتني من بهجة الشمس لما   طلعت من دجنّة وسحاب

(2) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليماني، أبو الفضل، أصله من اليمامة، شاعر غزل رقيق ت 192هـ. وفيات الأعيان، ج1، ص245.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج8، ص355. ابن الأحنف: ديوان العباس، دار صادر، بيروت، 1398هـ/1978م، ص53.

ولم يقف إعجاب الأصمعي بالعباس عند هذا الحد، بل روى صاحب الأغاني: «قال: إن أبا حاتم السجستاني حكى عن الأصمعي أنه أنشد للعباس بن الأحنف:

أتـــأذَنـــونَ لـصَـــبٍّ فـي زيـارَتِـكُـمْ فـعـنـدَكـم شَـهَـواتُ الـسَّـمـعِ والـبَـصَـرِ

لا يُضمِرُ الـسُّـوءَ إن طـالَ الـجُـلوسُ بـهِ عَـفُّ الـضَّـمـيـرِ ولـكـنْ فـاسـقُ الـنَـظَـرِ

قال الأصمعي: مازال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئاً حتى أدخلها فأخرج هذا، ومن أدمن طلب شيء ظفر به»(1). وهذه الأبيات في الغزل، صور فيها العباس عاشقاً متيماً عفيفاً إلا في نظره، يهوى سماع الحسناوات ويطمئن قلبه لرؤيتهن، ولذلك قال عنه فاسق النظر، لكنه عفيف الضمير بعيد عن السوء وما يجرّه. وهذا ما جعل الأصمعي يقول: مازال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئاً حتى نطق بهذه الأبيات، وما تصوره.

ونلاحظ أن الأبيات التي نالت استحسان الأصمعي تتناول المرأة أبيات كثيرة منها ما يصف جمالها وأخلاقها والغيرة، ثم وجدنا أبياتاً تصف بعض أعضائها كالعيون والثغر واللون. وانفردت بعض الأبيات (أبيات ابن الأسلت) بوصف أخلاق المرأة وعفافها.

أبيات في الغيث:

وللأصمعي مراتب استحسان من شعر وصف الغيث؛ إذ إن الغيث كثيراً ما ذكرته العرب في أشعارها، ودعت بالسُقيا لمنازل الأحباب، وناجت البرق في كبد السماء، وأكثرت من وصف السحاب.

قال ثعلب (ت 291هـ): «قال الأصمعي: أجود بيت قيل في الغيث بيت الهذلي:

لتُلقحه ريـحُ الـجـنـوب وتَـقـبَـلَ الـشْـ ـــشِـمـالُ نـتـاجـاً والـصّـبـا حـالـبٌ يَـمْـري

وقال الكميت:

مَـــرَتْـــهُ الـجـنـوبُ فـلـمّـا اكـفـهـرْ رَ حَـلَّـتْ عَـزالِـيَـه والشَّمْأَلُ»(2)

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج8، ص356. ابن الأحنف: ديوان العباس، ص172.

(2) ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى، المجالس، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار

والأبيات دقيقة الوصف لتشكل السحاب، وتجاذب الرياح له، فتارة تغدو به الجنوب وتعود به الشمال، حتى إذا حان سقوطه جادت به الصَّبا. أما البيت الثاني فقد كان لريح الجنوب دورها في هذا المطر، فقد ساقت سحابه، واستمرت به حتى صحت سماؤه.

أبيات في الخيل والسلاح:

ومن الأبيات التي أثنى عليها الأصمعي، قول بشر بن أبي خازم:

«يُبارِينَ الأسِنَّةَ، مُصغِياتٍ   كما يَتفارَطُ، الثَّمَدَ، الحَمامُ

أي تباري الخيل الأسنة بخدودها. قال الأصمعي هذا أبلغ ما قيل في سرعة الفرس، شبه تسابقاً بتسابق؛ لأن قوله يبارين دلّ على تسابقها»(1). والشاعر يصوّر الخيول وهي في لحظة جري سريع، فكأنها مصغية؛ لأنها أعطت قدراً كبيراً من الجهد، وهي عادة معروفة في الخيول الكريمة. وتظهر للناظر كأنها باتت تباري الأسنّة في سرعة كبيرة كما ينطلق الحمام في ساعة وِرده حين يكون منصلتاً نحو الماء.

وفي وصف الرماح قال الأصمعي: «أحسن ما قالت العرب في طول الرماح قول القطامي:

قَوارِشَ بالرِّماحِ كأنَّ فيها   شَواطِنَ يُنْتَزَعْنَ بِها انتِزَاعا»(2)

وبعد هذا الوصف للرماح بالطول، يُذكرُ له قولٌ في الدرع، قال: «وأحسن بيت وصف به درع قول أبي دواد الإيادي:

المعارف، مصر، تاريخ المقدمة 1363هـ/ 1956م، ج1، ص296.

(1) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص1410. الأسدي: ديوان بشر بن أبي خازم، ص212. الرواية: ينازعن الأعنة... المصغي: المميل رأسه وذلك إذا اشتد عدوه. التفارط: التسابق، اللسان ج9، ص241.

(2) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج2، ص583. القطامي هو عمير بن شييم من بني جشم بن بكر من تغلب كان من نصارى تغلب وأسلم. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص609. المرزباني: الموشح، ص158.

وأعـــــــدَدْتُ لـلـحـربِ فَـضـفـاضـةً تَـضـاءَل فـي الـمَـطـيِّ كالمبردِ»[1]

فهذه الدرع تسمح لمرتديها بحركة مريحة، وحماية لجسمه، وكثيراً ما وصفت الدرع بأنها فضفاضة. وذكر العسكري استجادة الأصمعي قول الشاعر:

«تـنـــازع مـتـنـي حـضـرمـي كـأنـه حَـبـاب يـتـلـوه مـرتـجـل يرمي»[2]

فهو يصف زماماً، وكيف بدا لعيون الناظرين.

أبيات في الظليم:

أما في وصف الظليم فقد روى المرتضى قول الأصمعي، قال: «ولا وصف أحد ظليماً إلا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة:

هَـيْـقٌ كـأنَّ جَـنـاحَـيـهِ وجُـؤْجُـؤَهُ بَـيـتٌ أطـافَـتْ بـه خَـرقـاءُ مهجَومُ»[3]

يصف الشاعر ظليماً بدا مقدمه وجناحاه إلى الناظرين، وكأنه في حالة حذر دائم فهو كالبيت الذي أوكل أمره إلى امرأة لا تجيد عملاً فيه.

وروى ابن قتيبة أن الأصمعي استجاد أبياتاً من شعر الطرّماح قال: «وكان الأصمعي يستجيد قوله في صفة الظليم:

مُـجـتَـابُ شَـمـلَـةِ بُـرْجُـدٍ لسَـراتِـهِ قَـدْراً وأسْـلَـمَ مـا سِـواهَـا الـبُـرْجُـدُ

ويستجيد في صفة الثور:

يَـبـدو وتُـضـمِـرُهُ الـبِـلادُ، كـأنّـه سـيـفٌ عـلـى شَـرَفٍ يُـسَـلُّ ويُغمَدُ»[4]

(1) العسكري: المصون في الأدب، ص24.
(2) المرجع السابق، ص25.
(3) المرتضى: الأمالي، ج1، ص512. ابن عبدة: ديوان علقمة، ص63. صعل كأن جناحيه وجؤجؤه. هيق: أي ظليم. الجؤجؤ: الصدر. الخرقاء: المرأة التي ليست بصناع.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، 58. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص590. الأصفهاني: الأغاني، ج6، ص95، البيتان متصلان. الطرماح: ديوانه، ص141–146. مجتاب: لابس. البرجد: كساء مخطط. سراته: ظهره.

وزاد الأصفهاني قال: «كان أبو عبيدة والأصمعي يفضلان الطرماح في هذين البيتين ويزعمان أنه فيهما أشعر الخلق»(1). وما كان هذان البيتان ليقدما صاحبهما ويجعلانه أشعر الخلق إلاّ لعظم التشبيه الذي وقع فيهما وشرفه، وفي البيت الأول وصف الظليم، وفي البيت الثاني وصف لحركة الثور الذي لا يبقى في مكان واحد، ومن طبيعته التنقل من مكان إلى آخر. واستجاد الأصمعي هذه الصورة الشعرية؛ لأنها تمثّل تشبيهاً نادراً قد لا يقع لغير هذا الشاعر.

أبيات في النجيب:

روى المرتضى في أماليه أن الأصمعي قال: «ولا وصف أحد نجيباً إلا احتاج إلى قول حميد بن ثور:

مُحلّىً بأطْواقٍ عِتاقٍ يُبينُها على الضُّرِّ رَاعِي الضَّأنِ لو يتَقوَّفُ»(2)

فهذا وصف بارع لنجيب اعتنى به صاحبه، وجعل عليه تلك الأطواق دلالة على شدة اعتنائه به.

وإذا تأملنا الأبيات التي اختارها الأصمعي، نجدها تعود إلى عصور مختلفة من عصور الشعر العربي، فمنها الجاهلي: كأبيات بشر بن أبي خازم في وصف الخيل والرماح، وأبيات أبي دواد الإيادي في وصف الدرع، وكذلك أبيات الشنفَرى الأزدي في وصف جمال المرأة، وقول علقمة بن عبدة في وصف الظليم، وأبيات النابغة الذبياني في الاعتذار، والخشية وغيرها.

وبعضها من الشعر المخضرم: كأبيات حميد بن ثور في وصف النجيب، وأبيات الحارث بن هشام المخزومي في الاعتذار.

وبعض هذه الأبيات يرجع إلى العصر الأموي مثل: أبيات جرير في الرثاء، وأبيات ذي

---

(1) الأصفهاني: الأغاني: ج12، ص41.
(2) المرتضى: الأمالي، ج1، ص512. الهلالي: ديوان حميد بن ثور، ص111. قوف الأذن بالضم أعلاها، أو مستدارها. القائف: من يعرف الآثار، جمع قافة.

الرمة في وصف الثغر، وأبيات عدي بن الرقاع في وصف العيون، والطرماح بن حكيم في وصف الظليم، والثور الوحشي. ووقع اختيار لعمر بن أبي ربيعة في وصف لون المرأة، وكذلك ذي الرمة ووقع له اختيار في وصف الشفاه. ونجد كذلك أبياتاً للقطامي والكميت. ومن بين ما اختاره أبيات لبعض الشعراء المعاصرين للأصمعي، مثل أبيات إسحاق الموصلي في الولاء، وأبيات أبي العتاهية، وأبيات العباس بن الأحنف في الغزل، ولدينا بعض أبيات لم ينسبها الأصمعي.

ومن الأبيات المستحسنة يبدو أن الأصمعي لم يقصر استحسانه على شعر عصر دون آخر. أما أصحاب هذا الشعر فيرجعون إلى قبائل عربية مختلفة منها تميم، ومن شعرائها علقمة بن عبدة، وجرير، ومسكين الدارمي، والشمردل بن شُريك. ومن هذه القبائل قيس عيلان ومن أشهر شعرائها النابغة الذبياني. وكذلك مضر ومن شعرائها: الحارث بن هشام، وذو الرمة. وطيئ ومن شعرائها الطرماح. وبعض الشعراء عرب بالولاء مثل: أبي العتاهية، ونصيب.

ودلالة هذا أن الأصمعي لم يعتمد على شعراء قبيلة بعينها، إنما يستجيد ما يراه مناسباً من الأبيات دون النظر إلى عصر الشاعر أو قبيلته. وإذا نظرنا في الفحولة فإننا نجد بعض هؤلاء الشعراء من الذين عدّهم فحولاً كالنابغة وبشر بن أبي خازم. ونجد شعراء توقف عن الحكم لهم أو عليهم مثل جرير، ولكنه استحسن بعض أبياته، وإلى جانبهم شعراء لم ينسبهم إلى الفحول وهم معاصرون له منهم العباس بن الأحنف. وروى المرزباني قول الأصمعي في العباس «ما يؤتي من جودة المعنى، ولكنه سخيف اللفظ»(1)، ولكنه اختار له بعض الأبيات. وكذلك إسحاق الموصلي، فقد ذكر المرزباني(2) أن الأصمعي عاب بعض شعره، ولكننا نجده اختار بعض أبيات لهؤلاء الشعراء مما يرجح استجادته لبعض شعر الشعراء الذين نزع عنهم صفة الفحولة، وكذلك بعض الشعراء المحدثين، وربما كان موقفه في الفحولة يمثل جانباً من موقف مدرسة البصرة.

---

(1) المرزباني: الموشح، ص290.
(2) المصدر السابق، ص30. انظر: تاريخ بغداد، ج6، ص342.

وما يلاحظ على جميع ما وقع للأصمعي من استجادة للقصائد أو المطالع أو الأبيات أنه اعتمد على قوافي القصائد في إثبات مكانتها بين غيرها من القصائد، وتبين أن لهذه القصائد تداولاً على ألسنة النقاد والرواة من بعده. وكذلك المطالع التي رأى أنها حسنة فكان بعضها يتمثل به من يتحدث عن المطالع كبيت امرئ القيس، وبيت أوس بن حجر. كما أن الأبيات التي اختارها كانت تمثل الكمال في رأيه ولم يعمد في هذه الاستجادة إلى عصر من العصور دون آخر إلا ما استجاد من مطالع فكانت جاهلية كلها. ولم نجد في الأبيات التي تتعلق بوصف المرأة إلا بيتاً جاهلياً فقط. وشمل استحسانه بعض ظواهر الطبيعة المحيطة بهم.

الباب الثالث

المنحى الفني في نقد الشعر

الفصل الأول
النقد في كتاب فحولة الشعراء

كتاب فحولة الشعراء للأصمعي

كتاب فحولة الشعراء من أقدم الكتب النقدية التي وصلت إلينا من تراث اللغة العربية. ووصلنا الكتاب برواية أبي حاتم السجستاني (ت 248هـ)[1]، وعن السجستاني رواه ابن دريد (ت 321هـ)[2]، فيكون الكتاب «قد وصل إلينا بطريق عالِمَين كبيرين ثقتين عن الأصمعي»[3]. وبروايتهما وصلت إلينا بعض مؤلفات الأصمعي الأخرى. ونشر الكتاب محققاً أربع مرات:

المرة الأولى: من عمل المستشرق تشارلس توري عام 1911م، حيث حقق النص العربي، وترجمه إلى الإنجليزية.

المرة الثانية: وتضم عمل توري مع الترجمة إلى الإنجليزية، وقد أعاد صلاح الدين المنجد نشره مصوّراً مع مقدمة قال فيها: «قد كان المستشرق تشارلس توري قد نشر هذه الرسالة عام 1911 في المجلد 65 من مجلة جمعية المستشرقين الألمان مع ترجمة إنجليزية»[4]. عدد أوراق هذه النسخة عشرون صفحة، ومع الترجمة الإنجليزية يبلغ إحدى وأربعين صفحة.

المرة الثالثة: بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، وكانت الطبعة

(1) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني النحوي اللغوي المقري، كان إماماً في علوم الآداب وعنه أخذ علماء عصره. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص150.

(2) ابن دريد، إمام لغوي مشهور، بصري، إمام عصره في اللغة والأدب والشعر الفائق، قال المسعودي: وكان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص448.

(3) المنجد، د. صلاح الدين: مقدمة فحولة الشعراء، تحقيق: ش. توري، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 1319هـ/ 1971م، ص8.

(4) المنجد: مقدمة فحولة الشعراء، ص8.

الأولى من هذا التحقيق في القاهرة عام 1373هـ/ 1953م، وذُيّل العنوان بالجملة الآتية: «أقدم المصادر العربية المؤلفة في النقد ودراسة الشعر». ويبلغ حجم الكتاب أربعين صفحة بهذا التحقيق، وألحق به جزء تحت عنوان: آراء للأصمعي في النقد، فأصبح ثماني وتسعين صفحة من الحجم الصغير. ولم يرد في الكتاب أن المحققين اطّلعا على تحقيق المستشرق توري.

المرة الرابعة: تحقيق محمد عبد القادر أحمد الذي نسب الكتاب إلى أبي حاتم السجستاني، وطُبع في القاهرة عام 1411هـ/ 1991م، وتبلغ أوراق هذه الطبعة خمساً وسبعين ومئة صفحة.

نسبة الكتاب إلى الأصمعي:

نُشر كتاب فحولة الشعراء منسوباً إلى الأصمعي دون شك في نسبته من قبل توري، وصلاح الدين المنجد، وخفاجي والزيني. وجاء محمد عبد القادر أحمد (سنة 1991م) فنَسبَ الكتاب إلى أبي حاتم السجستاني، ورفض نسبته للأصمعي معتمداً على مسوغات منها: أن خفاجي والزيني قالا: «إن الأصمعي أملاه على تلميذه أبي حاتم نحو عام 167هـ»[1]، ولأن محمد عبد القادر أحمد يعتمد على أن أبا حاتم مولود (سنة 165هـ) أي قبل سنتين مما رجحه خفاجي والزيني، فإنه ينتهي إلى القول: «فهل من المعقول أن يملي الأصمعي على أبي حاتم كتاب فحولة الشعراء وقت أن كانت سنّ أبي حاتم سنتين؟»[2]. ولم يتنبّه أي من الفريقين، خفاجي والزيني من جهة، ومحمد عبد القادر أحمد من جهة أخرى، إلى أن الأصمعي لم يملِ هذا الكتاب، وأن تاريخ تدوين الكتاب الذي ذهب إله خفاجي والزيني على سبيل الترجيح، هو قول بعيد عن الصواب، فتاريخ تأليف الكتاب، كما يظهر من قول ابن دريد روايةً عن السجستاني قال: «وسألته قبل موته: مَن أول الفحول؟ قال النابغة الذبياني»[3]، ولذلك لا نجد ما يسوّغ ما ذهب إليه خفاجي والزيني من ترجيح

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص88. أحمد، د. محمد عبد القادر: مقدمة فحولة الشعراء، أبو حاتم السجستاني، طبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1411هـ/ 1991م، ص71.
(2) السجستاني: فحولة الشعراء، ص71.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص12.

تأليف الكتاب (سنة 167هـ)، وفي الوقت نفسه يبيّن بطلان الحجة التي أقامها محمد عبد القادر أحمد على أساس واحد، هو ترجيح خفاجي والزيني، الذي وَضَحَ وهنُه بما ورد داخل الكتاب من نص على أن بعض المعلومات أخذت عن الأصمعي وهو في آخر عمره، والأصمعي (ت 216هـ)، أي أن السجستاني أخذ المعلومات قبل (سنة 216هـ)، ونميل إلى أنها أُخذت بعد (سنة 210هـ) تقريباً، عندما كان السجستاني في الأربعينيات من عمره على أقل التقديرات. ولأن السجستاني أشار إلى أنه سمع تلك المعلومات عن الأصمعي نفسه، ورأيه في النابغة الذبياني قبل وفاته بقليل، هذا يدل إما على تدوين الكتاب بعد وفاة الأصمعي (ت 216هـ) أو أنه أعاد النظر فيه بعد عام (216هـ) على أقل التقديرات. ولم يكن كتاب الفحولة هو الكتاب الوحيد الذي رواه أبو حاتم عن الأصمعي، وهو أكثر تلاميذ الأصمعي ملازمة له ورواية عنه.

ثم أضاف محمد عبد القادر أحمد في نسبة الكتاب تعجّبه من قول بروكلمان: «هو في الحقيقة تقييدات كتبها أبو حاتم عن أجوبة أستاذه الأصمعي عن أسئلة سألها إياه»[1]. ولا يظهر من قول بروكلمان ما يدعو إلى الشك في نسبة الكتاب الذي يقوم أصلاً على حوار بين التلميذ وأستاذه. ولولا أسئلة أبي حاتم لما وصلنا الكتاب أصلاً، وآراء الأصمعي تكوّن مادّة الكتاب ولبّه. وفضل أبي حاتم في الكتاب يرجع إلى ما قدّم من أسئلة. وتغلب على الكتاب طبيعة المجالس كما يظهر من كلام عبد السلام هارون مميزاً بين الأمالي والمجالس، «أما المجالس فتختلف عن تلك – الأمالي – بأنها تسجيل كامل لما يحدث في مجالس العلماء، ففيها يلقي الشيخ، وفيها كذلك يسأل الشيخ فيجيب، فيدوّن كل ذلك فيما يسمى مجلساً»[2]. فأبو حاتم كان السائل والأصمعي المجيب. وإن أكثر آراء الأصمعي في الشعر والشعراء التي ضمّها كتاب فحولة الشعراء نجدها مثبتة في كتاب الموشح للمرزباني (ت 384هـ) ولم ينسبها المرزباني إلى أبي حاتم، بل نسبها إلى الأصمعي.

واعتمد محمد عبد القادر على قول الأب لويس شيخو في مقدمة كتاب النخل والكرم:

(1) بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، ط4، نشر دار المعارف، مصر، 1977م، ج2، ص150. أحمد: مقدمة فحولة الشعراء، ص72.
(2) ثعلب: مجالس، ج1، ص23.

«ومن المحتمل أن يكون الكتاب لأبي عبيد معاصر الأصمعي، ومن المحتمل أن يكون الكتاب لأبي حاتم السجستاني»[1]. وجعل هذه الفقرة حجة قاطعة على صحة نسبة الكتاب إلى السجستاني مع أن في الصفحة التالية للصفحة التي حوت الخبر قولاً لشيخو نفسه ينقض كلامه الأول، قال: «وليس في أول الفصل ذكر اسم الأصمعي لكن صاحب لسان العرب قد نقل كثيراً من هذا الكتاب بحرفه الواحد، وهو يعزوه مطلقاً إلى الأصمعي فلا نتمارى في نسبته إليه»[2]. فشيخو في النص السابق يرى أن أول فصل في الكتاب لا يتضمن اسم الأصمعي أو يدل على أنه صاحب الكتاب، ولكن شيخو يشير إلى أن ابن منظور في لسان العرب أورد كثيراً من الآراء التي يتضمنها الكتاب منسوبة إلى الأصمعي، ورأي شيخو هذا يدل على أن الكتاب ليس مما ألّفه أبو حاتم، لأنّ الآراء الواردة فيه ينسبها ابن منظور إلى الأصمعي.

وذكر محمد عبد القادر: «أن صاحب الفهرست وغيره من أصحاب كتب التراجم والطبقات»[3] لم ينسبوا هذا الكتاب إلى الأصمعي، ولم يذكر أن أحداً من الذين تحدث عنهم نسبه إلى السجستاني. وكون الكتاب غير مذكور في الفهرست لا يكفي للطعن في صحة نسبته إلى الأصمعي؛ لأن الفهرست لا يضم كل مؤلفات من يعرض لهم.

ومن كل ما تقدم، نميل إلى مناصرة الرأي الذي ينسب الكتاب إلى الأصمعي.

مفهوم الفحولة:

الفحولة عند الأصمعي منزلة سامية في الشعر، وقد أشار الأصمعي إلى بعض الشعراء بأنهم فحول، وكلمة فحل تعني: «الذكر من كل حيوان، وجمعه فحول وأفحُل وفحولة وفحالة...»[4]، فهي كلمة دالة على الذكر من كل حيوان، وإن كانت أعلق بالإبل. سأل أبو

(1) شيخو، لويس: مقدمة كتاب النخل والكرم للأصمعي في مجموعة البلغة في شذور اللغة، نشرها د. أوغست هفنر/ الأب لويس شيخو اليسوعي، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1914م، ص63. السجستاني: فحولة الشعراء، ص73.
(2) شيخو: مقدمة كتاب النخل والكرم، ص64.
(3) أحمد: مقدمة فحولة الشعراء، ص72.
(4) اللسان، ج14، ص30. وكذلك المعنى عند الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، دار صادر، بيروت، 1386هـ/ 1966م، مجلد 8، ص56.

حاتم الأصمعي قال: «قلت: فما معنى الفحل؟ قال: يريد أن له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق، قال: وبيت جرير يدلّك على هذا:

وابــنُ الـلَّـبُـونِ إذا مـا كُـنَّ فـي قَـرَنٍ   لـمْ يَستَطِعْ صَولَةَ الـبُـزْلِ القَناعِيسِ»[1]

ذكر الأصمعي بيت جرير لينقل المعنى المجرد إلى معنى حسي، فالبازل من الإبل هو البعير الذي نضج واكتمل نموّه، وهذا لا يقدر على مجاراته ابن اللبون بسبب قوته.

جعل الفحولة مرتبطة بقوة شاعرية الشاعر، فالشاعر الفحل هو الشاعر الناضج المكتمل. وترتبط الفحولة بالأغراض التي يتطرق لها الشاعر، وحدد الأصمعي ذلك بقوله: «طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار، والرحل، والهجاء، والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر، والخيل، والحروب، والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان»[2]. فهو يذكر أن هؤلاء الشعراء الثلاثة فحول، أما أغراض شعرهم فقد جعل في مقدمتها وصف الديار، والرواحل، التي تكاد تكون هي مطالع كثير من قصائد الشعر الجاهلي، ونشير هنا إلى مطلع معلقة امرئ القيس، قال:

«قِـفـا نـبْـكِ مـن ذكـرى حبيبٍ ومـنـزِلِ   بسَـقـطِ الـلِّـوى بيـن الـدَّخـولِ فـحَـوْمَـلِ

فـتُـوضِـحَ فـالـمِـقـراةِ لـم يَـعْـفُ رسمُها   لِـمـا نسجتْها مـن جَـنُـوبٍ وشَمأَلِ»[3]

فقد بدأ معلقته بحديثه عن الديار وتغيرها. ومثل هذا نجده في مطلع معلقة زهير بن أبي سلمى، قال:

أمِـــنْ أمِّ أوفَـــى دِمـنَـــةٌ لـم تَـكَـلَّـمِ   بـحَـومـانَـةِ الــــدَّرّاجِ فـالـمُـتَـثـلَّـمِ

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص13. البيت في ديوان جرير، ص250. والرواية: وابن اللبون إذا ما لز في قرن. ابن اللبون: ولد الناقة إذا دخل في السنة الثالثة. لزه: شده وألصقه، اللسان ج17، ص271. القرن: الحبل المفتول. صال: وثب. البزل: جمع بازل، البعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة، اللسان ج13، ص5. القناعيس: الشداد.
(2) المرزباني: الموشح، ص58.
(3) امرؤ القيس: ديوانه، ص8. ابن الأنباري، محمد بن القاسم: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، 1963م، ص15.

دِيـــارٌ لـهـا بـالـرَّقْـمـتَـيـنِ كـأنّـهـا   مـراجِـعُ وَشْـمٍ فـي نَـواشِـرِ مِعصَمِ»[1]

ثم أتبع ذلك بالأغراض الأخرى التي تتناول وصف الحياة والبيئة المحيطة بهم. وهذه الأغراض بجملتها هي مدار دواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة. ومادامت الفحولة مرتبطة بقوة الشاعرية، وطريقها طريق امرئ القيس ومن سلك مسلكه من الشعراء، فالليونة تعني فيما روي عن الأصمعي أنها شعر الخير، ومما يرجح ذلك أنه نزع صفة الفحولة عن لبيد بن ربيعة العامري على الرغم من مكانته بين شعراء العربية، ويكفي أنه واحد من شعراء المعلقات السبع، قال ابن قتيبة: «وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم»[2]، وسار في معلقته على نحو سابقيه – امرئ القيس وزهير – وقال أبو حاتم في الفحولة: «قلت: فلبيد بن ربيعة؟ قال ليس بفحل. وقال لي مرة أخرى: كان رجلاً صالحاً، كأنه ينفي عنه جودة الشعر، وقال لي مرة: شعر لبيد كأنه طيلسان طبري، يعني أنه جيد الصنعة»[3]. فالأصمعي يدرك عذوبة شعر لبيد، وطبيعة نسجه، وجودته. وقبل الأصمعي، قال الذبياني بعد أن سمع معلقته:

«عَـفَـتِ الـدِّيـارُ مـحَـلُّـها فـمُـقامُـها   بـمِـنـىً، تـأبّـدَ غَـولُـهـا، فـرِجـامُـهـا

اذهبْ فأنتَ أشعرُ العرب»[4]، ومع ذلك لم يصفه الأصمعي بالفحولة، والمرجح أن سبب نزعها عنه أن صلاح نفس لبيد انعكس على شعره، وكان من أثر هذا الصلاح أن لقي لبيد الدعوةَ إلى الإسلام، «ولم يكن معرضاً لصراع في نفسه بين القديم البالي والجديد المشرق، بل لقي الإسلام في نفس لبيد أصداء ورضى واطمئناناً، وتمسك لبيد بالعروة الوثقى...»[5]. وهذا مؤدّاه أن الأصمعي وجد في شعر لبيد هذه الظاهرة فنعته بالصلاح، ولم يحكم له بالفحولة. وعندما سأله أبو حاتم: «قلت: فأبو دواد؟ قال: صالح، ولم يقل إنه فحل»[6]، على الرغم من منزلته عند الأصمعي خاصة، الذي يرى شعره غاية في وصف

(1) ابن الأنباري: شرح القصائد السبع، ص237. شرح ديوان زهير، ص4.
(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص274.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص28.
(4) لبيد: شرح ديوانه، ص163.
(5) الجبوري، د. يحيى: لبيد، ط2، دار القلم، الكويت، 1981م، ص184.
(6) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص22.

الخيل، قال الأصمعي: «هم ثلاثة، أبو دواد، وطفيل، والنابغة الجعدي»(1)، فقد جعله في مقدمة هذه الطبقة من وصافي الخيل. والأصمعي يستجيد شعر أبي دواد، وقد أثبت له في الأصمعيات قصيدتين، ولم يثبت لمعظم الشعراء أكثر من قصيدة واحدة. والقصيدة الأولى من قصائد أبي دواد مطلعها:

«مَنَعَ النَّومَ ماوِيَ التَّهْمامُ   وجَديرٌ بالهَمِّ مَن لا يَنامُ»(2)

وتعد من قصائد الأصمعيات الطويلة حيث بلغت أربعين بيتاً. أما القصيدة الثانية فهي في وصف فرس، وتبلغ خمسة عشر بيتاً مطلعها:

«ودارٍ يقولُ لها الرّائدو   نَ ويلُ امِّ دارِ الحُذاقيِّ دَارا»(3)

حدد الأصمعي أغراض شعر الفحول، وجعل الوصف واحداً منها، وأشار إلى مكانة أبي دواد في وصف الخيل، ولكنه قال عنه: صالح، أي ذهب مذهب الخير.

وسأل أبو حاتم الأصمعي عن حسان بن ثابت، قال: «قلت: فحسان بن ثابت؟ قال فحل»(4)، فلم ينزع عنه الصفة التي نزعها عن لبيد، ولكنه أشار إلى ليونة شعر حسان، ويقصد الشعر الذي قاله في عصر الإسلام أو بعد البعثة.

قال الأصمعي: «طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسانَ بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير لان»(5). وكان عدّه بين الشعراء المجيدين بسبب جودة شعره، ويقول: «شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر فقطع متنه في الإسلام»(6). ومن هنا يبدو أن من بعض معاني الليونة اتجاه الشاعر بشعره اتجاهاً دينياً، وترك سبيل الشعراء الأوائل كامرئ القيس وزهير. وأدرك حسان بن ثابت هذا الأمر في شعره منذ القديم، وعندما قيل له: «لان شعرك أو هرم في الإسلام يا

(1) المصدر السابق، ص22، وفي ص43 نقلاً عن الموشح ص73. وكلمة النابغة ساقطة في عبارة الفحولة.
(2) الأصمعيات، ص185. ماوي: أراد ماوية. التهمام: الهم.
(3) المصدر السابق، ص190. الحذاقي: يعني نفسه، نسبة إلى قبيلته حذاقة.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص20.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص20 و42 نقلاً عن الموشح، ص62.
(6) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص305.

أبا الحسام، فقال للقائل: يا بن أخي إنّ الإسلام يحجر عن الكذب أو يمنع الكذب وإنّ الشعر يزينه الكذب»[1]. وكان حسان من أول المتأثرين من الشعراء المخضرمين بتعاليم الدين الجديد – وهو شاعر الرسول الأول – فكان عليه أن يدع كثيراً من الأساليب الفنية في التعبير التي تعتمد صياغتها على الخيال وغيره، في حين إن مسلك حسان قبل الإسلام كان مسلك الشعراء الفحول. ويمكن القول: إن الفحولة عند الأصمعي هي «قصر مجال الشعر على الشؤون الدنيوية التي كانت سائدة في الجاهلية، وحدد موضوعاته التي تصلح له ويصلح لها. وجعل صفة اللين عالقة بالموضوعات المتصلة بالخير والدين»[2]. ويظهر هذا من حكم الأصمعي على شعر الشعراء بالفحولة أو غيرها. وحدد للشعر مقياسين لا يخرج عنهما، فإما مسلك الفحول، وهذا باب طرقه كثير منهم، وإما طريق الخير نجده في شعر بعض الشعراء الذين وصفهم بأنهم صالحون مثل: لبيد وأبي دواد، وفي شعر حسان بعد الإسلام، مما يرجح أن وصف الأصمعي للشاعر أنه صالح يحمل دلالة دينية تدل على التقوى والاستقامة.

(1) البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان حسان بن ثابت، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت، ص ث.
(2) عباس، د. إحسان: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط1، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1391هـ/ 1971م، ص50.

القضايا النقدية في كتاب فحولة الشعراء

الشعراء الفحول:

أول ما يطالعنا في الكتاب لفظ (فحل) الذي أطلقه الأصمعي على شعراء كانت قد توفرت في أشعارهم مجموعة من الأسس، وسلك شعراؤها مسلك امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، وهم أكبر مجموعة شملها حكم للأصمعي بالفحولة، وهم: أعشى باهلة، وأعشى همدان، وامرؤ القيس، والحارث بن حلزة، وحسان بن ثابت، وخداش بن زهير العامري، وأبو خراش الهذلي، وساعدة بن جؤية، والشماخ بن ضرار، وعلقمة بن عبدة، وابن قميئة، وقيس بن الخطيم، وكعب بن جعيل، ومالك بن حريم الهمداني، والمتلمس، والمرقشان، ومزرد بن ضرار، والنابغة الجعدي، والنابغة الذبياني. وقد أطلق الأصمعي على هؤلاء الشعراء لقب الفحولة دون أي شرط. ولم يلتفت الأصمعي إلى الفصل بين الشعراء المخضرمين والجاهليين، ولم يذكر لفظ مخضرم في كتاب الفحولة إلاّ ما زاده المحققان خفاجي والزيني في هوامش الكتاب. ويوجد شعراء جعلهم الأصمعي فحولاً في قصائد مفردة، قال أبو حاتم: «وسألت الأصمعي عن كعب بن سعد الغنَوي، قال ليس من الفحول إلاّ في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثلها»(1)، شأنه شأن النابغة الجعدي، وحسان، وغيرهم من حيث العصر، ولكن الأصمعي جعله يصل إلى الفحولة في هذه القصيدة التي نعتها بتفردها بين القصائد. وجعل الأصمعي بعض الشعراء يشبهون الفحول، قال أبو حاتم: «قلت فالأسود بن يعفر النهشلي؟ قال: يشبه الفحول»(2)، ولم يعلل الأصمعي وجه الشبه بين الأسود وغيره ممن عدّهم من الفحول. ولكننا نستشف ذلك مما قاله عن جرادة عندما سأله أبو حاتم، قال: «وجرادة بن عُمَيلة العَنَزي له أشعار تشبه الفحول وهي قصار، وهذا البيت له:

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص27.
(2) المرجع السابق، ص28.

أنّـــى اهــتــدَيْــتِ وكــنــتِ غــيــرَ دَلــيــلــةٍ   شَــهِــدَتْ عــلَــيــكِ بمــا فــعَــلْــتِ شُــهــودُ»[1]

وربما كان السبب في جعل الأسود بن يعفر يشبه الفحول في شعره هو ما رآه الأصمعي من قصر شعره، وشعر جرادة، ولذلك شبههما بالفحول ولم يعدهما منهم.

شعراء غير فحول:

نجد بالإضافة إلى من عدّهم الأصمعي فحولاً ويشبهون الفحول شعراء نزع عنهم صفة الفحولة، وهم أعشى قيس بن ثعلبة، والراعي، وأبو زبيد الطائي، وعمرو بن شأس، وعمرو بن كلثوم، وكعب بن زهير، وابن مقبل.

قال أبو حاتم: «قلت: فالأعشى، أعشى قيس بن ثعلبة؟ قال: ليس بفحل...»[2]، ومكانة الأعشى مرموقة بين شعراء الجاهلية، ولقب بصنّاجة العرب، وتعدّ قصيدته اللامية من القصائد العشر، مطلعها:

«وَدِّعْ هُــرَيــرَةَ إنّ الــرَّكــبَ مُــرتــحِــلُ   وهــل تُــطــيــقُ وَداعــاً أيُّــهــا الرّجُلُ»[3]

ومثله أيضاً عمرو بن كلثوم، قال عنه: «ليس بفحل»[4]، وهو واحد من أصحاب المعلقات، وبدأ معلقته بقوله:

«ألا هُــبّــي بــصــحــنِــكِ فــاصــبــحِــيــنــا   ولا تُــبــقــي خُــمــورَ الأندَرينا»[5]

ويظهر في المعلقة فخر العربي، وحميته، وروح العصبية، والقبلية الجاهلية. ورأينا أن الأصمعي جعل الافتخار من طريق الفحول في الشعر، ولكنه لم يجعله فحلاً. ويلاحظ أن الشعراء الذين نزع عنهم صفة الفحولة ينتمون إلى عصور مختلفة فمنهم الجاهلي كالأعشى وعمرو بن كلثوم، ومنهم المخضرم مثل ابن مقبل، والأموي كالراعي، وانفرد عدي بن زيد في لقب فقال عنه عندما سأله أبو حاتم: «قلت: فعدي بن زيد، أفحل هو؟ قال: ليس بفحل

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص28.
(2) المصدر السابق، ص19.
(3) التبريزي، شرح القصائد العشر، ص418.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص19.
(5) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص318.

ولا أنثى»[1]، وهو الشاعر الوحيد الذي أطلق عليه هذا اللقب، ويثبت صاحب الموشح رواية أسندها إلى الأصمعي قال: «قلت لأبي عمرو بن العلاء: كيف موضع عدي بن زيد من الشعراء؟ قال كسهيل في النجوم، يعارضها ولا يدخل فيها»[2]، ويقصد أن عدياً يتجه اتجاهاً يختلف فيه عن غيره من الشعراء، فمثله مثل سهيل بين النجوم، ولكنه يتميز عنها. ولعل الأصمعي في حكمه متأثر بأبي عمرو بن العلاء، فلم يجعله من الفحول ولم يحطّ من قدر شعره. وكذلك الأغلب العجلي الراجز، قال عنه: «ليس بفحل ولا مفلح»[3]، وربما كان ما شعر به الأصمعي من نحل أبناء الأغلب شعراً إلى أبيهم، وقوله «إنما أعياني شعر الأغلب»[4] وراء حكمه هذا على الأغلب. وانفرد شاعران بلفظ صالح وهما: أبو دواد، ولبيد بن ربيعة، وقد بينّا ذلك في مفهوم الفحولة.

شعراء يعدّون بكرَم:

قال أبو حاتم: «قلت: فعروة بن الورد؟ قال: شاعر كريم، وليس بفحل»[5]، فلم يعدّه من الفحول وجعل صفة الكرم سابقة على شاعريته، وكان الأصمعي اختار له قصيدة في أصمعياته. وعندما سأل أبو حاتم عن حاتم الطائي، قال الأصمعي: «حاتم إنما يعدّ بكرم، ولم يقل إنه فحل»[6]، والمرجح أن سبب ذلك هو شهرة كل من عروة وحاتم الطائي بكرمهما بين القبائل العربية، ولم يكن الشعر وحده هو الصفة الغالبة عليهما، بل كان الشعر عندهما وسيلة لوصف حياتهما وكرمهما.

شعراء فرسان:

وكما شهر بعض الشعراء بكرمهم فإن بعضهم شهر بفروسيته. قال أبو حاتم: «وسألته عن خُفاف بن ندبة، وعنترة، والزبرقان بن بدر، فقال: هؤلاء أشعر الفرسان، ومثلهم

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص19. المرزباني: الموشح، ص73.
(2) المرزباني: الموشح، ص72.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص25.
(4) المصدر السابق، ص26.
(5) المصدر السابق، ص21.
(6) المصدر السابق، ص26.

عباس بن مرداس السلمي، لم يقل إنهم من الفحول، وبشر بن أبي خازم»[1]. فقد جعل الأصمعي هؤلاء أشعر الفرسان، وقد يسبقهم من جعلهم من رؤوس الفرسان. قال أبو حاتم عن الأصمعي: «قال: وعميرة بن طارق اليربوعي من رؤوس الفرسان»[2]، ولم يشر إلى شعره. أما دريد بن الصمة فقال: إنه «من فحول الفرسان»[3]. وكان الأصمعي معجباً بشعر الفرسان، ولاسيما شعراء قيس وفرسانها. قال: «أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم؟»[4].

وجعل منزلة هؤلاء الفرسان عنده مقرونة بطول قصائدهم، وعمد إلى المقارنة بينهم، ولم يقارنهم بشعراء ليسوا فرساناً، وقال أبو حاتم عندما سأل الأصمعي عن الزبرقان بن بدر: «وقال لي مرة: الزبرقان فارس شاعر غير مطيل»[5]، فهو يشيد بمكانة الزبرقان، ويجعله من أشعر الفرسان، ولكنه يراه غير مطيل في شعره، في حين إنه جعل صفة الإطالة لمالك بن نويرة، قال: «ومالك بن نويرة شاعر فارس مطيل»[6]، ورغم أنه يشيد بفروسية مالك بن نويرة، ويراه شاعراً مطيلاً، لكنه لم يجعله من الفحول؛ شأنه شأن بقية الشعراء الفرسان.

شعراء صعاليك:

قال أبو حاتم: «قلت فسُليك بن السُّلكة؟ قال ليس من الفحول ولا من الفرسان، ولكنه من الذين كانوا يغزون فيعدون على أرجلهم فيختلسون، قال: ومثله ابن براقة الهمداني، ومثله حاجز الثمالي من السرويين، وتأبط شراً واسمه ثابت بن جابر، والشنفرى الأزدي السروي، وليس المنتشر منهم، ولكن الأعلم الهذلي منهم»[7]. وهنا تظهر نظرة الأصمعي نظرة اجتماعية إلى هذه المجموعة من الشعراء ومن شاكلهم في ظروف حياته، ولم يلتفت إلى مكانتهم بين الشعراء، فلم يجعلهم من فحول الشعراء، أو ممن عدّهم في طبقة الفرسان، وذلك لشهرتهم بالصعلكة كما اشتُهر غيرهم بصفة الفروسية أو بصفة الكرم فعدّهم

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص27.
(2) المصدر السابق، ص29.
(3) المصدر السابق: ص30.
(4) المصدر السابق، ص35.
(5) المصدر السابق، ص37.
(6) المصدر السابق، ص37.
(7) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص29.

الأصمعي بها، ولم يجعلهم فحولاً.

شعراء حجة:

أول مصطلح استخدمه الأصمعي في حديثه عن الشعراء الإسلاميين، هو مصطلح «حجة»، قال أبو حاتم: «وسألته عن زياد الأعجم، فقال: حجة لم يتعلق عليه بلحن»[1]، فهو يرى أنه حجة في شعره، وقال الأصمعي: «عمر بن أبي ربيعة مولد، وهو حجة، سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره؛ ويقول: هو حجة. وفضالة بن شريك الأسدي، وابن الرقيات: هؤلاء مولدون؛ وشعرهم حجة»[2]. ويذكر الأصمعي رأي أبي عمرو بن العلاء في عمر واحتجاجه بشعره، ثم أتبعه بمجموعة من الشعراء يراهم حجة. وهذا الحكم قد لا يكون للأصمعي؛ لأن علماء اللغة كانوا استعملوا هذا المصطلح في احتجاجهم بشعر بعض الشعراء. وأضاف الأصمعي ذا الرمة إلى هؤلاء الشعراء، قال: «ذو الرمة حجة؛ لأنه بدوي»[3]، وذكر الأصمعي في مواضع أخرى بأنه لو أدرك الشاعر لأشار عليه بترك جزء من شعره، وربما كان اختلاط الشاعر بالمدن وراء ذلك.

شعراء فصحاء:

قال أبو حاتم: «قلت فأخبرني عن عبد بني الحسحاس، قال: هو فصيح»[4]، فالأصمعي يرى في هذا الشاعر فصاحة، ولم يجعله حجة كالشعراء السابقين، ومثله أيضاً أبو عطاء السندي[5]. قال الأصمعي: «وابن هرمة ثبت فصيح»[6]. وأضاف إلى ابن هرمة شاعرين جعلهما في طبقته هما ابن أذينة وطفيل الكناني[7]، وإن كان الأصمعي قد وازن بين ابن هرمة وابن أذينة من حيث الشعر، ولكنه جعلهما في فئة الشعراء الفصحاء.

(1) المصدر السابق، ص31. هو زياد بن سلمى، ويقال: زياد بن جابر بن عمرو بن عامر بن عبد القيس، جعله ابن سلام من شعراء الطبقة السابعة من الإسلاميين. الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص551. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص430.
(2) المصدر السابق، ص32.
(3) المصدر السابق، ص40.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص31.
(5) المصدر السابق، ص32.
(6) المصدر السابق، ص32.
(7) المصدر السابق، ص33.

وانفرد أبو دلامة بقول الأصمعي: «هو صالح للفصاحة»[1]، فلم يجعل هذا الشاعر ممن وصفهم بأنهم فصحاء، ولم يلتفت إلى شعره ولكنه جعله صالحاً للفصاحة.

شعراء ليسوا حجة:

قال أبو حاتم: «سألت الأصمعي عن القُحَيف العامري، الذي قال في النساء، قال: ليس بفصيح ولا حجة»[2]، وهذا حكم انفرد به القُحَيف بنزع صفتَي الفصاحة والحجة عنه. وكان الأصمعي نزع الحجة عن شاعرَين آخرين، قال أبو حاتم: «حدَّثنا الأصمعي قال: الكُمَيت بن زيد ليس بحجة، لأنه مولّد وكذلك الطّرمّاح»[3]. والذي يلاحظ في حكم الأصمعي على هذين الشاعرين أنه قد يكون متأثراً بمواقفهم الدينية، فالكميت شاعر متشيِّع، أمويّ العصر، والطرمّاح شاعر من شعراء الخوارج، فلذلك نرجّح حكم الأصمعي السابق عليهما.

وقال أبو حاتم: «ورأيته طعَن في الأُقَيْشر ولم يلتفت إلى شعره. وقال: لا يقال إلا رجل شرطي، فقلت قال الأقيشر:

إنّما نَشربُ من أموالِنا فاسْألوا الشرطيَّ ما هَذا الغضَب

فقال: ذاك مولَّد»[4]. وطعنُ الأصمعي في شعر الأقيشر مرتبط بالشعر ذاته وليس في زمن الشاعر؛ لأنه جعله مولَّداً، شأنه شأن عمر بن أبي ربيعة وغيره ممن رأى شعرهم حجة ولكنه لم يلتفت إلى الأقيشر.

شعراء تميزوا بأغراض دون غيرها:

أدرك الأصمعي أن بعض الشعراء تميزوا بظهور أغراض من الشعر عندهم دون غيرها، قال الأصمعي: «لم يكن النابغة وأوس وزهير يحسنون صفةَ الخيل ولكن طفيل الخيل غاية

---

(1) المصدر السابق، ص31.
(2) المصدر السابق، ص31.
(3) المصدر السابق، ص39. هو الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث، ومذهبه في التشيع؛ المزرباني: معجم الشعراء، ص348.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص32.

في النّعت»(1). يظهر من النص أن طفيلاً الغنَويّ وصل إلى منزلة الفحول عند الأصمعي وتفوّق بصفة نعته للخيل.

ومن الذين اتصف شعرهم بلونٍ خاص عُرفوا به من ذكرهم أبو حاتم، قال: «حدّثني الأصمعي: ذهب أمية بن أبي الصلت في الشعر بعامة ذكر الآخرة، وعنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر النساء»(2)، فشعر أمية امتاز بما فيه من ذكر للآخرة والحساب، وقال الرسول ﷺ: «آمن لسانه وكفر قلبه»(3)، وتميز عنترة بوصفه للمعارك التي خاضها وبفخره، كما تميز عمر بن أبي ربيعة بذكر النساء، وغلب على شعره هذا اللون.

وقال الأصمعي: «أنعت الناس لمركوب من الإبل عيينية بن مرداس، وهو الذي يقال له فسوة، وأنعت الناس لمحلوب في القصيد الراعي، وأنعتهم لمحلوب في الرجز ابن لجأ التيمي»(4)، فالشاعران الراعي وابن لجأ أنعت الشعراء لمحلوب، ولكنه ميّز بينهما من ناحية الشعر قصيده، ورجزه. فقد تساوى الاثنان من حيث المنزلة، واختلفا من حيث المسلك الذي سلكه كل واحد منهما، ونجد في النص تحديداً دقيقاً لنوع الإبل الموصوفة.

قصائد مفردة في الفحولة:

قال أبو حاتم: «قلت: فأعشى باهلة، أمن الفحول هو؟ قال: نعم، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها، وهي:

إنـــي أتَـتْـنِـــي لـســـانٌ لا أُسَـــرُّ بها   مـن عَـلْـوِ لا كـذبٌ فيها ولا سُخُرُ»(5)

فجعل الأعشى من فحول الشعراء، وزاد في صفة هذه المرثية التي وضعها في متخيّرة، ومثلها أيضاً قصيدة كعب بن سعد الغنَوي الذي ألحق بالفحول بها فقط، وقال الأصمعي:

---

(1) المصدر السابق، ص17.
(2) المصدر السابق، ص35.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص459.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص36. الأعشى: كتاب الصبح المنير، ص226. رواية البيت:
إنـــي أتـانـي لـســان لا أســر به   مـن علو لا كـذب منه ولا سخر
(5) المصدر السابق، ص30.

«ليس في الدنيا مثلها»(1)، وسبقت الإشارة إليها.

وقد يلجأ الأصمعي للمفاضلة بين قصيدتين لشاعرين مختلفين، قال أبو حاتم: «واستجاد هذه الجيمية لأبي ذؤيب، قال: ليس في الدنيا أحد يقوم للشماخ في الزائية والجيمية، إلا أن أبا ذؤيب أجاد في جيميته حداً لا يقوم له أحد، قال هي التي قال فيها: بَرْكٌ من جُذامَ لَبيجُ»(2). وهنا نلاحظ توجّه الأصمعي للمقارنة بين القصائد معتمداً على قوافيها. وسأله أبو حاتم مفاضلاً بين الشعراء الأمويين الثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، قال أبو حاتم: «قلت: سمعتك تفضل جريراً على الفرزدق غير مرة، فما تقول فيهما وفي الأخطل؟ فأطرق ساعة، ثم أنشد بيتاً من قصيدته:

لَعَمري لقد أسْرَيتُ لا ليلَ عاجِزٍ   بساهِمَةِ الخَدَّينِ طاويةِ القُرْبِ

فأنشد أبياتاً زهاء العشرة، ثم قال: من قال لك إن في الدنيا من قال مثلها قبله ولا بعده فلا تصدقه»(3)، فتكرار هذه العبارة بعينها يدل على تفضيله لهذا الضرب من الشعر، ولم يجعل إعجابه هذا مقصوراً على شعر عصر من العصور دون غيره.

ونلاحظ أن الأصمعي أطلق على الشعراء الجاهليين أو المخضرمين لقب فحول أو ليسوا بفحول، ولم يفرق بين شعراء هذين العصرين من حيث الزمن أو الفحولة. أما الشعراء الإسلاميون فقد أطلق عليهم: حجة وفصيحاً، وليس فصيحاً ولا حجة. ولحظنا حكمه على الشعراء الذين تميزوا بضرب من ضروب الشعر، وإعجابه ببعض القصائد المفردة. كما أن الأصمعي لم يميّز بين شعراء القصيد وشعراء الرجز، ولعل ذلك راجع لكثرة ما يحفظه من الرجز، في حين إن ابن سلام أفرد لهم الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين.

---

(1) المصدر السابق، ص37.

(2) المصدر السابق، ص39. الفقرة من بيت قال فيه:

كأن ثقال المزن بين تضارع   وشابة برك من جذام لبيج

ويروى: تضارع وشامة. شاية: موضع. تضارع وشامة جبلان بنجد. اللبيج: المضروب بالأرض. السكري: شرح أشعار الهذليين، ج1، ص133.

(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص24. الأخطل: شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الأصمعي، حلب، تاريخ المقدمة 1390هـ/ 1970م، ج1، ص39.

انتقال الشعر بين القبائل

«قال الأصمعي: سئل شيخ عالم من الشعراء، فقال: كان الشعر في الجاهلية في ربيعة، وصار في قيس... ثم جاء الإسلام فصار في تميم. قلت للأصمعي: لمَ لم يذكر اليمن؟ فقال: إنما أراد بني نزار فأما هؤلاء كلهم فإنما تعلموا من رأس الشعراء: امرئ القيس، وإنما كان الشعر في اليمن»(1).

يُظهِر النص أن أولية الشعر العربي كانت في قبائل اليمن، وأشار الأصمعي إلى امرئ القيس خاصة، وقد اتبع الشعراء مذهبه، وساروا على منهجه. وينقل الأصمعي رأي الشيخ السابق ولعله آخذ به من حيث تنقل الشعر بين القبائل العربية؛ حيث أشار إلى مكانة كل من ربيعة، وقيس في الجاهلية، وتبعتهم تميم في الإسلام، ولهذين العصرين منزلتهما المميزة في الشعر العربي.

والأصمعي معجب بشعراء قيس وفرسانها، قال: «أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم؟ فذكر عدة، منهم: عنترة وخفاف بن ندبة وعباس بن مرداس ودريد بن الصمة»(2)، وديوان عنترة شاهد على فروسيته. أما دريد فقصيدته التي مطلعها:

«أرثَّ جَديدُ الحَبلِ من أمِّ مَعبَدِ   بعاقبةٍ وأخْلَفَتْ كلَّ موعِدِ»(3)

التي يرثي أخاه فيها تظهر شجاعة الفارس، ومراس الحرب. ويعد خفاف بن ندبة من أغربة العرب، وجميع هؤلاء من ألمع فرسان الحرب بأساً وشدة وذكراً. وجمعوا بالإضافة إلى ذلك شاعرية فذة.

واختار الأصمعي لخفاف، ودريد، والعباس سبع قصائد من مجموع قصائد الأصمعيات، علماً بأنه لم يختر لعنترة شيئاً في أصمعياته. ويزداد إعجاب الأصمعي ببعض هؤلاء الشعراء؛ حتى قال أبو حاتم: «قال لي مرة: دريد، وخفاف أشعر الفرسان»(4)، ولا يريد بذلك فرسان

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص35.
(2) المصدر السابق، ص35.
(3) الجشمي: ديوان دريد بن الصمة، ص45. الأصمعيات، ص106.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص35.

قيس فقط. ويثبت الأصمعي مكانة هذيل في الشعر العربي مورداً رأياً لحسان بن ثابت حين سئل عن أشعر الناس قبيلة «قال: هذيل، قال الأصمعي: فيهم أربعون شاعراً مفلقاً»[1]، وهذه مكانة فريدة وصلت إليها هذيل. ويُعدُّ الأصمعي راوية لشعر هذه القبيلة، «حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: قلت لعمي على من قرأت شعر هذيل؟ قال على رجل من آل المطلب، يقال له ابن إدريس»[2]، هو الشافعي الذي أخذ عنه شعر هذيل. وأشاد الأصمعي أيضاً بقبيلة أخرى وشعرائها، وهم بنو قيس بن ثعلبة، قال الأصمعي: «ويقال: الزرق العيون في أصول العضاه، يعني بني قيس بن ثعلبة، وذكر منهم المرقش، والأعشى، والمسيب بن علس»[3]، فلم يتوقف عند الإشارة إلى القبيلة؛ بل ذكر بعض شعرائها.

وأشار الأصمعي إلى قلة شعر بعض القبائل وشعرائها، قال: «ليس في الدنيا قبيلة على كثرتها أقل شعراً من بني شيبان وكلب، قال: وليس لكلب شاعر في الجاهلية قديم، قال: وكلب مثل شيبان أربع مرات»[4].

نلاحظ أن علم الأصمعي بهاتين القبيلتين لم يقف عند الحديث عن قلة شعرائهما مقارنة مع شعراء القبائل العربية الأخرى، بل قارن الأصمعي بين عدد قبيلة كلب وشيبان، ولهذا دلالته على دراية الأصمعي بالقبائل العربية.

فكرة الطبقات في كتاب الفحولة

نجد أن أول من ترددت أسماؤهم في كتاب الفحولة ثلاثة شعراء هم: امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى. وذكر بعدهم النابغة الجعدي. فكان الثلاثة يشكلون طبقة واحدة عند الأصمعي. وتزداد فكرة الطبقات وضوحاً إذا تبينّا أن الأصمعي جعل من بعض الفرسان طبقة واحدة، تحددت من حيث اشتراكهم بالفروسية.

قال أبو حاتم: «وسألته عن خفاف بن ندبة، وعنترة، والزبرقان بن بدر، قال: هؤلاء أشعر

(1) المصدر نفسه، ص37.
(2) السيوطي: المزهر، ج1، ص16.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص36.
(4) المصدر السابق، ص37. العبارة في الموشح، ص18 «لم أرَ أقل من شعر كلب وشيبان».

الفرسان، ومثلهم عباس بن مرداس السلمي»[1].

إن الإجابة عن سؤال أبي حاتم تؤكد فكرة الطبقات عند الأصمعي، فقال: هؤلاء أشعر الفرسان، ولم يجعلهم أشعر الشعراء لأنهم يتفقون في صفة الفروسية والشاعرية، وتقدموا على الشعراء الفرسان في شاعريتهم. وجعل الشعراء الصعاليك طبقة واحدة، ونفى عنهم صفتي الفحولة والفروسية، قال أبو حاتم: «قلت: فسليك بن السلكة؟ قال: ليس من الفحول، ولا من الفرسان؛ ولكنه من الذين كانوا يغزون فيعدون على أرجلهم فيختلسون»[2]، فكأن الأصمعي يتحدث عن السليك وهذه المجموعة من الشعراء التي اتفقت في صفات أخرى غير الشعر واشتُهرت بها. وأضاف الأصمعي إلى السليك من جعلهم في طبقته، قال: «ومثله ابن براقة الهمداني ومثله حاجز الثمالي من السرويين، وتأبط شراً، واسمه ثابت بن جابر، والشنفرى الأزدي... والأعلم الهذلي منهم»[3]، فشأن هؤلاء الصعاليك شأن الشعراء الفرسان، ولكن الطبقتين تختلفان من حيث تكوينهما، فالطبقة الأولى: شعراؤها أعلام، أما هذه فشعراؤها من الصعاليك واستثنى منهم عروة بن الورد، وقال: «إنما يُعد بكرم»[4]، وجمعت بين أفراد هذه الطبقة ظروف حياتهم التي جعلت الاختلاس وسيلتهم الأولى في حياتهم. وأضاف الأصمعي قائلاً: «وبالحجاز منهم، وبالسراة أكثر من ثلاثين، يعني الذين كانوا يعدون على أرجلهم ويختلسون»[5]، وكأنه ينظر إلى هؤلاء من ناحية اجتماعية تساووا فيها، وهذه المساواة في الطبقة ونزع الفحولة لا تعني عدم جودة شعر هؤلاء الشعراء، ودليلنا على ذلك ورود قصيدتين لهما في الأصمعيات، قصيدة عروة بن الورد، ومطلعها:

أقــلّــي عــلــيّ الــلــومَ يــا ابــنــةَ مُــنــذرِ   ونامي فإنْ لم تشتَهي النومَ فاسهَري»[6]

وقصيدة تأبط شراً، ومطلعها:

---

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص37.
(2) المصدر السابق، ص29.
(3) المصدر السابق، ص29.
(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص26.
(5) المصدر السابق، ص30.
(6) الأصمعيات، ص43. ابن الورد: شرح ديوان عروة، ص66.

وشِـعبٍ كـشَـلِّ الـثّـوبِ شَـكـسٍ طريقُه   مَـجـامـعُ صَـوحَـيـه نِـطـافٌ مَخاصِرُ»[1]

وفي معرض حديث الأصمعي عن بعض الشعراء، يبدو أنه جعلهم طبقات.

قال الأصمعي: «لم يكن بعد رؤبة وأبي نخيلة أشعر من جندل الطهوي وأبي طوق وخطام المجاشعي»[2]. نلاحظ هنا أنه جعل رؤبة وأبا نخيلة يشكلان طبقة واحدة متقدمة، وتتلوها طبقة أخرى دونها في المرتبة الشعرية يشكلها الشعراء الآخرون. وعندما سأله أبو حاتم عن ابن أذينة قال: «ثبت في طبقة ابن هرمة»[3]، فقد صرح بلفظ الطبقة، وأثبت فيها ابن أذينة، وابن هرمة. ونتبعها بطبقة أخرى هي ما أسماها الأصمعي مغلبي مضر وعدد منهم مجموعة، قال أبو حاتم: «حدثني الأصمعي: كان يقال: أشعر الناس مغلبو مضر، حميد، والراعي، وابن مقبل»[4]. ويظهر أن الأصمعي أيضاً نظر إلى هؤلاء على أساس أنهم مجموعة واحدة من الشعراء. وورد ذكر الشعراء الذين اشتهروا في النقائض معاً، وهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. قال أبو حاتم: «قلت: فجرير والفرزدق والأخطل؟ قال: هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن»[5]. فكأن هؤلاء يشكلون طبقة واحدة من حيث الزمان، وبعض أغراض شعرهم. ونستطيع القول بعد أن عرضنا لمجموعة من الطبقات في كتاب الفحولة: إن هذه الفكرة تنبّه لها الأصمعي قبل غيره، ثم نضجت عند ابن سلام الذي تبنّاها وبنى كتابه طبقات فحول الشعراء عليها.

أسس الفحولة:

أولاً، العصر الجاهلي:

افتتح كتاب فحولة الشعراء بثلاثة شعراء هم: امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وكان الأصمعي «يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية»[6]. ولكن

(1) الأصمعيات، ص125. تأبط شراً: ديوانه، ص94.
(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص33. أبو نخيلة هو يعمر من بني حمّان بن كعب بن سعد شاعر أموي. الشعر والشعراء، ج2، ص602. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص193.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص33.
(4) المصدر السابق، ص34.
(5) المصدر السابق، ص24.
(6) المصدر السابق، ص12.

الأصمعي عندما شعر أن تلميذه يكتب كلامه قال: «بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذاهبه»[1]، فكأن الأصمعي في قرارة نفسه يقدّم النابغة، ولكنه عندما علم بكتابة كلامه قدّم امرأ القيس.

وهنا لابد من التنبّه لموقف مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، فالأصمعي بصري النشأة والهوى، وقال ابن سلام: «أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى»[2]. وأخذاً بموقف علماء البصرة قدّم الأصمعي امرأ القيس على النابغة. ويشكل هؤلاء الشعراء بالإضافة إلى الأعشى الطبقة الأولى عند ابن سلام الجمحي، وعندما سأل أبو حاتم الأصمعي قال: «قلت: فالأعشى أعشى قيس بن ثعلبة؟ قال: ليس بفحل»[3]، فالأصمعي ينزع عن الأعشى لقب فحل، بينما هو عند ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى، وهذا يدل على أن للعصر الجاهلي أهمية في لقب الفحولة عند الأصمعي، وليس كل شاعر جاهلي فحل كما يظهر من موقف الأصمعي من الأعشى.

ومن شواهد الفحولة على أهمية العصر ما يرويه أبو حاتم قال: «قلت فجرير والفرزدق والأخطل؟ قال: هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئاً؛ لأنهم إسلاميون»[4]، فهذا دليل واضح على أهمية العصر الجاهلي حيث توقف الأصمعي عن الحكم لهؤلاء الشعراء بالفحولة أو عدمها. وأثبت الأصمعي رأياً لأبي عمرو بن العلاء في شعر الأخطل قال: «سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لو أدرك الأخطل في الجاهلية يوماً واحداً ما قدمت عليه جاهلياً ولا إسلامياً»[5]. وهذا شبيه بموقف الأصمعي من جرير والفرزدق والأخطل معاً لتأخر عصرهم.

(1) المصدر السابق، ص13.
(2) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص44.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص19.
(4) المصدر السابق، ص33.
(5) المصدر السابق، ص24.

ثانياً، تنوع أغاني الشعر:

قال الأصمعي: «طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار، والرحل، والهجاء، والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر، والخيل، والحروب، والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان»(1)، يشير الأصمعي في النص السابق إلى تعدد أغراض الشعر التي على الشاعر أن يأخذ بها، حتى يلحق بمن أسماهم الفحول. ونلاحظ أنه ذكر معظم أغراض الشعر العربي من وصف للديار الدارسة، والأطلال، والمديح، والفخر، والهجاء، والتشبيب، والوصف.

ويرى الأصمعي أن إدخال الشعر في باب الخير يؤدي إلى لينه مشيراً إلى «القوة التي ضد اللين، ولهذا يكون دخول الخير والصلاح على الشعر مؤثراً في فحولته»(2). ونتيجة لهذا المبدأ نزع الأصمعي صفة الفحولة عن بعض الشعراء رغم تقدم عصرهم، وتقدمهم في الشعر كأبي دواد الذي وصفه بأنه رجل صالح، وكذلك لبيد بن ربيعة العامري.

ثالثاً، غلبة صفة الشاعرية عند الشاعر:

قال الأصمعي عندما سئل عن عروة بن الورد: «شاعر كريم وليس بفحل»(3)، فهو يعد عروة بكرم، رغم أنه أثبت له قصيدة في الأصمعيات، وذلك لغلبة صفة الكرم عليه. ومثل عروة في هذا مثل جماعة من الشعراء البارزين في ميدان الشعر العربي.

قال أبو حاتم: «وسألته عن خفاف بن ندبة، وعنترة، والزبرقان بن بدر، قال: هؤلاء أشعر الفرسان، ومنهم عباس بن مرداس السلمي... لم يقل: إنهم من الفحول»(4). ويضيف إلى هؤلاء دريد بن الصمة ويراه «من فحول الفرسان، قال ودريد في بعض شعره أشعر من الذبياني، وكاد يغلب الذبياني»(5). ونلحظ أنه قال عن هؤلاء: إنهم من فحول الفرسان، ولم يقل من فحول الشعراء علماً أن لكل واحد منهم ديواناً لا يقل في أهميته عن دواوين من أسبغ

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص42. المرزباني: الموشح، ص62.
(2) أدونيس، علي أحمد سعيد: الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت، 1974م، ج2، ص40.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص21.
(4) المصدر السابق، ص27.
(5) المصدر السابق، ص30.

عليهم لقب الفحولة. وإذا نظرنا في الأصمعيات نجد الأصمعي قد اختار من شعر خفاف أربع قصائد، وردت في تحقيق شاكر وهارون متتابعة في مكان واحد من القصيدة الثانية إلى الخامسة، والأولى أطولها تقع في ثمانية وثلاثين بيتاً، ومطلعها:

«ألا طَـرَقَـتْ أسـمـاءُ في غيـرِ مَـطْـرَقِ وأنّـي إذا حَـلّـت بـنَـجـرانَ نَلتَقي»[1]

أما دريد بن الصمة[2]، فاختار له قصيدتين هما: الثامنة والعشرون، والتاسعة والعشرون، الأولى في رثاء أخيه عبد الله تقع في ستة وعشرين بيتاً، مطلعها:

«أرَثَّ جَـديـدُ الـحَـبـلِ مـن أمّ مَعبَـدِ بـعـاقِـبـةٍ وأخـلَـفَـتْ كـلَّ موعِدِ»[3]

والعباس بن مرداس، وقصيدته من المنصفات وتبلغ في الأصمعيات ثمانية وعشرين بيتاً مطلعها:

«لأَسـمـاءَ رَسـمٌ أصـبـحَ الـيـومَ دارِسـا وأقْـفَـرَ مـنـهـا رَحـرَحـانَ فَراكِسا»[4]

ويمكن أن نلحق بهؤلاء الشعراء شعراء آخرين منهم «بشر بن أبي خازم»[5] و«عميرة ابن طارق اليربوعي من رؤوس الفرسان»[6] وكذلك زيد الخيل، قال أبو حاتم قلت: «فزيد الخيل الطائي؟ قال من الفرسان»[7]، فلماذا يجرد الأصمعي هؤلاء الشعراء من صفة الفحولة؟ ومنهم من وقع بمنزلة انفرد بها عن غيره من الشعراء عند الأصمعي خاصة كخفاف بن ندبة. ومن الظاهر أن سبب نزع الفحولة عنهم أن صفة الشعر لم تكن هي الغالبة على صفاتهم بل اشتُهروا بالفروسية، وطغت شجاعتهم على غيرها من الصفات. ومن هؤلاء الشعراء حاتم

(1) الأصمعيات، ص21. السلمي: شعر خفاف بن ندبة، ص27.
(2) دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن، شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية... أدرك الإسلام ولم يسلم. الأغاني، ج10، ص3. الآمدي: المؤتلف والمختلف، ص114.
(3) الأصمعيات، ص106. الجشمي: ديوان دريد بن الصمة، ص45.
(4) الأصمعيات، ص204. السلمي: ديوان العباس بن مرداس، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، بغداد، 1388هـ/ 1968م، ص68.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص 27. بشر شاعر جاهلي قديم مجيد. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج 1، ص270.
(6) المصدر السابق، ص29.
(7) المصدر السابق، ص29.

الطائي، قال الأصمعي: «حاتم إنما يعد بكرم، ولم يقل إنه فحل»[1]، فهو يصرح بغلبة صفة الكرم على الطائي، وكأنه لم يلتفت إلى شهرته بشعره.

ومما سبق يمكننا القول: إنه من مقاييس الفحولة «أن تغلب الشاعرية على الشاعر الممارس، بأن يكون الشعر الهاجس الأول له»[2]. وألاّ تغلب صفة أخرى على هاجس الشعر عند الشاعر.

رابعاً، كثرة شعر الشاعر:

قال أبو حاتم: «قلت فمهلهل؟ قال: ليس بفحل، ولو كان قال مثل قوله: أَلِيلَتَنا بِذِي حُسُمٍ أنيري، كان أفحلهم»[3]. وهذا دليل على جودة هذه القصيدة في نظر الأصمعي، وقد وضعها في اختياره الأصمعيات، ومطلعها:

«أَلَيلَتَنا بذي حُسُمٍ أَنيري إذا أنتِ انقَضَيتِ فلا تَحُوري»[4]

وتبلغ تسعة أبيات. ومثل المهلهل مثل سلامة بن جندل؛ إذ قال فيه «لو زاد شيئاً كان فحلاً»[5]. فلم يعده من الفحول لقلة شعره علماً بأنه من شعراء الأصمعيات، وله اختيار يبلغ الأربعين بيتاً، ويعد من قصائد الأصمعيات الطويلة، ومطلعه:

لِمَنْ طَلَلٌ مثلُ الكتابِ المُنَمَّقِ خَلا عهدُه بينَ الصُّلَيبِ فمُطرِقِ»[6]

وأشار الأصمعي إلى الزيادة في القصائد ولم يحدد عدداً.

كما قال أبو حاتم «قلت: فالحويدرة؟ قال: لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان

(1) المصدر السابق، ص26.
(2) أدونيس: الثابت والمتحول، ج2، ص40.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص22. المهلهل: هو عدي بن ربيعة أخو كليب، وسمي مهلهلاً لأنه أول من هلهل الشعر. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص297.
(4) الأصمعيات، ص154. ذو حسم: موضع. أنيري: أسفري عن صبحك. لا تحوري: لا ترجعي.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص30. هو سلامة بن جندل من بني كعب بن سعد التميمي، جاهلي من الفرسان من أهل الحجاز. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص272.
(6) الأصمعيات، ص132. ابن جندل: ديوان سلامة، ص155. الطلل: ما شخص من آثار الديار. المنمق: المحسن الموشى. الصليب: بضم الصاد ومطرق موضعان.

فحلاً»(1)، وهذا يشير إلى جودة القصيدة عنده؛ لأنه ربط الزيادة بعدد معين. وهذه القصيدة هي الاختيار السابع عند المفضل الضبي، مطلعها:

«بــكَــرَتْ سُــمــيَّــةُ بــكــرةً فــتــمــتَّــعِ   وغـــدَتْ غُـــدُوَّ مُـفــارِقٍ لـم يَرجعِ»(2)

ويشترك الحويدرة مع ثعلبة بن صعير المازني في العدد خمسة، ونزع الفحولة عنه، قال الأصمعي: «ولو قال ثعلبة بن صعير المازني مثل قصيدته خمساً كان فحلاً»(3). ورأى محققا الكتاب (الفحولة) أنه أراد قصيدته الرائية المشهورة، وهي مفضلية، ومطلعها:

«هــل عــنــدَ عَــمــرَةَ مــن بَـتـاتِ مُـسـافِـرِ   فــي حــاجــةٍ مُــتــروِّحٍ أو باكرِ؟»(4)

ويلحق بهؤلاء الشعراء شاعراً آخر هو معقر البارقي، قال أبو حاتم: «قلت: فمعقر البارقي حليف بني نمير: قال: لو أتم خمساً أو ستاً لكان فحلاً»(5)، فهو يشير إلى الزيادة في عدد القصائد الجيدة، وعندما يسأل عن أوس بن غلفاء يجيب «لو كان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول، ولكنه قطع به»(6). والعدد (عشرون) هو أكبر عدد نجده في كتاب الفحولة، ولا تقصد هذه الأعداد بحيثياتها، إنما المقصود من ورائها أهمية كثرة نتاج الشاعر الجاهلي الذي غلبت عنده صفة الشاعرية على أية صفة أخرى. وقد يجيد الشاعر في قصيدة أو اثنتين، ولكنه لا يصل إلى منزلة الفحولة إلا بعد أن يكون أجاد في كثير من قصائده، ولذلك لم يعد الأصمعي هؤلاء الشعراء من الفحول.

يكتسب كتاب فحولة الشعراء أهمية خاصة؛ لأنه أقدم المصادر النقدية العروفة حتى

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص22. وفي الموشح، ص80. لو كان قال خمس قصائد مثل قصيدته – يعني العينية. الحويدرة: هو قطبة بن محصن بن جرول عدّه ابن سلام في الطبقة التاسعة من شعراء الجاهلية. الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص143.

(2) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج1، ص210. الحادرة: ديوانه، ص43. بكرت: ابتدأت في التأهب للخروج. بكرة: أول النهار. تمتع: تحسر. غدت غدو مفارق لم يرجع: أي فارقت فراق من لم يحدث نفسه بالمعاودة.

(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص23. ووردت ترجمة للشاعر خطأ وهو ثعلبة بن صعير من بني تميم، شاعر جاهلي. التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج2، ص612. وسمط اللآلئ، ج2، ص769.

(4) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص23. التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج2، ص612.

(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص26.

(6) المصدر السابق، ص28.

الآن، ويتلوه من حيث التاريخ كتاب ابن سلام الجمحي المتوفى (231هـ). ورغم الإجابات المختصرة في الكتاب، لكنه تعرض إلى كثير من شعراء العربية في العصور الأدبية الأولى، ولم يتوقف الأصمعي عن الحكم على شعر أي شاعر سُئل عنه. وظهر في ثنايا الكتاب موقفه حتى من بعض شعراء المعلقات مثل لبيد، وعمرو بن كلثوم، ومن بعض الأعلام غيرهما مثل المهلهل، وكذلك موقفه من الشعراء الإسلاميين الذي كان متأثراً فيه بموقف أبي عمرو بن العلاء. ولم يفرق الأصمعي بين الرجاز وأصحاب القصيد، أو بين الجاهليين والمخضرمين. وإن المصطلحات التي استعملها كان في مقدمتها لفظ (فحل) أما الشعراء الإسلاميون (عصر بني أمية وما بعده) فقد أطلق عليهم مصطلحات استعملها أهل اللغة، فمنهم الذي يعد حجة، وفصيحاً، ومنهم من نزع عنه ذلك. وعرضنا لفكرة الطبقات وكيف ظهرت في كتاب الفحولة، ممثلة بأكثر من طبقة مع ترجيح أن الأصمعي أول من تنبّه لفكرة الطبقات في الشعر والشعراء، ثم تحددت عند ابن سلام فيما بعد، وحوى الكتاب إشارات تدل على تنقل الشعر بين القبائل العربية في عصري الجاهلية والإسلام، وكان الأصمعي قد استعمل في حديثه عن الشعر بعض المصطلحات التي تتعلق بالشعر عامة وهذا نتناوله في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

المناظرات

ورد في لسان العرب في مادة نظر «وتناظرت الداران تقابلتا، ونظر إليك الجبل قابلك... والتناظر التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة، والنظير المثيل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك... ويقال: ناظرت فلاناً أي صرت نظيراً له في المخاطبة، وناظرت فلاناً بفلان أي جعلته نظيراً له...»(1). فالمناظرة تعني المساواة، والتقابل مع النظير. ومن أخص معانيها التقابل بالخطاب. وكانت المناظرات تدور بين العلماء في المساجد والمجالس. ونقلت إلينا المصادر ما دار من مواقف أدبية بين الأصمعي وعلماء عصره، وشيوخه أحياناً، ومن هذه المواقف ما حالفه فيها الصواب ومنها ما جانبه، ونوردها في هذا الفصل لبيان دوره فيها:

- بين شعبة بن الحجاج والأصمعي:

روى ابن جني قال: «أنشد الأصمعي لشُعبة بن الحجاج قول فَرْوة بن مُسَيك المرادي:

فما جَبُنوا أنّي أشدُّ عليهم ولكن رأوا ناراً تَحُسّ وتَسفَعُ

فقال شعبة: ما هكذا أنشدنا سِماك بن حرب. إنما (تُحَشّ) بالشين معجمة، قال الأصمعي: فقلت: تَحُسّ، تقتل، من قول الله تعالى «إذا تَحُسُّونهم بإذنه»(2)، أي تقتلونهم، وتُحَشّ: توقَدُ»(3). وإذا نظرنا إلى معنى البيت على ما يراه الأصمعي نجد فيه موافقة لفعل النار وهو القتل، وفي اللسان «تحس أي تحرق وتفني من الحاسة وهي الآفة»(4)، وهذا ما ذهب إليه الأصمعي معضداً رأيه بالقرآن الكريم، رغم أنه يتورع من الحديث في القرآن الكريم.

(1) اللسان، ج1، ص72. وورد مثل هذا في تاج العروس، مجلد 3، ص573.
(2) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 152.
(3) ابن جني: الخصائص، ج3، ص292.
(4) اللسان، ج7، ص349.

أما على رأي شعبة فقد توقد النار على الحقيقة، وهذا لا يؤدي إلى المعنى المراد من البيت. وصادف أن كان الأصمعي في مجلس شعبة وهو يفسر (جرس طير الجنة) فقرأها بالشين فقال الأصمعي: جرس «فنظر إليّ وقال: خذوها منه، فإنه أعلم بهذا منا»[1]. ونرى شعبة يشير إلى الذين في مجلسه بأخذ اللفظ عن الأصمعي. وكان على مكانته، يقول للأصمعي «لو أتفرغ لجئتك»[2]. وكان الأصمعي جلس إليه في حلقات الدرس.

- بين المفضل الضبّي والأصمعي:

وتجمع الأيام بين المفضل الضبي (ت 168هـ) والأصمعي، حيث روى الجاحظ قال: «قال الأصمعي للمفضَّل لما أنشد المفضّلُ جعفرَ بنَ سليمان قولَ أوس بن حجر:

وذاتُ هِدمٍ عارٍ نَواشِرُها تُصْمِتُ بالماءِ تَوْلَباً جَدِعَا

فجعل الذّال معجمة، وفتحها، وصحّف، وذهب إلى الأجذاع. قال الأصمعي: إنما هي (تَولباً جَدِعا) الدّال مكسورة. وفي الجدع يقول أبو زبيد:

ثُمَّ استقاها فلم يقطَعْ نَظائِمَها عن التضبُّبِ لا عَبْلٌ ولا جَدِعُ

وإنما ذلك كقول ابن حَبناء الأشجعي:

وأرسَلَ مُهمَلاً جَدِعاً وخُفّاً لا جَدِعُ النّباتِ ولا جَدِيبُ»[3]

فإن الجدع هو الغلام السيئ الغذاء، وورد في اللسان «جدع الغلام يجدع فهو جدع»[4]، وذكر البيت السابق وقصة احتكام المفضل والأصمعي إلى غلام أسدي فصوّب رواية الأصمعي.

---

(1) السيوطي: المزهر، ج2، ص354.
(2) تاريخ بغداد، ج10، ص411. الخصائص، ج3، ص292. لو فرغت للزمتك.
(3) الجاحظ: الحيوان، ج4، ص26. البيت في ديوان أوس، ص55... تولباً جدعا. المزهر، ج2، ص378، حدثنا الأصمعي قال ناظرني المفضل عند عيسى بن جعفر... الطائي، شعر أبي زبيد الطائي: جمعه وحققه: د. نوري حمودي القيسي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، 1967م، ص112. الرواية فيه: عن التصبب لا شعب ولا قدع. ابن حبناء واحد من ثلاثة إخوة، وحبناء اسم أمهم. انظر: المؤتلف والمختلف، ص105.
(4) اللسان، ج9، ص392. جمع سليمان بن علي الهاشمي بالبصرة بين المفضل الضبي والأصمعي...

وقال قدامة «وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة»[1]، وأورد البيت وإن كان المفضّل ذهب إلى الإجذاع في الحيوان، فهذا بعيد؛ لأن الشاعر يتكلم في مرثيته التي مطلعها:

أيتُها النّفْسُ أجمِلي جَزَعَا إنّ الذي تَحذَرينَ قد وَقَعا

وقبل البيت:

لِيَبكِكَ الشّرْبُ والمُدامَةُ والْـ فِتيانُ طُرّاً وطامِعٌ طَمِعا

ويلاحظ أن الأصمعي عضد رأيه ببيتين آخرين وردت فيهما الكلمة ذاتها.

- بين الكسائي والأصمعي:

كان الكسائي[2] (ت 189هـ) والأصمعي على صلة ببلاط الرشيد. وقد يرقب العالم هفوة من منافسه ليثبت موقفه. «حدث حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه، قال سأل الرشيد عن بيت الراعي:

قَتَلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحرِماً ودعا فلم أرَ مثلَه مَخْذُولا

ما معنى محرماً؟ فقال الكسائي: أحرم بالحج، فقال الأصمعي: والله ما كان أحرم بالحج، ولا أراد الشاعر أنه أيضاً في شهر حرام، فيقال: أحرم إذا دخل فيه، كما يقال إذا دخل في الشهر، وأعام إذا دخل في العام. فقال الكسائي: ما هو غير هذا؟ وفيمَ أراد؟ فقال الأصمعي: ما أراد عدي بن زيد[3] بقوله:

قتلوا كِسرى بليلٍ محرما فتولى لم يمتعْ بكفنْ

أي إحرام لكسرى؟ فقال الرشيد: فما المعنى؟ قال: كل من لم يأتِ شيئاً يوجب عليه عقوبة، فهو محرم لا يحل شيء منه، فقال الرشيد: ما تطاق في الشعر يا أصمعي»[4].

---

(1) قدامة: نقد شعر، 174.

(2) هو الإمام علي بن حمزة الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات. تاريخ بغداد، ج11، ص403. وفيات الأعيان، ج2، ص457.

(3) عدي بن زيد بن حماد بن أياوب من زيد مناة بن تميم، وكان يسكن بالحيرة، وكان ترجمان أبرداز ملك فارس وكاتبه بالعربية. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص225.

(4) البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص416. السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر، ج2، دائرة المعارف

ونرجح قول الأصمعي؛ لأن ابن عفان لم يكن محرماً بالحج، وإن كان الكسائي يرى ذلك فما لكسرى والحج؟ ثم نجد الأصمعي على عادته يعلل إجابته، حتى قال فيه الرشيد جملته السابقة.

ويجمع بين الكسائي وأبي سعيد موقف آخر نقله الزجاجي في أماليه قال: «كان الكسائي والأصمعي بحضرة الرشيد، وكانا ملازمين له يقيمان بإقامته ويظعنان بظعنه، فأنشد الكسائي:

أنّى جزَوا عامراً سوآي بفعلِهِمُ أم كيفَ يجزَونَني السوآي من الحسنِ

أم كيفَ ينفَعُ ما تُعطي العَلوقُ بهِ رِئمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبَنِ

فقال الأصمعي: إنما هو رئمانَ أنف بالنصب، فقال له الكسائي: اسكت ما أنت وذاك، يجوز بالرفع والنصب والخفض، أما الرفع فعلى الرد على ما لأنها في موضع رفع بينفع فيصير التقدير أم كيف ينفع رئمانُ أنف، والنصب بتعطي، والخفض على الرد على الهاء في به، قال فسكت الأصمعي»[1].

فالأصمعي تمسك برواية واحدة للكلمة التي كانت مثار الجدل في روايتها، ولم يكن صاحب نحو كالكسائي الذي أجاز الروايات الثلاث وأظهر توجيهات المعنى بناء عليها.

- **بين أبي عمرو الشيباني والأصمعي**[2]:

ويروي الزبيدي في الطبقات قال: «دخل الأصمعي على أبي عمرو الشيباني في منزله ببغداد وهو جالس على جلود فراء، فأوسع له أبو عمرو فجرّ الأصمعي يده على الفراء ثم

العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1360هـ، ج3، ص42. النميري: ديوان الراعي، ص231. العبادي: ديوان عدي بن زيد، تحقيق: محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م، ص178.

(1) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: الأمالي، ج2، المكتبة المحمودية، مصر، 1354هـ/1935م، ص34. بتصرف. الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، د.ت، ص419.

(2) أبو عمرو الشيباني: إسحاق بن مرار الشيباني النحوي اللغوي من رمادة الكوفة ونزل بغداد، من الأئمة الأعلام في فنونه وهي اللغة والشعر، وكان كثير الحديث كثير السماع ثقة ت 213هـ وقيل سنة 206هـ، وهو الأصح، وفيات الأعيان، ج1، 180.

قال: يا أبا عمرو ما يعين الشاعر بقوله:

بضربٍ كآذانِ الفِراء فُضولُه وطعنٍ كإيزاغِ المخاضِ تبورُها

فقال: هي هذه التي تجلس عليها يا أبا سعيد، فقال الأصمعي: يا أهل بغداد، هذا عالمكم والفراء هاهنا جمع فرأ وهو الحمار الوحشي وكانت رواية أبي عمرو (كآذان الفراء) فتغفله الأصمعي بغير روايته فزل»[1].

ونرى أن الأصمعي استخدم أمرين؛ أولهما: الحيلة، حيث سبق لنظيره أنه يقصد ما هو موجود أمامهم. وثانيهما: اختلاف الرواية. حتى أوقعه في زلة أخذت عليه، وأيد رأيه بشرح الكلمة، والذي يبدو أن الأصمعي تغفله في الرواية، حيث لا يمكن أن يغيب عن أبي عمرو معنى البيت وإن كان يقصد (ما يجلس عليه الأصمعي).

- بين أبي عبيدة والأصمعي:

روى صاحب التنبيهات قال: «كان الأصمعي يعيب على أبي عبيدة تفسيره قول حاجب بن زرارة يوم جبلة:

شتّانَ هذا والعِناقُ والنَّوْم والمشربُ الباردُ في ظِلِّ الدَّوْمْ

قال الأصمعي: ما ابن الصباغ وهذا؟ وأنى لأهل نجد الدّوم؟ وإنما الدوم بالحجاز، وحاجب نجدي فأين له الدوم؟ وإنما أراد في الظل الدوم أي الظل الدائم»[2]، والدوم إنما يعني «الظل الدائم»[3].

يعتمد الأصمعي في رواية البيت على طبيعة الجزيرة العربية والبيئة التي يعيش الشاعر في

(1) الزبيدي: الطبقات، ص195. السيوطي: المزهر، ج2، ص377. يقول إنهما اجتمعا عند أبي السمراء، ويروي الشطر الثاني: «وطعن كتشهاق العفاهم بالنهق». العفا: ولد الحمار. والبيت منسوب في اللسان، مادة عفا إلى حنظلة بن شرقي وصدره: «بضرب يزيل الهام عن سكناته»، وفي مادة فرأ منسوب إلى مالك بن زغبة الباهلي.

(2) الأصفهاني، علي بن حمزة: التنبيهات، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط1، دار المعارف، مصر، 1967م، ص85.

(3) لسان العرب، ج15، ص105. نسب البيت للقيط بن زرارة، وقبله:

يا قوم قد أحرقتموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

أكنافها، ونلحظ أن الأصمعي ربط بين معنى البيت والبيئة ربطاً وثيقاً استطاع من خلاله أن يوجّه معنى البيت.

- بين أبي زيد الأنصاري[1] والأصمعي:

قال صاحب التنبيهات: «إن أبا زيد الأنصاري روى بيت قيس بن الخطيم:

كـأنَّ لَـبَّـاتِـهـا تَـبَـدَّدَهـا هَـزْلـى جـرادٍ أجْـوافُـهُ جِـيَـفُ

قال: فذكرنا ذلك للأصمعي، فقال هكذا علمه بشعر قومه، وإنما الرواية أجوازه جلف»[2]، وقع اختلاف في آخر كلمتين من البيت حيث وصف الشاعر «عقد حبيبته وما فيه من حلي فوق صدرها»[3]، وقد شبّه «الحلي الذي على لبتها بجراد لا رؤوس لها ولا قوائم»[4].

ويبدو أن رواية الأصمعي أكثر ارتباطاً بسياق البيت والمعنى الذي يتحدث عنه الشاعر.

- بين الأخفش والأصمعي:

ولدينا خبر تنقله المصادر عن حضور «الأخفش عند الأصمعي، وقال: أنا أعلم أهل زماني بالنحو وقياس كلام العرب، فقال له الأصمعي: كيف تروي قول الربيع بن زياد:

قـد كُـنَّ يـكـنـنَّ الـحـديـثَ تَـسـتُّـراً فـالآنَ حـيـن بَـدَوْنَ لـلـنُّـظّـارِ

يكنُنَّ أو يكنِنَّ، بَدَونَ أو بَدَيْنَ، فمازال يقول مرةً يكنُنَّ ومرةً يكنِنَّ؛ ومرةً بدَوْنَ ومرة بدَيْنَ ويلجلج حتى قامَ وضجر منه»[5].

---

(1) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ت 214هـ إمام البصرة في اللغة العربية وأستاذ سيبويه والأصمعي. راجع: النزهة، ص173.

(2) الأصفهاني: التنبيهات، ص88. رواية الأصمعي في الأصمعيات، ص197. ابن الخطيم: ديوان قيس، ص110.

(3) الجبوري، د. يحيى: الزينة في الشعر الجاهلي، ط1، دار القلم، الكويت، 1404هـ/ 1984م، ص34.

(4) لسان العرب، ج10، ص376.

(5) الأصفهاني، حمزة بن الحسن: التنبيه على حدوث التصيف، تحقيق: محمد آل ياسين، ط1، مطبعة المعارف، بغداد، 1387هـ/ 1967م، ص136. «وقال هذه الحكاية حكاها المبرد عن الجرمي لا عن الأخفش قال وكان الجرمي أجل وأغزر علماً من أن يذهب مثل ذا عليه ولكن الأصمعي غالطه».

وسواء كانت هذه المناظرة مع الأخفش، أو الجرمي، فإن المغالطة اللفظية كانت سبباً في لجلجة نظير الأصمعي، ولم ينقل إلينا المصدر تعيين الأخفش لأحد الفعلين، ولكن اللجلجة دليل على اشتباه الأمر عليه، وعدم القدرة بالقطع في تعيين الفعل الصحيح في رأيه.

- بين ابن الأعرابي والأصمعي:

أما ابن الأعرابي فقد كان مؤدباً لابن سعيد بن سلم، ويبدو أن الأصمعي كان يعود سعيداً ويلتقي بابن الأعرابي، وتذكر الأخبار موقفين مما كان بينهما:

أولهما: يرويه الرياشي «قال: دخل الأصمعي يوماً على سعيد بن سلم وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده، فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد؛ فأنشده الغلام شعراً روّاه إياه ابن الأعرابي، فيه:

سَمينُ الضَّواحِي لم تُؤَرِّقْهُ ليلةً وأنْعَمَ أَبكارُ الهُمومِ وعُونُها

ورفع ليلة، فقال له الأصمعي: من روّاك هذا؟ فقال: مؤدبي، فأحضره واستنشده البيت فأنشده ورفع ليلة. فأخذ ذلك عليه، وفسّر البيت فقال: إنما أراد: لم تؤرّقة ليلة أبكار الهموم»[1]، وارتبط بتغير حركة ليلة المنصوبة معنى البيت، ونلاحظ ذلك في شرح أبي سعيد للبيت في حين إن المعنى يختلف على رواية الرفع. وكان الأصمعي وراء تنحية ابن الأعرابي عن تأديب أولاد سلم.

وثانيهما: مروي عن ابن الأعرابي قال: «دخلت على سعيد بن سلم وعنده الأصمعي ينشد قصيدة للعجاج حتى انتهى إلى قوله:

فإن تبدلت بآدِي آدا لم يَكُ يَنْآدُ فأمْسى انآدا

فقَدْ أراني أَصِلُ القُعّادا

فقال له ما معنى القعادا؛ فقال: النساء، قلت: هذا خطأ؛ إنما يقال في جمع النساء قواعد، قال الله عز وجل «والقواعد من النساء» ويقال في جمع الرجال القُعاد كما

(1) علي بن حمزة: التنبيهات، ص79. عونها: جمع عون. أنعم: زاد على هذه الصفة سمين الضواحي يريد ما ظهر منه وبدا سمين.

يُقال راكب ورُكاب»[1].

ونرى أن ابن الأعرابي أنكر على الأصمعي هذا الجمع، وعضد رأيه بالآية الكريمة التي ربما كانت سبباً في إحجام الأصمعي عن التمادي في ذلك المعنى، وربما إنه لم يلمّ بهذا الجمع.

ـ بين أبي توبة والأصمعي:

ويأتي الأصمعي سعيد بن سَلَم زائراً، وكان أبو توبة مؤدباً لعمر بن سعيد، «فجعل الأصمعي يسأله وأبو توبة يجيبه حتى سأله عن هذا البيت:

واحــــــدةٌ أعْـضَـلـكـم أمـرُهـا فـكـيـفَ لـو درتَ عـلـى أرْبَـع

قال: ونهض الأصمعي فدار على أربع يلبس على أبي توبة، فأجابه بما يشاكل ما أوهمه الأصمعي فضحك الأصمعي من جوابه، وقال سعيد ألم أقل لك يا أبا توبة. قال: ومعنى البيت أنه تزوج امرأة واحدة، قال: شقّ عليكم أن تزوجت واحدة فكيف لو تزوجت أربعاً»[2].

وكان السؤال عن معنى البيت بعد حديث طويل بينهما تناول المعاني والغريب، حتى التبس الأمر على أبي توبة وسبق إليه أن معنى البيت على نحو ما يقول به الأصمعي.

ـ بين سيبويه والأصمعي:

روى ياقوت قول أبي حاتم السجستاني مسائلاً الأصمعي: «فقلت حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه في المناظرة فقال: والله لولا أني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ما حدثتك أنه عرض عليّ شيء من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه ففسرتها على خلاف

(1) السيوطي: الأشباه والنظائر، ج3، ص23، اللسان ج4، ص357. ويقال: رجل قاعد عن الغزو وقوم قعاداً، وقاعدون. سورة النور 58. العجاج: ديوان العجاج، ج2، ص282.

أمــا تـريـنـي أصــل الـقـعـادا وأتـقـى أن أنـهـض الإرعـــادا

مــن أن تـبـدلـت بـــآدي آدا لــم يــك يـنـاد فـأمـس انـادا

(2) الزبيدي: الطبقات، ص198. ابن جني: الخصائص، ج3، ص308. السيوطي: المزهر، ج2، ص379. أبو توبة ميمون بن حفص النحوي أحد الرواة للغة والأدب، حدث عن علي بن حمزة الكسائي وكان ثقة. تاريخ بغداد، ج13، ص210.

ما فسّره، فبلغ ذلك سيبويه، فبلغني أنه قال: لا ناظرته إلا في المسجد الجامع، فصليت يوماً في الجامع ثم خرجت، فتلقاني في المسجد؛ فقال: اجلس يا أبا سعيد ما الذي أنكرت من بيت كذا وكذا؟ ولمَ فسرت على خلاف ما يجب؟ فقلت له ما فسّرت إلا على ما يجب، والذي فسرته أنت ووضعته خطأ، تسألني وأجيب، ورفعت صوتي فسمع العامة فصاحتي، ونظروا في لكنته، فقالوا لو غلب الأصمعي»[1].

فالأصمعي يعتمد على الفصاحة والحيلة في تفنيد رأي خصمه ولم يرفع صوته إلاّ ليلفت نظر الناس إلى قدرته ولسانه. ويروي الزبيدي قول يونس بن حبيب «الحق مع سيبويه وقد غلب ذا – يعني الأصمعي – بلسانه»[2]، فسيبويه لا يمتلك القدرة على الفصاحة، وبيان الكلام امتلاك الأصمعي العربي الأصل والهوى، وهذا سبب في فوزه على سيبويه أمام الناس.

وإذا نظرنا في هذه المواقف بين الأصمعي وعلماء عصره فإننا نجدها تدور في جوانب تتصل بالشعر اتصالاً وثيقاً، فبعضها يرتبط بتبديل رواية حرف في بيت، وبعضها برواية بيت، ويشرح بعض الأبيات أحياناً، وبعضها يرتبط بالنحو من حيث ترتيب الكلمات في البيت.

ومن خلال هذه المواقف نجد الأصمعي يطعن في بعض الروايات اعتماداً على علمه حيناً أو الحيلة أحياناً أخرى. وكان التناحر والتنافس بين الرواة الذين أخذ يضيق بعضهم على بعض، حتى وصل بهم التضييق إلى درجة الطعن في بعض المواقف، ولكن هل يعتد بذلك الطعن؟ وماذا يمكن أن يبنى على تلك المواقف من أحكام؟ لقد كان لذلك ما يسوغه من أسباب؛ منها المادي: المِنَح والجوائز. ومنها المعنوي المتمثل في ذيوع الصيت والشهرة في أوساط الدولة الإسلامية آنذاك.

«وإن كان بعض المتعاصرين والأنداد من الرواة طعن بعضهم في بعض، فليس في الطعن حجة أو دليل على صحة التهمة؛ لأن اتحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة والمزاحمة على

(1) ياقوت: معجم الأدباء، ج16، ص125.
(2) الزبيدي: الطبقات، ص68.

نيل الحظوة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة، لهذا قال الأقدمون: المعاصرة حجاب، حتى إن رواة ثقات كالأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي زيد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية صاحبه»[1]، وإن رجحت كفة أحد أولئك الرواة، فلتفرده في جانب من جوانب اللغة، كالشعر أو الغريب.

(1) الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص428.

الفصل الثالث
المصطلحات

استخدم الأصمعي في كتبه وأقواله مصطلحات تتعلق بالشعر ونقده. وفي عصره بدأ العلماء يلتفتون إلى الظواهر والأساليب البلاغية في الشعر والقرآن الكريم، وقد ألفوا فيها كتباً مستقلة.

فألف أبو عبيدة (ت 209هـ) كتاب المجاز، وألّف ابن سلام الجمحي (ت 231هـ) كتاب طبقات فحول الشعراء، ثم كان الجاحظ (ت 255هـ)، وألّف ابن المعتز (296هـ) كتاب البديع، وألف قدامة بن جعفر (ت 337هـ) كتاب نقد الشعر، قال في مقدمته:

«ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيّده من رديئه كتاباً، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة»(1).

وهذه دلالة على أنه لم يفرد كتاباً في منهاجه للشعر كالذي أفرده قدامة، وبعدهم أُلفت كتبٌ متخصصة بالشعر والشعراء. وسنتناول بعض المصطلحات النقدية، والبلاغية، بهدف تعرف على إسهام الأصمعي في المصطلحات من حيث نشأتها، أو تثبيت استخدامها، أو دلالتها على معنى.

الإفراط:

قال النابغة الذبياني:

«تجذُّ السَّلُوقيَّ المُضاعَفَ نَسجُهُ ويوقِدنَ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ

... قال الأصمعي: الصفاح حجارة عراض... وقال هذا من الإفراط كما قال قيس بن الخطيم:

(1) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص9.

مَـلَـكْـتُ بـهـا كَـفّـي فـأَنْـهَـرْتُ فَتقَـهـا   يَـرى قـائـمـاً مـن دُونـهـا مـا وَراءَهـــا»[1]

يشير الأصمعي إلى المبالغة في وصف جودة حدة هذه السيوف التي وصلت إلى مستوى «أن السيف يقدّ الدرع حتى يصل إلى الأرض فيوري النار»[2]. وزاد في هذا المعنى أن جعل نسيج الدروع مضاعفاً، ومثل هذه المبالغة في المعنى وردت في بيت ابن الخطيم؛ حيث زاد في وصف الطعنة على ما اعتاد الفرسان معرفته، وذكر ابن المعتز «بعض محاسن الكلام والشعر»[3]، جاعلاً الإفراط في الصفة إحداها ومثل لذلك. ثم جاء ثعلب بعده وتحدث عن «الإفراط في الإغراق»[4]، ومثل له بثلاثة عشر بيتاً. ولم يُعَرّفه أو يفصل القول فيه.

وكان بعدهم قدامة بن جعفر الذي تحدث في باب المعاني الدال عليها الشعر قائلاً «إني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر، وهما الغلوّ في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط»[5]. وذكر طعن النابغة على حسان بن ثابت في قوله:

«لـنـا الـجَـفـنـاتُ الـغـرُّ يَـلـمَـعْـنَ بالضُّحى   وأسـيـافُـنـا يَـقـطُـرْنَ مـن نـجـدةٍ دَمَا»[6]

وقال: «فإن النابغة على ما حكي عنه – لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو بتصيير مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزايد عليه»[7]. وفصّل قدامة القول آخذاً بالمذهبين اللذين حددهما.

ثم كان ابن رشيق، الذي أفرد باب الغلو قائلاً: «ومن أسمائه أيضاً الإغراق، والإفراط»[8]، وذكر قول السابقين فيه.

(1) الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: د. شكري فيصل، ص61. ابن الخطيم: ديوان قيس بن الخطيم، ص46. تقد: تشق. السلوقي: درع منسوب إلى سلوق وهي بلدة في الروم. الصفاح: حجارة عراض. الحباحب: ذباب له شعاع بالليل.
(2) ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص125. والرواية فيه: تقدّ السلوقي... وتوقد بالصفاح...
(3) ابن المعتز: البديع، ص106، 116.
(4) ثعلب: قواعد الشعر، ص49.
(5) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص51.
(6) المصدر السابق، ص53. البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، ص371.
(7) المصدر السابق، ص54.
(8) ابن رشيق، أبو علي الحسن: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مطبعة السعادة، مصر، 1374هـ/ 1955م، ج2، ص60.

ونلاحظ أن من أتى بعد الأصمعي استعمل لفظ الإفراط، وجعل ثعلب الإفراط في الإغراق، بينما جعل العسكري الإفراط مرادفاً للغلوّ والإغراق. وجعل من شواهده بيت النابغة السابق يدل على أن الأصمعي ربما كان هو أول من أطلق المصطلح على بعض الأبيات، التي زاد الوصف فيها عما تعارف عليه الناس.

الالتفات:

قال الحاتمي (ت 388هـ) في الحلية: «حكي عن إسحق الموصلي أنه قال: قال لي الأصمعي، أتعرف التفاتات جرير؟ قلت وما هي؟ فأنشدني:

أَتَنْسى إذ تُودِعني سُليمى ... بفرعِ بشامة سُقِيَ البشامُ

ألا تراه مقبلاً على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له؟»[1]. ونجد الخبر عند العسكري ينقل عن الصولي وأضاف قوله:

«طَرِبَ الحَمامُ بذي الأراكِ فشاقَني ... لازِلتَ في غَلَلٍ وأَيْكٍ ناضِرِ

فالتفت إلى الحمام فدعا له»[2].

وفي العمدة أورد الخبر مروياً عن الموصلي وزاد قوله «وأنشد له عبد الله بن المعتز:

مَتى كانَ الخيامُ بذي طُلُوحٍ ... سُقِيتِ الغَيثَ أيتُها الخِيامُ»[3]

فهذه المصادر ترجع الخبر إلى الأصمعي.

وفيه يقول قدامة: «هو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه، أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً إلى ما قدمه»[4]. ونرى كيف رجع الشاعر في الأبيات السابقة، ودعا بالسقيا مرة للبشام، وأخرى للخيام، ودعا

(1) الحاتمي، محمد بن الحسن: حلية المحاضرة، تحقيق: هلال ناجي، د.ب، 1988م، ص57. جرير، ديوانه، ص417.

(2) العسكري: الصناعتين، ص392. جرير: ديوانه، ص236.

(3) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص46. البيت في ديوان جرير، ص416. وردت أبيات جرير عند ابن المعتز: البديع، ص107.

(4) قدامة: نقد الشعر، ص44.

للحمام بدوام الأيك الناضر. وكأن الشاعر يتجه وجهة معينة ثم يلتفت إلى ما بدأ به وهذا الأمر ليس بعيداً عما قاله قدامة، وبهذا تكون هذه التسمية راجعة إلى الأصمعي.

الإيطاء:

قال الأخفش (ت 215هـ): «وأما الإيطاء فرد كلمة قد قفّى بها مرة... فهذا عيب عند العرب، لا يختلفون فيه. وقد يقولونه. قال النابغة الذبياني:

أو أضِعَ البيتِ في خَرساءَ مُظلمةٍ تقيدُ العيرَ، لا يسري بها الساري

ثم قال فيها أيضاً:

لا يخفض الرّزَّ عن أرض ألمَّ بها ولا يضلُّ على مصباحِهِ الساري»[1]

فقد عرف الأخفش الإيطاء ومثل له بقول الذبياني.

ومن بعده عرف المرزباني الإيطاء، وقال بسند عن الأخفش: «وقد أوطأت الشعراء، أنشدني الأصمعي وأبو عبيدة جميعاً للنابغة الذبياني»[2]، وذكر البيتين السابقين. وزاد المرزباني، قال: «وزعما جميعاً أن ابن مقبل» قال:

أو كاهتِزازِ رُدَينيّ تَداولُه أيدي التّجارِ فزادوا مَتْنَه لينا

ثم قال فيها أيضاً:

نازعَ ألبابَها لُبّي بمُقْتصَر من الأحاديثِ حتى زدتني لينا»[3]

ويظهر من النصوص السابقة أن الأخفش قد عرّف الإيطاء تعريفاً واضحاً دون أن يذكر مصدر ذلك في كتاب القوافي، بينما أسند المرزباني الخبر إلى الأخفش الذي أسنده إلى

(1) الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة: القوافي، تحقيق: د. عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1390هـ/ 1970م، ص55. الذبياني: ديوان النابغة، ص76–78. اللسان، ج2، ص190.

(2) المرزباني: الموشح، ص15.

(3) المرزباني: الموشح، ص15. ابن مقبل: ديوان ابن مقبل، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1381هـ/ 1962م، ص328. والرواية فيه:

نازعت ألبابها لبّي بمختزن من الأحاديث حتى ازددن لينا

الأصمعي وأبي عبيدة. ولا نستطيع أن نعزو هذا التعريف لواحد منهم، ولكن يتبيّن أن الأصمعي قد عرف هذا العيب في الشعر.

الإيغال:

قال الحاتمي في الحلية: الإيغال «هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً قبل انتهائه إلى القافية ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها فتزيد البيت نصاعة، والمعنى بلوغاً، إلى الغاية القصوى في الجودة»(1). ونجد في الصناعتين خبراً يسند إلى الأصمعي عن التوزي عندما سأله «من أشعر الناس؟ فقال: من يأتِي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً، أو الكبير فيجعله بلفظه خسيساً، أو ينقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى. قال: قلت: نحو من؟ قال قول ذي الرمة حيث يقول:

قِـفِ العِيسَ في أطـلالِ مَـيّـةً فَـاسْـأَلِ   رُسـومـاً كـأَخْـلاقِ الـرِّداءِ المُسَلسَلِ

ثم قال:

أظُـنُّ الـذي يُـجْـدي عَـليـك سُـؤالُـهـا   دُمـوعـاً كـتَـبـذيـرِ الـجُـمـانِ الـمُـفَـصَّـلِ

فتم كلامه، بالجمان، ثم قال المفصّل، فزاد شيئاً. قلت ونحو من؟ قال: الأعشى، حيث يقول:

كَـنـاطِـحٍ صَـخـرةً يـومـاً لـيَـفـلِـقَـهـا   فـلَـمْ يَـضِـرْهـا وأوْهَـى قـرْنَـهُ الـوَعِـلُ

فتمّ كلامه بـ(يضرها)، فلما احتاج إلى القافية قال وأوهى قرنه الوعل فزاد معنى»(2).

نلاحظ في الأمثلة السابقة انصباب القول على القافية، حيث وقع فيها زيادة على معنى البيت وهذا القول الصريح للأصمعي نجده عند تابعيه.

يقول قدامة: «الإيغال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية

(1) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص55.
(2) العسكري: الصناعتين، ص380. ذو الرمة: ديوان شعر ذي الرمة، تصحيح وتنقيح مكارتني، طبع على نفقة كلية كمبردج، 1337هـ/ 1919م، ص501. الأعشى: ديوانه، ص61.

في ما ذكره صنع، ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى»[1]. أليس هذا مطابقاً لقول الأصمعي الذي حدد مفهوم الإيغال؛ ولم يزد من أتى من بعده شيئاً على هذا المصطلح.

البديع:

روى صاحب الأغاني قال: «سأل أبو حاتم الأصمعي: أبشار أشعر أم مروان؟ فقال: بشار أشعرهما، قال له: وكيف ذلك؟ قال: لأن مروان سلك سبيلاً كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدّمه، وأن بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه أحد فانفرد به وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعر وأغزر وأكثر بديعاً»[2]. فقد عرف الأصمعي مصطلح البديع، وألف ابن المعتز (ت 296هـ) كتابه المسمى البديع، وضمنه ثمانية عشر فناً من فنون البديع، ويظهر أن ابن المعتز أفاد في كتابه من الأصمعي؛ إذ لا نجد «ذكراً لباحث قبله في قضايا البديع سوى الأصمعي الذي قال: إن له بحثاً في الجناس»[3]. وإن كنا لا نجد ذكراً لأحد سبق الأصمعي في البديع، فإن الكتاب نفسه يحوي ما يدل على أثر للأصمعي.

قال الناقوري: «كان ابن المعتز عالة على الأصمعي في بعض الاصطلاحات مثل البديع والتشبيه والاستعارة»[4]، وهذا القول وسابقه يسعفنا على تأكيد معرفة الأصمعي للبديع، وربما أسبقيته إلى الإشارة إليه، ولعل ورود التسمية ذاتها عند ابن المعتز تؤكد هذا التأثير، ومن المحتمل أن يكون الأصمعي هو السبّاق لإطلاق البديع بمعناه الاصطلاحي.

البليغ:

روى الجاحظ (ت 255هـ) في البيان «قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلس عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة. والذي لابد له منه أن يكون سليماً من التكلف بعيداً عن الصنعة، بريئاً من

(1) قدامة: نقد الشعر، ص167.
(2) الأغاني، ج3، ص147. المرزباني: الموشح، ص251.
(3) عتيق، د. عبد العزيز: علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974م، ص14.
(4) الناقوري، إدريس: المصطلح النقدي في نقد الشعر، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العظمى، 1984م، ص41.

التعقيد، غنياً عن التأويل، وهذا هو تأويل قول الأصمعي: البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر»[1].

نلاحظ أن الجاحظ أورد الحديث السابق، ثم أعقبه بقول الأصمعي الذي نرى من خلاله نعوت البلاغة من إصابة الهدف، والإبانة عن المقصود، وعدم الحاجة فيه لشارح يبين معناه، وأن يكون اللفظ فصيحاً خالياً من التكلّف، والغرابة، وعلى هذا ينطبق قولهم: «فصاحة المفرد هي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي»[2].

وكان الأصمعي «يدرك أن البلاغة الإيجاز...»[3]؛ لأن تعريفه للبليغ لابد أن يرجع إلى مجاله، وهو البلاغة، ولم يقل ذلك إلاّ وقد علم من ضروب البيان ما فيه الكفاية لإدراك مواضع الكلم، ومقاصده، وخلوّه من الزيادة أو النقص.

التشبيه:

قال الحاتمي في الحلية: «أجمع أهل العلم بالشعر كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهما بأن أحسن الناس تشبيهاً ما يقابل به متشبهان بمتشبهين فإن أحداً لم يقل في ذلك أحسن من قول امرئ القيس:

كأنَّ قُلوبَ الطّيرِ رَطْباً ويابِساً ... لَدى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِي»[4]

فالحاتمي يذكر إجماع أهل العلم، ولم يفرد للأصمعي هنا رأياً خاصاً، ولكنه على إجماع أصحاب الرأي.

وروى الحاتمي قصة استدعاء الأصمعي من قبل الرشيد ليفصل بينه وبين وزرائه في أحسن تشبيه، قال الأصمعي: «فقلت يا أمير المؤمنين: إن التعيين على بيت واحد في نوع قد توسعت العرب فيه، ونصبته معلماً لأفكارها، ومسرحاً لخواطرها؛ لبعيد أن يقع النص

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص106. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الملك بن مسلم: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1343هـ/ 1925م، ج2، ص174.
(2) الصعيدي، عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط6، مكتبة الآداب ومطبعتها، د.ت، ج1، ص12.
(3) عتيق، د. عبد العزيز: في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1970م، ص34.
(4) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص64.

عليه. ولكنّ أحسن الناس تشبيهاً امرؤ القيس، قال: فبماذا؟ قلت في قوله:

كأنّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابِساً لدى وَكرِها العُنابُ والحشَفُ البالي

وقوله:

كأنّ عيونَ الوَحشِ حَولَ خبائِنا وأرحُلِنا الجُزعُ الذي لم يُثَقَّبِ

وقوله:

ولو عن نَثاغيرِه جاءَني وجُرحُ اللِّسانِ كجُرحِ اليدِ

وقوله:

سَموتُ إليها بعدَ ما نامَ أهلُها سُمُوَّ حَبَابِ الماءَ حالاً عَلى حالِ

... ثم قال الرشيد: ما أبرع تشبيهاته عندك؟ قلت: قوله يصف فرساً:

كأنَّ تشَوُّفَهُ بالضُّحى تَشَوُّفُ أزرَق ذي مخلبِ

إذا بزَّ عنهُ جلالٌ له تقولُ سَليبٌ ولم يُسلَبِ»[1]

ونجد البيت الذي ذكره الحاتمي هو أول الأبيات في اختيار الأصمعي للتشبيه الحسن. وعندما اختار يحيى البرمكي أبياتاً للنابغة يفاضل بها الرشيد، علّل الأصمعي تقصير النابغة في هذه الأبيات، قال يحيى:

قوله:

«نَظَرَتْ إليكَ بحاجَةٍ لم تُقْضِها نظَرَ السّقيمِ إلى وجوهِ العُوَّدِ

وقوله:

فإنّكَ كالليلِ الذي هوَ مُدرِكي وإنْ خِلتُ أنَّ المُنتأى عَنكَ واسِعُ

وقوله:

(1) المصدر السابق، ص66–67. والبيت الأول أول أمثلة ابن المعتز على حسن التشبيه. الأبيات في ديوان امرئ القيس: ص35، 53، 185، 31. البيتان الأخيران ليسا في الديوان.

مـن وَحْـشِ وَجــرَةَ مَـوشِـيٍّ أَكـارِعُـهُ   طـاوي المصير كسيف الصيقل الفَرِدِ»[1]

فقال الأصمعي مبيناً رأيه في هذه التشبيهات:

فالبيت الأول ذكر «أنه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل، وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكـأنَّـهـا بـيـن الـنـسـاءِ أعـارَهـا   عَـيـنَـيْـهِ أحـــوَرُ مـن جـــآذِرِ جاسِـمِ

وسـنـانُ أقـصَـدَهُ الـنعـاسُ فـرَنَّـقَـتْ   فـي عَـيـنِـه سِـنَـةٌ ولـيـسَ بـنـائـمِ

وأما تشبيهه الإدراكَ بالليلِ فقد ساوى الليل والنهار فيما يدركانه، وإنما كان سبيله أن يأتي فيما ليس له قسيم، حتى يأتي بمعنى ينفردُ به، ولو شاء قائل أن يقول: إن قولَ النميري في هذا حسن، لوجد مساغاً إلى ذلك حين يقول:

فـلـو كـنـتُ بـالـعـنـقـاءِ أو بـأسـومـهـا   لـخـلـتُـكَ إلاّ أن تَـصُــدَّ تـرانـي

أما قوله: طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد، فالطرماح أحق بهذا المعنى، لأنه أخذه فجوّده، وزاد عليه، وقال:

يـبـدو، وتُـضـمِـرُهُ الـبـلادُ، كـأنّـه   سـيـفٌ عـلـى شَـرَفٍ يُـسَـلُّ ويُـغـمَـدُ

فقد جمَعَ في هذا البيت استعارة لطيفة بقوله (وتضمره) وتشبيهه اثنين»[2].

ونلاحظ كيف نظر الأصمعي إلى التشبيه، وكان يريد من النابغة أن يأتي بما ليس له قسيم حتى يكون له السبق فيه، وكان يفضل وقوع تشبيهين في بيت واحد، وقرب وجه الشبه من الحقيقة وأفضل التشبيه عنده ما كان ابتدعه صاحبه وكمُلت جوانبه «ولم يتعرض له أحد أو تعرض له شاعر فوقع دونه»[3]. وبقي التشبيه الأول محتفظاً بمكانته. وكان ينظر إلى معنى التشبيه، وقد أنكر على النابغة تشبيهه المرأة بالعليل، ومساواة الليل والنهار، في حين أشار

(1) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص68. الأبيات في ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص93، 38، 17.
(2) المصدر نفسه، ص69. أسوم: جبل بعينه.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص62.

إلى جودة بيت الطرماح.

الجناس:

إن كان كتاب البديع لابن المعتز (ت 296هـ) من أقدم الكتب التي تناولت ألوان البديع، فإننا نجد في بداية الباب الثاني النص الآتي: «التجنيس: هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها»[1]. فهذه إشارة صريحة، دلالتها أن ابن المعتز كان مسبوقاً بغيره وأتبعه في أبواب كتابه. وإن كان كتاب الأصمعي ليس بين أيدينا للمقارنة، ولكن كلام مؤلفه يشير إلى ذلك.

وقد حدد الأصمعي أفضل ضروب الجناس قال: «أحسن ما قيل في المجانسة هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى»[2].

وجعل صاحب الصناعتين فصلاً خاصاً بالتجنيس، ونقل تعريف ابن المعتز[3] ثم فصل فيه القول.

ويبدو من هذا أن الأصمعي عرف هذا اللون في الشعر العربي، وذكر أجمل صوره، ثم ضاع كتابه بعد أن استقى منه ابن المعتز الذي يعد كتابه من المصادر الأولى للبديع وأخذ عنه اللاحقون.

الحلاوة:

قال الأصمعي في حديثه عن شعر ذي الرمة: «إن شعر ذي الرمة حلو أول ما تسمعه، فإذا كثُر إنشاده ضعف، ولم يكن له حسن...»[4]. إن سماع القصيدة ساعة الإنشاد وانجذاب النفس إليها يجعل الحكم يتغير إذا ردد الناقد النظر في الأبيات وأعاد تقليب معانيها.

(1) ابن المعتز، عبد الله: البديع، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1364هـ/ 1945م، ص55. ذكر ابن النديم كتاب الأجناس للأصمعي، ص61. وبروكلمان، ج2، ص151. ولم يذكره الشلفاني في كتب الأصمعي الموجودة.
(2) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص43.
(3) العسكري: الصناعتين، ص321.
(4) المرزباني: الموشح، ص171.

ولعل إدراك الأصمعي لهذه الجوانب في شعر ذي الرمة جعله يقول: «لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيراً من شعره؛ فكان ذلك خيراً له»[1].

وليس لدينا من كلام الأصمعي ما يوضح مراده الحقيقي من هذا اللفظ (الحلاوة) إلاّ ما ذكره عن شعر ذي الرمة، قال: «إن أبعار الظباء أول ما تشم يوجد لها رائحة ما أكلت من الشيح، والقيصوم، والجثجاث والنبت الطيب الريح فإذا أدمت شمّه ذهبت تلك الرائحة، ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت»[2]. ويظهر أنه قصد بالشم، والغسل، تحليل المعاني في شعر ذي الرمة. فأكثر ديوانه يتحدث فيه عن الراحلة، والصحراء التي أوشكت أن تستنفد أغراض شعره.

قال الناقوري: «وربما كان الأصمعي أول من ذكرها – بعد الوليد بن المغيرة – بمدلولها الاصطلاحي في أثناء حديثه عن شعر ذي الرمة»[3].

وهذه الإشارة وسابقتها تكشف عن تذوق الأصمعي للشعر، وأنه من أوائل الذين أطلقوا لفظ الحلاوة على الشعر.

الزحاف:

من المصطلحات المتعلقة بالشعر الزحاف. وليس غريباً أن يتنبّه له علماء اللغة منذ أمد قديم. يقول الأصمعي «الزحاف في الشعر كالرخصة في الفقه لا يقدم عليها إلاّ فقيه»[4]. فقد تنبّه للزحاف في الأوزان الشعرية، ولكنه جعل الأمر مقصوراً على الشعر ولا يجوز في غيره، كما اقتصرت أمور الفقه والشرع على الفقهاء دون غيرهم. فالزحاف حكر على الشعراء وليس من حق غيرهم، ولا يمكن لشاعر أن يقدم عليه إلا ضرورة.

وفي الطبقات قال يونس: «عيوب الشعر أربعة: الزحاف، والسناد، والإيطاء، والإكفاء هو الإقواء، والزحاف أهونها وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فينكره السمع، ويثقل

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص46. المرزباني: الموشح، ص185.
(2) المرزباني: الموشح، ص171.
(3) الناقوري: المصطلح النقدي، ص153.
(4) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص140.

على اللسان، وهو في ذلك جائز»[1]. فابن سلام جعل الزحاف من عيوب النقص في حين جاء في العمدة: «هو ما يلحق أي جزء كان من الأجزاء السبعة التي جعلت موازين الشعر من نقص، أو زيادة، أو تقديم حرف، أو تأخيره، أو تسكينه، ولا يكاد يسلم منه شعر»[2]. فابن رشيق يبيّن المراد بالزحاف وكل ما يتعلق به في حين أننا لم نعثر على تفصيل لكلام الأصمعي السابق عن الزحاف، ولكن يبقى له فضل التنويه بذكره ومعرفته واقتصار الرخصة فيه على الشعراء دون غيرهم.

السبق:

لعل مصطلح السبق من الألفاظ الكثيرة التردد في بيئة الرواة ومن اهتموا في علوم اللغة من بعدهم. وليس لدينا ما نجزم به على أسبقية الأصمعي في ذلك. وإن كان ذكره مفاضلاً بين الشعراء قال: «بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذهبه»[3]. وقد حوّلوا المعنى من القدمة في الجري[4]، إلى القدمة في الشعر. ومعروف أن امرأ القيس هو أول شعراء العربية، وتعد معلقته أول معلقات العرب، وإن كان الأصمعي ذكر السبق فلا نستطيع القول: إنه أول من أتى أو تفرد به. على الرغم مما يشجع على مثل ذلك الظن.

ونجد ذكر السبق في حديث لابن سلام عن امرئ القيس قال: «سبق العرب إلى أشياء ابتدعها»[5]. وهو من الطبقة المتأخرة قليلاً عن الأصمعي، فإن صح ظننا السابق يكون الأصمعي صاحب ذلك.

السرقة:

قال الأصمعي: «النابغة الجعدي أفحم ثلاثين سنة بعدما قال الشعر ثم نبغ... قال:

---

(1) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص56.
(2) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص138.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص13.
(4) اللسان، ج12، ص16.
(5) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص46.

والشعر الأول كله جيد بالغ، والآخر كله مسروق، وليس بجيد»(1). فهو يرى شعر الجعدي قسمين أولهما: جيد، أما الثاني: فهو مسروق، وغير جيد. وجعل صفة الجودة مقصورة على القسم الأول.

وقال الجمحي: «وكان الجعدي مختلف الشعر مغلباً»(2). ولعل اختلاف شعر النابغة هو ما كان وراء حكم الأصمعي عليه.

وقال ابن سلام: أنشد النابغة الجعدي الحسين بن علي:

«الحَمْدُ للهِ لا شَريكَ له مَن لَمْ يَقُلْها فنَفْسَهُ ظَلَما

فقال: يا أبا ليلى ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت قال: يابن رسول الله؛ والله إني لأول الناس قالها، وإن السَروقَ من سرق أميةُ شعره»(3).

وهذا القول يظهر أن شعراء أخذوا بعض شعر أمية، ونسبوه إليهم، واختلط في أشعارهم حتى لم يعد يميز، وربما اختلط الأمر أيضاً على رواة الشعر أنفسهم.

وقال ابن سلام: «وكان النابغة علوي الرأي»(4). فابن سلام يقصد بالرأي الاتجاه الديني، ولعل الأصمعي كان مدفوعاً بدافع ديني من حيث حكمه على بعض شعر النابغة. وفي الفحولة قال أبو حاتم: «قلت للأصمعي: كيف شعر الفرزدق؟ قال تسعة أعشار شعره سرقه»(5). وقد يكون الأصمعي في بعض قوله هذا مصيباً، ولا يمكن لشاعر مثل الفرزدق أو للفرزدق نفسه أن يكون هذا المقدار من شعره سرقة. وصرح الفرزدق ببعض ذلك. روى المرزباني قول أبي عمرو بن العلاء: «لقيت الفرزدق في المربد، فقلت: يا أبا فراس أحدثت شيئاً؟ قلت شيئاً، قال: فقال: خذ، ثم أنشدني:

كم دُونَ مَيّةَ مِنْ مُستعمَلٍ قَذَفٍ ومن فَلاةٍ بها تُستودَعُ العيسُ

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص38. المرزباني: الموشح، ص65.
(2) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص105.
(3) المصدر نفسه، ص107. الجعدي: شعر النابغة، ص132.
(4) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص108.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص38. المرزباني: الموشح، ص105، نقلاً عن ابن دريد عن أبي حاتم.

قال: فقلت: سبحان الله، هذا للمتلمّس، قال: اكتمها فلضوال الشعر أحب إليّ من ضوال الإبل»[1]. فإن كان الفرزدق يصرح بحبه ضوال القوافي، فهذا لا يعني أن أكثر شعره مسروق. ولعل الفرزدق كان مدفوعاً إلى ذلك بعض دوافع النقائض التي ظهرت واشتدت بين الشعراء في تلك المدة.

على أن السرقة عند الأصمعي قد تعني سرقة المعاني أيضاً، وورد في الفحولة شواهد على ذلك. فعندما انتدب للحكم في المفاضلة في مجلس الرشيد قال: بعد اختيار جعفر: «وإنما يجب أن يقع التعيين على ما اخترعه قائله، ولم يتعرض له أحد، أو تعرض له فوقع دونه؛ فأما قول امرئ القيس:

على ظهرِ بازٍ في السماءِ مُحلِّقُ

فمن قول أبي دواد:

إذا شاءَ راكبُهُ ضَمَّهُ ... كما ضَمَّ بازي السماءِ الجَناحا

وأما قول عدي: «يتعاوران من الغبار ملاءة» فمن قول الخنساء:

جارى أباهُ فأقْبَلا وهما ... يَتعاورانِ مُلاءَةَ الحَضْرِ

وأول من نطق به جاهلي من بني عقيل، قال:

يُثيرانِ من نَسجِ الغُبارِ عليهما ... قميصينِ: أسْمالاً ويرتديانِ»[2]

فهو يريد من الشاعر أن يكون هو المبدع للبيت وما فيه من معنى، ونلاحظ كيف وقف من هذه الأبيات؛ لأن شعراءها لم يكونوا أول من أدرك معانيها. ومثل هذا نجده في قوله عن بيت النابغة الذبياني: «بأنك شمس والملوك كواكب» فقد تقدّمه فيه شاعر قديم من شعراء كندة يمدح عمرو بن هند، وهو أحق به من النابغة، إذا كان أبا عذرته، فقال:

---

(1) المرزباني: الموشح، ص111. الضبعي: ديوان المتلمس، ص100.
(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص62. انظر: الحاتمي: حيلة المحاضرة، ص73. امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص173. الخنساء: ديوانها، دار صادر، بيروت، د.ت، ص76. الملاءة: الريطة.

«هو الشمسُ وافَتْ يومَ سَعدٍ فأفضَلَتْ   على كُلِّ ضوءٍ والملوكُ كوكبُ»[1]

فالسرقة عنده كانت أخذ الأبيات، أو المعاني التي أخذها الشعراء من أشعار غيرهم، ولكنهم لم يقدروا على مجاراتها. وما يعنينا هو تنبّه الأصمعي إلى السرقات في حقبة متقدمة.

ولم يتوقف أمر السرقات عند هذا الحد؛ بل كانت منبعاً لدراسات تعرض لها أئمة اللغة، وقد أجمل هدارة الدراسات التي تعرضت للسرقات، وشغلت القسم الثاني من كتابه مشكلة السرقات في النقد العربي[2].

الطباق:

ورد في كتاب البديع «قال الخليل رحمه الله: يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد. وكذلك قال أبو سعيد»[3].

وإن كُنا نجد موافقة القولين أو الرأيين في المطابقة، إلا أن صاحب الحلية يقول: «أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن دريد عن أبي حاتم قال: سألت الأصمعي عن صنعة الشعر فذكر في بعض قوله (المطابقة) وقال أصلها وضع الرجل موضع اليد وأنشد[4]:

وخَيلٍ يُطابِقْنَ بالدّارِعيـ   ـن طِباقَ الكلابِ يطأنَ الهِراسا

قال: فقلت: أنشدني أحسن بيت قالته العرب في الطابق فقال: قول زهير بن أبي سلمى[5]:

ليثٌ بِعَثَّرَ يصطادُ الرجالَ إذا   ما كذَّبَ الليثُ عن أقرانه صدَقا

وقول الفرزدق[6]:

---

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص63.
(2) انظر: هدارة، محمد مصطفى: مشكلة السرقات في النقد العربي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م، ص79.
(3) ابن المعتز: البديع، ص74.
(4) الجعدي: شعر النابغة، ص79. الرواية فيه: وشعث يطابقن...
(5) ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1363هـ/ 1944م، ص54. كذب: لم يصدق الحملة. عثر: بلد قبل تبالة، وتبالة بلد باليمن.
(6) الصاوي، عبد الله إسماعيل: شرح ديوان الفرزدق، مطبعة الصاوي، مصر، 1354هـ/ 1936م، ص450.

يستيقظونَ إلى نُهاقِ حَميرِهم وتَنامُ أعينُهم عن الأوتارِ

لعنَ الإلهُ بني كُلَيبٍ إنّهم لا يَغدِرونَ ولا يَفونَ لجارِ»[1]

ويظهر أن الأصمعي قد عبر عن فن الطباق تعبيراً تاماً، ثم نقله من الصورة الحسية في المشي إلى ما يتعلق بصنعة الشعر. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أشار إلى ما يراه أحسن أبيات العرب في ذلك؛ حيث طابق زهير بين (كذب وصدق)، وطابق الفرزدق بين (يستيقظون وتنام).

ومن الواضح أن المتأخرين لم يضيفوا شيئاً على ما ذكره الأصمعي في هذا الفن.

عبيد الشعر:

روى الجاحظ قول الأصمعي: «زهير بن أبي سلمى، والحطيئة، وأشباههما عبيد الشعر»[2]. ويضيف ابن قتيبة على الجملة السابقة «لأنهم نقّحوه، ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين»[3]. أطلق الأصمعي هذه العبارة على من لمس التنقيح في شعرهم، ومعروف أن زهيراً صاحب قصائد الحوليات، كان يطيل ترديد القصائد قبل أن يخرجها للناس.

قال الجاحظ: «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله»[4]. أليس هذا القول منطبقاً على حوليات زهير؟ في حين إن الأصمعي يظهر سبب حكمه هذا على شعر الحطيئة «حين وجده كله متخيراً منتخباً مستوياً، لمكان الصنعة والتكلف، والقيام عليه»[5].

وترديد الشاعر لأبيات قصيدته، التي تبقى مدة قبل أن يخرجها للناس، جعله يبدل لفظاً بآخر، ومعنى بمعنى، حتى تكاد تستوي أبيات القصيدة، وتصبح كلها في مستوى رفيع نتيجة للتبديل الذي أظهر الصنعة.

ورد البيت الثاني قبل الأول، وورد، قبح...

(1) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص42.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص13.

(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص144.

(4) الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص9.

(5) المصدر السابق، ج2، ص209.

وعن شعر الحطيئة قال: «وجدت شعره كله جيداً فدلّني على أنه كان يصنعه، وليس هكذا الشاعر المطبوع. إنما الشاعر المطبوع الذي يرمي بالكلام على عواهنه: جيده على رديئه»[1].

إذن، لم يأت قول الأصمعي من فراغ، فشعر زهير جيد، وكذلك شعر الحطيئة، ولكنهم ابتعدوا فيه عن طبعهم وسليقتهم ونقّحوه.

في حين إننا نجده يقول: «وقد ذكر بعضهم شعر النابغة الجعدي، فقال له مطرف بألف وخمار بواف»[2]. ويظهر أن الأصمعي من أجل هذا يفضل شعره. ولعل الأصمعي لم يقصد من قوله عبيد الشعر غير الشعراء المنقِّحين له، وظهر أثر التنقيح في دواوينهم.

المغلب:

قال أبو حاتم: «حدثني الأصمعي قال: كان يقال: أشعر الناس مغلبو مضر، حميد، والراعي، وابن مقبل، فأما الراعي فغلبه جرير، وغلبه خنزر رجل من بني بكر. والجعدي غلبته ليلى الأخيلية[3] وسوار بن الحيا. وابن مقبل غلبه النجاشي[4] من بني الحارث بن كعب. وحميد بن ثور كلٌّ من هاجاه غلبه»[5]. فهذا الخبر عن أبي سعيد يقطع فيه الاجتهاد بحثاً عمن أسماهم المغلّبين، وقد ذكر من غلبهم وكأنه ينظر إلى الشعر في القبائل.

قال ابن سلام: «وإذا قالت العرب: شاعر مُغلَّبٌ، فهو مغلوب وإذا قالوا: غُلِّب فهو غالبٌ»[6]. ومواقف الغلبة بينهم موجودة في كتب الأدب والتراجم. وأشد هؤلاء ذكراً وهجاء هو جرير الذي كان له دور أساسي في النقائض والمهاجاة أيام بني أمية حين ازدهرت

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1376هـ/ 1957م، ج3، ص282.
(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص271.
(3) ليلى الأخيلية، هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد، من بني عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكية جميلة. انظر: المرزباني: الموشح، ص343. البكري: سمط اللآلئ، ج1، ص119.
(4) النجاشي شاعر هجاء، خبيث اللسان، من بني الحارث بن كعب، شاعر مخضرم. انظر: البكري: سمط اللآلئ، ج2، ص890.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص34.
(6) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج1، ص125، واللسان، ج1، ص125.

ووصلت إلى قمتها.

المقابلة والتقسيم:

نقل الحاتمي بسند يصل إلى الأصمعي في الحلية خبر المفاضلة بين الرشيد وكل من يحيى، وجعفر، والفضل، قال: «اختار يحيى من الأبيات قول النابغة:

مِنْ وَحْشِ وَجرَةَ مَوشِيٍّ أكارِعُهُ   طاوِي المَصيرِ كسيفِ الصيقلِ الفَرِدِ

فقال الأصمعي: وأما قوله طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد، فالطرماح أحق بهذا المعنى؛ لأنه أخذه فجوّده، وزاد عليه، وإن كان النابغة اخترعه، وقول الطرماح هو:

يَبدو، وتُضمِرُهُ البلادُ، كأنه   سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

فقد جمع في هذا البيت استعارة لطيفة وتشبيهه اثنين بقوله «يبدو وتضمره، ويسل ويغمد» وجمع حسن التقسيم وصحة المقابلة»(1).

ونلاحظ أن الأصمعي تنبّه لضروب بلاغية في البيت السابق، منها: صحة المقابلة حيث قابل بين الأضداد متوالية (يبدو وتضمره، ويسل ويغمد) وهذا التفصيل في القول يدل على تفهّم الأصمعي للمقابلة في الشعر.

ويبدو أن المقابلة لم تتعدَّ فهم الأصمعي لها. قال قدامة: ومن أنواع المعاني صحة المقابلة: «وهو أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة... كما قال بعضهم:

تَقاصَرْنَ واحلَوْلَينَ لي ثمّ إنه   أتَتْ بعدُ أيّام طِوال أَمَرَّتِ

فقابل القصر والحلاوة بالطول والمرارة»(2).

ونلحظ التوافق التام بين قول قدامة وقول سابقيه، وجميع هذه الآراء لا تتجاوز ما انتهى

---

(1) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص69. الأصمعي: فحولة الشعراء، ص58. الذبياني: ديوان النابغة، ص17. الطرماح: ديوان الطرماح، تحقيق: د. عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1388هـ/ 1968م، ص146. يبدو: يعني الثور الوحشي. تضمره: تغيبه. الشرف: المكان العالي.

(2) قدامة: نقد الشعر، ص133.

إليه الأصمعي في تحديد مصطلح المقابلة.

وقد ارتبط بصحة المقابلة حسن التقسيم، عندما قسم الشاعر الحالات بين «البداية والضمور» فالشيء لا يكون إلا ظاهراً أو مستوراً، كما أن السيف لا يرى إلا مجرداً أو في غمده، وجعله قدامة من نعوت المعاني الشعرية؛ قال: «وهو أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها، ولا يغادر قسماً منها، مثال ذلك قول نصيب...

فـقـالَ فَـريـقُ الـقـومِ لا وفـريـقُـهـمْ نَـعَـمْ وفـريـقٌ قـالَ ويـحَـكَ لا أدري»[1]

فهل في الجواب غير هذه الحالات. وإذا قارنّا بين تفصيل القول عند قدامة، وقول الأصمعي السابق، فلا نجد فارقاً إلا في التوسع وإفراد فقرة في كتاب قدامة، في حين إن ما لدينا عن ذلك عند الأصمعي هو ما دار في المفاضلة بين تلك الأبيات.

وهذا القول يدل على فهم الأصمعي لصنعة الشعر، ومحتواه، وإن كانت بعض هذه الإشارات لمصطلحات شعرية لم يفرد لها جوانب خاصة، ولكنه أشار إليها في معرض حديثه عن الشعر.

النحل:

قال الأصمعي في الفحولة: «ويقال: إن كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه»[2]. وهذا يدل على أن شيئاً من الشعر نُسب إليه ولم يقله، وربما رأى بعض الشعراء شهرة امرئ القيس ومكانته بين الشعراء فنسبوا إليه ما لم يكن له.

وعندما سأل أبو حاتم الأصمعي عن الأغلب العجلي: «قال: ما أروي له إلا اثنتين ونصفاً، قلت: كيف قلت ونصفاً؟ قال: أعرف له اثنتين، وكنت أروي نصفاً من التي على القاف فطولوها، ثم قال: كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه»[3].

وفيما سبق دلالتان على نحل هذا الشاعر قصائد ليست له؛ أولاهما: ما ذكره الأصمعي

(1) قدامة: نقد الشعر، ص131.
(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص16.
(3) المصدر السابق، ص25. المرزباني: الموشح، ص213.

عن قافية له، وذكره كلمة ونصفاً تدل على أنه كان يعلم ما ورد زيادة في هذه القصيدة. وثانيتهما: إنه أدرك زيادة أبناء الأغلب في شعره.

وإن كنا لا نجد في قول الأصمعي ما يدل على أنه أول من تحدث عن النحل، فإننا نجده أشار إليه إشارة صريحة، وجاء ابن سلام ليعلل أسباب النحل، قال: «وقد اختلف الناس والرواة فيهم. فنظر قوم من أهل العلم بالشعر، والنفاذ في كلام العرب، والعلم بالعربية إذا اختلف الرواة، وقالوا بآرائهم، وقالت العشائر بأهوائها، ولا يقنع الناس مع ذلك إلا بالرواية عمّن تقدم»(1).

فقد اختلطت بعض الأشعار، ولعبت العصبية القبلية دوراً فيها، فوقعت مسؤولية تمييز الأشعار على عاتق الرواة الثقات الذين يخشون على العربية والعرب، الذين يدركون حياة الشعراء وطبقاتهم الاجتماعية.

يظهر من عرض المصطلحات أن للأصمعي دوراً فيها. وأن بعض هذه المصطلحات لم يزل يعرف بالتسمية التي أطلقها عليه الأصمعي كالالتفات، وكان له السبق في التأليف في بعضها الآخر كالجناس الذي اتخذه المؤلفون سنداً لهم من بعده. وأشار إلى بعض المصطلحات إشارات واضحة كالطباق والنحل وغيرها. وساعد الأصمعي على ذلك علمه بالشعر والشعراء واتجاهاتهم، وكان لمصطلحاته تلك أثرها على من تناول المصطلحات لأقدميته من حيث الزمن.

(1) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص21.

الباب الرابع

نقد الشعر في تراث الأصمعي

الفصل الأول

نقد الشعر في كتب الأصمعي اللغوية(1)

استطعت الحصول على عشرة كتب من مؤلفات الأصمعي في مجال اللغة، بعضها قديم التحقيق والآخر حديثه. وهذه الكتب تظهر من خلالها طريقة الأصمعي في التأليف، وكيف تعامل مع الشعر لبيان معنى كلمة أو لغرض لغوي يثبت رأيه فيما قالته العرب، حيث تتجلى الطريقة في هذه المؤلفات وهي:

1 ـ كتاب الإبل عن الأصمعي
2 ـ كتاب خلق الإنسان

والكتابان ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي، نشره: أوغست هفنر سنة 1903م.

3 ـ كتاب الدارات
4 ـ كتاب النبات الشجر
5 ـ كتاب النخل
6 ـ كتاب الكرم

وهذه في كتاب البلغة في شذور اللغة، نشرها: أوغست هفنر سنة 1914م.

7 ـ كتاب الاشتقاق، تحقيق وشرح: سليم النعيمي، 1968م، وقد سبق هذا التحقيق أن شرح سليمان ظاهر الكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد 28، الأجزاء 3–4، عام 1953، والمجلد 29، الأجزاء 1–2، عام 1954م.
8 ـ كتاب ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق وشرح وتعليق: ماجد حسن الذهبي، 1986م.
9 ـ كتاب الشاء، حققه وقدم له: صبيح التميمي، 1987م.
10 ـ كتاب الفرق، تحقيق: صبيح التميمي، 1987م.

طريقة الأصمعي في تأليف كتبه:

لم يكن أبو سعيد صاحب السبق المطلق في التأليف تحت هذه العناوين، غير أن العوامل الزمانية ساعدت على أن تكون بعض هذه الكتب أول ما يصلنا من نوعها، بالإضافة لمكانة

(1) أعني بها الكتب التي لم تسبق دراستها في هذا البحث.

كتب الأصمعي بين تلك المؤلفات، التي يشكل بعضها معجماً في موضوعه.

والكتب التي تناولت خلق الإنسان كثيرة قبل الأصمعي، يقول أحد الباحثين: «وأول كتاب عثرنا على اسمه في خلق الإنسان، هو كتاب أبي مالك عمرو بن كركرة، ثم تناوله النضر بن شميل (204هـ) في الجزء الأول من كتاب الصفات، ثم تعرّض له قطرب، (206هـ)، وأبو عمرو الشيباني (206هـ)، والمفضل بن سلمة (208هـ)، وأبو عبيدة (210هـ)، والأصمعي (213هـ)»(1). والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا تبقى من هذه الكتاب؟ وما مكانة كتاب الأصمعي بينها؟

إن الظروف فعلت في هذه الكتب فعلها في الكثير من كتب التراث العربي التي لم يصل إلينا إلا أخبارها، ومنها كتب خلق الإنسان التي لم يبق منها «إلا قليل والموسوعات وأولها كتاب الأصمعي»(2). ولعل طريقة الأصمعي في تأليف هذا الكتاب أفضل طريقة اتُبعت. وقد احتذى المؤلفون حذوه من بعده «وصفوة القول في هذا النوع من التصنيف: إنه بدأ قبل عصر الخليل، وسرعان ما وصل إلى نظامه الأمثل عند الأصمعي. فلم يستطع مَن أتى بعده أن يتحرروا منه وإنما اقتصروا على تكميله»(3).

وفيه يقول الشلقاني: «وكتاب الأصمعي أمثل ما كُتب في هذا الموضوع تنظيماً إذا قارنّاه بكتب معاصريه»(4). ومن الكتب التي ذكرها حسين نصار في المعجم العربي كتاب الخيل لأبي سعيد، وتطرق للحديث عن الكتب التي ذكرت في هذا المجال، وعدد مجموعة منها، مع اتجاهاتها في التأليف.

وقال في نهاية عرضه: «إن كتب الخيل سارت في وجهات متعددة منها التاريخي، والعملي، والأدبي، واللغوي، وكان أسبقها في الظهور التأليف التاريخي عند ابن الكلبي، فاللغوي والأدبي عند أبي عبيدة، والنضر بن شميل، والأصمعي...»(5)، وليس الاتجاه

(1) نصار، د. حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ط2، دار مصر للطباعة، مصر، 1968م، ص130.
(2) المرجع السابق، ص131.
(3) المرجع السابق، ص134.
(4) الشلقاني، د. عبد الحميد: الأصمعي الراوية، ص107.
(5) نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ص130.

اللغوي الأدبي بعيداً عن أبي سعيد، وأبي عبيدة وهما من أئمة اللغة، وهي موضع اهتمامهم.

ومن كتب الأصمعي التي تعدّ رائدة في موضوعها كتاب الدارات.

ففي البلدان والمواضع «يعدّ كتاب الدارات للأصمعي أقدم كتاب وصل إلينا من هذه المجموعة»[1]، رغم أن الدارات التي ذكرها الأصمعي فيه تبلغ ست عشرة دارة فقط. وفي عموم القول: لقد تطرق الأصمعي في هذا الكتاب إلى جوانب كثيرة مما يحيط بالإنسان آنذاك، وكانت اللغة محوراً أساسياً في بعض هذه الكتب.

أما شعراء هذه المؤلفات فهم كثر، منهم العالم المشهور، ومنهم المغمور. وقد استشهد بأبيات كثيرة لبعضهم، في حين إنه ذكر في موضع أو موضعين أبياتاً للبعض الآخر.

وكان الأصمعي عندما يتناول فقرة ما في كتبه يستشهد بعد ذلك ببيت شعر. قال في كتاب الإبل: «يقال ناقة كَشُوف، وقد أكشَفَ بنو فلان العام فهم مُكشِفُون إذا لقِحت إبلهم وعلى ذلك الوجه قال رؤبة:

حَـــربٌ كِـشــافٌ لَـقِـحَـت إعْــشَــارا

قال: والإعثار كأنه يعثر عليها، وأنشد لزهير:

فـتَـعـرُكُـكُـم عَـــرْكَ الـرَّحـى بثِـقـالِـهـا وتَـلـقَـحْ كِـشـافاً، ثـم تَـحْـمِـلْ، فتُتْئِم»[2]

فهو يتكلم عن الإبل في حالة من حالاتها، ويستشهد على معنى أكشفَ بالبيتين السابقين.

وفي موضع آخر من الكتاب في ذكر ظماء الإبل يقول: «فإذا شربت يوماً وغبت يومين فذلك الرِّبْعُ، يقال جاءت إبل بني فلان رابعة، والقوم مربِعون، قال العجاج:

وبَــلْــدَةٍ يُـمْـسـي قَـطـاهـا نُـسَّـسَـا رَوابِـــعـــاً وبَـــعْـــدَ رِبْـــعٍ خُـمَّـسّـا

وقال أُسامة بن حبيب الهذلي[3]:

---

(1) المرجع السابق، ص150.

(2) الأصمعي: كتاب الإبل، نشر: د. أوغست هفنر، طبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1903م، ص66. ابن أبي سلمى: شعر زهير، تحقيق: د. قباوة، ص19.

(3) أسامة بن حبيب بن الحارث الهذلي، جاهلي إسلامي، تناول في شعره الارتجال وشيئاً من الغزل. شرح

مــن الــمُــرْبَــعِــيــنَ ومِــــنْ آزِلٍ إذا جَــنَّــهُ الــلــيــلُ كالنّاحِطِ»[1]

فهو يستشهد ببيتي العجاج وأسامة على استعمال العرب لهذا اللفظ في فصيح كلامهم.

وإذا نظرنا في كتاب الاشتقاق لأبي سعيد نلمس من تقديم المحقق حظ الكتاب في الفرار من عالم الضياع، كما حصل لجزء ضخم من تراث هذه الأمة.

قال: «وكتاب الأصمعي هذا هو أقدم كتاب أُلِّفَ في هذا الموضوع، على الرغم من أن اثنين من معاصري الأصمعي قد ألّف كل منهما كتاباً في الاشتقاق»[2]. وذكر محقق كتاب الأصمعي كتابين: أحدهما لقطرب – محمد بن المستنير – وثانيهما: لأبي الحسن الأخفش الأوسط، ثم قال النعيمي أيضاً: «ومهما يكن من أمر فإنّ كتاب الأصمعي وصلنا، ولم يصلنا الكتابان الآخران»[3]. وهذا يدل على أهمية الكتاب، وأقدميته في التأليف. وينبّه المحقق لمحتوى الكتاب وطريقة المؤلف في تناوله لهذه المادة، وندرج أمثلة للدلالة على ذلك من داخل الكتاب.

قال: «وقد ذكر الأصمعي في كتابه هذا ثلاثة وثلاثين ومئة من أسماء الأعلام التي كان يتسمى بها العرب، وحاول أن يرجعها إلى أصولها اللغوية[4]. وهذه إشارة للاتجاه اللغوي في الكتاب. ومن الأسماء الواردة فيه «الهيصم – الغليظ الشديد، وأنشد بعض الرجاز:

أهــــوَن عــيــبِ الــمــرءِ أن تثلما ثــنــيــة تــتــركُ نــابــاً هَــيْــصــمــا

يريد غليظاً شديداً»[5]. فقد أورد الاسم ومعناه ثم استشهد ببيت الرجز توكيداً لقوله.

وقال: «السائب: يقال للماء ساب يسيب سيباً؛ إذا جرى على وجه الأرض. ويقال للحية انسابت؛ إذا كثرت على وجه الأرض، قال أبو النجم:

أشعار الهذليين، ج3، ص1290. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص666.

(1) الأصمعي: كتاب الإبل، ص129. العجاج: ديوانه، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلي، ج1، ص192.

(2) الأصمعي، الاشتقاق، تحقيق وشرح: د. سليم النعيمي، مطبعة أسعد، بغداد، 1968م، ص29.

(3) المرجع السابق، ص30.

(4) المرجع السابق، ص30.

(5) المصدر السابق، ص44. الثنية هنا، إحدى الأسنان الأربع التي تكون في مقدم الفم. هيصم: ضرب من الحجارة أملس يُتخذ منه الحقاق.

وانـســـابَ حـيــةُ الـكـثـيـبِ الأهــيــلِ   وانــعــدلَ الـحـمـلُ ولــمّــا يعدلِ»[1]

ونورد مثالاً آخر للدلالة على الاتجاه اللغوي في الكتاب.

قال: «باسل – اشتق من بسالة الشدة وبسالة الكراهية. يقال للشجاع: هو باسل بيّن البسالة، ويقال أيضاً للكريه المنظر: إنه لباسل المنظرة. وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فكُنتُ ذَنُوبَ البِئرِ لمّا تبَسّلَتْ   وسُرْبِلْتُ أكفَاني ووُسِّدتُ سَاعِدي

تقول لما كرهت منظرته: إنه لباسل. وإنما أراد القبر فلم يستطع فقال: البئر، ويصلح أن يكون باسل من الحرام: يقال ذاك أمر بسل؛ إذا كان حراماً. وقال الأعشى:

فجارَتُكُمُ بَسْلٌ عَلينا مُحرَّمٌ   وجارَتُنا حِلٌّ لكُم وحَليلُها

وقال المتلمس:

حنَّتْ إلى النخلةِ القُصوى فقلتُ لها   بَسْلٌ عليكِ ألا تلكَ الدهاريسُ»[2]

فقد أورد معاني اللفظ والوجوه التي يمكن أن يقع فيها معززاً ذلك بأبيات الشعراء.

وفي كتاب خلق الإنسان، قال أبو سعيد: «يقال لشخص الإنسان طلله، وشخص كل شيء طلله، يقول العرب: حيّ الله طللك، وحيّ الله آلك، وأطلال الدار من ذلك، فإذا كان أثر ليس له شخص مرتفع فهو رسم، قال ذو الرمة:

أأَنْ ترَسَّمْتَ من خَرقاءَ منزِلةً   ماءُ الصّبابةِ من عَينَيكَ مَسجُومُ

... قال ويقال للشخص الشَّبْحُ والشبَحُ مخفف ومحرك، قال ذو الرمة:

تُجلّي فلا تَنْبو إذا ما تَبَيَّنَتْ   بها الشَّبْحُ أعْناقٌ لها كالسَّبائِكِ

وقال رجل من بني ضبة في الشَّبَح:

(1) المصدر نفسه، ص99.
(2) الأصمعي: الاشتقاق، ص142. الدهاريس: الدواهي واحدها دهرس، اللسان ج7، ص392. بيت أبو ذؤيب في شرح أشعار الهذليين، ج1، ص194. الأعشى: ديوانه، ص175. الضبعي: ديوان المتلمس، ص85.

تَــرَى شَــبَـحَ الأعْــــلامِ فيـها كـأنَّـها مُــغَــرَّقَــةٌ فــي ذي غَـــــوارِبَ مُــزبِـدِ

ويقال لشخص الرجل سماته. قال أبو ذؤيب:

وعــــادِيَـــةٍ تُـلْـقـي الـثِّـيـابَ كـأنّـمـا تُـزَعـزِعُـهـا تـحْـتَ الـسّـمـامَـةِ ريحُ»[1]

ويلاحظ هنا هذه السلسلة من الاستشهاد بأقوال الشعراء قد وصلت إلى أربعة أبيات، يرمي أبو سعيد في كل بيت منها تأكيد كلمة، وهذه طريقته حتى آخر الكتاب.

أما كتاب الدارات فهو رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي، بدأه بذكر عدد الدارات، ثم عرّفها قال: «ودارات العرب المعروفة في بلدانهم وأشعارهم ست عشرة دارة، والدارة ما اتسع من الأرض، وأحاطت به الجبال غلظ أو سهل، يقال دار ودارة وأدوُر ودارات»[2]، ثم عدّد الدارات ست عشرة دارة، واستشهد لكل واحدة ببيت من الشعر أو الرجز.

والشيء الذي يلفت نظر الباحث أن الأبيات التي ذكرت فيها الدارات، لم يذكر في الكتاب أسماء شعرائها إلا في موضعين: أحدهما «دارة جلجل، قال امرؤ القيس (طويل):

ألا رُبَّ يــومٍ لــكَ مـنـهـنّ صـالـحٍ ولاسـيّـمـا يـومٍ بــدارَةِ جُلجُلِ»[3]

ثانيهما: استشهد لها بشعر جرير قال: «ودارة صلصل، قال جرير (وافر):

إذا مـا حَــلَّ أهــلُــكِ يـا سُـلَـيـمـى بــدارَةِ صُـلْـصُـلٍ شَـحَـطُوا مــزارَا»[4]

وقد اكتفى أبو سعيد بتعداد هذه الدارات وذكر بيتاً من الشعر ورد فيه اسم الدارة. وهذا الكتاب يؤكد دراية أبي سعيد بأطراف جزيرة العرب وإلمامه بها إلماماً ملحوظاً. بالإضافة إلى أنه كان يهتم باللغة من وراء ذلك فقط. ولم يتطرق لغير ذكرها في أشعار العرب.

(1) الأصمعي: خلق الإنسان، ص163. أبيات ذي الرمة في ديوانه، ص567 و427. والرواية فيه:

تـجـلـى فـلا تـنـبـو إذا مـا تعينت بـهـا شبحاً أعـنـاقـهـا كالسبائك

بيت أبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين، ج1، ص149. العادية: الخيل التي تعدو.

(2) الأصمعي: كتاب الدارات، في كتاب البلغة في شذور اللغة، ص4.

(3) المصدر السابق، ص5. امرؤ القيس: ديوانه، ص10.

(4) المصدر نفسه، ص8. جرير: ديوانه، ص216. الشطر الثاني: بدارة جلجل شطحوا المزارا.

«ولم يتعرض الأصمعي إلى تحديد الأماكن الجغرافية لهذه الدارات، ولا لميزة تتميز بها الدارة عن تلك، وكان الأصمعي يستهدف إبراز الناحية اللغوية أكثر من عنايته بأية ناحية أخرى»(1). وفي كتاب الفرق سلك أبو سعيد مسلكه في الكتب الأخرى؛ حيث كان يذكر العضو من الإنسان، وما يسمى عند الحيوان، ويستشهد مع ذلك بشعر أو رجز. جاء في فاتحة الكتاب الفم «قال الأصمعي: يقال: فم الإنسان، وفيه ثلاث لغات: فَم، وفُم، وفِم. قال الراجز: يفتح للضّغم فماً لَهِماً أي واسعاً. وقد يجوز الفم في كل شيء. قال حميد بن ثور يصف حمامة:

عَجِبْتُ لها أنّى يكونُ غِناؤُها فَصيحاً ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقها فَما

فجعل للحمامة فَماً. قال رؤبة:

كالحُوتِ لا يَرْوِيهِ شَيءٌ يَلْهَمُهْ يُصبِحُ ظَمْآنَ وفي البَحرِ فَمُهْ»(2)

وبعد أن أورد هذه الأبيات في تأكيد وجوه استعمال العرب لهذه الكلمة، وذكر أنها للإنسان، ثم استعملت مجازاً في كل شيء، نجده يتجه وجهة لغوية.

قال: «هذا فم زيد، وهذا فو زيد، ورأيت فا زيد، ووضعت الشيء في في زيد إذا أضفت لم تبال أيهما جئت به، فإذا لم تضف، وأفردت لم يكن إلا فم نحو قولك: رأيت لك فماً حسناً، ولا تقل فا حسناً»(3). وهذا شاهد من المؤلف على اتجاهه اللغوي. وفي موضع آخر من الكتاب تحت عنوان في الزجر «يقال للإنسان: مَه إذا نهى عن شيء، ومهلاً يا هذا، وهي مه زيدت عليها: لا. ويقال: صه إذا أُمر بالسكوت»(4). ونورد مثالاً آخر يدل على تعرض الأصمعي للغة قال: «يقال: ولدت المرأة، وضعت. ويقال: نفَست المرأة، وهي في نفاسها ما لم تطهر من الولادة. ويقال للصبي: منفوس»(5)، فهو يورد أسماء الحالات والمفردات

(1) الشلقاني: الأصمعي الراوية، ص110.
(2) الأصمعي: الفرق، تحقيق: د. صبيح التميمي، ط1، دار أسامة، بيروت، لبنان، 1987م، ص55. بيت حميد في ديوانه، ص27. رؤبة: ديوانه، ص159.
(3) المصدر السابق، ص56.
(4) المصدر السابق، ص107.
(5) المصدر السابق، ص127.

التي تستعمل فيها بالإضافة إلى أصل الكلمة أحياناً كما رأينا في كلمة مهلاً.

وفي كتاب الشاء يقول في حديثه عن حمل الغنم ونتاجها «يقال أمغل بنو فلان، وهم ممغلون، والشاة ممغل، ويقال أمغلت المرأة فهي ممغل: إذا حملت بعد طهرها من النفاس، قال القطامي:

بيضاءُ مخطوطَةُ المَتنينِ بَهْكنةٌ ريّا الرّوادف لم تُمْغِلْ بأولادِ

أي: لم تتابع بأولاد فتنكسر لذلك»(1). وهذا وجه من التأليف ليس بعيداً عن كتاب الفرق وغيره من كتب الأصمعي.

ونسوق مثالاً آخر من كتاب الشاء قال: «ويقال: لأولاد الشاة كلها: بهم، والواحدة بهمة وجمعها بهام، قال الجعدي:

فضَمَّ ثيابَه من غيرِ بُرْءٍ على شَعْراءَ تُنقِضُ بالبِهامِ

فإذا أكل ولدها من الأرض قيل: قارم، وقد قرم يقرم قرماً؛ أي أكل الحمل من الأرض»(2).

في هذا المثال نجد الأصمعي بدأ بلفظ الجمع (بهم) ثم انتقل إلى المفرد معززاً قوله ببيت الجعدي. ثم انتقل إلى طور آخر من حياة البهم. فأتى باسم الفاعل والماضي والمضارع منه قال: «قيل: قارم، وقد قرم يقرم قرماً» ومثل هذا في قوله «فإذا كان لبن الشاة كثيراً، قيل: قد غزرت تغزر غزراً، ولا يقال غزراً»(3)، فهو يذكر أزمان الفعل وما يجوز فيه من الوجوه.

أما كتاب ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، فقد سار فيه الأصمعي على منهجه الأول قال: «يقال: طمح فلان في السوم، إذا استام أكثر مما يساوي، وتشحى في السّوم، وأبعط، وشحط في السوم، كل ذلك: تباعد»(4)، فهو يذكر المفردات ثم يذكر معناها. ومن ذلك

(1) الأصمعي: كتاب الشاء، تحقيق: د. صبيح التميمي، ط1، دار أسامة، 1987م، بيروت، لبنان، ص47. القطامي: ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي/ أحمد مطلوب، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1960م، ص79.
(2) المصدر السابق، ص57. الجعدي: شعر النابغة، ص202. شعراء: بفتح الشين الخصيصة الكثيرة الشعر. وقوله تنقض بالبهام عنى أدرة فيها إذا فشت خرج لها صوت، اللسان ج6، ص76.
(3) الأصمعي: الشاء، ص63.
(4) الأصمعي: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق وشرح: ماجد حسن الذهبي، ط1، دار الفكر

قوله: «ويقال للسقاء والوطب والزق إذا كان عظيماً: سبحل، وجحل، وسبحلل، وحضجر وأنشد:

إذا شئتُ غَنّاني على رَحْلِ قَيْنَةٍ حِضَجْرٌ، يُداوي بالبَرودِ، كَبيرُ

وقال أبو النجم:

يَتركُ مَسْكَ الأقرانِ السَّبَحْللا يُمَجُّ فوقَ الشّجَرِ المُثَمَّلا»[1]

ويظهر كيف ذكر المفردات، وأتبعها بذكر المعنى، وأكد كلامه باستعمال الشعراء لهذه الألفاظ. والأمر الذي يقال في كتب الأصمعي عدا الأصمعيات: إنها معاجم متخصصة، كل كتاب حسب المادة التي يتضمنها سواء كان ذلك في الفرق أو الاشتقاق أو الإبل. كما ساعد زمن الأصمعي المتقدم وحصيلته العلمية على أن يحتذى في بعض هذه المؤلفات مثل كتاب خلق الإنسان.

الشعراء في كتب الأصمعي:

إن الاتجاه السائد في كتب الأصمعي لغوي واضح، وهي أشبه بمعاجم لغوية كان أبو سعيد قد اتبع فيها مسلكاً معيناً؛ وكلما ذكر فقرة استشهد لها ببيت من الشعر أو الرجز. والسؤال المطروح لأي العصور يعود الشعراء الذين استخدم الأصمعي أقوالهم في مؤلفاته؟ فإذا نظرنا في كتب الأصمعي – المتوفرة لدينا – نجد أن الشعراء ينتمون لعصور مختلفة رغم كثرة أعدادهم، فمنهم الجاهلي، والمخضرم، والإسلامي. وكان الأصمعي يريد من وراء الاستشهاد بشعر هؤلاء الشعراء إثبات أن هذا الأسلوب أو اللفظ – على الأصح – مستعمل لدى فصحاء العرب. ونورد أمثلة لشعراء مختلفين وردت في كتب مختلفة. ونبدؤهم بأصحاب الطبقة الأولى من الجاهليين عند ابن سلام، وهم: «امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والأعشى»[2]. قال: و«ويقال أصابت الناس سنة فقَرْقَمَتِ السِّخَالُ؛ أي ساء

للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1406هـ/ 1986م، ص53.

(1) المصدر السابق، ص48. البرود: كل ما تبردت به شيئاً. المسك: الجلد. الأقران: الكبير القرنين. المثمل: الذي فيه الثمالة.

(2) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص43.

غذاؤها فصَغُرَتْ عليه. قال الشاعر: وهو امرؤ القيس:

تُطْعِمُ فَرْخاً لها صَغيراً قَرْقَمَهُ الجوعُ والإحْشالُ

قُلوبُ خِزّانِ ذي أوْرالٍ قُوتاً كما يُرْزَقُ العِيالُ»[1]

فهو يستشهد بالبيت ليؤكد استعمال الفعل قرقم. وفي خلق الإنسان يقول: «والسالفتان صفحتا مقدم العنق من عن يمين وشمال، قال أوس بن حجر:

ظَعائِنُ ما يَضْحَكْنَ إلاّ تَبَسُّماً وَميضَ غَمامِ الصَّيْفِ غُرُّ السَّوالِفِ

وقال امرؤ القيس:

وسالِفَةٍ كسَحُوقِ اللِّيا نِ أضْرَمَ فيها الغَوِيُّ السُّعُرْ»[2]

وقد ذكرت بيت امرئ القيس الذي أورده الأصمعي شاهداً على استعمال الشاعر لكلمة دارة جلجل في شعره، قال:

«ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهُنَّ صالِحٍ ولاسِيّما يَوْمٍ بِدارَةِ جُلْجُلِ»[3]

ونورد أبياتاً للنابغة الذبياني قدمها الأصمعي شواهد لغوية، قال في كتاب خلق الإنسان في معرض حديثه عن اللسان «وفيه الصردان وهما عرقان يستبطنان اللسان، قال النابغة الذبياني:

وأيُّ الناسِ أعْذَرُ من شَآمٍ لهُ صُرَدَانِ مُنْطَلِقُ اللِّسانِ»[4]

ونجد في البيت لفظ الصردان الذي ذكره الأصمعي في معرض حديثه عن أجزاء اللسان.

(1) الأصمعي: الإبل، ص81. امرؤ القيس: ديوانه، ص192.

(2) الأصمعي: خلق الإنسان، ص200. ابن حجر: ديوان أوس، تحقيق: د. نجم، ص64. البيت:

نواعم ما يضحكن إلا تبسّماً إلى اللهو قد مالت بهن السوالف

بيت امرئ القيس في ديوانه، ص165.

(3) الأصمعي: الدارات، ص6. امرؤ القيس: ديوانه، ص100.

(4) الأصمعي: خلق الإنسان، ص197. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ص113، منسوباً إلى يزيد.

وفي حديثه عن الظفر قدم بعض الشواهد الشعرية التي تدل على استعماله في اللغة قال: «وقال بعضهم: البرثن مثل الإصبع، والمخلب: ظفر البرثن. وقال الذبياني:

وقلتُ: يا قومُ إنَّ الليثَ مُنْقَبِضٌ   على بَراثِنِه، لعدوةِ الضّارِي»[1]

واعتمد على بعض الشواهد الشعرية من شعر الذبياني، قال في كتاب الاشتقاق: «جشيش – يكون من الجش ومن الجش، وهو مكان مرتفع فيه غلظ نحو النجفة، وقال حريم بن سيار للنابغة الذبياني:

اضْطَركَ الحرزُ من ليلى إلى برد   تَخْتارُهُ مَعقِلاً عن جُشِ أعيارِ»[2]

أما زهير بن أبي سلمى فقد ذكر أبياتاً كثيرة له في كتاب الإبل، وخلق الإنسان، والفرق. ومما جاء في كتاب خلق الإنسان قال الأصمعي: «وفي الصدر النحر وهو موضع القلادة وفيه اللَّبَةُ وهو موضع المنحر... وقال زهير:

تَنازَعَها المَها شَبَهاً ودُرَّ النْـ   ـنُحُورِ وشاكَهَتْ فيهِ الظِّباءُ

فأمّا ما فُوَيْقَ العِقْدِ منها   فمن أدْماءَ، مَرتَعُها الخَلاءُ»[3]

فقد ذكر الأصمعي الصدر ثم ذكر أعضاءه، وقدم على ذلك أقوال الشعراء، وذكر أبيات زهير التي وصف فيها العنق والنحر.

وفي كتاب الفرق، قال: «والطلا: الولد من ذوات الظلف ساعة تلقيه أمه، ويثنى طليان، ويجمع: أطلاء. قال زهير:

بها العِينُ والأرآمُ يَمْشينَ خِلفَةً   وأطلاؤُها يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثِمِ»[4]

وقبل أن يورد بيت الشاعر نلاحظ الاتجاه اللغوي الذي سلكه؛ حيث ذكر المفرد والمثنى، والجمع، ثم ذكر بيت زهير الذي حوى الجمع لهذا المفرد.

(1) الأصمعي: الفرق، ص62. الذبياني: ديوان النابغة، ص75. الرواية فيه: ... لوثبة الضاري.
(2) الأصمعي: الاشتقاق، ص121. الجش: الموضع الخشن الحجارة، اللسان ج8، ص161. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ص79. ينسب إلى بدر بن حذار.
(3) الأصمعي: خلق الإنسان، ص215. ابن أبي سلمى: شعر زهير، تحقيق: د. قباوة، ص125.
(4) الأصمعي: الفرق، ص92. ابن أبي سلمى: شعر زهير، تحقيق: د. قباوة، ص10.

أما الشاعر الرابع في الطبقة الأولى عند ابن سلام فهو الأعشى، وذكر أبو سعيد له عدة أبيات في مواضع مختلفة.

قال في كتاب الإبل: «ويقال ناقة رفود، إذا كانت تملأ الرفد، والرفد العس، قال الأعشى:

رُبَّ رِفْدٍ هرَقْتُهُ ذلكَ اليَوْ مَ وأسْرى منْ مَعْشَرٍ أقْتالِ»[1]

ومن كتاب خلق الإنسان، نورد قوله: «ويقالُ أمْقُ العَينِ. وفي المُؤْقِ القَمَعُ وهو كدَرٌ من لون لحم المؤق، وورم فيه يقال قمعت عينه تقمع قمعاً، قال الأعشى:

وقَلَّبَتْ مُقلةً ليسَتْ بمُقْرِفةٍ إنسانَ عَيْنٍ ومُوْقاً لمْ يكنْ قَمِعَا»[2]

وقال أبو سعيد أيضاً في كتاب النبات والشجر: «ويقال للأرض إذا حسن نباتها وامتلأت: قد اعتمت. والنبت وقتئذ مكتهل ومعتم. ويقال: نبت عميم وعمم أيضاً. قال الأعشى:

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بعَميمِ النّبْتِ مُكْتَهِلُ»[3]

وبعد هذه الطبقة، نذكر شعراء الطبقة الأولى عند ابن سلام من الشعراء الإسلاميين وهم: جرير، والفرزدق، والأخطل، وراعي الإبل عبيد بن حصين[4]. أما جرير فقد ورد له بيت في كتاب الإبل ذكره الأصمعي في معرض حديثه عن الحوار.

قال: «فإذا كان من نتاج الربيع فهو رُبَعٌ والأم مُرْبِعٌ. قال جرير:

قد أطْلُبُ الحاجةَ القُصوى فأُدرِكُها ولستُ للجارَةِ الدُنيا بزَوّارِ

إلا بغُرٍ من الشِّيزى مُكَلَّلةٍ يَجري علَيها سَديفُ المُربِعِ الواري»[5]

وفي كتاب الفرق عندما تحدث عن الأصوات وتحت عنوان: ثم أصوات الطير، قال: «ويقال: صرصر البازي، والصقر يصرصر صرصرة، قال جرير:

(1) الأصمعي: الإبل، ص97. الأعشى: ديوان الأعشى الكبير، ص13.
(2) الأصمعي: خلق الإنسان، ص181. الأعشى: ديوانه، ص103. قمعا: فساد في موق العين واحمرار.
(3) الأصمعي: النبات والشجر، ص23. الأعشى: ديوانه، ص57.
(4) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص249، بتصرف.
(5) الأصمعي: الإبل، ص74. جرير: ديوانه، ص240. الشيزي: خشب أسود تصنع منه الجفان. المربع: الناقة التي تلد بالربيع. الواري: ناقة وارية أي سمينة، اللسان ج20، ص265.

ذاكم سَــوادَةُ يَجْلو مُقلَتَي لَحِمٍ   بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْبَأ العالي»(1)

وقال أيضاً في الفقرة ذاتها، في حديثه عن صوت الغراب: «ويقال له إذا أسن وغلظ صوته: قد شحج، قال جرير:

إنّ الغُرابَ بما كرِهْتَ لَمولَعٌ   بِنَوى الأحِبّةِ، دائِمُ التِشْحاجِ»(2)

ومن أبيات الفرزدق التي ساقها شاهداً في حديثه عن الشفة، «قال أبو جعفر: وقد قال الفرزدق:

فَما نَطُفَتْ كَأسٌ ولا طابَ رِيْحُها   ضَرَبْتَ على حَافاتِها بالمَشافِرِ

يريد بالشفتين»(3).

وفي كتاب الإبل ذكره الأصمعي في موضعين؛ قال في الثاني منهما: «فإذا درّت الناقة على الجوع والقرّ فهي مجالح بغير هاء، ويقال قد جالحت الناقة تجالح مجالحة شديدة... وقال الفرزدق:

مَجالِيحُ الشِّتاءِ خُبَعْثِناتٌ   إذا النَّكْباءُ ناوَحَتِ الشَّمَالا»(4)

فهو يستشهد بأبيات الفرزدق على عادته. وكذلك الأخطل، فقد وردت له أبيات منها في كتاب خلق الإنسان، عندما تحدث عن الشعر الطويل قال: «والجثل الكثير الملتف. وكذلك من النبت والشجر يقال جثل بيّن الجثولة، قال الأخطل:

غَداةَ غَدَتْ غَرّاءَ غيرَ قصيرةٍ   تُذَرّي على المَتْنَينِ ذا عُذرٍ جَثْلا»(5)

(1) الأصمعي: الفرق، ص100. جرير: ديوانه، ص345. الرواية فيه: لكن سوادة يجلو...

(2) المرجع السابق، ص101. جرير: ديوانه، ص73. التشحاج: صوت الغراب.

(3) الأصمعي: الفرق، ص59. وفي الهامش أنه جعل للإنسان مشافر وهي للبعير. الفرزدق: شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص381. الرواية فيه:(طعمها ضربت على جمّاتها بالمشافر).

(4) الأصمعي: الإبل، ص89. الفرزدق: شرح ديوان الفرزدق، ج2، ص616. والرواية فيه:

حواسات الشتاء خبعثنات   إذا النكبات راوحت الشمالا

الحواسات: كثيرة الأكل، والحوس: الأكل الشديد، اللسان ج7، ص359.

(5) الأصمعي: خلق الإنسان، ص172. الأخطل: شعر الأخطل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص178. الرواية: غداة بدت...

وفي حديثه عن اللحية وألوان شعرها، قال أبو سعيد: «يقال رجل أصبح اللحية وأملح اللحية؛ إذا كان يعلو لحيته بياض من خلقة ليس من شيب... وقال الأخطل في المُلحَةِ:

مُلْحُ المُتونِ كأنّما ألْبَسْتَها بالماءِ إذ يَبِسَ النَّضيحُ جِلَالا»(1)

أما الراعي فكان أوفر هؤلاء حظاً في كتب الأصمعي التي بين أيدينا؛ حيث ساق له شواهد شعرية في مواضع كثيرة. منها في كتاب الفرق عندما تحدث عن الرِّجل قال «وللنعامة أيضاً خف، قال الراعي:

ورِجْلٌ كرِجْلِ الأخْدَريِّ يَشُلُّها وَظِيفٌ على خُفِّ النَّعامَةِ أرْوَحُ»(2)

وقد روى الأصمعي في كتاب الإبل شعراً للراعي يصف إبلاً عطاشاً، قال أبو سعيد: «ويقال جاءت الإبل تَصِلُ؛ إذا جاءت عِطاشاً، قال الراعي:

فسَقَوْا صَوادِيَ يَسمَعونَ عشيّةً للماءِ في أجْوافِهِنَّ صَليلا»(3)

وتظهر الوجهة اللغوية عند الأصمعي في هذه الأبيات جميعها.

شعراء قلّ استشهاد الأصمعي بشعرهم

نجد بالإضافة للشعراء السابقين شعراء لم ترد أسماؤهم إلا مرات معدودة في كتب الأصمعي، ومن هؤلاء صخر الغي.

قال أبو سعيد في خلق الإنسان: «يقال نقدت أسنان فلان فهي تنقد نقداً، وهو أن يقع فيها القادح، ومثله أكِلَتْ سن فلان تأكل أكلاً. وقال الشاعر، وهو صخر الغي الهذلي:

تَيْسُ تُيُوسٍ إذا يُناطِحُها يَألَمُ قَرْناً أرُومُهُ نَقِدُ

يعني أصله قد نقد أي قد انكسر مما يناطح»(4).

---

(1) الأصمعي: خلق الإنسان، ص176. الأخطل: شعر الأخطل، ص46.
(2) الأصمعي: الفرق، ص64. النميري: ديوان الراعي، ص41.
(3) الأصمعي: الإبل، ص100. النميري: ديوان الراعي، ص223.
(4) الأصمعي: خلق الإنسان، ص192. شرح أشعار الهذليين، ج1، ص260.

ومن هؤلاء الشعراء سلَمة بن الخرشب، وهو من شعراء اللسان، ذكره صاحب المعجم[1]. وقد ذكر أبو سعيد شواهد من شعره في كتاب الإبل قال: «والصّرف صبغ أحمر. قال أنشدنا أبو عمرو بن العلاء لسَلَمَة بن الخُرْشُب الأنماري:

كُـمَـيْـتٌ غـيـرُ مُـحْـلِـفَـةٍ ولـكـن   كَـلـونِ الـصِّـرفِ عُـلَّ بـه الأديـمُ»[2]

ويبدو أن أبا سعيد قدم البيت شاهداً للدلالة على لون من ألوان الإبل. ومنهم السُّلَيكُ بن السُّلَكة، قال الأصمعي في كتاب النبات والشجر: «والعشرق، والشبرق والشري شجر الحنظل وثمره الحاج صغار، فإذا اصفرّ وفيه وخضرة فهو الحظبان فإذا تمت صفرته فالواحدة من ثماره صراية، قال امرؤ القيس:

كـأنَّ على الـمَـتْـنَـيـنِ منه إذا انْـتَحى   مَـداكُ عَـروسٍ أو صَـرايَـةُ حَـنظَـلِ

وقال الآخر: – السليك بن السلكة –

كـأنَّ مَـغـالِـقَ الـهـامـاتِ منـهُـم   صَـرايـاتٌ تَـهـادَتْـهـا جَـواري»[3]

ومن الشعراء الذين روى لهم الأصمعي عنترة بن شداد. ورد في كتاب خلق الإنسان قوله: «ويقال للطائر إذا أنحص ريشه؛ قد حرق ريشه. قال عنترة:

حَـرِقَ الـجَـنـاحِ كـأنَّ لَـحْـيَـيْ رأسِـهِ   جَـلَـمـانِ بـالأخْـبـارِ هَـشٌّ مُـولَـعُ

يصف غراباً ينعق، فشبّه منقاره بالجلمين؛ أي هو يضرب الفرقة»[4].

ونلاحظ قلة الشواهد الشعرية من شعر عنترة إذا قارنّاه مع سابقيه من هؤلاء الشعراء؛ إذ لم يتجاوز أبياتاً معدودة.

(1) الأيوبي، د. ياسين الأيوبي: معجم الشعراء في لسان العرب، ط22، نشر مؤسسة الثقافة، دار العلم للملايين، لبنان، 1982، ص212.
(2) الأصمعي: الإبل، ص88.
(3) الأصمعي: النبات والشجر، ص55. امرؤ القيس: ديوانه، ص21.
(4) الأصمعي: خلق الإنسان، ص174. الشنتمري: أشعار الشعراء الستة، ج2، ص143. ابن شداد: ديوان عنترة، ص103.

شعراء كثر استشهاد الأصمعي بشعرهم

تتمايز معايير الرواية والشواهد الشعرية المنتقاة عند الأصمعي؛ إذ نجده يخصّ بروايته وشواهده شعراء معينين يُكثر من الأخذ عنهم، وانتقاء الشواهد من أشعارهم، في حين إنه لا يذكر لشعراء آخرين إلا أبياتاً قليلة لا تتجاوز البيت أو البيتين، ويأتي في المقدمة أصحاب الرجز ثم يتلوهم أصحاب القصيد.

أ- شعراء الرجز:

أولهم العجاج الذي استشهد له بما يزيد على ثمانين مرة، ورد معظمها في كتابي الإبل، وخلق الإنسان.

ومما ورد له في غيرهما ما جاء في كتاب النخل والكرم: «قال الأصمعي: الخُرطُومُ أوّلُ ما يَخْرُجِ من الدَّنِّ إذا بُزِلَ؛ وأنشد للعجاج:

صَـهْبـاءَ خُـرْطُـومـاً عُـقـاراً فَرْقَفَا»[1]

وفي كتاب الفرق، قال أبو سعيد في حديثه عن الأنف: «ويقال له: المرسن أيضاً، وأصله للدواب؛ لأن المرسن موضع الرّسن. وقد قيل للإنسان، قال العجاج:

وفـاحِـمـاً ومَـرْسِـنـاً مُسَرَّجَا»[2]

ومنزلة العجاج هذه ليست في كتب الأصمعي فقط، بل كان راويةً لديوانه وأستاذاً يدرس هذا الديوان في أروقة مساجد البصرة، ويشرحه.

قال محقق الديوان: «وكذلك يعتبر الشرح الذي أملاه الأصمعي على هذا الديوان كتاباً في اللغة يمكننا أن نعدّه من أقدم النصوص اللغوية الصحيحة القويمة وأوثقها»[3]. ويحتل المنزلة الثانية رؤبة، الذي يقفز اسمه إلى ذهن القارئ منذ بداية تناوله لكتابَي الإبل وخلق الإنسان. ومن أمثلة ما ورد له كتاب الفرق عندما تحدث أبو سعيد عن الصدر قال: «ويقال

(1) الأصمعي: كتاب النخل والكرم، ص92. العجاج: ديوانه، تحقيق: د. السطلي، ج2، ص223.
(2) الأصمعي: الفرق، ص60. العجاج: ديوانه، تحقيق: د. السطلي، ج2، ص34.
(3) العجاج: ديوانه، تحقيق: د. عزة حسن، ص28.

للصدر أيضاً: الجؤش، والجوشن، والجؤشوش. قال رؤبة:

حتّى تركْنَ أعْظَمَ الجُؤْشُوشِ

حَدْباً على أحْدَبَ كالعَرِيشِ»(1)

ومما ورد له في كتاب الشاء، قال أبو سعيد «ويقال للشاة إذا خرج بها الجدري مأموهة، والاسم: الأميهة. قال الأصمعي: وهو جدري الغنم. قال رؤبة بن العجاج:

تمسي به الأُدْمانُ كالمُؤَمَّهِ

جَدْبِ المُندَّى شَئِزِ المُعَوَّهِ»(2)

ومن كتاب خلق الإنسان نورد شاهداً من أبيات رؤبة. قال أبو سعيد: «ويقال للرجل إذا امتنع وأبى إنه لشديد الأخدع، وإذا لان واسترخى قيل قد لان أخدعه، قال الشاعر: وهو رؤبة بن العجاج:

ضَرَّجَ في أعْطافِها النَّوَابِعا في هاجِراتٍ تَحْلُبُ الأخَادِعا»(3)

ويتبع العجاج وابنه وأبو النجم، الذي حظي بمكانة أيضاً في مؤلفات الأصمعي.

قال الأصمعي في كتاب الإبل: «ويقال للسَّخْلَة إذا خُلّيَ مع أمه من الغنم قد أُرْجِلَ فهو يُرْجَلُ إرجالاً وكذلك هو من الإبل، قال أبو النجم:

فظَلَّ حَوْلاً في رِضاعٍ نُرْجِلُهْ»(4)

ومما جاء في كتاب النبات والشجر: «وما كان من النبت له حب فاسم ذلك الحب الحبّة. يقال الإبل في حبة ما شاءت. قال أبو النجم:

في حِبَّةٍ جَرْفٍ وحَمْضٍ هَيْكَلِ»(5)

---

(1) الأصمعي: الفرق، ص67. رؤبة: ديوانه، ص79.
(2) الأصمعي: الشاء، ص78. رؤبة: ديوانه، ص167، 166.
(3) الأصمعي: خلق الإنسان، ص198. رؤبة: ديوانه: ص94.
(4) الأصمعي: الإبل، ص86.
(5) الأصمعي: كتاب النبات والشجر، ص26.

وقال أبو سعيد في نعوت الشاة من قبل ألبانها: «فإذا كانت الشاة كريمة غزيرة قيل: هي شاة صفي، وبنو فلان مصفون، إذا كانت غنمهم صفايا، وكذلك هي من الإبل. قال أبو النجم العجلي:

كـأنَّـمـا أبـكـؤهـا أَصْـفـاهـا

يـجـزيـكَ عـن أبـعَـدهـا أدْنـاهـا»[1]

ونجد إلى جانب شعر هؤلاء الرجاز شعراً من الرجز لم ينسبه أبو سعيد إلى قائل؛ إنما كان يكتفى بقوله: «وقال الراجز».

ومن ذلك، قال في كتاب الدارات «ودارة الذئب وأنشد رجزاً:

فلو رأت ثمَّ السِّقَاءَ المضْبوبْ

بحَوْمَةِ الحَربِ بدارَةِ الذِّيبْ

تعجَّبَتْ والدّهرُ ذُو أعاجِيبْ»[2]

استشهد بهذا الرجز للدلالة على إحدى دارات العرب التي عددها، ولم ينسب الأبيات.

وفي كتاب النبات والشجر قال أبو سعيد: «والخُلَّةُ ما لم يكن فيه مُلُوحَةٌ. فإذا رعت الإبل الخُلَّةَ فهي مُخِلَّة، وأصحابها مُخِلُّون. وأنشد:

جاؤوا مُخِلِّينَ فَلاقَوا حَمْضَا»[3]

وهذا الضرب كثير في مؤلفات أبي سعيد.

ب ـ شعراء القصيد:

يطالعنا من أصحاب القصيد الذين كثُر استشهاد الأصمعي بأشعارهم ذو الرمة الذي خصّ بشعره مثلثاً قوامه الصحراء، والناقة، ومعشوقته ميّة. لذلك نجد له كثيراً من الأبيات

(1) الأصمعي: الشاء، ص64.
(2) الأصمعي: الدارات، ص7.
(3) الأصمعي: النبات والشجر، ص38.

في كتابَي الإبل، وخلق الإنسان خاصة. حتى إنه لم يصل إلى هذه المنزلة سواه.

ومما جاء في كتاب الإبل، قال أبو سعيد: «ويقال عوى الفصيل، ولا يقال لشيء من البهائم عوى إلا الكلب والذئب، قال ذو الرمة:

بـه الـذِّئْـبُ مَـحـزونـاً كـأنَّ عُـواءَهُ   عُـواءُ فَصيلٍ آخِـرَ اللّـيلِ مُحْثَلِ»[1]

وفي حديث الأصمعي عن الأسنان، قال «وفي الأسنان الشَّنَبُ وهو بَرْدُ الأسنان وعذوبة مذاقها، قال ذو الرمة:

لَـمـيـاءُ فـي شـفَـتَـيْـهـا حُـوَّةٌ لَـعَـسٌ   وفـي الـلِّـثـاتِ وفـي أنـيـابِـهـا شَنَبُ»[2]

وفي النبات والشجر، يتحدث أبو سعيد عن الأرض إذا غطاها النبت.

قال: «وإذا غطى النبات الأرض أو كاد يغطيها قيل: استحلست الأرض، وأرض مستحلسة، قال ذو الرمة:

حـتّـى كَـسـا كـلَّ مُـرتـادٍ لـه خَـضِـلٌ   مُستَحْلَسٌ مثلُ عَرْضِ اللّيلِ يَحْمُومُ»[3]

وفي الكتاب ذاته قال الأصمعي: «وأعبلت الشجر أخرجت الورق. وأعبلت أيضاً إذا سقط ورقها (وهو من الأضداد). والإعبالُ ورَقُ الأرطى خاصة. قال ذو الرمة:

إذا ذابَـتِ الـشـمْـسُ اتّـقـى صَـقَـراتِـهـا   بـأفْـنـانِ مَـرْبـوعِ الـصّـريـمـةِ مُعْبِلِ»[4]

ونورد شاهداً من كتاب خلق الإنسان استشهد به أبو سعيد ببيت لرؤبة، وآخر لذي الرمة. قال: «وفي العين التَّدْويمُ، وهو أن تُدَوِّرَ الحدقة كأنها في فلكة، يقال: دومت عينه تدوم تَدويماً، قال رؤبة:

---

(1) الأصمعي: الإبل، ص81. ذو الرمة: ديوانه، ص515.

(2) الأصمعي: خلق الإنسان، ص191. ذو الرمة: ديوانه، ص5. السمرة في الشفة تضرب إلى الخضرة.

(3) الأصمعي: النبات والشجر، ص22. الديوان، ص583. الخضل: خضلت النخلة فسدت أصول سعفها، اللسان ج13، ص194. اليحموم: الأسود من كل شيء.

(4) الأصمعي: النبات والشجر، ص52. ذو الرمة: ديوانه، ص504. ذابت الشمس: اشتد حرها. صقراتها: توهج حرها. المربوع: المتوسط الارتفاع. الصريمة: الرملة المنصرمة ذات الأشجار، يعني شجراً أصابه مطر الربيع، اللسان ج9، ص455.

تَـيْـمـاءُ لا يَـنـجـو بـهـا مَــنْ دَوَّمــا إذا عَـلاهـا ذُو انـقِـبـاضٍ أجْـذَمَـا

ومعنى أجذم أي أسرع، ومن ثم سمي الدّوام لدورانه، قال ذو الرمة في التدويم:

يُــدَوِّمُ رَقْــراقُ الـسَّــرابِ بـرأسِـهِ كما دَوَّمَـتْ في الخَيْطِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ»(1)

ويأتي في المنزلة الثانية بعد ذي الرمة أبو ذؤيب الهذلي الذي تردد اسمه في كتاب الإبل. قال الأصمعي: «ويقال للإبل البيض الحِضَارُ، قال أبو ذؤيب:

مُعَتَّـقـةٌ صَـهْـبـاءُ صِــرْفٌ سِـبـاؤُهـا بَـنـاتُ الـمَـخـاضِ شُـومُـهـا وحِـضـارُهـا

الشُّوم: السّود»(2).

وفي كتاب الاشتقاق قال أبو ذؤيب:

«فكُـنـتُ ذَنــوبَ الـبِـئـرِ لـمّـا تَـبَـسَّـلَـتْ وسُرْبِلْتُ أكفاني ووُسِّـدْتُ ساعِدي»(3)

وجاء في خلق الإنسان قول أبي سعيد «فإذا اشتد الرمد حتى لا يستطيع الرجل أن يرفع طرفه قيل قد استأخذ يستأخذ استيخاذاً شديداً، وأخذ يأخذ أخذاً، قال أبو ذؤيب:

يَـرمـي الـغُـيـوبَ بـعَـيْـنَـيـهِ ومَـطْـرِفُـهُ مُغْضٍ كما كَسَفَ المُستأخِذُ الرَّمِدُ»(4)

فقد ظهرت أسماء هؤلاء الشعراء والرجاز في مؤلفات أبي سعيد من بين ما يقرب من مئتي شاعر.

ويأتي في مرحلة تالية لهؤلاء الشعراء شعراء آخرون ترددت أسماؤهم؛ منهم: امرؤ القيس، وقد سبق الاستشهاد بشعره، وكذلك النابغة الذبياني، ومنهم أوس بن حجر، ومن أبياته التي استشهد بها أبو سعيد في كتاب الإبل: «ومن الداء: الرَّجَزُ، وهو داء تُرْعَدُ منه فخذا البعير ويضطرب عند القيام ساعة ثم تنبسط، يقال بعير أرجز وناقة رجزاء، قال أوس

(1) الأصمعي: خلق الإنسان، ص185. بيت رؤبة في ديوانه، ص184. بيت ذي الرمة في ديوانه، ص517.
(2) الأصمعي: الإبل، ص88. شرح أشعار الهذليين، ج1، ص25. والرواية فيه: فلا تشتري إلاّ بربح سباؤها...
(3) الأصمعي: الاشتقاق، ص142. شرح أشعار الهذليين، ج1، ص194.
(4) الأصمعي: خلق الإنسان، ص183. شرح أشعار الهذليين، ج1، ص58.

بن حجر:

هَـمَـمْـتَ بـخَـيـرٍ ثـمّ قـصَّــرْتَ دونَــهُ   كما نــاءَتِ الـرّجْـزاءُ شُـدَّ عِقالُها»[1]

ولعل مصطلح الرجز في العروض مأخوذ عن هذا الشيء وليس من المشي عند الإبل.

وفي خلق الإنسان قال أبو سعيد «والسالفتان صفحتا مقدم العنق من عن يمين وشمال، قال أوس بن حجر:

ظَـعـائِـنُ مـا يَـضْـحَـكْـنَ إلاّ تَـبَـسُّـمـاً   وَميضَ غَـمامِ الصّيفِ غُـرُّ السَّوالِفِ»[2]

ومنهم ابن لجأ وهو من شعراء العصر الأموي، قال أبو سعيد «وأنعت الناس لمحلوب في القصيد الراعي، وأنعتهم لمحلوب في الرجز ابن لجأ التيمي، واسمه عمر»[3].

وفي كتاب الإبل، عندما تحدث الأصمعي عن النتاج، قال: «فإذا كان من عاداتها أن تنتج في أول النتاج فهي مرباع. قال ابن لجأ:

أرْسَــلْــتُ فـيـهـا مُـجْـفَـراً دِرَفْـسَــا   كَـوْمـاءَ مِـرْبـاعَ الـلِّـقـاحِ فَجْسَا»[4]

وقال الأصمعي في كتاب الشاء: «فإذا اشتد هزال الشاة وهي حامل ولم تستطع القيام إذا رفضت إلا بمن يقيمها، والمشي إلا بمن يحملها، قيل شاة مجر، وقد أمجرت إمجاراً، وقال أيضاً: مجرة... وأنشد لابن لجأ:

تَـعْـوي ذِئـــابُ الـجـوِّ مـن عُـوائِـهـا   وتَـحْـمِـلُ الـمـمـجـرَ فـي كـسـائِـهـا»

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً، حميد بن ثور، وهو من شعراء اللسان[5]. قال أبو سعيد في كتاب الفرق في حديثه عن الفم «وقد يجوز الفم في كل شيء. قال حميد بن ثور يصف حمامة:

(1) الأصمعي: الإبل، ص121. ابن حجر: ديوان أوس، ص100.
(2) الأصمعي: خلق الإنسان، ص199. ابن حجر: ديوان أوس، ص64.
(3) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص36.
(4) الأصمعي: الإبل، ص74. الفجس: عظمة تكبر وتطاول، اللسان ج8، ص38.
(5) الأيوبي: معجم الشعراء في لسان العرب، ص132.

عَـجِـبْـتُ لَـهـا أنّـــي يـكـونُ غِـنـاؤُهـا فَـصـيـحـاً ولـم تَـفْـغَـرْ بِـمَـنْـطِـقِـهـا فَـمـا

فجعل للحمامة فماً»[1].

وفي خلق الإنسان يقول الأصمعي: «يقال للرجل اشدد حيازيمك لهذا الأمر؛ أي وطّن نفسك عليه، ويقال شدّ حيازيم راحلته، قال حميد بن ثور:

إنّ الـخَـلـيـعَ ورَهْـطَـهُ مـن عـامِـرٍ كـالـقَـلْـبِ أُلـبِـسَ جُـؤْجُـؤاً وحَزيمَا»[2]

ومنهم أيضاً حميد الأرقط وهو إسلامي من شعراء اللسان احتل مكانة في كتب الأصمعي، قال في كتاب الإبل: «ويقال ناقة ذَقونٌ إذا كانت تهزّ رأسها في السير، قال حميد الأرقط:

كـأنّ قَـوْتَ سـاقَـةِ الـقَـطـيـنِ إذْ خَـبَّ كُـلُّ بـازِلٍ ذَقُـونِ

مُـلـتـفٌّ أيـكٍ ثَـئِـدِ المَعينِ»[3]

وفي خلق الإنسان يقول «والكبد هو عظم البطن من أعلاه، يقال رجل أكبد وامرأة كبداء، قال الشاعر وهو حميد الأرقط:

أُجُـدٌ مُـداخَـلـةٌ وآدَمُ مِـصْـلَـقٌ كَـبْـداءُ لاحِـقـةُ الـرّحـى وشَـمَـيْـذَرُ

والأجد: موثقة الخلق، والمصلق: الشديد الصوت، والشميذر الغليظ الضخم»[4].

ويتبع هؤلاء الشعراء ابن أحمر الباهلي، الذي يقارب من حيث الاستشهاد بشعره الشعراء السابقين. قال في الإبل «يقال لقحت على حول وحولل وعلى حيال، قال ابن أحمر:

لَـقِـحْـنَ عـلـى حُـولٍ وصـادَفْـنَ سَـلْـوةً مـن الـعِـيـسِ حـتّـى سَـقْـبُـهُـنّ مُمَتَّعُ»[5]

ويلحظ المتبصر في كتابي: خلق الإنسان، والإبل، أن منهجهما تعليمي، وذلك من خلال عرض الأصمعي للمفردات اللغوية، والاستشهاد لها بما يحتويها من أقوال العرب

(1) الأصمعي: الفرق، ص56.
(2) الأصمعي: خلق الإنسان، ص216. الهلالي: ديوان حميد بن ثور، ص130. ... في عامر.
(3) الأصمعي: الإبل، ص107. شبّه الظعن بالشجر الملتف.
(4) الأصمعي: خلق الإنسان، ص221.
(5) الأصمعي: الإبل، ص69. البيت غير موجود في شعر ابن أحمر.

شعراً أو رجزاً.

وما نستطيع أن نقوله في هذه المؤلفات، إن صح أن نفصل بين دراسة اللغة ودراسة الأدب في ذلك العصر، أنها معاجم لغوية كما سبق أن أشرنا، أو هي مؤلفات تتصل اتصالاً وثيقاً باللغة. ورأينا كيف كان أبو سعيد يذكر الكلمة وزمنها والمصدر ويسوق شاهداً على معناها ببيت من قصيد أو رجز. وتعرضه للهيئة التي يقع عليها الفعل. وفي هذا دلالة على الاتجاه اللغوي عند أبي سعيد، وإن وجدنا كثرة أو قلة لاستشهاده بأشعار شعراء دون آخرين، فهذا راجع لما يتطرق له الشعراء أنفسهم من موضوعات من جانب، وسبب استخدامهم لألفاظ لغوية استعملها الأصمعي في مؤلفاته.

كتاب الفحولة وشعراء مؤلفات الأصمعي

أجاب أبو سعيد في الفحولة أبا حاتم السجستاني، وأشار إلى الشعراء على أنهم فحول، ونزع هذه الصفة من آخرين، وقال عن بعض الشعراء: فلان حجة وفلان فصيح، فما مدى انطباق هذا المبدأ على شعراء المؤلفات؟

استشهد الأصمعي بأبيات لشعراء الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين، ولعدد من الشعراء الذين وصفهم بالفحول، وغير الفحول أيضاً؛ لأن طريقة التأليف كانت تقتضي ذلك. كما أن عدم وصول الشاعر إلى مرتبة الفحولة لا يعني ذلك عدم صلاحية شعره؛ لأن الفحولة منزلة تحتاج إلى شروط في الشعر والشاعر قد لا تتوافر لجميع الشعراء.

ومن الشعراء الجاهليين الذين حكم بأنهم لم يلحقوا الفحول، المهلهل وعدي بن زيد، ولم ترد أشعارهما وكذلك أبو زبيد[1]. قال أبو حاتم «قلت فأبو زبيد؟ قال: ليس بفحل»[2]. لكن الأصمعي استشهد له في كتابيه الإبل، وخلق الإنسان، في بعض المواضع. قال «ومَسْحُ الضَّرْعِ لتَدُرَّ المُرْيَةُ مضمومٌ، وإنما سُميتْ مَرايا لأنها تَدُرُّ على المَسْح، والمسحُ المريُ، قال أبو زبيد:

(1) أبو زبيد الطائي: شاعر جاهلي قديم أدرك الإسلام ولم يسلم، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص301. الحموي: معجم الأدباء، ج10، ص191، 219.
(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص20.

شـــامِـذاً تَـتّـقـي الـمُـبِـسَّ مـن الـمُـرْ   يَــةِ كَـرْهــاً بـالـصِّــرفِ ذي الـطُّـلاّءِ

وهو الدم الذي يطلى به، والشامذ التي ترفع ذنبها، والمُبس الذي يقول لها بُسَّ على ذا، والمرية الاسم من المري»[1].

ونتبع هؤلاء بشاعرين مخضرمين هما: الأغلب العجلي، قال عنه: «ليس بفحل ولا مفلح»[2]. ورد اسمه في موضعين من كتاب الإبل. قال الأصمعي في أحدهما: «فإذا خرج بخفّ البعير ورم؛ قيل بعير به ضب قبيح، قال الراجز وهو الأغلب العجلي:

بــدَوْسَـــــريٍّ عَـيـنُـهُ كـالـوَقْـبِ   لـيسَ بــذِي عَـــرْكٍ ولا ذِي ضَـبِّ

والدوسري الضخم والوثب النقرة في الجبل»[3].

أما الشاعر الآخر فهو عمرو بن شأس. قال عنه أبو سعيد «ليس بفحل»[4]. وورد له استشهاد في كتاب الإبل، عندما تحدث عن الإبل وورودها الماء «وقال آخر وهو عمرو بن شأس الأسدي:

أَلَــم تَـعلَـمي يـا أُمَّ حسّـانَ أنّـني   إذا عَــبْـرَةٌ نَـهنَـهْتُـها فـتَـجَلَّـتِ

رَجَـعْـتُ إلـى صَـدرٍ كـجَـرَّةِ حَـنْتَـمٍ   إذا قُـرِعَـتْ صِـفْراً بـالـماءِ صلَّتِ»[5]

وممن توقف عن الحكم له أو عليه في الفحولة، من الشعراء الإسلاميين، واستخدم أشعارهم هؤلاء الشعراء؛ قال أبو حاتم: «قلت: فجرير، والفرزدق، والأخطل؟ قال: هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون»[6]. ويتبع هؤلاء الراعي لتشكيل الطبقة الأولى من الإسلاميين عند ابن سلام. قال الأصمعي إنه «أنعت الناس

(1) الأصمعي: الإبل، ص87.
(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص25.
(3) الأصمعي: الإبل، ص119، 571.
(4) الأصمعي: الفحولة، ص28.
(5) الأصمعي: الإبل، ص100. عمرو بن شأس بن بلى الأسدي، قال ابن سلام هو أكثر أهل طبقته شعراً. الجمحي: طبقات الشعراء، ص164. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص425.
(6) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص23.

لمحلوب في القصيد»[1].

وقد سبق أن عرضنا أبياتاً لهؤلاء الشعراء، قدمها أبو سعيد شواهد شعرية في جزئيات مختلفة من كتبه، وكثيراً ما تردد اسم الراعي من بين هؤلاء.

وقال في الفحولة: «الكميت بن زيد ليس بحجة لأنه مولد، وكذلك الطرماح»[2]. ونجده يستشهد لهم في مواضع معدودة. قال في خلق الإنسان: «يقال: غشيت عيني سمادير إذا غشيها كالغشاوة من مرض أو جوع أو غير ذلك ومن ذلك يقال اسمَدَرَّتْ عيني تَسْمَدَرُّ اسْمِدْرَاراً، قال الكميت:

أتبعْتُهم بصَري والآلُ يرْفَعُهُمْ حتى اسْمَدَرَّ بطَرْفِ العَينِ إتآرِي

يقال أتأرته بصري إذا أتبعته»[3].

وفي الإبل قال الأصمعي: «تقول العرب: إذا وصفت الأرض وخصبها تركت أرض بني فلان مثل الحُوَلاءِ، قال الطرماح:

على حُوَلاءَ يَطْفو السُّخْدُ فيها فَراها الشَّيْذُمانُ عن الجَنينِ»[4]

وكان الأصمعي طعن في شعر القحيف العامري: قال «ليس بفصيح ولا حجة»[5]، ولم نعثر في كتب الأصمعي التي بين أيدينا على شاهد له.

والذي يلاحظ على بعض شعراء هذه المؤلفات: أن الأصمعي حكم لهم بأنهم فحول، مثل حسان بن ثابت، والمسيب بن علس، ولم يستشهد لهم إلا بأبيات معدودة. وأنه توقف في الفحولة عن الحكم على بعض الشعراء، ثم استشهد بأشعارهم في المؤلفات الأخرى.

---

(1) المرجع السابق، ص36.
(2) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص39.
(3) الأصمعي: خلق الإنسان، ص182. الكميت: شعر الكميت بن زيد، ج1، ص176. والرواية فيه: أثأرتهم بصري والآل برفعهم... الإثآر: إدامة النظر.
(4) الأصمعي: الإبل، ص72. الطرماح: ديوانه، ص542. الحولاء: جلدة كالدلو مملوءة ماء أصفر يخرج مع الولد من بطن الناقة. الخسد: الماء الأصفر الذي في الحولاء. الشيذمان: الذئب. فراها: للإفساد، اللسان ج20، ص10.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص31.

وقال عن بعض الشعراء (ليس بفحل ولا مفلح) وذكرهم في مواضع من كتبه. وهذا الأمر يرتبط بمدى مطابقة شعر الشاعر لما يتحدث عنه الأصمعي، والمواضيع التي يتناولها الشاعر.

ففي كتاب الإبل، وخلق الإنسان خاصة، لاحظنا تردد أسماء الرجاز: العجاج، ورؤبة، وأبو النجم، وتردد اسم ذي الرمة أيضاً؛ لأن الحديث كان يتطلب ذلك. ويؤكد هذا شاهد من الفحولة. قال الأصمعي «ما قيلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشماخ، ولو طالت قصيدة المتنخل اليشكري كانت أجود منها»(1). وقد ذكر شواهد من شعره، ولم يكن أحد أبيات الزائية هذه مما استشهد به. في الوقت الذي يطالعنا قول الأصمعي في المتنخل: «هو صاحب أجود طائية قالتها العرب»(2). وذكر له كثيراً من الأبيات، نجد في ضمنها ثلاثة من أبيات الطائية، أولها: في كتاب خلق الإنسان الصفحة (166) قال(3):

بِضَرْبٍ في الجَماجِمِ ذي فُروغٍ ... وطَعْنٍ مِثْلِ تَعْطيطِ الرِّهاطِ

وتأتي الأبيات في الكتاب ذاته (ص173) قال(4):

يُمَشَّى بيْنَنا حانُوتُ خَمْرٍ ... مِن الخُرْسِ الصَّراصِرَةِ القِطاطِ

وكذلك البيت الثالث (ص207) قال(5):

كَوَشْمِ المِعْصَمِ المُغتالِ عُلَّتْ ... نَواشِرُهُ بَوشْمٍ مُسْتَشاطِ(6)

ولم ترد هذه الأبيات إلا لورود الشاهد فيها.

(1) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص53.
(2) الأغاني: ج20، ص145. التاج، ج8، 131. سمط اللآلئ، ص724. الشعر والشعراء، ج2، ص659.
(3) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج3، ص1271. التعطيط: شق الثوب وغيره، اللسان ج9، ص2263. الرهاط: هو ثوب تلبسه غلمان الأعراب، اللسان ج9، ص176. الفروغ: الطعنة الفرعاء ذات الفرغ وهو السعة، اللسان ج10، ص328. شبه المضروب حين يسيل فمه بفرغ الدلو إذا انصب.
(4) المصدر السابق، ص1268. الخرس الصرصرة: يريد أعجمياً من الشأم.
(5) المصدر السابق، ص1266. المعصم: موضع السوار من الذراع. المغتال: الممتلئ. نواشره: عصبه.
(6) وقع البيت الأول في كتاب الإبل، ص92، كما يلي:

بطن يفجر اللبات ثر ... وضرب مثل تعطيط الرهاط

أما الشعراء الآخرون الذين وصفهم بعدم الفلاح والفحولة، فلا يخلو شعر بعضهم من أبيات استجادها الأصمعي من جهة، ووجد فيها شاهداً من جهة أخرى. كما أن الشعراء لا يصلون كلهم إلى منزلة الفحولة، فإن من وصفهم بعدم الفحولة لا يعني ذلك أن شعرهم لا يصلح أبداً. ولكن عند أي الشعراء توقف الأصمعي في الاستشهاد بكتبه؟

نجد في هذا خبراً يرويه الجاحظ قال: «كان الأصمعي يقول ختم الشعر بالرماح»(1).

وفي الشعر والشعراء قال: «حدثني عبد الرحمن عن عمه الأصمعي أنه قال: ساقة الشعراء ابن ميادة، وابن هرمة، ورؤبة، وحكم الخضري، ومكين العذري»(2). ويذكر أن الرماح (ت 766م) وقد استشهد أبو سعيد بقوله وتوقف عنده. على أن طريقة تأليف الأصمعي واستشهاده بالشعر جديرة بالدراسة دراسة لغوية كاملة. وكان للأصمعي مواقف نقدية متنوعة، أخذها على العلماء والشعراء، واستخدم الشعر في بيان وجوه لغوية نتبيّنها فيما بعد.

الأمثال

ورد في لسان العرب: «المثل والمثيل كالمثل والجمع أمثال... والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعله مثله، وفي الصحاح ما يضرب من الأمثال، قال الجوهري: ومثل الشيء صفته»(3). اعتنى الأصمعي بالأمثال، وهي عبارات تقال في مناسبات مختلفة، وقد تكون أبيات شعر، أو أشطاراً. وقد أخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)(4) كثيراً من الأمثال أوردها في كتابه الأمثال، كما ورد كثير من الأمثال في كتاب البكري (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال).

قال أبو عبيد: «ومن أمثالهم في هجر الرجل صاحبه (تركه ترك الظبي ظله) وذلك إذا نفر من شيء لم يرجع إليه أبداً... ورأيت في كتاب الأمثال للأصمعي، أن الظبي إذا استظل

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، ج3، ص34. الرماح بن يزيد وميادة أمه ت 149هـ/ 766م، له ترجمة في الشعر والشعراء، ج2، ص771.
(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص753.
(3) لسان العرب، ج14، ص131.
(4) انظر ترجمة أبو عبيد القاسم عند: ابن خلكان، ج3، ص225؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج2، ص253.

بظل فنفره منه منفر أو أفزعه مفزع لم يعد إليه أبداً»[1]، مما يدل على أن كتاب الأصمعي (الأمثال) وصل إلى أبي عبيد الذي اطلع عليه وأفاد منه في تأليف كتابه.

ونجد قدراً من الأمثال ينسب إلى الأصمعي في كتاب الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة (ت 291هـ). وجعل محققا الكتاب ترتيب الأصمعي الثاني «حسب كثرة الرواية»[2] في أسانيد هذا الكتاب. ومن المواطن التي ورد فيها ذكر للأصمعي قوله: «بالرفاء والبنين... وقال الأصمعي: يكون الرفاء من الهدوء والسكون من قولهم رفوت الرجل إذا سكنته، وأنشد لأبي خراش:

رَفَـوْنـي وقـالـوا يـا خُـوَيـلِـدُ لا تُـرْعَ فقُلْتُ وأنْكَرْتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ»[3]

هذا من الأمثلة التي شارك الأصمعي في شرحها، ومثلها قولهم: «جمع الله شملك؛ قال الأصمعي الشمل: الاجتماع، فيراد بذلك لا فرّق الله شملك. ومنه قولهم: شملهم الأمر؛ أي عمّهم حتى اجتمعوا فيه، وأنشد:

وكيفَ أُرَجِّي الوصَلَ يا لَيلُ بعدَما تقَطَّعَتِ الأهواءُ وافْترَقَ الشَّمْلُ»[4]

وهذان المثالان أوردتهما من داخل الكتاب، مما يؤكد أن المفضل أخذ عن الأصمعي عن طريق تلميذه أبو نصر.

وذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست)[5] كتاب الأصمعي هذا. وقال الإمام حمزة الأصفهاني (ت 351هـ) في مقدمة كتابه (الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة): «وقد سبق إلى تأليف ذلك جماعة من العلماء، فللأصمعي كتاب خفيف الحجم مقدار عشر ورقات»[6]،

(1) البكري، أبو عبيد: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه: د. إحسان عباس/ د. عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1391هـ/ 1971م، ص7.
(2) ابن سلمة، المفضل: الفاخر، عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد النجار، ط1، دار إحياء الكتب العربية، د.ب، 1380هـ/ 1960م، ص غ1.
(3) المصدر السابق، ص13. السكري: شرح أشعار الهذليين، ج3، ص1217.
(4) المصدر نفسه، ص15.
(5) ابن النديم: الفهرست، ص61.
(6) الأصفهاني، حمزة بن الحسن: الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق: عبد المجيد قطامش، نشر دار المعارف، مصر، 1966م، ص55.

وهذا الوصف لحجم الكتاب تفرد به الإمام حمزة بين من ذكروا الكتاب.

وذكره صاحب السمط (ت 487هـ) قال: «وقال الأصمعي: في الأمثال له قولهم: (هو يحف له ويرف) أي يقوم له، ويقعد، وينصح له، ويشفق»[1]. وهذا دليل على أن الكتاب كان متداولاً في الحقبة الزمانية التي عاش فيها صاحب السمط.

ويقول الميداني (ت 518هـ) في كتابه (مجمع الأمثال): «فطالعت من كتب الأئمة الأعلام ما امتد في تقصّيه نفس الأيام، مثل كتاب أبي عبيدة، وأبي عبيد، والأصمعي، وأبي زيد، وأبي عمرو، وأبي فيد. ونظرت فيما جمعه المفضل بن سلمة، حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتاباً»[2]. وفي قول الميداني ما يدلّ على وصول الكتاب إليه واستفادته من المادة الموجودة فيه.

وأشار عبد المجيد عابدين من المحدثين إلى الكتاب حين قال في معرض حديثه عن الأمثال: «وقد سبق إلى هذا التأليف جماعة من علماء اللغة فللأصمعي في ذلك كتاب خفيف الحجم عشر ورقات»[3]. والمرجح أن عابدين في وصف حجم الكتاب كان معتمداً على كلام الإمام حمزة الأصفهاني في النص السابق.

ولم يذكر الشلقاني في كتابه (الأصمعي الراوية) كتاب الأمثال بين الكتب التي وصلت إلينا من كتب الأصمعي.

ترد الأمثال المروية عن الأصمعي في الكتب الآتية:

كتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري، وفيه ستة وتسعون مثلاً رويت عن الأصمعي بألفاظها أو بشرحها، أو باللفظ والشرح معاً. وكتاب الفاخر لأبي طالب، فيه أربعة وسبعون مثلاً استعان بالشعر في شرحها، وثلاثة وأربعون مثلاً تناول شرحها نثراً. وكتاب مجمع الأمثال للميداني، فيه سبعة وثلاثون مثلاً، أورد في شرح بعضها شعراً،

(1) البكري: سمط اللآلئ، ج1، ص426.

(2) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1379هـ/ 1959م، ج2، ص4.

(3) عابدين، د. عبد المجيد: الأمثال في النثر العربي القديم، ط1، مكتبة مصر، تاريخ المقدمة 1956م، ص191.

والأكثر أورد في شرحه نثراً غير أن بعضها مكرر في سابقيه من كتب الأمثال، وتناولت هذه الأمثال جوانب مختلفة من الحياة. وقد أُسنِد ما جاء في هذه الأمثال جميعها إلى الأصمعي.

ويظهر أن الأصمعي سلك واحداً من مسلكين، فهو إما أن يورد المثل، ويكتفي بذكر المناسبة أو الحادثة التي قيل فيها المثل، وإما أن يورد المثل ويذكر مناسبته، ويستشهد لذلك بأبيات شعر قيلت وأخذ منها المثل، وقد يشرح ألفاظ المثل بذكر أبيات شعر تحوي المترادفات نفسها.

ومما روي عن الأصمعي نثراً، قال أبو عبيد: قال الأصمعي: يقال «أحلم من فرخ العقاب – قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: سنان بن أبي حارثة أحلم من فرخ العقاب – فقلت: وما حلمه؟ قال: يخرج من بيضة على رأس نيق فلا يتحرك حتى يفي ريشه، ولو تحرك لسقط في المهواة»(1). فالأصمعي ينقل عن الأعرابي ما سمعه في هذا المثل نثراً. ويقال أيضاً: «أحمق مئق – قال الأصمعي: المئق السيئ الخلق»(2). وهنا اكتفى بشرح الكلمة الأخيرة من المثل. وفي باب الصبر عند النوازل والمرازي «قال أبو عبيد: قال الأصمعي: في نحو منه إنّ في الشر خياراً – قال ومعناه أن بعض الشر أهون من بعض»(3). ويبدو أن أبا عبيد يروي المثل، وشرحه عن الأصمعي، ولم يتعدّ تفصيل القول فيه.

ومن أقوالهم: «تعاير فلان، قال الأصمعي: أصل ذلك في السباب، يقال: تعاير بنو فلان إذا تذاكروا العار بينهم، وقال غيره تعاير من العيارة وأصلها الانفلات وتخلية الإنسان لا يردع عن الشيء، ومنه فلان عيار، وهو مأخوذ من عارت الدابة تعير؛ إذا انفلتت»(4). فالأصمعي أشار إلى إطلاق هذا المثل في حال الخصام، وذكر المعايب بين المتخاصمين.

وفي باب إعلان السرّ وإبدائه بعد كتمانه «قال أبو عبيد: قال الأصمعي: ومن أمثالهم في هذا – صرح الحق عن محضه – أي انكشف بعد ستره»(5). والمثل منقول مع شرحه

(1) البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص498. الميداني: مجمع الأمثال، ص220.
(2) المفضل: الفاخر، ص30. اللسان، ج12، ص227.
(3) البكري: فصل المقال، ص244.
(4) الفاخر، ص108. اللسان، ج6، ص299.
(5) البكري: فصل المقال، ص60.

عن الأصمعي. ومن أمثلة الهجاء قولهم: «ما يفقه ولا ينقه، قال الأصمعي: ما يعلم ولا يفهم»[1].

ونلاحظ أن هذه الأمثال نقلت عن الأصمعي بشروحها، وكان شرحها نثراً دون أن يذكر فيها شيئاً من الشعر.

الأمثال والشعر:

أما الأمثال التي تروى عن الأصمعي، وذكر في شرحها أبيات شعر، لوقوع المثل في بيت شعر، أو بعض مفرداته، فهي كثيرة. ولأن كتاب الأصمعي في الأمثال مفقود، بحثنا عن الأمثال التي رواها، فوجدنا أكثر الكتب رواية لأمثال استعان الأصمعي بالشعر في شرحها هو كتاب الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة (ت 290هـ)، والشعر الذي استشهد به فهو رجز وقصيد، لشعراء أو رجاز من عصور مختلفة، جاهلي وإسلامي، ومنهم من لم يذكر الأصمعي اسمه أو عصره.

ويظهر النظر في الأمثال أنها تتعلق بجوانب مختلفة من الحياة الإنسانية عامة كالقسم، والهجاء، والفخر، والوصف لأحوال الناس من استحسان أو استهجان.

ففي نماذج الاستشهاد بالقصيد «أخذنا في التطريق وطرق علينا – قال الأصمعي: يراد بذلك التكهن وتخمين الشيء، وهو مأخوذ من الطرق، وهو ضرب الحصا بعضه على بعض ثم يتفاءل ويزجر عليه، وأنشد للبيد:

لَعَمْرُكَ ما تَدري الطوارقُ بالحَصا ولا زَاجِراتُ الطيرِ ما اللهُ صانِعُ»[2]

شرح المثل، وتطرق لمصدره، ثم استشهد على ذلك ببيت لبيد.

ومن أمثالهم قولهم: «أمر مبهم؛ قال الأصمعي: هو الذي لا يدري كيف يتجه فيه ولا أين سبيله، وهو مأخوذ من قولهم حائط مبهم؛ إذا لم يكن فيه باب ولا كوّة. والبهيم الذي ليس فيه بياض ومنه ليل بهيم: لا قمر فيه ولا ضوء، قال بقيلة الأشجعي:

---

(1) الفاخر، ص27.

(2) الفاخر، ص98. لبيد: شرح ديوان لبيد، ص172. والرواية فيه: لعمرك ما تدري الضوارب...

كــأنّــي مِــــن تَــــذَكُّـــرِ مــا أُلاقِـــــي   إذا مـا أظْـلَـمَ الـلّـيـلُ البَهيمُ»[1]

فالأمر المبهم هو الذي لا يجد الإنسان منه منفذاً، ولهذا أطلق العرب على الليل المظلم، عبارة ليل بهيم؛ أي لا ضوء فيه. ونقل الشاعر هذا التشبيه لنفسه إذ تداعت ذكرياته.

ومن الأمثلة التي تناولت سبل الهجاء، قولهم: «أنتن من العذرة – قال الأصمعي: وإنما العذرة فناء الدار، وكانوا يطرحون ذلك بأفنيتهم ثم كثُر فسُمي الخرء بعينه، وأنشد للحطيئة:

لـعَـمْـري لـقـد جـرَّبْـتُـكُـم فـوَجَـدْتُـكـم   قِـبـاحَ الـوُجـوهِ سَـيّـئي العَذِراتِ»[2]

ويظهر من شرح الأصمعي للمثل تنبهه للتطور الدلالي للفظ، وكيف أخذ مدلوله فيما بعد وظهر في قول الشعراء.

ومن أمثالهم التي أسند شرحها إلى أبي سعيد قوله: «أنفق ماله على النعف والطلول – قال الأصمعي: النّعفُ: ما ارتفع من الوادي إلى الأرض وليس بالغليظ، وأنشد للفرزدق:

أَلَــمْ تَــرَ أنــي يــومَ نَـعْـفَ سُـوَيـقَـةٍ   بـكَـيْـتُ فَـنـادَتْـنـي هُـنَـيـدَةُ مـالِـيَـا

والطلول: جمع طلل، وهو ما شخص من آثار الديار، والعرب تقول حي الله طللك؛ أي شخصك، وأنشد الكميت:

أَلَــمْ تَــرْبَــعْ عـلـى الـطَّـلَـلِ الـمُـحـيـلِ   بِـفَـيْـدَ ومـا بُـكـاؤُك بالطُّلولِ»[3]

فقد شرح الكلمتين الواردتين في المثل، وذكر معناهما مستشهداً لذلك بالشعر على أن لفظ الطلول والأطلال كثير الورود في الشعر العربي، ولاسيما الجاهلي.

وقالوا: «حلبَ الدّهْرَ أشطره: قال الأصمعي: أتت عليه كل حال من شدة ورخاء كأنه استخرج درّة الدهر في كل حالاته، وأنشد للقيط بن يعمر الإيادي:

(1) الفاخر، ص50.
(2) المرجع نفسه، ص49. ديوان الحطيئة، ص332.
(3) الفاخر، ص78. الفرزدق: شرح ديوان الفرزدق، ج2، ص895. ألم تر أني يوم جو سويقة... الكميت: ديوانه، ج2، ص52. ألم تلمم...

مـا انْـفَـكَّ يَـحـلُـب دَرَّ الـدّهـرِ أَشْـطُـرَهُ   يـكـون مُـتَّـبِـعـاً طَــوْراً ومُتَّبَعا»[1]

وهل الدهر إلا شدة أو رخاء، والناس دول بينهما. ولهذا المعنى أشار لقيط في بيته الذي اتخذه الأصمعي لشرح المثل.

وعن أبي عبيد قولهم: «الرشف أنقع؛ يعني أن الشراب الذي يرتشف رويداً أقطع للعطش، وأنجع وإنْ كان فيه بطء، قال الأصمعي: قولهم أنقع يعني أروى، يقال شرب حتى نقع، ونقعته أنا أيضاً أي أرويته، وأنشد للجعدي:

فقُلـتُ لـه انْـقِـعْ لـي صَـداي بشَـرْبَـةٍ   تَـدارَكْ بـهـا مَـنّـاً عـلـيَّ وأفْضِلِ»[2]

ولم يكتف بإيراد المرادف اللغوي للكلمة (أنقع) بل أكد ذلك ببيت الشعر على طريقته المألوفة في الشرح.

ونذكر بعض الأمثال زيادة في إيضاح طريقة الأصمعي.

فمن قولهم: «عيل ماله؛ قال أبو نصر عن الأصمعي: عال الأمر يعول عولاً؛ إذا اشتد وتفاقم، وأنشد للنابغة:

لـقـدْ عـالَـنـي مـا سَـرَّهـا وتـقَـطَّـعَـتْ   لِـرَوْعـاتِـه مـنـي الـقِـوَى والوسائِلُ»[3]

نرى أن الأصمعي استعان بقول النابغة في شرح المثل؛ حيث ورد اللفظ (عيل) في كل من المثل والبيت.

وقالوا «فلان يتشطر وفلان شاطر؛ قال الأصمعي: الشاطر الذي بعد عن الخير أي بعد عنه، ومنه نوى شطر أي بعيدة، قال امرؤ القيس:

وشـاقَـكَ بـيـن الـخَـلـيـطِ الـشُّـطُـرْ   وفـيـمَـنْ أقـامَ مـن الـحـيِّ هِـرّْ»[4]

---

(1) الفاخر، ص130.
(2) البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص338.
(3) المصدر السابق، ص80. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص118.
(4) الفاخر، ص28. وفي الديوان، ص155. والرواية فيه:

وفـيـمـن أقـام مـن الـحـي هر   أم الـظـاعـنـون بـهـا فـي الشطر

والأصمعي هنا يعتمد على بيت امرئ القيس كما اعتمد في المثل السابق على بيت النابغة في شرح المثل دلالة على أن هذا اللفظ الوارد في المثل استعمل من قبل شعراء جاهليين. كما نلاحظ أن هذه الأبيات جاءت على أوزان مختلفة من أوزان الشعر العربي.

الأمثال والرجز:

ومن المواطن التي ورد فيها الرجز، ورد في باب إسرار الرجل إلى أخيه بما يستره عن غيره. قال أبو عبيد: قال الأصمعي: «أفضيت إليه بشقوري؛ أي أخبرته بأمري وأطلعته على ما أسره من غيره. قال العجاج:

جَاري لا تَسْتَنْكِري عَذِيري سيري وإشْفاقِي على بَعِيري

وكَثْرَةَ الحديثِ عن شُقُوري وحَذَري ما لَيسَ بالمَحْذورِ»[1]

فقد استعان بأبيات رجز ليوضح معنى كلمة (شقوري) الواردة في المثل.

ومن الأمثلة التي تتحدث بلسان الهجاء، قولهم: «أقل من النقد؛ قال الأصمعي: النقد صغار الضأن ورذالها، وأنشد:

فُقَيْمُ يا شَرَّ تَميمٍ مَحْتِدَا ولو كُنتمُ ضَأناً لكُنتُمُ نَقَدا

أو كُنتُمُ ماءً لكُنْتُمْ زَبَدَا»[2]

ذكر المثل وعمن أخذ اللفظ، ثم أورد الأبيات لإتمام شرح المثل مؤكداً ورود ألفاظه في الشعر العربي.

ومنه قولهم «لا يقوم بِطُن نفسه؛ قال الأصمعي: الطُنّ الجسم. والمعنى أنه لا يقوم بقوت جسمه ومؤونة نفسه، وأنشد:

لما رَأَوْني واقِفاً كأنّي بدْرٌ تجَلّى من دُجَى الدُّجُنِّ

---

(1) البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص64. العجاج: ديوانه، ج1، ص332، مع اختلاف في ترتيب البيت الثاني.
(2) الفاخر، ص30.

غَـضْـــبـانُ أهْـــــذي بــكَــلامِ الـجِــنِّ   فـبَـعْـضُـــهُ مــنــهُــمْ وبــعْــضُــ مِــنّــي

بــجَــبــهــةٍ جَـــبْـــهــاءَ كـــالــمِـجَــنِّ   ضَــخْــمُ الــذّراعَــيــنِ عَــظيــمُ الطُّنِّ»[1]

فلم يقف عند البيت الذي وقعت فيه ألفاظ المثل، بل أورد الأبيات التي ورد فيها اللفظ لاتصال المعنى فيها.

ومن خلال نظرة لما ورد من أمثال رويت عن أبي سعيد الأصمعي نجد أن تلك الأمثال منها ما اكتفى بشرحه نثراً، ومنها ما تناوله بالشرح نثراً، ثم عزز شرحه بإيراد بيت شعر، أو يورد شرحاً لمفردات المثل، كل لفظ بمفرده، ويعزز ذلك ببيت شعر ورد فيه اللفظ ذاته، وقد يكون قصيداً أو رجزاً، وهذه الطريقة هي الغالبة على تناوله للأمثال. ومما يذكر أن هذه الطريقة هي إحدى طرائق النقد القديمة التي كانت تقوم على دراسة الألفاظ، كما أن النظر في زمن أصحاب تلك الأبيات يُظهر أنهم من عصور أدبية مختلفة. وعلى سبيل المثال يوجد في كتاب الفاخر لأبي طالب المفضل ما يزيد على ستين مثلاً استشهد الأصمعي في شرح معناها بأبيات شعر مختلفة الوزن.

أما أصحاب تلك الأبيات منهم: الجاهلي كالنابغة الذبياني وامرئ القيس، ومنهم المخضرم مثل كعب بن زهير والكميت، ومنهم الإسلامي مثل الفرزدق.

وكان الأصمعي يروي أبياتاً دون أن يسندها إلى قائل. ومن هنا يرتبط اهتمام الأصمعي بالأمثال باهتمامه بالشعر، ولم يأل جهداً بشرح الأمثال العربية بأبيات شعر، ووجدنا أن كتب الأمثال التي أُلفت بعده قد أخذ أصحابها شيئاً من كتابه، واستفادوا منه، ويبدو أن بعض تلك الكتب لم تنجُ من الضياع، بعد أن تبين لنا جهد الأصمعي في الأمثال وعلاقتها بالشعر من خلال الكتب التي أُلفت بعد كتابه.

(1) المصدر السابق، ص38.

الفصل الثاني
النقد اللغوي عند الأصمعي

مآخذ الأصمعي على الرواة والشعراء

مآخذ الأصمعي على العلماء:

روى صاحب التنبيه قول: «عسل بن نبهان أن الأصمعي كان منكراً على الخليل روايته هذا البيت:

أفــاطِــمَ إنّــي هــالِــكٌ فـتَـلَـبّـثـي   ولا تَـجْـزَعـي كُـلُّ الـنـسـاءِ يَـتـيـمُ

وإنما هو كل النساء يئيم من آمت المرأة تئيم»(1)، ويبين سبب إنكاره على الخليل راداً اللفظ إلى الأصل «أيم والأيامى الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء»(2). بينما ذهب المفضل إلى اليتم، وهو فقدان الأب من الإنسان. والمعنى يحتمل الوجهين، فإن كان الخطاب من رجل لامرأته على رواية الأصمعي يصح استعمال اللفظ، وإن كان الخطاب من رجل لابنته فاستعمال الخليل موافق للرواية.

وقال الأصفهاني: «روى المفضل بيت أوس بن حجر:

لَـيْـثٌ عـلـيـهِ مـن الـبَـرْدِي هِـبْـرِيَـةٌ   كـالـمَـرْزَبـانـيِّ عَـيّـارٌ بـأوصـالِ

فقال له الأصمعي: ما المزبراني؟ فقال: ذو الزبرة. فقال يا عجباه يشبهه بنفسه؟ إنما هو كالمرزباني وهو واحد من مرازبة الفرس، فأسكته»(3). فلو أخذ برواية المفضل للبيت لم يكن من الشعر في شيء؛ حيث لا يمكن تشبيه الليث بنفسه، إنما الأمر على ما يراه الأصمعي

---

(1) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ص133. اللسان، ج16، ص132. الرواية فيه عن المفضل: أفاطم إني هالك فتثبتي...
(2) اللسان، ج14، ص305.
(3) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ص130. اللسان، ج1، ص401. ابن حجر: ديوان أوس، ص105.

والبين بين الروايتين يؤكد المعنى.

وروى أيضاً أن المفضل «روى هذا البيت:

أَصــــاحِ تَــرَى الــبــرقَ لـم يَغْـتَـمِـض يَــمــوتُ فُــواقــاً ويَــسْــري فُــواقَــا

فقال له خلف الأحمر ويقال الأصمعي: صحفت، إنما هو «يشري» أي يفشع ويتتابع»(1).

وسواء كان القائل خلفاً أم الأصمعي فإن المفضل لم يكن مصيباً في روايته للفعل يشري، وورد في لسان العرب «شرى البرق لمع وتتابع لمعانه»(2)، وهذا يؤكد مجانبة رواية المفضل. ووفقاً لهذا السياق النقدي فإن المفضل «روى بيت خداش بن زهير في مجلس جعفر:

بـيـنَ الأراكِ وبـيـن الـنـخـلِ تَـشْـدَخُـهُـمْ زُرْقُ الأسـنَّـةِ فـي أطـرافِـهـا شَـبَـمُ

فقال له الأصمعي: يا أبا العباس لعل الرماح استحالت كآفر كوبات فهي تشدخ، فقال له: فكيف رويته يا أبا سعيد؟ فقال: تسدحهم، والسّدح: الصرع أرضاً على الوجه أو على الجبين»(3). وهنا نلاحظ أن المفضل يسأل أبا سعيد عن روايته للبيت، وكأنه يلتمس الوجه في الرواية، والأصمعي يبني حكمه على معنى الفعل واستعمال العرب له.

ونلحظ أن الأصمعي كان يأخذ على الشاعر أو الراوية في كلمة أو معنى أتى على ما يخالف الواقع، وكان يربط بين اللفظ والمعنى العام للبيت كما وجدنا. ولعل المنافسة بين العلماء كان لها بعض الأسباب في الاختلافات.

مآخذ على استعمال الأدوات النحوية:

روى المرزباني قول الأصمعي: «لحن ابن قيس في بيت منها في الندبة حين قال:

---

(1) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ص131.
(2) اللسان، ج19، ص156.
(3) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ص129. اللسان، ج3، ص306. العسكري: التصحيف والتحريف، ص137. انظر: الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ص219، موضعان؛ لسان العرب، ج8، ص30، 33.

تبكيكُم أسماءُ مُعْوِلَةً وتقول ليلى وارَزِيئتَيهْ

قال: كان ينبغي أن يقول وارزيئتاه؛ كما تقول: واعمّاه واأخياه»[1]. يرى الأصمعي أن الشاعر أخطأ في هذا الموضع.

بينما قال سيبويه: «وزعم الخليل أنه يجوز في الندبة واعلاميه من قبل أنه يجوز أن أقول واعلامي فأبين الياء كما أبينها في غير النداء.. فإذا بنيت الياء في النداء كما بنيتها في غير النداء جاز فيها ما جاز إذا كانت غير نداء»[2]. وذكر بيت الشاعر السابق الذكر.

وقال الشنتمري: «الشاهد فيه – البيت – إدخال هاء السكت على المندوب لبيان الحركة في الوقف بعد أن قدر المندوب على غير حاله في غير الندبة من حذف الزيادة التي تلحق آخره»[3]. فقد وجد النحاة تأويلاً لقول الشاعر بينما التزم الأصمعي فيه وجهاً واحداً. وروى صاحب الموشح قال: «سمعت الأصمعي يقول: أخطأ ذو الرمة في قوله:

قلائصُ ما تَنْفَكُّ إلاّ مُناخَةً على الخسفِ أو نَرْمي بها بَلَداً قَفْرا

وقوله (ما) جحد و(إلا) تحقيق فكيف يجتمعان»[4].

فالأصمعي ينظر إلى الأداتين وعملهما متعجباً كيف جمع الشاعر بين جحد وتحقيق. «والذي يخرج به عن الخطأ أن تقدر تنفك تامة دون خبر ويكون معناها لا تنفصل من السير إلا في حال إناختها»[5]. ولعل الأصمعي لم يتنبه إلى المعنى الذي يريده الشاعر.

وما يلاحظ على هذه المآخذ أن الأصمعي تفرّد بآراء وجد لها العلماء من بعده وجوهاً تنطبق عليها، وهي ملحوظات قليلة إذا قارنّاها بغيرها من ملحوظات الأصمعي المتعلقة

---

(1) المرزباني: الموشح، ص187. الرقيات: ديوان عبيد الله بن قيس، ص99. تبكي لهم أسماء معولة...
(2) سيبويه: الكتاب، ج1، ص321.
(3) الشنتمري، أبو يوسف سليمان بن عيسى: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، بهامش كتاب سيبويه، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1316هـ، ج1، ص321.
(4) المرزباني: الموشح، ص182. ذو الرمة: ديوانه، ص137. حراجيج ما تنفك...
(5) الشنتمري: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب، ج1، ص428. انظر: الجرجاني، عبد القادر: الطرائف الأدبية، ص81؛ اللسان، ج2، ص466؛ الإشبيلي، ابن عصفور: ضرائر الشعر، ط1، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، د.ب، 1980، ص154؛ لبيد: شرح ديوانه، ص220.

بالمعاني والتشبيهات وغيرها مما يرجح أنّ الأصمعي لم يكن صاحب نحو كما كان صاحب رواية وعلم بالشعر.

مآخذ في صيغ الأفعال:

روى ابن دريد أنّ الأصمعي «كان يطعن في بيت زهير:

رأيتُ ذَوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيوتِهِم   قَطِيناً بها حتّى إذا أنْبَتَ البَقْلُ

ويقول لا يقول عربي أنبت في معنى نبت»[1]. أنكر الأصمعي استعمال زهير لهذه الصيغة وقال: «لا يكون الرباعي إلا متعدياً»[2]، ولكن العرب تكلمت بقولهم: «نبت البقل، وأنبت بمعنى»[3]. وجعل ابن منظور بيت زهير السابق دليلاً على هذا الاستعمال ولكن الأصمعي يتمسك بصيغة فعل، وإذا أخذنا برأيه في الرباعي فلابد من تقدير فاعل في الجملة مما يؤدي إلى تغيير حركة كلمة البقل، وبذلك تخالف حركة القافية.

و«قال المبرد: وفي قصيدة أبي نواس التي أولها:

لستُ لدارٍ عَفَتْ وغيَّرها   ضَرْبانِ من قَطْرِها وحَاصِبِها

لحن في غير موضع. قال وقوله فيها:

اهجُ نزاراً وافرِ جِلْدَتَها

خطأ عند الأصمعي. وزعم الأصمعي أنه يقول في الفساد (فريت) وفي الإصلاح (أفريت) وكان يقول (فريت أوداجه) وغيره يقول في الخير والشر جميعاً فريت وأفريت»[4]. وإذا أخذنا برأي الأصمعي في الصيغتين نجد معنى البيت ينقلب تماماً ويتحول عن وجهة الهجاء التي يريدها الشاعر الذي أورد الصيغة على غير الشاذ إلاّ أنّ تمسّك الأصمعي بالأفصح كان وراء تخطئته للشاعر.

---

(1) ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص198.
(2) ابن أبي سلمى: شرح ديوان زهير، صنعة ثعلب، ص111.
(3) اللسان، ج2، ص400.
(4) المرزباني: الموشح، ص270. أبو نواس، ديوانه، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، 1953م، ص508. وعجزه: وهتك الستر عن مثالِبها.

وذكر ابن قتيبة أن الأصمعي ينكر قول الشاعر:

«لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومُخْتَبِطٌ مما تُطيحُ الطَّوائِحُ

وكان الأصمعي ينكر هذا ويقول: ما اضطره إليه؟ وإنما الرواية: لِيَبك يزيدَ ضارعٌ لخصومة»(1)، فالأصمعي ينكر الرواية ويردها إلى المبني للمعلوم.

نلاحظ أن الأصمعي يتمسك ببعض صيغ الأفعال ولا يجيز غيرها، ورأينا أن العرب قد استعملت الوجه الذي وقف عنده الأصمعي، مما يدل على أنه لم يجز إلا ما يراه الأسلم.

مآخذ صرفية:

لم تخلُ بعض الأبيات الشعرية من خلل في مفرداتها جعل النقاد يتمسكون في جعلها مآخذ على الشعراء، ومن ذلك قول الأعشى:

«تخَيَّرَها أَخُو عاناتَ دَهراً ورَجَّى براهَا عاماً فَعَاما

وقال الأصمعي: عانات لحن لا يكون منوناً: عانات»(2)، فهو يرى أن الشاعر قد وقع في لحن، غير خلاله حركة الكلمة، فمن حقها التنوين، ولكنه منعها منه.

وعقب الأصمعي على قول كعب بن زهير:

«وخالَفتَ أسْبابَ الهُدى وتَبِعْتَه علىِ أيِّ شَيءٍ وَيْبَ غَيرِك دَلَّكَا

قال: وكان الأصمعي يكسر ويب»(3)، ووردت الرواية في الديوان بالفتح، ولكن يظهر ميل الأصمعي للرواية الأخرى. وهذا من الاختلافات اليسيرة التي لا تغير المعنى.

وأخذ على رؤبة في وصف الخمر:

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص100. الضارع: الذليل الخاضع. المختبط: الطالب المعروف. تطيح: تذهب وتهلك. انظر: المرزباني: الموشح، ص187، وص215.

(2) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم، ط1، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، 1368هـ/ 1949م، ج2، ص915. الأعشى: ديوانه، ص197. والرواية فيه: شهراً... ورجى أولها عاماً فعاما.

(3) ابن زهير، ديوان كعب: شرح السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1369هـ/ 1950م، ص4.

«وشَـفَّـهـا الـلـوْحُ بـمـأْزولٍ ضَـيَقْ

ففتح الياء، والصواب ضيق أو ضيّق»(1). فالأصمعي يرى أن الشاعر غيّر في صيغة الكلمة وكان من حق القول فيها إما بالتسكين أو الكسر.

وهذه الملحوظات بجملتها تتعلق بتغيير حركة حرف في بعض ألفاظ الأبيات التي وردت فيها، وممكن أن لهجات الشعراء كانت وراء ذلك، وتنبّه العلماء إلى هذه الظاهرة كما تنبّه لها الأصمعي، وأرى أنها لا تقف حائلاً دون المعنى العام للأبيات التي وردت فيها.

مآخذ تتعلق بمعاني الألفاظ:

تنبّه الأصمعي إلى بعض أبيات الشعراء التي لم تأت على الوجه المطابق للواقع لأن شعراءها اتجهوا فيها وجهة غير حقيقية.

ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

«فَـجـاءَ بِـهـا مـا شِـئْـتَ مِـن لَـطَـمِـيَّـةٍ   تَـدومُ الـبِـحـارُ فَـوْقَـهـا وتَـمُـوجُ

قال الأصمعي: يدوم الفرات فوقها، والفرات العذب، ولا يجيء منه الدر إلا أنه غلط»(2). فهو يبيّن أن سبب غلط أبي ذؤيب يكمن وراء جعله التدويم للبحار، وهو يرى أن التدويم يكون للماء العذب، وهذا لا يتشكل فيه الدر.

وأخذ على ذي الرّمة في قوله:

«حَـتّـى إذا دَوَّمَـتْ فـي الأرْضِ أدركـه   كِـبْـرٌ ولـو شَـاءَ نَـجَّـى نَـفـسَـهُ الـهَـرَبُ

وقال: الفصحاء لا يقولون دوم في الأرض، وإنما يقولون دوم في السماء»(3).

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص598. رؤبة: ديوانه، ص105. انظر: الأغاني، ج6، ص56؛ المرزباني: الموشح، ص186؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص598؛ اللسان، ج4، ص79؛ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشير: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار المعارف، مصر، 1961م، ج1، ص43؛ الإشبيلي: ضرائر الشعر، ص84.
(2) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج1، ص134. اللسان، ج15، ص103. اللطيمة: عير تحمل التجارة والعطر.
(3) الآمدي: الموازنة، ج1، ص43. ذو الرمة: ديوانه، ص24.

ونقل صاحب لسان العرب البيت وذكر قول الأصمعي: «دومت خطأ منه، لا يكون التدويم إلا في السماء دون الأرض»(1). فالأصمعي يرى أنّ ذا الرمة لم يصب في استعمال؛ الفعل لأنه جعل التدويم في الأرض. وأخذ على ذي الرمة في قوله:

« .... كأنّهُ من نياطِ القَوْسِ حُلْقوم

فقال حلقوم ماذا؟ إذا كان يجب حلقوم طائر أو حلقوم قطاة ونحوهما مما يشبه الوتر في الدقة»(2)، فهو يأخذ على الشاعر؛ لأنه لم يحدد المشبّه به، ولذلك رأيناه يتساءل عقب البيت.

أما رؤبة فقد أخذ عليه مآخذ عدة، منها، قال: «وأخطأ في قوله يصف الظليم:

وكُلُّ زَجّاجٍ سُخامِ الخَمْلِ تَبْري له في زَعِلاتٍ خُطْلِ

فجعل للظليم عدة إناث، كما يكون للحمار، وليس للظليم إلا أنثى واحدة»(3).

فالأصمعي يأخذ على الشاعر عدم مطابقة القول للأمر الواقع، فالظليم يختص بأنثى واحدة، أما حمار الوحش فلا يختص بأنثى واحدة. وقد تطرقت قصائد إلى وصف حمار الوحش وأتنه المتعددة.

ويلاحظ على المآخذ المتعلقة بالمعاني أن الشاعر قد يضطر إلى استخدام كلمة مكان أخرى فتؤدي إلى معنى يختلف عن المعنى المقصود، أو يستخدم ألفاظاً لا يدرك معناها، ولكن وقعت له، فاستخدمها في أبياته واهماً في معناها، فجاءت مغايرة للمعاني الحقيقية، مما جعل النقاد يأخذون على من أتى بشيء من هذه الألفاظ من الشعراء.

(1) لسان العرب، ج15، ص103.
(2) الآمدي: الموازنة، ج1، ص186. ذو الرمة: ديوانه، ص588. صدره: يؤود من متنها متن ويجذبه.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص597. رؤبة: ديوان رؤبة بن العجاج، ص129. زجاج: لأنه يزج الأرض برجليه. السخام: كل شيء لين، اللسان ج15، ص174. الخمل: ريش النعام، اللسان ج13، ص234. زعلات: نشيطات، اللسان ج13، ص323. خطل: الخطل خفة وسرعة، اللسان ج13، ص221. انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص596 وج2، ص499 و500.

مآخذ على التشبيهات:

قال المرزباني: «قال عبد الله بن المعتز: عيب على النابغة قوله في وصف النعام:

مثل الإماءِ الغَوادِي تَحْمِلُ الحُزَمَا

قال: وقال الأصمعي: إنما توصَف الإماء في هذا الموضع بالرواح لا بالغُدو لأنهن يجئن بالحطب إذا رحن»(1)، وهذه من طبيعة الحياة في البادية، حيث يخرج الإماء من الخيام، يطُفن في أطراف المضارب ليعُدن في الأصائل ببعض ما تحتاج إليه خيمة الأعرابي من حطب يلزم لقضاء الحاجة.

وفي قول النابغة أيضاً:

نَظَرَتْ إليكَ بِحاجَةٍ لم تَقْضِها ... نَظَرَ السَّقيمِ إلى وُجوهِ العُوَّدِ

قال الأصمعي: أما تشبيهه مرض الطرف فحسن إلاّ أنه هجنه بذكر العلة، وتشبيهه امرأة بالعليل»(2)، فتشبيه طرف المرأة بالفتور وبالنعاس جميل ومستحب في النساء، وقد تغنى به الشعراء ووصفوه بأجمل الوصف.

ولكن الأصمعي أخذ على النابغة ذكره العلة. وأخذ عليه في قوله:

«كأنّكَ من جِمالِ بَني أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجلَيْهِ بشَنِّ

قال الأصمعي: جمال بني أقيش ليست بعتاق فتضرب بها الأمثال»(3)، فأخذ على الشاعر أنه شبّه ممدوحه بنوع من الإبل ليست من عتاقها يعدّ قصوراً في الممدوح نفسه.

وروى المرزباني خبراً أسنده إلى الأصمعي «أنه سمع قول الأعشى:

كأنَّ مشيتَها من بيتِ جارَتِها ... مَرُّ السّحابَةِ لا رَيْثٌ ولا عجَلُ

(1) المرزباني: الموشح، ص44. النابغة: ديوانه، ص65، صدره: تحيد عن أستن سود أسافله... والأستن شجر منكر الصورة. سود أسافله: أنه عفر الأسافل.
(2) الحاتمي: حلية المحاضرة، ص68. النابغة: ديوانه، تحقيق: إبراهيم، ص93.
(3) الذبياني: ديوان النابغة، صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، 1968م، ص198. الشن: القربة البالية.

فقال: جعلها خراجة ولاجة، هلا قال كما قال الآخر:

ويُكرِمُها جاراتُها فيَزُرْنَها وتَعْتَلُّ من إتيانهن فتُعْذَرُ»(1)

فحديث الأعشى عن صاحبته هريرة، وما قال في جمال وصفها به، لا يليق بها كامرأة احتلت هذا المكان من قلب الشاعر الذي جعلها كثيرة العيادة لجاراتها، وهذه من العادات المكروهة إذا تكررت، وكان الأصمعي ينظر من خلال «الذوق العام واللياقة الاجتماعية والكياسة العملية في غالب الأمر»(2).

ومن هنا تبين الأصمعي عيب البيت، ودلّ في البيت الثاني على المرأة الكريمة التي تعتل من عيادة جاراتها اللائي يكرمنها فيزرنها.

وقال ابن الشجري: «وزعم الأصمعي أن زهيراً غلط في قوله:

فتُنْتَجْ لكم غِلمانَ أشأمَ، كُلُّهُم كأحمَرِ عادٍ، ثم تُرْضِعْ، فَتَفْطِمِ

قال: أراد أحمر ثمود، فقال: كأحمر عاد، وهو قدار عاقرة الناقة، ووافق ثعلب الأصمعي في تغليط زهير»(3)، وهو يريد أن يطلق الاسم على مسماه الحقيقي، رغم أنه يطلق على ثمود عاد الثانية.

وأخذ على العجاج قائلاً: «ومما يستقبح من تشبيهه قوله للمرأة:

يُنْسِيْنَ من لِين الشّبابِ نِيمَا

والنيم الفرو»(4)، وهذا لا توصف المرأة به، وقد يكون العجاج وهِمَ في تشبيهه هذا.

ومما أخذه الأصمعي على تشبيهات في غير المرأة، ما رواه صاحب الموازنة قال: وعاب الأصمعي عدي بن الرقاع بقوله:

---

(1) المرزباني: الموشح، ص51. الأعشى: ديوانه، ص55.

(2) ناصف، د. مصطفى: الصورة الأدبية، ط1، مكتبة مصر، مصر، 1378هـ/ 1958م، ص49.

(3) ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة: الأمالي الشجرية، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة بحيدر آباد الدكن، 1345هـ، ج2، ص180. ابن أبي سلمى: شعر زهير، تحقيق: د. قباوة، ص20.

(4) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص600.

«لَـهَـمْ رَايــةٌ تَـهْـدي الـجُـمـوعَ كـأنّـها   إذا خَـطَـرَتْ فـي ثَعلبِ الـرُّمْـحِ طـائِـرُ

وقال الراية لا تخطر، إنما الخطران للرمح»(1)، فقد أخذ عليه في التشبيه؛ حيث جعل الخطران للراية، وهو أصلاً للرمح.

ومن ذلك ما قاله الأصمعي في بيت الأحوص:

«رَفَـعْـتُ لـه نــاري، فلـمّـا اهـتـدى لها   زَجَـــرتُ كـلابـي، أنْ يَـهِـرَّ عَـقُـورُهـا

... قال الأصمعي: لم يجد في وصف كلابه؛ لأنه لو كان الضيفان يكثرون إتيانه آنست بهم كلابه. والجيد ما قاله ابن هرمة:

وإذا تَـنَـوَّرَ طَـارِقٌ مُـسْـتَـنْـبِـحٌ   نَـبَـحَـتْ فَـدَلَّـتْـهُ عَـلـيَّ كِـلابـي

فـعَـوَيـنَ يَـسـتـعْـجِـلْـنَـهُ فـلَـقِـيْـنَـهُ   يَـضْـرِبـنَـهُ بـشـراشِـرِ الأذْنــابِ

عِـرفـانَ أنّـي سـوف أضـرِبُ عَـبْـطَـةً   دَمَ بَـكْـرَةٍ مَـعْـصـوبَـةٍ أو نَـابِ»(2)

فلا يدل زجر الكلب على صفة الكرم، ولا كثرة الطارقين حتى يأنس الكلب بهم، وابن هرمة جعل كلابه تستعجل قدوم الضيف بعوائها، ولم يقل ينبحن للفارق بين دلالة الفعلين ولعدم إصابة الأحوص، ويلاحظ كيف اعتمد الأصمعي في هذه الآراء على المقارنة أحياناً، والنظر إلى ما يلائم طبيعة الأشياء التي يتحدث عنها الشعراء. وينتمي شعراء الأبيات السابقة إلى عصور مختلفة وأكثرهم من العصر الجاهلي.

مآخذ على بعض من ذكروا الخيل والإبل:

قال الشنتمري: «كان الأصمعي مع تحامله على المحدثين وشعرهم معتدلاً في عصبيته

(1) الآمدي: الموازنة، ج1، ص47. الثعلب هنا طرف الرمح الداخل في جبة السنان.

(2) التبريزي: شرح اختيارات المفضل الضبي، ج2، ص814. ابن هرمة: ديوان إبراهيم، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مكتبة الأندلس، بغداد، 1386هـ/ 1969م، ص257. القرشي، شعر إبراهيم بن هرمة: تحقيق: محمد نفاع/ حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، تاريخ المقدمة 1389هـ/ 1969م، ص73. صدر البيت الثاني: وفرحن إذ أبصرنه فلقينه، ولم يرد البيت الثالث. لم أجد بيت الأحوص في شعره: جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، قدّم له د. شوقي ضيف، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1390هـ/ 1970م.

للشعر الجاهلي، كان يحب الجيّد منه، وينقد الرديء، عاب امرأ القيس في وصف الفرس:

وأرْكَـــــبُ فـي الــــرَّوْعِ خَـيْـفـانَـةً كَـسـا وَجْـهَـهـا سَـعَـفٌ مُنْتَشِرْ»[1]

عاب الأصمعي هذا التشبيه معتمداً على خبرة في الخيول وصفاتها حيث قال: «إذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريماً. والجيد الاعتدال كما قال عبيد:

مُـضَـبَّـرٌ خَـلْـقُـهـا تَـضْـبـيـراً يـنْـشَـقُّ عـنْ وَجـهِـهـا السَّبيبُ»[2]

لقد انتقد الأصمعي امرأ القيس في تشبيهه الفرس عندما جعل شعر الناصية يكسو وجه الفرس، ويرى أن الاعتدال أدل على عتق الفرس.

وأخذ على زهير بن أبي سلمى قوله:

«ورُحْـنـا بـهِ يَـنْـضـو الـجِـيادَ عـشـيَّةً مُـخَـضَّـبـةً أرْسـاغُـهُ وحَـوامِـلُـهْ

وقال الأصمعي: لم يصب في نعته؛ لأنه لا يحمد أن يكون سريع المشي»[3].

ويعلل الأصمعي سبب مآخذه على زهير بقوله: «ولا توصف العتاق بذلك»[4]، أي بسرعة المشي، وإن كانت هذه الصفة مستحبة في الجري.

وأخذ على أبي ذؤيب في قوله:

«قَـصَـرَ الـصَّـبوحُ لها فَـشَـرَّجَ لَحْمَها بـالـنَّـيِّ فَـهـي تَـنـوخُ فِـيـهـا الإصْـبَـعُ

وهذا من أخبث ما نعت به الخيل، والصواب أن توصف بصلابة اللحم»[5].

وأضاف في الديوان قال الأصمعي: «لو عدت هذه ساعة لقامت من كثرة شحمها، وإنما توصف بصلابة اللحم كما قال امرؤ القيس:

(1) الشنتمري: أشعار الشعراء الستة، ج2، ص315. امرؤ القيس: ديوانه، ص163.
(2) المرزباني: الموشح، ص35. ابن الأبرص: ديوان عبيد، ص17. التضبير: الجمع. السبيب من الفرس: شعر الذنب والعُرف والناصية.
(3) ابن أبي سلمى: شرح ديوان زهير، صنعة ثعلب، ص137.
(4) المصدر السابق، ص137.
(5) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص655. شرح أشعار الهذليين، ج1، ص33.

بِعِجْلِزةٍ قد أتْــرَزَ الجريُ لَحْمَها كُمَيْتٍ كأنَّها هِــرَاوَةُ مِنْوالِ»[1]

ذكر الأصمعي أن سبب مآخذه على أبي ذؤيب أنه كنّى عن اكتناز فرسه للحم أنه جعل الإصبع تغيب فيه، وهذا الوصف لا يليق بفرس كريم. ولهذا قارن بين وصف امرئ القيس وقول أبي ذؤيب.

وقد عقب الأصمعي على قول العجاج:

«نُتْبِعُهُمْ خَيْلاً لنا عَواتِكا في الحَربِ جُرْداً تَركَبُ المَهالِكا

ذاتَ ارتِيادٍ تُنكِحُ الصّعالِكا مِن كُلِّ نَهْدٍ يَستَعِزُّ الحارِكا

... يغلظ في عنقه حتى يكون أغلظ من سائره، وهذا خطأ قبيح في صفة الفرس، والصواب في الصفة ما قال زهير:

وعَزَّتْها كَواهِلُها، وكَلَّتْ سَنابِكُها، وقَدَّحَتِ العُيونُ»[2]

فقد هدته ملاحظته وخبرته إلى تبيّن الخلل في البيت حين بالغ العجاج عندما جعل عنق الفرس غليظاً بشكل لا يليق بالجياد[3].

ولم يقتصر نقد الأصمعي على ما يتعلق بالخيول؛ بل نجده يأخذ على شعراء ذكروا الإبل وصفاتها، قال المرزباني: «كان الأصمعي يعيب قول النابغة يصف ناقة:

مَقْذوفَةٍ بدخيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صَريفٌ، صريفُ القَعْوِ بالمَسَدِ

ويقول: البغام في الذكور من النشاط وفي الإناث من الإعياء والضجر، ألا ترى قول ربيعة بن مقروم الضبي:

---

(1) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج1، ص34. امرؤ القيس: ديوانه، ص37. العجلزة: الفرس الصلبة اللحم. أترز: أيبس. هراوة المنوال: عصا المنوال.

(2) العجاج: ديوان العجاج، تحقيق: د. السطلي، ج1، ص128. ابن أبي سلمى: شرح ديوان زهير، صنعة ثعلب، ص190.

(3) انظر: العسكري: المصون في الأدب، ص138؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص609؛ الأصفهاني: الأغاني، ج10، ص161، وج20، ص354؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص176-175؛ المرزباني: الموشح، ص219.

كِـــنــازُ الـبـضــيـعِ جُـمـالـيَّـةٌ   إذا مـا بَـغَـمْـنَ تَـراهـا كَتُوما»(1)

فهذه الملحوظة لا تظهر إلا عن إدراك تام للإبل وحياتها، ولا يدرك هذا الفارق إلا مَنْ خبرَ الإبل خبرة تامة، حتى ميز بين صوت الذكور والإناث منها، واعتمد في بيان الصفة على قول شعراء آخرين. وأخذ على المخبل السعدي قوله:

«وتَـسُـدُّ حـاذَيْـهـا بِـذي خُـصَـلٍ   عُـقِـمَـتْ فَـنـاعَـمَ نَـبْـتَـهُ الـعُـقْـمُ

قال: أخطأ في وصف الذنب بالسُّبوغ والكثرة؛ لأنّا لم نرَ نجيباً إلا وذنبه كذنب الأفعى»(2).

فإن الأصمعي يأخذ على الشاعر عدم إصابته في نعت هذه الناقة، ومثله في قول كعب ابن زهير:

«ضَـخْـمٌ مُـقَـلَّـدُهـا فَـعْـمٌ مُـقَـيَّـدُهـا

قال الأصمعي: هذا خطأ، إنما توصف النجائب بدقة المذبح»(3). فهذه الملحوظات ترتبط بوصف أعضاء الإبل، ولا يتنبّه لها إلا أصحاب خبرة ودراية بالإبل وخصائصها.

ويتصل بالحديث عن الإبل الكلام الحديث عن رعاتها، وكان الأصمعي أخذ على بعض الشعراء في وصفهم الرعاة. قال أبو النجم:

«نَـشَّـطـهـا ذو لِـمَّـةٍ لـم تُـغْـسَـلِ   صُـلْـبُ الـعَـصـا جَـافٍ عَـن الـتَـغَـزُّلِ

ويقول الأصمعي: إنما توصف الرعاة بضعف العصا»(4)، فقول أبي النجم مأخوذ عليه؛ لأنه خالف المألوف في وصف رعاة الإبل الذين يوصفون بضعف العصا، وأجاد في الصفات الأخرى.

ويعلل الأصمعي سبب مأخذه على أبي النجم بقوله: «لا يوصف راعي الإبل بصلابة

(1) المرزباني: الموشح، ص42. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص19.
(2) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج1، ص553.
(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص152. ابن زهير: شرح ديوان كعب، صنعة السكري، ص10. عجزه: في خلقها عن بنات الفحل تفضيل. انظر: الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ص119.
(4) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص609. الطرائف الأدبية، ص70.

العصا، والجيّد قول الراعي:

ضَعيفُ العَصا بَادي العُروقِ ترى له عَلَيْها إذا ما أجْدَبَ النّاسُ إصْبَعا»[1]

ويظهر بيت الراعي صورة راع لوَّنت الشمس وجنتيه، وظهرت عروق يديه بعد أن نحل جسمه من مصارعة أحوال الطبيعة، وهو صاحب سلطان على الإبل لم يبلغه أحد سواه، فإذا فقدَ الناس قدرتهم على التعامل مع الإبل يقدم ذلك البادي العروق ليرسلها حيث شاء، وبيّن الشاعر عظمة سلطانه بأن جعل له عليها إصبعاً.

ويرتبط بالإبل مكان ورودها الذي ذكره بعض الشعراء، وأخذ الأصمعي على أبي النجم في قوله:

«وهي على عَذْبٍ رَوِيِّ المَنْهَلِ دَحْلِ أبي المِرْقالِ خَيرِ الأَدْحُلِ

من نَحْتِ عادٍ في الزَّمانِ الأوّلِ

قال الأصمعي: الدحل لا توردهُ الإبل إنما تورد الركايا»[2]. ولعل الأصمعي ينظر إلى معاني المفردات، فالدحل «نقب ضيق فمه ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه»[3]، بينما تعني الركية «البئرُ تحفَرُ والجمع ركيٌّ، وركايا»[4]، وهي أكثر ملاءمة لورود الإبل.

وما يظهر على ملحوظات الأصمعي ومآخذه على الشعراء أنه كان مدفوعاً ببعض تلك المآخذ بروح العصر حين «أخذ النقاد يصورون روح التنطس الاجتماعي المتحضر، ولم يقووا على الاستعلاء على الحجب المصطنعة بين الموجودات لكي يخلصوا مع الشاعر لصداقة تربطه بكل ما يدب... اقتحمت روح الظرف والذوق الاجتماعي بما ينطوي عليه من آداب المعاشرة والسلوك والرسميات ميدان النقد الأدبي في التشبيه وغير التشبيه»[5]، فكان على الأصمعي أن ينظر إلى ما يدور في مجالس معاصريه، ويظهر أنه كان يرمي من

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص609. الراعي: ديوانه، ص162.
(2) الأصفهاني: الأغاني، ج10، ص161. الركايا: جمع ركية.
(3) اللسان، ج13، ص253.
(4) اللسان، ج19، ص50.
(5) ناصف، د. مصطفى: الصورة الأدبية، ص51.

وراء تلك المآخذ إلى كمال الصورة الأدبية أو الصفة التي ينعت بها الموصوف، ونراه قد اعتمد على المقارنة أحياناً من أجل إظهار الصورة على الوجه الذي يراه أكثر كمالاً، فهو ينظر إلى الفرس بشعرها القصير، وجسمها الممتلئ الموثق الخلق، وينظر إلى الناقة النجيبة بمذبحها الدقيق واسعة الإبطين، ضيقة الزور، دقيقة الذنب، لطيفة الكركرة، وراعيها بعروقه الظاهرة إلى العين، ولمّته الشعثاء.

أما شعراء هذه المآخذ فمنهم الجاهلي كامرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، ومنهم المخضرم مثل كعب بن زهير، ومنهم الإسلامي مثل أبي النجم العجلي والراعي وغيرهما. ويعود أولئك الشعراء إلى قبائل مختلفة.

مآخذ على من ذكروا الأشجار:

عندما ذكر ابن قتيبة المرار العدوي قال: «وكان الأصمعي يخطئه في صفة قوله في نخل:

كأنَّ فُروعَها في كلِّ ريحٍ ... عَذارى بالذّوائِبِ يَنْتَصِينا

ضَرَبْنَ العِرْقَ في يَنْبوعِ عَينٍ ... طَلَبْنَ معينَهُ حتى رَوِينا

بناتُ الدَّهرِ لا يَخْشَيْنَ محلاً ... إذا لم تَبْقَ سائِمةً بَقينا

وقال: لم يكن له علم بالنخل، وإذا تباعد النخل كان أجود له، وأصلح لثمره. ومما كانت العرب تقوله عن الأشياء، قالت نخلة لأخرى:

أبْعِدي ظلي من ظلِّكِ ... أحملُ حَمْلي وحَمْلَكِ»[1]

فهو يذكر مواطن الضعف في الأبيات ثم يعقب على ذلك بذكر الشيء المثالي، فعندما جعل الشاعر النخل يجاذب بعضه بعضاً كضفائر عذارى، يكون في ذلك ضرر يلحق بنتاجها وعيب الأصمعي متمشياً مع الواقع.

وذكر ابن قتيبة أن أبا ذؤيب «عيب بقوله في الخمر:

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج2، ص698. الذوائب: الضفائر. ينتصينا: من المناصاة وهي المجاذبة. المحل: الجدب.

فما بَـرِحَـتْ في الـنـاسِ حـتى تبَيَّـنَـتْ ثَـقـيـفـاً بِـــزِيـــزَاء الأشـــاءِ قـبـابُـهـا

... قال الأصمعي: فما تصنع بالخمر ومن ذا يجلبها من الشآم إليهم وعندهم العنب»[1].

ونلاحظ أن الأصمعي يلتفت إلى المناسبة التي تقال فيها القصيدة، والبيئة الجغرافية التي ينتمي إليها الشاعر، وما تشتهر به من نبات وأشجار كما في بيت أبي ذؤيب الذي جعله يتساءل عن حامل الخمرة إلى بلاد ثقيف، وتظهر هذه المآخذ درايته في بلاد العرب.

ويظهر من المواقف النقدية السابقة أن الأصمعي لم يأخذ على شعراء عصر دون آخر، ولكنه كان ينتقد كل تشبيه، أو معنى، أو رواية يجدها لا تنطبق على الواقع كما كان متشدداً في الرواية ولا يجيز إلاّ أفصح اللغات، وتنبّه إلى اختلاف الرواية في حركات بعض الحروف أو في الحروف، وأحياناً في بعض أبيات الشعر. وليس غريباً على إمام مثل الأصمعي أن يتنبّه إلى بعض الألفاظ الدخيلة على العربية، والألفاظ المولدة، وهذا ما سنتبين أمثلة منه في الفصل القادم.

(1) المصدر السابق، ج2، ص658. شرح أشعار الهذليين، ج1، ص47. الأشاء: صغار النخل. الزيزاء: أطراف الريش وكأنه يريد أطراف السعف، اللسان ج7، ص226.

الفصل الثالث
منهج الأصمعي في النقد اللغوي

الاستدلال بالشعر على المترادفات:

نستخلص من المصادر الأدبية نماذج تدل على حصيلة لغوية عند الأصمعي من خلال المترادفات.

ومن ذلك ما رواه صاحب المزهر عن الأصمعي، قال: «من أصوات الخيل الشخير، والنخير، والكرير، فالأول من الفم، والثاني من المنخرين، والثالث من الصدر»[(1)]، وهي ملحوظات دقيقة تؤكد دراية الأصمعي بالخيل.

ومما يتعلق بأحوال الطبيعة قوله: «ويقال: هنيف وهوف، للريح الباردة»[(2)]، فهذه المرادفات التي وردت عن الأصمعي تدل على إدراك لتسميات الريح، ومثلها قوله في السحاب: «بنات مخر وبنات بخر: سحائب يأتين قبل الصيف بيض منتصبات في السماء، قال طرفة:

كبَناتِ المَخْرِ يَمْأدْنَ إذا أنبتَ الصّيْفُ عساليجَ الخَضِر»[(3)]

والأصمعي هنا يؤكد كلامه عن هذه السحب بذكر بيت طرفة.

وذكر صاحب التنبيهات قول الأصمعي: «يقال جاء بالخبزة ناسة، وقد نَسَّ الشيء يَنس وينس نساً، ومنه قول العجاج:

وبلدٍ يُمسي قطاهُ نَسّا»[(4)]

(1) السيوطي: المزهر، ج1، ص52.
(2) ابن السكيت: إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر/ عبد السلام محمد هارون، ط2، دار المعارف، مصر، 1375هـ/ 1956م، ص92.
(3) ابن جني: الخصائص، ج2، ص84. ابن العبد: ديوان طرفة، ص53. العساليج: جمع العسلوج والعسلاج وهو ما لان واخضرّ من الأغصان. يمأدن: ينثنين.
(4) التميمي، علي بن حمزة: التنبيهات على أغاليط الرواة، عبد العزيزي الميمني الراجكوتي، دار المعارف،

ومما رواه الأصفهاني وغيره من نصوص تتضمن مرادفات أخذت عن الأصمعي، وهذه النصوص تدل على أنه صاحب حصيلة لغوية واسعة لم تختص بتخصص معين، فمنها ما يتصل بالخيل، ومنها ما يتصل بالأنواء والسماء. ولا شك أن لهذه الحصيلة اللغوية أثرها في تكوين ثقافة الأصمعي النقدية.

الاستدلال بالشعر على قضايا صرفية:

روى ابن السكيت عن الأصمعي قوله: «يقال: رجل شحيح، وشحاح. وصحاح، وصحيح. وعقام، وعقيم. وبجال، وبجيل»(1)، فهذه الصيغ التي وقعت على وزن فعال وفعيل ذكرت عن الأصمعي.

ومثلها فيما روى القالي: «قال الأصمعي: يقال عدا الفرس يعدو عدواً؛ إذا أحضر، وأعديته أنا أعديه إعداء؛ إذا استحضرته، قال النابغة الجعدي:

حتّى لَحِقْناهُمُ تُعْدي فَوارِسُنا كأنّنا رَعْنُ قُفٍّ يَرفَعُ الآلا»(2)

أورد الماضي والمضارع والمصدر من الفعل، وأكد رأيه ببيت النابغة.

وذكر ابن السكيت قول الأصمعي: «رضع الصبي يرضع ورضع يرضع. قال: وأخبرني عيسى بن عمر أنه سمع هذا البيت لأبي همام السلولي:

وذَمّوا لنا الدُنْيا وهم يرْضِعُونَها أفاويقَ حتّى ما يَدُرُّ لها ثعْلُ»(3)

ذكر الفعل مع اختلاف حركة عين الفعل في الزمن الماضي، وكذلك في المضارع، ثم ذكر قول عيسى بن عمر والبيت الذي رواه.

وجاء في الخصائص: «قال الأصمعي: يقال انباع الشجاع، ينباع انبياعاً؛ إذا انخرط بين الصفين ماضياً، وأنشد فيه:

مصر، 1977م، ص210. العجاج: ديوان العجاج، ج1، ص192.

(1) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص108.

(2) القالي: الأمالي، ج2، ص228. الجعدي: شعر النابغة، ص106. تعدي: تستحضر. الرعن: أنف الجبل. القف: ما ارتفع من الأرض.

(3) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص213.

يُــــطْـــرِقُ حِــلــمــاً وأنــــــاةً مـعــاً   ثُــمَّــتَ يَـنـبـاعُ انـبِـيـاعَ الشجاعْ»[1]

أورد الماضي والمضارع والمصدر وأكد رأيه باستعمال العرب لهذه الألفاظ.

وتبيّن الأمثلة السابقة أن الأصمعي كثيراً ما يذكر أزمان الفعل ومصدره، ويؤكد قوله ببيت شعر احتوى اللفظ أو مصدره[2].

الاستدلال بالشعر على المعاني:

روى صاحب العقد الفريد أن الأصمعي قال: «ما سبق في الرهان فرس أهضم قط، وأنشد لأبي النجم:

مُـنـتَـفِـخُ الـخَـوْضِ عَـريـضٌ كَـلْـكَـلُـه

الهضم في الخيل استقامة الضلوع، وانضمام أعالي البطن واستقامتها، ودخول أعاليها، وهو عيب»[3]. وذكر الأصمعي صفات الجواد الأهضم مبيناً معنى اللفظ مؤكداً رأيه بقول الشاعر.

وقال المرار بن المنقذ يصف إبلاً:

«وكــائِــن، مِــن فَـتـى سَــوءِ تَـرَيْـهِ   يُـعَـلِّـكُ هَـجْـمَـةً: حُـمْـراً وجُـونـا

والهجمة قال الأصمعي: هي المئة من الإبل، واستشهد بقوله:

ظَــفِــرْتَ بـهـجـمـةٍ: حُـمـرٍ وسـودٍ   تُـسَـرُّ بـمـا يُـسـاءُ بـه اللّبيبُ»[4]

فقد أخذ عن الأصمعي معنى قوله هجمة، وذكر استعمال العرب لهذا اللفظ في شعرهم. وفي معنى وشم؛ قال الأصمعي: «أوشمت السماء؛ إذا بدا فيها برق، وأوشمت الأرض؛ إذا

(1) ابن جني: الخصائص، ج3، ص122. البيت للسفاح بن كثير اليربوعي يرثي يحيى بن ميسرة، صاحب مصعب بن الزبير.
(2) انظر: ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص88، 111، 118، 214؛ القالي: الأمالي، ج1، ص182؛ ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى/ عبد الله أمين، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1373هـ/ 1954م، ج1، ص252.
(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص175.
(4) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، تحقيق: د. قباوة، ج1، ص354.

بدا فيها نبت، وأنشد أبو محرز الحماني:

وكَـــمْ مـن كَـعَـابٍ كـالـمَـهـاةِ الـمُـوشِـم

وهي التي قد نبت لها وشم من النبات ترعى فيه»[1]، فهو يذكر وجوه استعمال الفعل مورداً قول الشاعر الذي ورد فيه اللفظ.

وروى ابن جني في معنى قولهم: اغدودن، أن الأصمعي قال: «هو المسترخي، أنشد اليزيدي عن عبد الرحمن عن عمه:

تَـرْعَـى مِـنَ الـدهـنـا نَـصِـيّـاً بَـشَـمُـهْ   مُـغْـدَوْدِنَ الـنَّـبْـتَـةَ مـيـلاً قِـمَـمُـهْ

وزعم الأصمعي أنه من الغَدَنِ، وهو الاسترخاء، وأنشد:

أحـمـرُ لـم يُـعْـرَفْ بِـبُـؤْسٍ مُـذْ مَـهَـنْ   ولـم تُـصِـبْـهُ نعْـسَـةٌ عـلـى غَـدَنْ»[2]

روي عن الأصمعي معنى اللفظ والبيت الذي ورد فيه، ثم ذكر مصدر اشتقاقه والبيت الذي ورد فيه المصدر أيضاً.

وقال ابن السكيت: «النقز: الرجل الفسل الرديء. والنّقز بالتثقيل: رذال المال. وأنشد الأصمعي:

أخَـذْت بِـكْـراً نَـقْـزاً مِـن الـنَّـقَـزْ   ونَـابَ سَـوءٍ قَـمْـزاً مِـن الـقَـمَـزْ

هـذا وهـذي غَـمَـزٌ مِـن الغَمَزْ»[3]

فالفرق واضح في تخفيف اللفظ وتثقيله، ونقل عن الأصمعي ما روى فيه من شعر.

وتظهر من الأمثلة السابقة طريقة الأصمعي في الاستدلال بالشعر على معاني المفردات؛ حيث كان يذكر معنى اللفظ، ويدل على ذلك ببيت شعر وأحياناً بذكر بيتين. ولم يقتصر الأصمعي على جانب معين من الألفاظ، لكنه كثيراً ما يتناول ما يُعرض له من مفردات

(1) القالي: الأمالي، ج1، ص181.
(2) ابن جني: المنصف، ج3، ص30. اللسان، ج17، ص186.
(3) ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص28. اللسان، ج7، ص264 و286. القمز: صغار المال ورديئه.

فيشرحه، ويذكر ما ورد فيه من شعر، كما استعان بالشعر في الاستدلال على قضايا صرفية تتعلق بالألفاظ(1).

الخلاف في الرواية

اختلاف في حركة حرف:

قال لبيد:

«بِمَشارِقِ الجبَلَينِ، أو بمُحَجِّرٍ فتَضَمَّنَتها فَرْدَةٌ فرُخامُها

أراد بالجبلين: جبلي طيئ؛ أجأ وسلمى. ومحجر بكسر الجيم: اسم موضع، ويروى عن الأصمعي أنه كان يفتح الجيم. وقال أبو زياد: محجّر جبل حوله رمل حجر به»(2). وردت رواية اللفظ في البيت بالكسر، ومن شرح الأبيات فقد أخذ برأي الأصمعي وهو فتح حرف الجيم في اللفظ. وقال النابغة الذبياني:

«والمؤمنِ العائذاتِ، الطّيرَ، تَمسحُها رُكبانُ مَكّةَ، بينَ الغيلِ والسَّنَدِ

... روى أبو عبيدة: «بين الغيل والسعد» بكسر الغين. وقال هما أجمتان كانتا بين مكة ومنى. وأنكر الأصمعي هذه الرواية، وقال: إنما (الغيل) بكسر الغين: الغيضة، والغيل بفتح الغين: الماء، وإنما يعني النابغة ما كان يخرج من أبي قبيس»(3).

ينكر الأصمعي رواية (الغيل) معتمداً على معنى اللفظ مناسباً بينه وبين المعنى، ولعل النابغة يريد ما عاد بالأرض الطاهرة بين هذين الموضعين وهما: أبو قبيس، والسند.

(1) انظر: الأصفهاني: الأغاني، ج6، ص270؛ التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج2، ص769؛ ابن جني: المنصف، ج3، ص80، 88؛ السيوطي: المزهر، ج1، ص478؛ القالي: الأمالي، ج1، ص115، 181.

(2) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص213. لبيد: شرح ديوان لبيد، ص302. فردة: ماء من مياه نجد.

(3) المصدر السابق، ص461. الذبياني: ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص25. والرواية فيه: ... بين الغيل والسعد. أبو قبيس: جبل بمكة.

اختلاف في رواية حرف:

أوردت المصادر أن الأصمعي أشار إلى جوانب لغوية تتصل باستعمال الأدوات النحوية، ومنها ما ورد في قول امرئ القيس في المعلقة:

قِفا نَبْكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومنزِلِ بسَقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ

«قال الأصمعي: بين الدخول فحومل خطأ، ولا يجوز إلا بواو وحومل، لأنه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمرو وإنما يقال: رأيت زيداً فعمراً إذا رأى كل واحد منهما بعد صاحبه»(1). ولم يذكر هذا الرأي إلا عن الأصمعي الذي نظر إلى «ظاهر الكلام من أن الدخول اسم مفرد لا تعدّد فيه وقد عني العلماء من بعده بتصحيح عبارة امرئ القيس، فذكروا أن كلمة الدخول لا يراد بها في هذا الموضع جزئي مشخص لا تعدد فيه وإنما أجزاء ذلك المكان»(2)، بينما نظر الأصمعي إلى المكانين على أنّ كل واحد منهما مفرد.

ويرى يوسف خليف: «أن تفسر على أساس نفسي، فظهور الفاء وسيلة للعطف بين هذه المواضع، إنما هو لفتة نفسية بارعة يريد بها الشاعر أن يدل على أن هذه المواضع متقاربة في نفسه؛ لأنها تضم بينها المسرح العاطفي الذي لاتزال ذكرياته تعيش فوقه حية»(3). وإذا نظرنا إلى المعنى في الروايتين فلا يظهر فارق بينهما، رغم اختلاف الرواة في وضع الواو أو الفاء.

قال عنترة:

«ومَسَكِّ سابِغَةٍ، هَتكْتُ فُروجَها بالسّيفِ عن حامي الحَقيقةِ مُعْلِمِ

مسكها: سرها. وروى الأصمعي: ومشك سابغة. قال: مشكها حيث يجمع جيبها بسير، وكانت العرب تجعل سيراً في جيب الدرع يجمع جيبها...»(4)، روى الأصمعي

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص71. التبريزي: شرح القصائد العشر، ص20.
(2) الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مصر، 1365هـ/ 1946م، ج4، ص421.
(3) خليف، د. يوسف: مقال في مجلة المجلة، السنة التاسعة، العدد 100، سنة 1965، ص37.
(4) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص299. ابن شداد: شرح ديوان عنترة، ص151، والرواية فيه: ومشك سابغة...

السين في (مسك) معجمة، وأشار إلى معناها واستعمال العرب.

قال الأعشى:

«فكُـلُّنـا مُـغـرَمٌ، يَـهـذي، بصـاحِبـه نــاءٍ، ودانٍ، ومَـخـبـولٌ، ومُـختَـبِـلُ

... وروى الأصمعي: ومحبول ومحتبل، بالحاء. وقال: من رواه بالخاء معجمة فقد أخطأ، وإنما هو من الحبالة، وهو الشرك الذي يصاد به»(1). روى الأصمعي اللفظ (مخبول) دون إعجام وأشار إلى معناه، ووافقه أبو عبيدة على عدم الإعجام أيضاً.

اختلاف في رواية كلمة:

قال امرؤ القيس:

«يَـزِلُّ الـغُـلامُ الـخِـفُّ، عـن صَـهَـواتِـه ويُـلْـوِي بـأثـوابِ العَـنـيـفِ الـمُـثَـقَّـلِ

... وروى الأصمعي: يطير الغلام»(2)، ولم يزد في شرح اللفظ شيئاً، وعلى هذا يكون فيه مبالغة في وصف سرعة الفرس.

وقال امرؤ القيس:

«كـأنّ ذُرَى رأسِ الـمُـجَـيـمِـر غُـدْوَةً مـنَ الـسّـيـلِ، والـغُـثَـاءِ، فَـلـكَـةُ مِـغـزَلِ

روى الأصمعي: كأنّ طمية المجمير غدوة»(3). ويظهر شيء من الاختلاف في الروايتين، ففي الرواية الأولى لم يحدد ذروة معينة؛ بل أتى بها جمعاً، أما في الرواية الثانية فقد عيّن جبلاً بعينه.

وقال لبيد بن ربيعة:

«رُزِقَـتْ مَـرابـيـعَ الـنُّـجـومِ، وصـابَـهـا وَدْقُ الـرّواعِـدِ: جَـودُهـا، فـرِهـامُـهـا

(1) المصدر السابق، ص425. الأعشى: ديوانه، ص57. أثبتت رواية الأصمعي.
(2) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص75. امرؤ القيس: ديوانه، ص20. والرواية فيه: يطير الغلام...
(3) المصدر السابق، ص91. امرؤ القيس: ديوانه، ص25. المجيمر: أرض لبني فزارة. طمية: جبل في بلادهم.

ورواه الأصمعي: مرابيع السحاب»[1]، وهو ينظر هنا إلى مطابقة الكلام للواقع؛ فالنجوم ليس لها مرابيع إلاّ على سبيل التشبيه، أما السحاب فيمكن أن يطلق عليه ذلك على الحقيقة.

اختلاف في رواية بيت:

قال امرؤ القيس:

«كأنَّ سَراتَهُ، لدى البَيتِ قائماً مَداكُ عَروسٍ، أو صَلايةُ حَنظَلِ

... وروى الأصمعي: أو صراية حنظل. وروى كأن على الكتفين منه إذا انتحى»[2]. ويبدو اختلاف يسير في المعنى حسب الروايتين، فرواية الأصمعي اقتصرت على وصف كتفَي الجواد، وشبههما بالحنظلة التي يبست.

أما الرواية المثبتة في النص فقد شبّه فيها ظهر الجواد كله بمداك عروس أو صلاية حنظل. قال امرؤ القيس:

«قَعَدْتُ له، وصُحبَتي بينَ ضارِجٍ وبينَ العُذَيبِ، بُعْدَ ما مُتأمَّلي

عَلا قَطَناً بالشَّيمِ، أيْمَنَ صوبِهِ وأيسَرُهُ على السِّتارِ، فيَذْبُلِ

وروى الأصمعي: على قطن؛ وقطن: جبل»[3]، ويظهر الاختلاف في الشطر الأول من البيت، فالرواية المثبتة في النص هي جملة فعلية يصف فيها الشاعر اتجاه البرق، أما في رواية الأصمعي فهي جار ومجرور. يقول: جلسنا على جبل قطن – وهو جبل (في بلاد بني أسد)[4]، فنظر إلى البرق بين بلاد اليمن (ضارج) وبلاد العراق (العذيب)[5]، ويدل على ذلك قوله: بُعدَ ما متأملي. قال امرؤ القيس:

(1) المصدر السابق، ص203. لبيد: شرح ديوان لبيد، ص298. المرابيع: مرباع هو المطر الذي يكون في أول الربيع. الودق: المطر الداني من الأرض. الرواعد: السحائب ذوات الرواعد.

(2) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص78. امرؤ القيس: ديوانه، ص21. سراته: ظهره. المداك: الحجر الذي يسحق به. الصراية: الحنظلة التي قد اصفرت.

(3) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص87. امرؤ القيس: ديوانه، ص26–24. ورواية البيت الأول بين حامر وبين أكام.... الشيم: النظر إلى البرق. صوبه: مطره الذي يصيب الأرض منه.

(4) البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص1083.

(5) البكري: معجم ما استعجم. ضارج: موضع باليمن، ج3، ص852. العذيب: واد بظاهر الكوفة، ج3، ص927. الستار: جبل معروف بالحجاز، ج3، ص721.

«وألْــقَــى، بصَــحـراءِ الـغَـبـيـطِ، بُـعـامَـهُ   نُــزولَ الـيَـمـاني، ذي الـعِـيـابِ المُحمَّلِ

وروى الأصمعي: كصدع اليماني ذي العياب المحوّل، قال: كما نشر اليماني متاعه وهو أحمر وأصفر، شبه به ما أخرج المطر من ذلك النبت»[1]، فهو يشبه ما أخرجت الأرض من نبات بما يحمله اليماني من متاع. ولا يظهر فارق في معنى البيت على الروايتين.

وتظهر الأمثلة السابقة أن الأصمعي كان ينفرد في بعض وجوه الرواية منها ما يتعلق بتشكيل حرف، أو تبديله، أو تغيير كلمة في بيت، وأحياناً نجد تغييراً في بعض الأشطر، وكان التغيير يسيراً بسيطاً لا يؤثر في المعنى أحياناً وفي أخرى كان يغيره. وكان الأصمعي في ذلك معتمداً على المناسبة بين الرواية التي يأخذ بها والمعنى الذي يتضمنه البيت كله.

ألفاظ مولدة:

روى السيوطي قول الأصمعي: «يقال: صلاة الظهر، ولم أسمع الصلاة الأولى إنما هي مولدة. قال: وقيل لأعرابي فصيح الصلاة الأولى، فقال: ليس عندنا إلا صلاة الهاجرة»[2]، فالأصمعي متمسك باللفظ الوارد عن العرب الأوائل، بينما قول معاصريه الصلاة الأولى مولد، وأشار إلى رأي الأعرابي في استعمال اللفظ.

وروى السيوطي أن الأصمعي: «يُنكِرُ جمع حاجة على حوائج، ويقول: هو مولد»[3]، يرى أن اللفظ (حوائج) مولد، ولم يسمع عن العرب الأوائل.

ومما ورد في الشعر قال الأصمعي: «تقول شتان ما هما، وشتان ما عمرو وأخوه، ولا تقل شتان ما بينهما. قال: وقول الشاعر:

لـشـتّـانَ مـا بـيـن الـيَـزيـدَيـن فـي الـنّـدى   يـزيـدِ سُـلَـيـمٍ والأغـــرِّ بـن حـاتِـمِ

ليس بحجة إنما هو مولد، والحجة قول الأعشى:

(1) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص92. امرؤ القيس: ديوانه، ص25. صحراء الغبيط: الحزن، وهي أرض لبني يربوع. الغبيط: نجفة يرتفع طرفها، ويطمئن وسطها، وهي كغبيط القتب. انظر: التبريزي: شرح القصائد العشر، ص89.
(2) السيوطي: المزهر، ج1، ص310.
(3) المصدر السابق، ج1، ص307.

شـــتّـــانَ مـــا نـــومـــي عـــلـــى كُـــورِهـــا وَنَــــــوْمُ حَــيّـــانَ أخـــي جـــابِـــرِ»[1]

فالأصمعي يرى أن الاستعمال شتان ما بين كذا مولد، ولذلك رفضه في البيت السابق معتمداً على رواية بيت الأعشى.

ألفاظ لم يسمعها الأصمعي:

نجد الأصمعي يشير صراحة إلى عدم معرفته بعض الألفاظ، أو أنه سمعها في مواضع محدودة. قال النابغة الذبياني:

«مِـنْ وَحـشٍ وَجـرَةَ مَـوشِـيٍّ أكـارِعُـهُ طـاوي المَصيرِ كسَيفِ الصَّيقَلِ الفَـرِدِ

قال [الأصمعي] ولم أسمع فرداً إلا في هذا البيت وأراد الفرند فلم يستقم له البيت»[2]. ويبدو أن الأصمعي ابتعد في وجهته؛ حيث جعل الشاعر مضطراً إلى القافية. ولكن الفرد يعني «منقطع القرين لا مثيل له في جودته»[3]، وربما هذه هي وجهة الشاعر.

ومن ذلك في قول علقمة:

«قـد عُـرِّيَـتْ زمَـنـاً حتّى استَطَفَّ لها كِـتْـرٌ كَـحـافَـةِ كِـيـرِ الـقَـيْـنِ مَـلـمُـومُ

قال ولم أسمع بالكتر إلا في هذا البيت»[4]، بينما قال صاحب اللسان: إن هنالك من عرف هذا اللفظ غير الأصمعي.

وفي قول لبيد:

«وقَــفْــتُ بـهـنَّ حتى قــال صحبي: جَــزِعْــتَ ولـيـسَ ذلــك بـالـنَّـوَالِ

قال الأصمعي: الرواية هكذا، ولا أدري ما النوال»[5]. ونلاحظ توقف الأصمعي عن شرح اللفظ مع علمه بصحة الرواية.

(1) المصدر السابق، ج1، ص319. الأعشى: ديوانه، ص147. انظر: الطرائف الأدبية، ص81.
(2) الذبياني: ديوان النابغة، ص17. اللسان، ج4، ص327. الخبر عن ابن السكيت.
(3) اللسان، ج4، ص327.
(4) الأصمعي: الإبل، ص94. الفحل: ديوان علقمة، ص54، والرواية فيه: ... عريت حقبة. استطف: ارتفع، اللسان ج6، ص445.
(5) لبيد: شرح ديوانه، ص72.

وفي قول أمية بن أبي عائذ:

«كـأنّـي ورَحْـلـي إذا رُعْـتُـهـا   عـلـى جَـمَـزَى جَـازِئٍ بـالـرِّمـالِ

قال الأصمعي: لم أسمع (فعلى) إلا في المؤنث إلا في هذا الحرف فإنه ذكر»[1]. فكلمة (فعلى) تستعمل للمؤنث أما هنا فربما استعملها الشاعر لضرورة دعت إليه. ونجد الأصمعي لم يزد في تعليقه على الجملة السابقة.

ويظهر من الأمثلة السالفة أن الأصمعي يتوقف أحياناً عن شرح بيت ليذكر أن هذا اللفظ لم يستعمل، أو لم يسمعه إلا في هذا الموضع، ولا يجتهد أو يحمل الأمر على الظن. ولكن بعض تلك الألفاظ كان معروفاً عند غيره من العلماء والرواة، ومستعملاً، وفي أبيات الشعراء السابقة أقرب دليل على ذلك. وهذا الأمر يوضح أن الأصمعي لم يقل إلاّ ما يعلمه ويعرف أنه شائع الاستعمال عند العرب[2].

ألفاظ لم يقرها الأصمعي:

وقعت لنا في ثنايا الكتب الأولى والدواوين إشارات تدل على تنبّه الأصمعي لبعض الألفاظ التي استعملها الشعراء، وهذه الألفاظ منها الفارسية وغير الفارسية، ومن ذلك في قول النابغة الذبياني:

«وقـارَفَـتْ وَهْـيَ لـم تَـجْـرَبْ وبـاعَ لَها   مـن الـفَـصـافِـص بـالـنُّـمِّـي، سِـفْـسِـيرُ

قال: الفصافص: الرطاب، وهي فارسية معربة»[3]. شرح الأصمعي البيت وذكر أن هذا اللفظ دخيل.

وفي لفظ «القمقم قال الأصمعي: هو رومي معرب، وقد تكلمت به العرب في الشعر الفصيح، قال عنترة:

---

(1) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج2، ص498. رعتها: ذعرتها. جمزى: شديد الجمز، يعني ثوراً.

(2) لمزيد من الأمثلة، انظر: الأصمعي: النبات والشجر، ص27؛ العجاج: ديوان العجاج، تحقيق: د. السطلي، ج1، ص126، 221، وج2، ص111-112؛ ابن دريد: الجمهرة، ج3، ص364؛ السكري: شرح أشعار الهذليين، ج1، ص314؛ ابن زهير: شرح ديوان كعب، ص179، 219.

(3) الذبياني: ديوان النابغة، ص107، بتصرف.

وكـــأنَّ رُيـــاً أو كُـحَـيـلاً مُـعْـقَـداً حَـشَّ الـوجـود بـه جَـوانـبَ قُمْقُمِ»[1]

ذكر الأصمعي أن لفظ القمقم من الألفاظ الدخيلة، ولكن العرب استعملوها مع ما استعملوه من ألفاظ طال استعمالهم لها.

ووردت ألفاظ قال الأصمعي عنها: «لا أعلم أحداً أتى بها إلا ابن أحمر الباهلي منها الجبر، وإنما سُمي بذلك؛ لأنه يجبر بجوده، وهو قوله:

أســلـم بـــراووقٍ حُـبِـيـت بـه وأنــعــمْ صَـبـاحـاً أيُّـهـا الـجـبـرْ

ومنها قوله (كأس رَنوناة) أي دائمة، وذلك قوله:

بَـنَّـتْ عـلـيـه الـمـلـكَ أطْـنـابـهـا كـأس رَنَـوْنـاةٌ وطِـرْفٌ طِـمِـرٌّ

ومنها قوله (الدَيْدَبون) وهو قوله:

خَـلّـوا طَـريـقَ الـديـدبـون وقـد فـاتَ الـصِّـبـا وتـنـوزع الـفَـخـرُ

ومنها قوله (البابوس) وهو أعجمي، يعني ولد الناقة، وذلك قوله:

حَـنَّـتْ قَـلـوصـي إلـى بابُـوسـهـا جـزَعـاً فـمـا حَـنـيـنُـكَ أمْ مـا أنــتَ والـذِّكَـرُ

ومنها (الرُبّان) وهو العيش، وذلك قوله:

وإنـمـا الـعَـيـشُ بـرُبّـانِـه وأنـتَ مـن أفْـنـانِـه مُـقْـتَـفِـرْ

ومنها (المأنوسة) وهي النار، وذلك قوله:

تَـطـايَـحَ الـطَّـلُّ عـن أردافـهـا صُـعُـداً كـمـا تَـطـايـرَ عـن مَـأْنـوسـةَ الشَّرَرُ»[2]

فالأصمعي يرى أن هذه الألفاظ استعملها الشاعر ولم يستعملها غيره، وذكر أن بعض هذه الألفاظ ليس عربياً أصلاً. وفي هذا دلالة على تنبّه الأصمعي لبعض الألفاظ الدخيلة ودلالة على إلمامه بمفردات اللغة، وذكر صاحب اللسان بعض هذه الألفاظ معتمداً على

(1) ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص163. ابن شداد: شرح ديوان عنترة، ص147.
(2) ابن جني: الخصائص، ج2، ص27. الباهلي: شعر عمرو بن أحمر، تحقيق: د. حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت، ص94، 62، 61، 100، 102، عدا البيت 3.

رأي الأصمعي[1].

ويدفعنا أسلوب الأصمعي السابق إلى الحديث عن تمسّكه بالفصيح من اللغات، وترك ما سواه.

تمسك الأصمعي بأفصح اللغات:

إن حب الأصمعي للغة العربية، وعنايته بها منذ بداية حياته، جعله يتشدد في استعمالها، ولم يجز إلا أصحّ مفرداتها استعمالاً. وكان شيوخه يسلكون هذه المسالك ويختبرون الأعراب وهم أهل الفصاحة، فإن شكوا في واحد منهم بوصول اللين إلى لسانه توقفوا عن الأخذ عنه. ولعل زيادة تمسّك الأصمعي بأفصح اللهجات وعدم إجازته استعمال غيرها تكمن وراءه أسباب، أهمها:

- عروبة الأصمعي؛ فهو ينحدر من أصل عربي، في حين إن بعض علماء اللغة لم يكونوا عرباً كأبي عبيدة، فهو يشعر بعصبيته للعرب والعربية.
- دخول كثيرمن أبناء الأمم الأخرى في الدين الإسلامي، واشتداد ساعد الشعوبية في زمن حياة الأصمعي، وأبرز الأمثلة على ذلك علاقة البرامكة بالبيت العباسي.

بالإضافة إلى كون الأصمعي من رجال النحو العربي، وإن أتى في الأجيال المتأخرة. فهو يعدّ في الطبقة الخامسة، وأخذ العلم عن «رجال الطبقة الرابعة، وهم: عيسى بن عمر الثقفي، ويونس بن حبيب، وأبو الخطاب الأخفش، والخليل بن أحمد، وحماد بن سلمة، ومن تلاميذ هؤلاء تكونت الطبقة الخامسة، وأبرز رجالها في النحو عمرو بن عثمان سيبويه، والنضر بن شميل، وأبو فيد مؤرج السدوسي، وعلي بن نصر الجهضمي، وعبد الملك بن قريب الأصمعي»[2].

فهذه العوامل جعلت الأصمعي في موقف المحافظ الذي لا يجيز من اللغة إلا أصح

(1) اللسان، ج7، ص312، وص21. العسكري: المصون في الأدب، ص181. الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد: التكملة، وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، ط1، تحقيق: د. حسن الشاذلي فرهود، د.ب، 1981م، ص78. ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص247.
(2) السيد، د. عبد الرحمن: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، توزيع دار المعارف، مصر، د.ت، ص419.

رواياتها، وإن تفرد بها.

ونقل السيوطي عن أبي حاتم قوله: «كان الأصمعي يقول أفصح اللغات ويلغي ما سواها»(1)، حتى إنه كان يكره القياس في اللغة، ويقف دونه حفاظاً على العربية.

ويذكر ابن جني خبراً عن الخليل والأصمعي، أما الخليل «فإنه سيد قومه، وكاشف قناع القياس في علمه»(2)، في حين إن الأصمعي كان في الجانب المخالف لأستاذه بشأن القياس، ويعتمد على ما حفظه من اللغة والأشعار، ويقول عنه: «إنه ليس ممن ينشط للقياس وإنه معروف بقلة ابتعاثه في النظر وتوفره على ما يروي ويحفظ»(3)، ويدعم وقوف الأصمعي في الجهة المقابلة للقياس بالإضافة للأسباب الأولى، كثرة ما يحفظ من اللغة والشعر.

روى أبو العيناء «قال: حدثني كيسان قال: قال لي خلف الأحمر ويلك الزم الأصمعي، ودع أبا عبيدة فإنه أفرس الرجلين بالشعر، وقال حماد بن إسحق: سمعت أبي يقول: ما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر من الأصمعي، ولا أحفظ لجيّده، ولا أحضر جواباً منه، ولو قلت إنه لم يكُ مثله ما خفت كذباً»(4)، فكأنّ سعة الحفظ وقفت حائلاً أمام القياس، فلذلك كان الأصمعي متشدداً في أخذ اللغة عن الأعراب، وإذا رأى كبير صلة لشاعر بالحاضرة، أو كثرة تردده على الأمصار تختلف نظرته في شعر الشاعر؛ وخير دليل على ذلك كلام الأصمعي عن ذي الرمة فكان يراه «حجة لأنّه بدوي، وليس يشبه شعره شعر العرب»(5)، ثم يلتفت إلى هذا الشاعر وكأنّه قد التمس جانباً من جوانب الضعف في شعره.

قال أبو حاتم «سمعت الأصمعي يقول: لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيراً من شعره، فكان ذلك خيراً له»(6). ولذلك نجده ينكر على ذي الرمة كلمة زوجة، ويعلل وصول أثر لغة الحاضرة إلى لسان ذي الرمة بكثرة تردده على الحواضر. ويرد على قوله:

---

(1) السيوطي: المزهر، ج1، ص252.
(2) ابن جني: الخصائص، ج1، ص366.
(3) المصدر السابق، ج1، ص366.
(4) المقدسي: المنتقى من أخبار الأصمعي، ص ف.
(5) الأصمعي: فحولة الشعراء، ص40.
(6) المرزباني: الموشح، ص185.

أَذا زوجــةٍ بـالـمِـصـرِ أمْ ذا خُـصـومَـةٍ أراكَ لـهـا بـالـبـصـرة الـعَــامَ ثـاويـا

فقال: إن ذا الرمة قد أكل البقل والمملوح في حوانيت البقالين»(1).

ولكن إلى أي حد ينطبق كلام الأصمعي على ذي الرمة؟ إن الأخبار التي تتحدث عن حياة ذي الرمة، تشير حقاً إلى كثرة تردده على الحواضر، وهذا الدافع يقف وراء قول الأصمعي.

وروى المرزباني ما نستدل منه على صحة رأي الأصمعي؛ وذلك أن عجوزاً رأت ذا الرمة فقالت له: «طال ترددك على هذا البلد، أفإلى زوجة سعدت بها، أم إلى خصومة شقيت بها؟ فقال لراويته وكان يبحث عن مطلع لقصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة: جاء والله ما أريد، ثم قال:

تـقـولُ عـجـوزٌ مـدرجـي مـتـروِّحـاً عـلـى بـابِـهـا مِـن عـنـد أهـلـي وغـادِيـا

إلـى زوجــةٍ بـالـمِـصـرِ أم لـخـصـومـةٍ أراكَ بـالـبَـصـرةَ الـعـام ثاوِيا»(2)

وهذا الشاهد من الشاعر على نفسه بتردده على الحاضرة. فوقف الأصمعي منه موقف المتشدد الذي يريد من الشاعر أن يدع شيئاً من شعره، وأنكر عليه استعماله كلمة زوجة، وقال «لا يقال إلا فلانة زوج فلان، ومن قال: فلانة زوجة فلان فقد أخطأ»(3). فهو لا يرى صحة إلحاق التاء بالكلمة؛ ولهذا أنكرها على ذي الرمة في البيت السابق.

وخطّأ الأصمعي الكميتَ في استعماله للفعلين: أبرق، أرعد. ولم يرَ صواباً في الصورة التي استُعملا عليها في البيت:

«أرعِـــدْ وأبــرِقْ يـا يـزيـد فـمـا وعـيـدُك لـي بـضـائـر

وزعم أن هذا البيت الذي يروى لمهلهل محدث وهو قوله:

---

(1) المرزباني: الموشح، ص180. ابن جني: الخصائص، ج3، ص295. ذو الرمة: ديوانه، ص653. والرواية فيه: أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة.

(2) المرزباني: الموشح، ص184. ذو الرمة: ديوانه، ص653.

(3) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص172.

انبضوا معجس القس وأبرقنا كما ترعدُ الفحولُ الفُحولا

وأنه لا يقال إلا رعد وبرق وتهدد وهو يرعد ويبرق»[1].

أنكر الأصمعي صيغ هذه الأفعال، في البيت الذي يروى للكميت، وإن كان متأخراً من حيث العصر. ونجده ينكر البيت المعزو للمهلهل بكامله؛ لأنه يرى أن هذا الاستعمال لم يكن للعرب من قبل.

وذكر السيوطي أن «أبا زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً فيجيز كل شيء قيل. قال: ومثال ذلك أن الأصمعي يقول: حزنني الأمر يحزنني، ولا يقول: أحزنني»[2]، فالأصمعي متمسك بالشائع من اللهجات العربية، ولا يجيز كل استعمال في اللغة. وإذا وجد بعض الشعراء يستعملون ألفاظاً قليلة التداول فيردد عبارة (لم أسمعه إلا في هذا البيت)، ومن ذلك ما نقله السيوطي قال: «الكتر السنام، قال علقمة بن عبدة:

كِتْرٌ كَحافةِ كيرِ القَينِ مَلمومُ

قال الأصمعي: لم أسمع بالكتر إلا في هذا البيت»[3]. فهو يشير صراحة إلى أنه سمع اللفظ في هذا البيت، ولم يشر إلى أنه غير فصيح أو شاذ.

وقال الأصمعي: «لم تأت الخيطة في شعر ولا نثر غير بيت واحد، وهو قول أبي ذؤيب في رجل يشتار عسلاً:

تدَلّي عليها بين سِبٍّ وخَيطةٍ شَديدُ الوَصاةِ نابلٌ وابنُ نابِلِ»[4]

لم يتحدث عن مجيء اللفظ في الشعر فقط، بل أضاف إليه النثر كأنه يدل على انفراد أبي ذؤيب بهذا الاستعمال.

---

(1) المبرد، أبو العباس: الكامل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مطبعة مصطفى الحلبي، 1256هـ/1937م، ج3، ص1056.

(2) السيوطي: المزهر، ج1، ص232.

(3) السيوطي: المزهر، ج1، ص252. الفحل: ديوان علقمة، ص54. صدره: قد عريت حقبة حتى استطف لها. استطف: ارتفع. كير القين: الذي ينفخ فيه. الململوم: المجتمع.

(4) السيوطي: المزهر، ج1، ص251. أشعار الهذليين، ج1، ص143. السب، بلغة هذيل، الحبل. الخيطة: خيط يكون مع مشتار العسل أو دراعة يلبسها. النابل: الحاذق.

ويروي السيوطي ما يؤكد تمسك الأصمعي بالفصيح المشهور عن العرب، في حين إن ابن الأعرابي خالفه وكان ذلك حول كلمة (أسنمة) وضبطها، قال: «هي أسنمة في البلد، ورواه الأصمعي أسنمة بضم الهمزة، فقال: ما ابن الأعرابي وأصحابنا إلا أسنمة بفتحها. فقلت له: قد علمت أن الأصمعي أضبط لما يحكيه، وأوثق فيما يرويه»(1). يظهر الخبر شهرة الأصمعي بالضبط والثقة بالرواية.

ومثل هذا إنكار الأصمعي لقولهم: «جرعت الماء بالفتح، لغة أنكرها الأصمعي، والمعروف جرعت بالكسر»(2)، فهو لا يجيز استعمال الفعل إلا بكسر عينه.

وتظهر الأمثلة والنصوص السابقة أن الأصمعي كان متشدداً في اللغة، ولم يجز إلا ما يرى أنه أصح الوجوه في الروايات، مستنداً إلى أقوال السابقين من العرب، شعراء وأعراب وأهل علم باللغة.

وكان الأصمعي إذا سمع لفظاً قليل التداول على ألسنة الشعراء السابقين يصرح أن هذا اللفظ مقصور على من أتى به، كما وجدنا في بيت علقمة وبيت أبي ذؤيب الهذلي.

وما يلاحَظ على مواقف الأصمعي هذه أنه كان متمسكاً بالفصيح الشائع من اللغات، وكان لا يجيز ما يرى أن استعماله مقصور على شاعر. ويتوقف عن الاجتهاد في الألفاظ التي يسمعها ولا يعرفها. ووجدنا أن بعض تلك الألفاظ كان معروفاً لدى غيره من أهل عصره.

كما أن إشاراته إلى بعض الألفاظ الدخيلة تدل على تنبّهه إلى ما أدخله العرب من ألفاظ واستعملوه في فصيح شعرهم. وذكر أن المولدين استعملوا بعض الألفاظ ولم يستعملها العرب الأوائل. وفيما يتعلق بمآخذه على الشعراء من حيث تشبيهاتهم نجده شديد الملاحظة التي تدل بدورها على معرفة فيما يشبهونه وما يشبهون به، وكان ينظر إلى تلك التشبيهات من حيث مطابقتها إلى الواقع ولجمالها في نظره، واعتمد في إظهار بعض تلك المآخذ على المقارنة بين أقوال الشعراء.

---

(1) السيوطي: الأشباه والنظائر، ج4، ص126.
(2) السيوطي: المزهر، ج1، ص218.

على أن هذه المواقف بجملتها لم تكن مقتصرة على شاعر دون آخر، أو عصر دون عصر، بل شملت عدداً كبيراً من الشعراء وفقاً للعصور التاريخية، فمنهم الجاهلي والمخضرم والإسلامي، وقبائلهم متعددة.

وهذه الآراء النقدية تدل على دقة ملاحظة الأصمعي وإلمامه بفنون الشعر العربي.

ملحق

الأصمعيات المجهولة[1]

نقلت إلينا المصادر الأدبية أخباراً تدل على أن الأصمعي اختار بعض القصائد، ولكننا لم نجدها في أي من تحقيقَي الأصمعيات، ولم يذكر لشعرائها قصائد غيرها أيضاً في الأصمعيات، وهذا دليل على أن الأصمعيات التي اختارها الأصمعي لم تصلنا على الوجه الذي ارتضاه صاحبها.

وأتت الإشارات إلى هذه القصائد من مدة زمنية قريبة جداً من عصر الأصمعي، كابن قتيبة (276هـ) في كلامه عن قصيدة المرقش، وقصيدة عبد الله بن سليمة الغامدي. وكذلك أشار أبو عبيدة إلى قصيدة الحويدرة، وإشارة المبرد إلى أبيات إسحاق بن سويد، ولكن هذه الإشارات لم يكن فيها متسع من المجال للبحث كإشارة ابن منظور في لسان العرب؛ حيث ذكر بيتاً واحداً ولم يذكر اسم الشاعر، ولم نجد البيت في المعاجم التي توقعنا أن ابن منظور أخذ عنها. ونورد هذه القصائد حسب الترتيب الأبجدي لأصحابها.

أبيات إسحاق بن سُويد العدوي

ورد في البيان والتبيين أن الأصمعي «قال: أنشدني المعتمد بن سليمان لإسحاق بن سويد العدوي»[2]، ثم ذكر الأبيات، وعنها قال المبرد في الكامل: «فأما ما وضعه الأصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلط وضع. وذكر الأصمعي أن الشعر لإسحاق بن سويد الفقيه، وهو أعرابي لا يعرف المقالات التي يميل إليها أهل الأهواء، أنشد الأصمعي:

1 - بَرِئْتُ من الخَوارجِ لستُ منهم   مِنَ الغَزّالِ منهم وابنِ بابِ[3]

(1) عثرت على أربع إشارات مما أورده د. الطرابلسي في كتابه (نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب)، ط5، مكتبة دار الفتح، دمشق، 1971م؛ قبل عثوري على كتابه الذي أفدت منه إشارات لما ورد في اللسان.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص23.

(3) أبو عثمان عمرو بن عبيد، من شيوخ المعتزلة، وأحد الزهاد المشهورين، توفي بيمران سنة 144هـ. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص130.

2 - ومـن قَـوم إذا ذَكَـروا عـليّاً   يَـردّونَ الـسَّـلامَ عَـلـى الـسَّـحابِ

3 - ولـكـنّـي أُحِـبُّ بـكُـلّ قَـلبـي   وأعْـلَـمُ أن ذاكَ مـن الـصّـوابِ

4 - رَسـولَ اللهِ والـصّـدّيـقَ حُـبـاً   بـه أرْجـو غـداً حُـسـنَ الـثـوابِ

فإن قولهم (من الغزال منهم) فهو يعني واصل بن عطاء، وكان يكنّى أبا حذيفة، وكان معتزلياً، ولم يكن غزَّالاً، ولكنه كان يلقب بذلك لأنه كان يلزم الغزّاليين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن»[1].

أما قول المبرد: إن الأصمعي قد غلط، فهو ما لم نجده لدى الجاحظ؛ ولعل نسخة من الأصمعيات وقعت للمبرد وحكم على ضوئها علماً أنه ليس لهذا الشاعر أي ذكر في الأصمعيات التي بين أيدينا.

أبيات امرئ القيس بن عابس الكندي

قال ابن قتيبة في حديثه عن الشعر: «وقد يحفظ ويختار على خفة الروي، كقول الشاعر:

1 - يـا تَـمْـلِـكُ يـا تَـمْـلِـي   صِـلِـيـنـي وذَرِي عَـذْلـي

2 - ذَريـنـي وسـلاحـي ثُـمَّ شُـدْ   دِي الـكـف بـالـغَـزْلِ

3 - ونَـبْـلـي وفُـقَـاهـا كـعَـرَا   قِـيـبِ قَـطـاً طُـحْـلِ

4 - ومِـنّـي نَـظْـرةٌ بَـعـدي   ومِـنّـي نَـظْـرَةٌ قَـبـلـي

5 - وثـوبـايَ جَـديـدانِ   وأُرخـي شُـرُكَ الـنَّـعْـلِ

6 - وإمـا مِـتُّ يـا تَـمْـلـي   فـكُـونـي حُـرَّةً مِـثـلـي

وهذا الشعر مما اختاره الأصمعي بخفة رويّه»[2].

وقد أورد السيرافي الأبيات بسند «عن الأصمعي عن أبي عمرو لرجل من اليمن، وقد

(1) المبرد: الكامل، ج3، ص921.
(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص85. هو امرؤ القيس بن عابس الكندي أخبار النحويين البصريين، ص23. وتروى للفند الزماني. السمط، ص504.

سمّاه غيره فقال: امرؤ القيس بن عابس الكندي»[1]، ثم قال وزاد فيها الجمحي:

7 - وقـــدْ أسْـــبَـــأُ لـلـنُّـدْمـا ... نِ بـــالـــنّـــاقَـــةِ والـــرَّحْـــلِ

8 - وقـــد أخـتـلِـسُ الـطَّـعْـ ... نَـــةَ تَـنْـفـي سَــنَــنَ الــرَّجْــلِ

9 - وقـــد أخـتـلِـسُ الـطَّـعْـ ... نَـــةَ لا يَـــدمـــى لـهـا نَـصْـلـي

10 - كـجـيـبِ الـدِّفْـنِـسِ الـورْهـا ... ءِ ريـعَـتْ وهـي تَسْتَفْلي»[2]

وأوردها هنا على سبيل الترجيح، فابن قتيبة يذكر أنه اختارها بخفة رويّها ولم يذكر أنها في الاختيار.

قصيدة ثعلبة بن عمرو العبدي

ورد في الحديث عن قصيدة ثعلبة بن عمرو في المفضليات أن الأنباري رواها «مقيدة القافية، أما إطلاق قافيتها كما ثبُت في نسخة التبريزي، ونسختي المفضليات بكبرل والمتحف البريطاني، فهو عن الأصمعي»[3]. وفي اللسان قال «وحاجلة عينه إذا غارت، قال ثعلبة بن عمرو العبدي:

وأهْـلَـكَ مُـهْـرَ أبـيـكِ الـدوا ... ءُ لَـيْـسَ لـه مـن طَـعـامٍ نَـصـيـبْ

فـتـصـبـحُ حـاجِـلـةً عَـيْـنُـهُ ... لـحـنـو اسْـتِـهِ وصَـلاهُ غُـيـوبْ

قال: والقصيدة في الجزء الأول من الأصمعيات»[4]. ولا يوجد لهذا الشاعر ذكر في طبعتَي الأصمعيات أبداً، والقصيدة مسطورة في المفضليات، يقول فيها:

1 - أأَسْـمـاءُ لـمْ تَـسْـأَلـي عـن أبِـيـ ... ـكِ والـقَـوْمُ قـد كـانَ فـيـهـمْ خُـطـوبْ

2 - إنَّ عَـرِيْـبـاً وإنْ سـاءَنـي ... أحَـبُّ حَـبـيـبٍ وأدْنَـى قَـريـبْ

(1) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص29. وقال السيرافي: لا أدري من هذا الجمحي؛ إذ ليس بصاحب الطبقات.
(2) المصدر السابق، ص29.
(3) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ج3، ص1129.
(4) اللسان، ج13، ص106.

3 - سأجْعَلُ نَفسي لهُ جُنّة بِشاكي السِّلاحِ نَهيكٍ أريبْ

4 - وأهْلَكَ مُهرَ أبيكِ الدَّو ءُ ليسَ لهُ مِنْ طَعامٍ نَصيبْ

5 - خَلا أنّهم كلما أوْرَدو يُضَيَّحُ قَعْباً عليه ذَنوبْ

6 - فتصبِحُ حاجلةً عَينُه لِحِنْوِ اسْتِهِ وصَلاهُ غُيوبْ

7 - فأعْدَدْتُ عَجْلى لحُسْنِ الدو ءِ لم يتَلَمَّسْ حَشاها طَبيبْ

8 - أخِي وأخُوكَ بِبَطْنِ النُّسَيْ رِ ليس بهِ من مَعَدٍّ عَريبْ

9 - فأقْسَمَ باللهِ لا يأتَلي وأقْسَمْتُ إنْ نِلْتُهُ لا يَؤوبْ

10 - فأقْبَلَ نحْوي على قُدْرةٍ فلمّا دَنا صَدَقَتْه الكَذوبْ

11 - أحالَ بها كَفَّهُ مُدْبِراً وهلْ يُنجِيَنَّكَ شَدٌّ وَعِيبْ

12 - فتَبَّعْتُهُ طَعْنَةً ثَرَّةً يَسيلُ على الوَجْهِ منها صَبيبْ

13 - فإنْ قَتَلَتْهُ فلَمْ آلُهُ وإن يَنْجُ منْها فجُرْحٌ رَغيبْ

14 - وإنْ يَلْقَني بعْدَها يَلْقَني عليهِ منَ الذُّلِّ ثَوْبٌ قَشيبْ»[1]

قصيدة الحويدرة

روى الأصفهاني في أغانيه، قال: «حدّثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي قال: سمعت شيخاً من بني كنانة من أهل المدينة يقول: كان حسان بن ثابت إذا قيل تنوشدت الأشعار في موضع كذا وكذا يقول: فهل أنشدت كلمة الحويدرة: (**بَكَرَتْ سُمَيّةُ غُدْوَةً فتَمَتَّعِ**). قال أبو عبيدة: وهي من مختار الشعر أصمعية مفضلية»[2].

(1) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج3، ص1129. وقال الأصمعي: هي لرجل من بني شيبان حليف في بني عبد القيس، وهو ثعلبة بن عمرو.

(2) الأصفهاني: الأغاني، ج3، ص271. ورد الخبر في الأغاني، ج3، ص280 دون ذكر الشطر وما بعده؛ وكذلك في شرح اختيارات المفضل، صنعة الخطيب التبريزي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ج1، ص209.

ولم أجد القصيدة في أي من طبعتي الأصمعيات، وهذا من الأدلة على أن الأصمعيات لم تصل إلينا على الشكل الذي اختاره الأصمعي. ونورد القصيدة كما جاءت في ديوان الحادرة:

1 - بكَرَتْ سُميَّةُ غُدْوَةً فتَمَتَّعِ وغدَتْ غُدُوَّ مُفارِقٍ لم يَرْجِعِ
2 - وتَزوَّدَتْ عيني غَداةَ لَقيتُها بِلوى عُنَيْزَةَ نَظْرَةً لم تَنْفَعِ
3 - وتصَدَّفَتْ حتى اسْتَبَتْكَ بواضحٍ صَلْتٍ كمُنتَصَبِ الغَزالِ الأتْلَعِ
4 - وبمُقْلَتَيْ حَوراءَ تَحْسَبُ طَرْفَها وَسْنانَ، حُرّةِ مُسْتَهَلَّ الأدْمُعِ
5 - وإذا تُنازِعُكَ الحديثَ رأيْتَها حَسَناً تَبَسُّمُها لّذيذَ المَكْرَعِ
6 - كَغَريضِ ساريَةٍ أدَرَّتْهُ الصَّبا مِنْ ماءِ أسْجَرَ طَيِّبِ المُسْتَنْقَعِ
7 - ظَلَمَ البِطاحَ به انْهِلالُ حَريصَةٍ فصَفا النِّطافُ بها بُعَيْدَ المُقْلَعِ
8 - لَعِبَ السُّيولُ بهِ فأصْبَحَ ماؤُهُ غَلَلاً تقَطَّعَ في أصولِ الخِرْوَعِ
9 - فسُمَيَّ وَيْحَكِ هل سَمِعْتِ بغَدْرَةٍ رُفِعَ اللِّواءُ بها لنا في مَجْمَعِ
10 - إنّا نَعِفُّ فَلا نَريبُ حَليفَنا ونَكُفُّ شُحَّ نفوسِنا في المَطْمَعِ
11 - ونَقي بآمِنِ مالِنا أحْسابَنا ونُجِرُّ في الهَيْجا الرِّماحَ ونَدَّعي
12 - ونَخوضُ غَمْرَةَ كُلِّ يوم كَريهَةٍ تُرْدي النُّفوسَ وغُنْمُها للأشْجَعِ
13 - ونُقيمُ في دارِ الحِفاظِ بيوتَنا زَمَناً ويَظْعَنُ غَيرُنا للأمْرَعِ
14 - بِسَبيلِ ثَغْرٍ لا يُسَرِّحُ أهْلُهُ سَقَمٍ يُشارُ لِقاؤُه بالإصبَعِ
15 - فسُمَيَّ ما يُدْريكِ أنْ رُبَّ فتيَةٍ باكَرْتُ لَذَّتَهُمْ بأدْكَنَ مُتْرَعِ
16 - مُحْمَرَّةٍ عَقِبَ الصَّبوحِ عُيونُهم بِمَرىً هُناكَ مِنَ الحَياةِ ومَسْمَعِ
17 - مُتَبَطِّحينَ على الكَنيفِ كأنَّهم يَبْكونَ حَولَ جَنازَةٍ لم تُرْفَعِ

18 - بَكَروا عليَّ بسُحْرَةٍ فصَبَحْتُهُم   من عاتِقٍ كَدَمِ الذَّبيحِ مُشَعْشَعِ
19 - ومُعَرَّضٍ تَغْلي المَراجِلُ تَحْتَهُ   عَجَّلْتُ طَبْخَتَهُ لِرَهْطٍ جُوَّعِ
20 - ولَدَيَّ أشْعَثُ باذِلٌ ليَمينه   قَسَماً لقد أنْضَجْتَ لم يتَوَرَّعِ
21 - ومُسَهَّدينَ منَ الكَلالِ بَعَثْتُهُمْ   بَعدَ الرُّقادِ إلى سَواهِمَ ظُلَّعِ
22 - أوْدى السِّفارُ برِمِّها فتَخالُها   هِيْماً مُقَطَّعَةً حِبالَ الأذْرُعِ
23 - تَخِدُ الفَيافي بالرِّحالِ وكُلُّها   يَعْدو بمُنخَرِقِ القَميصِ سَمَيْدَعِ
24 - ومَطِيّةٍ حَمَّلْتُ رَحْلَ مَطيَّةٍ   حَرَجٍ تُتَمُّ من العِثارِ بدَعْدَعِ
25 - ومُناخِ غَيرِ تَئيَّةٍ عَرَّسْتَهُ   قَمِنٍ من الحِدْثانِ نابي المَضْجَعِ
26 - عَرَّسْتُهُ ووِسادُ رأسي ساعِدٌ   خاظِي البَضيعِ عُروقُهُ لم تَدْسَعِ
27 - فرَفَعْتُ عنهُ وهو أحْمَرُ فاترٌ   قد بانَ مني غَيْرَ أنْ لم يُقْطَعِ
28 - فتَرَى بِحَيْثُ تَوَكَّأَتْ ثَفِناتُها   أثَراً كمُفْتَحِصِ القَطا للمَضْجَعِ»(1)

قصيدة أبي دؤاد الإيادي

أورد الزمخشري في المستقصى من أمثال العرب قول الشاعر:

«لا يُرْسِلُ السّاقَ إلاّ مُمْسِكاً سَاقا

من قول الحارث بن دوسر:

أنّى أُتيحَ لها حِرْباءُ تَنْضُبَه   لا يُرْسِلُ السّاقَ إلا مُمسِكاً سَاقا»(2)

فهو يعزو القصيدة إلى الحارث بن دوسر، وورد في هامش الصفحة ذاتها: «قال الصنعاني هو لأبي دواد الإيادي، ورواه الأصمعي في اختياراته لقيس بن الحدادية، وهو

(1) الحادرة، ديوانه، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، 1393هـ/ 1973م، ص43.
(2) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: المستقصى من أمثال العرب، ط2، د.ب، 1397هـ/ 1977م، ج2، ص269.

اسم أمه، واسم أبيه منقذ»[1]. ولا يوجد شاعر بهذا الاسم في الأصمعيات، وورد لأبي دواد قصيدتان غير هذه، ونورد القصيدة كما جاءت في الديوان:

1 - «زموا بليلٍ جمالَ الحيِّ وانجذبوا ... لم يَنظروا باحتمال الحيِّ إشراقا

2 - يحثُّهم نطسٌ ذو جدةٍ شَرِسٍ ... أوْصَى ليزعجَهُم بالطَّعن سَواقا

3 - أنّى أُتيحَ لها حِرْباءُ تَنْضُبَة ... لا يرسلُ السّاقَ إلاّ مُمْسِكاً ساقا

4 - مفرقاً بين ألاّفٍ مُلَسَّعَةً ... قد جانبَ الناسَ تَرَقحاً وإشفاقا

5 - تَعتادُه زَفَرات حينَ يَذكرُها ... سَقينَه بكُؤوسِ المَوتِ أَفْواقا

6 - . . . . حلَّتْ عَليه إياةُ الشَّمسِ أَوْراقا»[2]

وفي كتاب الاختيارين، ورد ذكر قيس بن الحدادية الخزاعي، حيث أورد له الأخفش القصيدة السابعة والثلاثين، أورد أبياتها هنا:

«بانتْ سُعادُ، وأَمْسَى القَلبُ مُشْتاقا ... وأقلقَتْها نوى الإزماعِ إقْلاقا

وهاجَ بالبَين منها، مِهْجَسٌ فَجِعٌ ... قد كانَ، قِدماً، بفجع البَينِ نَعّاقا

أضحَتْ مَنازِلُها، بالقاعِ، دارِسَةً ... إلا نُئياً، كوشمِ الجفن أخْلاقا

أدنى الإماءُ جِمالاتٍ قُراسيةً ... كُومَ الذرى، مُوَّرَ الأعْضادِ، أَفْناقا

أنّى أُتيحَ لَها، حِرباءُ تنضُبةٍ ... لا يُرسلُ السّاقَ إلا مُمسِكاً سَاقا»[3]

قصيدة عبد الله بن سليمة الغامدي

قال البطليوسي في شرح أدب الكتاب «وأنشد ابن قتيبة:

مُتَقارِبِ الثِّفناتِ ضَيْقٍ صَدْرُهُ ... رَحْبِ اللَّبانِ شَديدِ طَيِّ ضَرِيْسِ

(1) المصدر السابق، ج2، ص269.
(2) الإيادي، شعر أبي دواد، غوستاف فون غرنباوم، ومعه دراسات في الأدب العربي، ص326.
(3) الأخفش: الاختيارين، ص216.

الشعر لعبد الله بن سليمة بن الحارث أنشده الأصمعي في اختياراته وقبله:

ولقد غَدَوتُ على القَنيصِ بشَيْظَمٍ كالجِذْعِ وَسْطَ الجَنّةِ المَغْرُوسِ»[1]

ولا يعرف لهذا الشاعر اسم في الأصمعيات التي بين أيدينا، ولكن وجدنا البيتين في المفضليات، وبالترتيب الذي أورده البطليوسي دون أي تغيير، وتبلغ القصيدة أربعة عشر بيتاً في نسخة المفضليات، وهي:

«1 - لِمَنِ الدِّيارُ بِتَوْلَعٍ فيَبوسِ فَبياضُ رَيْطَةَ غيرُ ذاتِ أَنيسِ

2 - أَمْسَتْ بِمُسْتَنِّ الرِّياحِ مُغيلَةً كالوَشْمِ رُجِّعَ في اليَدِ المَنْكوسِ

3 - وكأنّما جَرُّ الرَّوامِسِ ذَيْلَها في صَحْنِها المَعْفُوِّ ذَيْلُ عَروسِ

4 - فتَعَدَّ عَنها إذْ نأَتْ بِشِمِلَّةٍ حَرْفٍ كَعُودِ القَوْسِ غَيرِ ضَرُوسِ

5 - ولقد غَدَوْتُ على القَنيصِ بشَيْظَمٍ كالجِذْعِ وَسْطَ الجَنّةِ المَغْروسِ

6 - مُتقارِبِ الثَّفِناتِ ضَيْقٍ زَوْرُهُ رَحْبِ اللَّبانِ شَديدِ طَيِّ ضَريسِ

7 - تُعْلى عليه مَسائِحٌ مِنْ فِضَّةٍ وثَرى حَبابِ الماءِ غَيْرُ يَبيسِ

8 - فتَراهُ كالمَشْعُوفِ أعْلى مَرْقَبٍ كصَفائِحٍ من حُبْلَةٍ وسُلُوسِ

9 - في مُرْبِلاتٍ رَوَّحَتْ صُفَرِيَّةٍ بنَواضِحٍ يَقْطُرْنَ غيرَ وَريسِ

10 - فنَزَعْتُهُ وكأنَّ فَجَّ لَبانِهِ وسَواءَ جَبْهتِهِ مَداكُ عَرُوسِ

11 - ولقدْ أُصاحِبُ صاحِباً ذا مَأْقةٍ بِصِحابِ مُطَّلِعِ الأذَى نِقْريسِ

12 - ولقد أُزاحِمُ ذا الشَّذاةِ بمِزْحَمٍ صَعْبِ البُداهةِ ذي شَذاً وشَريسِ

13 - ولقد أَلينُ لكُلِّ باغي نِعْمَةٍ ولقد أُجازي أهْلَ كلِّ حَويسِ

(1) البطليوسي، ابن السيد: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، طبع ومراجعة: عبد الله أفندي البستاني، المطبعة الأدبية، بيروت، 1901م، ص329.

14 - ولقد أُداوِي داءَ كُلِّ مُعبَّدٍ بعَنِيَّةٍ غلَبَتْ على النِّطِّيسِ»[1]

قصيدة عبيد بن الأبرص

ورد في الخزانة عند الحديث عن الشاهد الثاني والعشرين بعد التسعمئة: «لقد أترك القرن مصفراً أنامله – وهو صدر – وعجزه: كأن أثوابه مجت بفرصاد. والبيت من قصيدة لعبيد بن الأبرص الأسدي، أوردها الأصمعي في الأصمعيات»[2]، ولا يوجد لعبيد أي شعر في الأصمعيات التي بين أيدينا.

وقال محقق الديوان «يخاطب عبيد بن الأبرص في هذه القصيدة حجر بن الحارث أبا امرئ القيس وإخوته. وكان حجر يتوعّده في شيء بلغه عنه، ثم استصلحه. وقد اضطرب ترتيبها في المراجع المختلفة لكثرة الاستشهاد بها، وقال عنها في الجمهرة: «لهذا الشعر أشهر من معد بن عدنان من ولد الفرس الأبلق في الدهم العراب»، وقالت عنها الخزانة: أوردها الأصمعي في الأصمعيات، ولكنها ليست في مجموعة الأصمعيات التي نشرها آلورد عن مخطوطة فيينا وليست في اختيارات كرنكو من المفضليات والأصمعيات... ويستهلها عبيد بنسيب قصير (1–3) يلي ذلك خطابه لحجر، فيذكر له أن الموت سيعمّ الجميع، فلابد أن يترك ملكه يوماً (4–9) ثم يفخر بقومه بنفسه (10–12)، وهي من بحر البسيط، قال:

1 - طافَ الخَيالُ علَيْنا لَيْلَةَ الوادِي مِن أمِّ عَمْرٍو ولم يُلْمِمْ لِميعادِ

2 - أنّى اهتَدَيْتَ لِرَكْبٍ طالَ سَيرُهُمُ في سَبْسَبٍ بينَ دَكْداكٍ وإعقادِ

3 - يكَلِّفونَ سُراها كُلَّ يَعْمَلَةٍ مِثلَ المَهاةِ إذا ما احْتَثَّها الحادي

4 - أبْلِغْ أبا كَرْبٍ عني وأُسْرَتَهُ قَوْلاً سيَذْهَبُ غَوْراً بعْدَ إنْجادِ

5 - يا عَمْرُو ما راحَ من قَومٍ ولا ابتكَروا إلاّ ولِلموتِ في آثارِهِم حادِي

(1) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، تحقيق: د. قباوة، ج1، ص506.
(2) البغدادي، الشيخ عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج4، ص503.

6 – يا عَمْرُو ما طَلَعَتْ شَمْسٌ ولا غَرُبَتْ   إلاّ تَقَرَّبُ آجالٌ لِميعادِ

7 – هَلْ نحنُ إلاّ كأرواحٍ تَمرُّ بها   تحتَ التُّرابِ وأجْسادٍ كأجْسادِ

8 – فإنْ رأيْتَ بَوادٍ حَيّةً ذَكَراً   فامضِ ودَعْني أُمارسُ حيّةَ الوادي

9 – لا أعرِفَنَّكَ بعدَ المَوتِ تَنْدُبُني   وفي حَياتي ما زَوَّدْتَني زَادي

10 – فإنْ حَييتُ فلا أحْسِبُكَ في بَلَدي   وإن مرِضْتُ فلا أحْسِبْكُ عَوّادي

11 – إنَّ أمامَكَ يوْماً أنتَ مُدْرِكُهُ   لا حاضِرٌ مُفْلِتٌ مِنْهُ ولا بَادي

12 – فانْظُرْ إلى فَيْءِ مُلْكٍ أنتَ تارِكُهُ   هل تُرْسَيَنَّ أواخِيهِ بأوْتادِ

13 – الخَيْرُ يَبْقى وإنْ طالَ الزّمانُ به   والشَّرُّ أخْبَثُ ما أوْعَيْتَ من زَادي

14 – اذْهَبْ إليكَ فإنّي من بني أسَدٍ   أهْلِ القِبابِ وأهْلِ الجُرْدِ والنّادي

15 – قد أتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَراً أنامِلُهُ   كأنَّ أثْوابَهُ مُجَّتْ بفِرْصادِ

16 – أوْجَرتُهُ ونَواصي الخَيْلِ شاحِبَةٌ   سَمْراءَ عامِلُها من خَلْفِهِ بادي»[1]

قصيدة المتلمس الضبعي

ولدينا قصيدة من قصائد المتلمس جاء في مقدمتها: «وهي من الأصمعيات والمفضليات. وقال المحقق: لم ترد هذه القصيدة فيما بين أيدينا من المفضليات والأصمعيات، ولم ترد في المخطوطتين اللتين بين أيدينا من كتاب الاختيارين»[2]. قال:

«1 – صَبا من بَعْدِ سَلْوَتِهِ فؤادي   وأسْمَحَ للقَرينَةِ بانْقِيادِ

2 – كأنّي شارِبٌ يوم استبدّوا   وحَثَّ بهم لَدى المَوماةِ حادِ

(1) الأبرص: ديوان عبيد، ص46. وفي الخزانة بعد البيت الثاني قوله:

يطوفون الفلا في كل هاجرة   مثل الفنيق إذا ما حثّه الحادي

وفي الخزانة رواية البيت 12: فانظر إلى ظل...

(2) الضبعي: ديوان المتلمّس، ص163.

3 - عُقاراً عُتِّقَتْ في الدَّنِّ حتّى ... كأنَّ حَبابَها حدقُ الجرادِ

4 - جَمادِ لها جَمادِ ولا تَقولي ... لها أبداً إذا ذُكِرَتْ حَمادِ

5 - فإما حُبُّها عَرَضاً وإما ... بشاشةُ كُلِّ عِلْقٍ مَسْتَفادِ

6 - واعْلَمَ عِلمَ حقٍّ غيرَ ظنٍّ ... وتَقوى اللهِ من خيرِ العتادِ

7 - لَحفظُ المالِ أيْسَرُ من بُغاهُ ... وسيرٍ في البلادِ بغيرِ زادِ

8 - وإصلاحُ القليلِ يزيدُ فيهِ ... ولا يَبْقَى الكثيرُ مع الفَسادِ»[1]

قصيدة المرقش الأكبر

قال ابن قتيبة في حديثه عن أقسام الشعر: «وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه... من هذا الضرب أيضاً قول المرقّش:

هل بالدِّيارِ أن تُجيبَ صَمَمْ ... لو أنَّ حياً ناطِقاً كَلَّمْ

يأتي الشّبابُ الأقْوَرِينَ ولا ... تغبط أخاك أن يُقال حكَمْ

والعجب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيّره، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الرويّ ولا متخيّر اللفظ ولا لطيف المعنى»[2].

وذكر أبياتاً استجادها من القصيدة هي البيت (6–15) وهي مسطورة في اختيارات المفضل. ولا يوجد ذكر لواحد من المرقشين في الأصمعيات، وقال الأصمعي في المفضليات «أظنها للأصغر:

1 - هَلْ بالدِّيارِ أنْ تُجيبَ صَمَمْ ... لو كانَ رَسْمٌ ناطِقاً كَلَّمْ

2 - الدّارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كما ... رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ

3 - دِيارُ أسْماءَ التي تَبَلَتْ ... قَلْبي، فعَيْني ماؤُها يسجُمْ

(1) المصدر السابق، ص165.
(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص72.

4 – أضْحَتْ خَلاءً نَبْتُها ثَئِدٌ   نَوَّرَ فِيها زَهْرُهُ فاعْتَمْ

5 – بَلْ هَلْ شَجَتْكَ الظُّعْنُ باكِرَةً   كأنَّهنَّ النَّخْلُ من مَلْهَمْ

6 – النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دَنا   نِيرُ وأطْرافُ الأكُفِّ عَنَمْ

7 – لم يُشْجِ قَلبي مِ الحَوادِثِ إلْـ   ـلاَ صاحِبي المَتْروكُ في تَغْلَمْ

8 – ثَعْلَبُ ضَرَّابُ القَوانِسِ بالسَّيْ   فِ وهَادِي القَوْمِ إذ أظْلَمْ

9 – فاذْهَبْ فدىً لكَ ابنُ عَمِّكَ لا   خالد إلا شابة وإرمْ

10 – لو كانَ حَيٌّ ناجياً لَنجا   من يَوْمِهِ المُزَلَّمُ الأعْصَمْ

11 – في باذِخاتٍ من عَمايَةَ أو   يَرْفَعُهُ دونَ السّماءِ خِيَمْ

12 – من دُونِه بَيْضُ الأنوقِ وفَوْ   قَهُ طَويلُ المَنْكِبَيْنِ أشَمْ

13 – يرقاهُ حيْثُ شاءَ منه وإمـ   ـما تَنسنيه ميتة يهرمْ

14 – فَغَاله رَيْبُ الحَوادثِ حتْـ   ـتَى زَلّ من أريادِه فحطَمْ

15 – ليسَ على طولِ الحَياةِ ندَمْ   ومِنْ وَراءِ المَرْءِ ما يَعْلَمْ

16 – يَهْلِكُ والِدٌ ويَخْلُفُ مَوْ   لودٌ وكُلُّ ذي أبٍ يَيْتَمْ

17 – والوالِداتُ يَسْتَفِدْنَ غِنًى   ثُمَّ على المِقدارِ من تُعْقَمْ

18 – ما ذَنْبُنا في أنْ غَزا مَلِكٌ   من آلِ جَفْنَةَ حازِمٌ مُرْغِمْ

19 – مُقابلٌ بَينَ العَواتِكِ والْـ   ـغَلَّفِ لا نِكْسٌ ولا تَوْأَمْ

20 – حارَبَ واسْتَغْوى قَراضِيَةً   ليسَ لهم مما يُحازُ نَعَمْ

21 – بيضٌ مَصاليتٌ وُجوهُهُمُ   ليستْ مِياهُ بِحارِهِم بِعَمَمْ

22 – فانقضَّ مثلَ الصّقْرِ يَقْدُمُهُ   جَيشٌ كغُلانِ الشُّرَيْفِ لِهَمْ

23 - إنْ يَغْضَبوا يَغْضَبْ لـذاكَ كما يَـنْـسـلُّ عـن خِـرشـائِـهِ الأرقَـمْ

24 - فنَحنُ أخْوالُـكَ عَـمْـرَكَ والْـ خالُ لـه مَـعـاظِـمٌ وحُـرَمْ

25 - لَسْنـا كـأقـوامٍ مَطـاعِـمُـهُـمْ كسـبُ الـخَـنـى ونَـهْـكَـةُ الـمَـحْـرَمْ

26 - إنْ يُخْصِبوا يَحْيَوْا بخِصبِهِمِ أو يُـجْـدِبـوا فـهُـمْ بـهِ أَلأَمْ

27 - عـامَ تَـرى الـطّـيرَ دَواخِـلَ في بـيـوتِ قـومٍ مـعَـهُـم تَـرْتَـمْ

28 -ويَـخـرُجُ الـدُّخـانُ من خَلَلِ السْـ ـسِتْرِ كـلـونِ الـكَـوْدَنِ الأصْـحَـمْ

29 -حتى إذا ما الأرضُ زيّنها النْـ ـنَبْتُ وجُنَّ روضُـهـا والأكَـمْ

30 - ذَاقـوا نَـدامـةً فلو أكـلـوا الْـ ـخُـطـبـانَ لـم يـوجَـدْ لـه عَـلْـقَـمْ

31 - لـكـنـنـا قـومٌ خَـلائِـقُـنـا تَـزيـنُـهـا عـفـافـةٌ وكَـرَمْ

32 - أموالُنا نَقي النّفوسِ بها مـن كـلِّ مـا يُـدْنـي إلـيـهـا الـذّمْ

33 - لا يبعدُ اللهُ التّلبّبَ والْـ ـغـاراتِ إذ قـالَ الـخَـمـيـس نـعـمْ

34 - والـعَـدْوَ بين المجلسينِ إذا آد الـعَـشـيُّ وتَـنـادَى الـعَـمْ

35 - يـأتـي الـشـبـابُ الأقـوريـن ولا تغبط أخـاكَ أن يـقـال حكَمْ»(1)

قصيدة مضرس بن ربعي الأسدي

جاء في الخزانة عند الحديث عن الشاهد الحادي والعشرين بعد الثمانمئة:

«وقُلنَ على الفِردَوس أوَّلُ مشْربٍ أجَـلْ جيرِ إنْ كـانَـتْ أُبيـحَـتْ دَعـاثِـرُهْ

والبيت أورده أبو محمد بن أحمد بن الخشاب مع بيت قبله وهو:

تحمَّل من ذاتِ الدَّنانيرِ أهلُها وقَلَّصَ من نِهى الدَّفينَةِ حاضِرُهْ

وهما من قصيدة لمضرس الأسدي أوردها الأصمعي في الأصمعيات، وهي قصائد

(1) التبريزي: شرح اختيارات المفضل، ج2، ص1054.

اختارها لهارون الرشيد فاشتهرت بالأصمعيات»[1]:

«1 – فلما لحِقْناهُم قرَأنا عليهم تحيةَ موسى ربَّه إذ يحاوِرُهْ
2 – وقُلنَ على الفردوسِ أولَ مشربٍ أجل جير إن كانتْ أبيحَتْ دعاثُرُهْ
3 – فأمّا الأَصيلُ الحلم منّا فَزاجِرٌ خفافاً حلالاً أو مُشيراً فذاعِرُهْ
4 – وأما بغاة اللهو منا ومنهم مع الربربِ الحِسانِ مَحاجِرُهْ
5 – فلمّا رَأيْنَ بعضَ ما كانَ منهم آذى القولِ مَخبوءٌ لَنا وهو آخِرُهْ
6 – صَرَفْنا ولَمْ نَمْلكْ دُمُوعاً كأنَّها بوادي جمانٍ بَينَ أيدٍ تناثُرُهْ
7 – فألقَتْ عَصا التَّسْيارِ عنها وخيَّمَتْ بأرجاءِ عَذبِ الماءِ بيضٍ حَفائِرُهْ»[2]

وورد في المؤتلف والمختلف أبيات بعد ترجمة الشاعر على البحر والقافية نرجح أنها من القصيدة نفسها، قال:

«8 – فلا تهلكنَّ النَّفسَ لَوْماً وحَسْرَةً على الشَّيءِ سَدّاهُ لغيرِكَ قادِرُهْ
9 – ولا تيأسنَّ من صالح أن تنالَهْ وإن كانَ بؤساً بينَ أيدٍ تُبادِرُهْ
10 – وما فاتَ فاتْرُكْهُ إذا عَزّ واصطَبِرْ عن الدَّهرِ إذا دارتْ عَليكَ دوائِرُهْ
11 – فإنكَ لا تُعطي امرأً حَظَّ غيرِه ولا تَعرف الشقَّ الذي الغيث ماطره»

وجاء في اللسان مادة (ودع) «ويقال للأحمق يمرد الودعة يشبه بالصبي، قال الشاعر:

والحِلْمُ حِلْمُ صَبيٍّ يمرثُ الودَعَهْ

قال ابن بري أنشد الأصمعي هذا البيت في الأصمعيات لرجل من تميم بكماله:

(1) البغدادي: خزانة الأدب، ج4، ص235. ويذكر البغدادي أنه لم يرَ البيت كذلك في شعر مضرس، إنما الرواية:

وقلن ألا الفردوس أول محضر إن كانت أبيحت دعاثره

إنما هو في شعر طفيل الغنوي وأورد قبله ثلاثة أبيات وهو مغيّر من شعر مضرس بن ربعي.
(2) الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج4، ص378.

السِّنُّ من جَلْفَزيزٍ عَوْزَمٍ خَلَقٍ والعَقْلُ عَقْلُ صَبيٍّ يَمرسُ الوَدَعهْ»[1]

لم يقع بين يدي هذا البيت مع غيره لأتبيّن القصيدة التي هو منها، بالإضافة لعدم نسبته إلى شاعر معين، مما حال دون معرفة القصيدة.

(1) لسان العرب، ج10، ص260. ومادة جلفز.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم:**
- **ابن الأبرص:**

ديوان عبيد بن الأبرص، شرح وتحقيق: د. حسين نصار، ط1، نشر مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، 1377هـ/ 1957م.

- **الأبشيهي، شهاب الدين أحمد:**

المستطرف في كل فن مستظرف، ط2، مكتبة محمود توفيق، د.ب، 1354هـ/ 1935م.

- **ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد:**

اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة، 1386هـ.

- **ابن الأحنف:**

ديوان العباس، دار صادر، بيروت، 1398هـ/ 1978م.

- **الأحوص:**

شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، قدّم له: د. شوقي ضيف، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1390هـ/ 1970م.

- **الأخطل:**

شعر الأخطل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الأصمعي، حلب، تاريخ المقدمة 1390هـ/ 1970م.

- **الأخفش، سعيد علي أحمد:**

الاختيارين، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1394هـ/ 1974م.

- **الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة:**

القوافي، عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1390هـ/ 1970م.

- **أدونيس:**

الثابت والمتحول، طبع دار العودة، بيروت، 1994م.

- **الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد:**

تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، راجعه: محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1384هـ/ 1964م.

- **الأسد، د. ناصر الدين:**

مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1956م.

- **الأسدي:**

ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: د. عزة حسن، ط2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1379هـ/ 1960م.

- **الأسدي:**

شعر عمرو بن شأس، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، بغداد، 1388هـ/ 1968م.

- **الأسدي:**

شعر الكميت بن زيد، جمع وتحقيق: داود سلوم، نشر مكتبة الأندلس، بغداد، 1969م.

- **الإشبيلي، ابن عصفور:**

ضرائر الشعر، تحقيق السيد إبراهيم محمد، ط1، دار الأندلس، د.ب، 1980م.

- **الأشموني:**

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مصر، 1365هـ/ 1946م.

- **الأصفهاني، حمزة بن الحسن:**

التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط1، مطبعة المعارف، بغداد، 1387هـ/ 1967م.

الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المعارف، مصر، 1966م.

- **الأصفهاني، أبو الفرج:**

علي بن الحسين بن محمد بن أحمد: الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

- **الأصفهاني، أبو بكر محمد بن سليم بن داود:**

النصف الأول من كتاب الزهرة، د. لويس نيكسل البوهيمي بمساعدة إبراهيم عبد الفتاح طوقان، ط1، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1351هـ/ 1932م.

- **الأصمعي، عبد الملك بن قريب:**

الإبل، ضمن مجموعة الكنز اللغوي، نشر: د. أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1903م.

الاشتقاق، تحقيق: د. سليم النعيمي، مطبعة أسعد، بغداد، 1968م.

الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر/ عبد السلام هارون، ط3، دار المعارف، مصر، 1387هـ/ 1967م.

خلق الإنسان، ضمن مجموعة الكنز اللغوي.

الدارات، ضمن مجموعة البلغة في شذور اللغة، نشر د. أوفست هفنر/ الأب لويس شيخو اليسوعي، ط2، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1914م.

الشاء، تحقيق: د. صبيح التميمي، ط1، دار أسامة، بيروت، لبنان، 1987م.

فحولة الشعراء، تحقيق: ش. توري، قدم له: د. صلاح الدين المنجد، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.

فحولة الشعراء، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي/ طه الزيني، ط1، المطبعة المنيرية بالأزهرية، 1373هـ/ 1953م.

الفرق، تحقيق: د. صبيح التميمي، ط1، دار أسامة، بيروت، 1987م.

ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1406هـ/ 1986م.

النبات والشجر، ضمن مجموعة البلغة في شذور اللغة.

النخل والكرم، ضمن مجموعة البلغة في شذور اللغة.

الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق: محمد محمد حسين، نشر مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، تاريخ المقدمة 1950م.

الأعشى، كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس والأعشِين الآخرِين، مطبعة آدولف هلزهوسن، بيانة، 1927م.

- **الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر:**

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1961م.

المؤتلف والمختلف، تصحيح: ف. كرنكو، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت،

1402هـ/ 1982م.

- **امرؤ القيس**

ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1958م.

- **الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم:**

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، 1963م.

- **الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد:**

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، تاريخ المقدمة 1386هـ/ 1967م.

- **الأنصاري، الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي:**

خلاصة تهذيب الكمال في تذهيب أسماء الرجال، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1323هـ.

- **الأنصاري، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن هشام:**

شرح قصيدة بانت سعاد، ط1، المطبعة الأزهرية المصرية، مصر، 1317هـ.

- **أنيس، د. إبراهيم:**

الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ب، 1987م.

موسيقى الشعر، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ب، 1972م.

- **الإيادي**

شعر أبي دؤاد، مطبوع مع دراسات في الأدب العربي، غوستاف فون غرنباوم، ترجمة: د. إحسان عباس وآخرون، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1959م.

- **الأيوبي، د. ياسين:**

معجم الشعراء في لسان العرب، ط4، دار العلم للملايين، لبنان، 1981م.

- **الباهلي:**

شعر عمرو بن أحمر، تحقيق: د. حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.

- **بروكلمان، كارل:**

تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية، د.عبد الحليم النجار،ط4، نشر دار المعارف، مصر، 1977م.

- **البستاني، بطرس:**

الشعراء الفرسان، دار المكشوف، بيروت، 1966م.

- **بشر، د. كمال:**

علم اللغة العام، ط2، نشر دار المعارف، مصر، 1971م.

- **البطليوسي، ابن السيد:**

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، راجعه: عبد الله أفندي البستاني، المطبعة الأدبية، بيروت، 1901م.

- **البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي:**

تاريخ بغداد، ط1، مكتبة السعادة، مصر، 1349هـ/ 1931م.

- **البغدادي، عبد القادر بن عمر:**

خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/ 1967م.

خزانة الأدب، دار صادر، بيروت، د.ت.

- **البكري، أبو عبيد:**

سمط اللآلئ، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ب، 1971م.

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس/ د. عبد المجيد قطامش، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1391هـ/ 1971م.

معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ط1، القاهرة، 1368هـ/ 1949م.

- **تأبط شراً:**

ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1404هـ/ 1984م.

- **التبريزي، الخطيب:**

شرح اختيارات المفضل، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1391هـ/ 1971م.

شرح القصائد العشر، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط3، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

- **التميمي، أبو القاسم علي بن حمزة:**

التنبيهات على أغاليط الرواة، مطبوع مع المنقوص والممدود للفراء، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، مصر، 1977م.

- **ابن تولب:**

شعر النمر بن تولب، جمع وصنع: د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1388هـ/ 1968م.

- **ثعلب، أبو العباس يحيى:**

المجالس، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار المعارف، مصر، تاريخ المقدمة 1375هـ/ 1956م.

- **الجاحظ، عمرو بن بحر:**

البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة/ مكتبة الهلال، بيروت، 1367هـ/ 1948م.

الحيوان، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط1، مصر، 1356هـ/ 1938م.

- **الجبوري، د. يحيى:**

الزينة في الشعر الجاهلي، ط1، دار القلم، الكويت، 1404هـ/ 1984م.

ديوان لبيد، ط2، دار القلم، الكويت، 1981م.

- **ابن الجراح، أبو عبد الله محمد بن داود:**

الورقة، تحقيق: د. عبد الوهاب عزام/ عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر.

- **الجرجاني، عبد القاهر:**

الطرائف الأدبية، صححه: عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م.

- **جرير:**

ديوان جرير، دار صادر/ دار بيروت، بيروت، 1379هـ/ 1960م.

- **الجشمي**

ديوان دريد بن الصمة، جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي، قدم له: د. شاكر الفحام، دار قتيبة، دمشق، 1401هـ/ 1981م.

• **الجعدي:**

شعر النابغة الجعدي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1382هـ/ 1964م.

• **ابن جعفر، قدامة بن جعفر:**

نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1367هـ/ 1948م.

• **الجمحي:**

طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر.

• **ابن جندل:**

ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، نشر وتوزيع المكتبة العربية، حلب، 1383هـ/ 1963م.

• **ابن جني، أبو الفتح عثمان:**

الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الدار العربية للكتاب، بيروت.

المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى/ عبد الله أمين، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1373هـ/ 1954م.

• **الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس:**

الوزراء والكتّاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط1، القاهرة، 1357هـ/ 1938م.

• **ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد:**

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1357هـ.

أخبار الأذكياء، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

- **الحاتمي، محمد بن الحسن:**

حلية المحاضرة، تحقيق: هلال ناجي، 1970م.

- **الحادرة:**

ديوان الحادرة، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، 1399هـ/ 1973م.

- **ابن حجر:**

ديوان أوس، تحقيق: محمد يوسف نجم، ط2، دار صادر، بيروت، 1387هـ/ 1967م.

- **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد:**

جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1382هـ/ 1962م.

- **الحطيئة:**

ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، ط1، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، 1378هـ/ 1958م.

- **الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله:**

معجم الأدباء، نشر د. أحمد الرفاعي، مطبوعات دار المأمون، 1355هـ.

معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1376هـ/ 1957م.

- **الحنفي، الشيخ جلال:**

العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، مطبعة العاني، 1398هـ/ 1987م.

- **الحوفي، أحمد محمد:**

الغزل في الشعر الجاهلي، ط1، طبع ونشر مكتبة نهضة مصر، مصر، 1370هـ/ 1950م.

- **الخزرجي، الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله:**

خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال، ط1، المطبعة الخيرية، 1322هـ.

- **ابن الخطيم:**

ديوان قيس، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، ط2، دار صادر، بيروت، 1378هـ/ 1967م.

- **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد:**

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1368هـ/ 1948م.

- **الخنساء:**

ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت.

- **خورشيد، إبراهيم زكي/ الشنشنتاوي، أحمد/ يونس، د. عبد الحميد**

دائرة المعارف الإسلامية، ط2، دار الشعب، القاهرة، 1969م.

- **ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة:**

فهرسة ما رواه عن شيوخه، نشر: فرنسشكه قدارة زيدين وتلميذه، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1382هـ/ 1963م.

- **الدارمي:**

ديوان مسكين، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري/ خليل إبراهيم العطية، ط1، مطبعة دار البصري، بغداد، 1389هـ/ 1970م.

- **ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن:**

الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1958م.

تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيد مصطفى السنوسي،ط1984،1م.

جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي، القاهرة، د.ت.

- **الدؤلي:**

ديوان أبي الأسود، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1974م.

- **الذبياني:**

ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، تاريخ المقدمة 1968م.

ديوان النابغة، صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، 1968م.

ديوان النابغة، تحقيق: عمر الدسوقي، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1960م.

ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1977م.

- **ذو الرمة:**

ديوان شعر ذي الرمة غيلان بن عقبة، تصحيح: كارليل هنري هيس مكارتني، طبع كلية كمبردج، 1337هـ/ 1919م.

- **ابن أبي ربيعة:**

ديوان عمر، تحقيق وشرح: إبراهيم الأعرابي، مكتبة صادر، بيروت، 1952م.

- **ابن رشيق، أبو علي الحسن:**

العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مطبعة السعادة، مصر، 1374هـ/ 1955م.

- **رومية، وهب:**

الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ/ 1979م.

- **الزبيدي:**

ديوان عمرو بن معديكرب، صنعة هاشم الطعان، د.ت.

- **الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن:**

طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، 1973م.

- **الزبيدي، الإمام اللغوي السيد محمد مرتضى:**

تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، مطابع دار صادر، بيروت، 1386هـ/ 1966م.

- **الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق:**

الأمالي، ط2، المكتبة المحمودية، مصر، 1354هـ/ 1935م.

- **الزركلي، خير الدين:**

الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.

- **زكي، د. أحمد كمال:**

الأصمعي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

- **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:**

المستقصى في أمثال العرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ/ 1977م.

- **ابن زهير:**

ديوان كعب، صنعة السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1360هـ/ 1950م.

- **السجستاني، أبو حاتم:**

فحولة الشعراء، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، طبع ونشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1411هـ/ 1991م.

- **سزكين، فؤاد:**

تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي، راجع الترجمة: د. مصطفى عرفة، د. سعيد عبد الرحيم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ/ 1983م.

- **السطلي، د. عبد الحفيظ:**

العجاج حياته ورجزه، توزيع مكتبة أطلس، دمشق، تاريخ المقدمة 1971م.

- **العسكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين:**

كتاب شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، راجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العودة، القاهرة.

- **السكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله:**

شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط1، مطبعة مصطفى الحلبي، 1963م.

- **ابن السكيت:**

إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر/ عبد السلام محمد هارون، ط2، دار المعارف، مصر، 1375هـ/ 1956م.

- **ابن أبي سلمى:**

شعر زهير، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط2، دار القلم العربي، حلب، 1393هـ/ 1973م.

- **ابن سلمة، أبو طالب المفضل:**

الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه: محمد النجار، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1380هـ/ 1960م.

- **السلمي:**

شعر خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.

- **السلمي:**

ديوان العباس بن مرداس، تحقيق: د. يحيى الجبوري، بغداد، 1388هـ/ 1968م.

- **السموءل:**

ديوانا عروة بن الورد والسموءل، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1384هـ/ 1964م.

- **السندوبي، حسن:**

شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة، ط4، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1378هـ/ 1959م.

- **سيبويه، أبو بشر عمرو:**

الكتاب، ط1، مصر، 1316هـ

- **السيد، د. عبد الرحمن:**

مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، ط1، توزيع دار المعارف، مصر.

- **ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل:**

المخصص، بيروت.

- **السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله:**

أخبار النحويين البصريين، نشر فريتس كرنكو، بيروت، 1936م.

- **السيوطي، جلال الدين:**

الأشباه والنظائر، ط2، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1360هـ

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، د.ب، 1384هـ/ 1965م.

المزهر في علوم اللغة، علّق عليه: محمد أحمد جاد المولى/ علي البجاوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار إحياء الكتب العربية.

- **ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي العلوي:**

الأمالي الشجرية، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1349هـ

كتاب الحماسة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن،1394هـ.

- **ابن شداد:**

ديوان عنترة، شرح وتحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، قدم له: إبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت.

- **الشلقاني، د. عبد الحميد:**

الأصمعي الراوية، د.ب، د.ت.

الأعراب الرواة، ط1، الشركة العربية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، 1975م.

- **الشنتمري، يوسف سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم:**

أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1316هـ.

- **الشنقيطي، الشيخ أحمد أمين:**

المعلقات العشر وأخبار شعرائها، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1378هـ/ 1959م.

- **الصعيدي، عبد المتعال:**

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط6، مكتبة الآداب ومطبعتها، د.ب، د.ت.

- **الضبعي:**

ديوان المتلمس، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية العامة للطباعة والنشر، مصر، 1390هـ/ 1970م.

- **الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد:**

ديوان المفضليات، شرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1902م.

المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر/ عبد السلام محمد هارون، ط6، نشر دار المعارف، مصر، 1979م.

- **الطائي أبو تمام حبيب بن أوس:**

كتاب الوحشيات، تحقيق: عبد العزيز الميمني، زاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1963م.

نقائض جرير والأخطل، أنطون صالحاني اليسوعي، المكتبة الكاثوليكية للآباء

اليسوعيين، بيروت، 1922م.

- **الطائي**:

شعر أبي زبيد، جمعه وحققه: د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.

- **طبانة، د. بدوي**:

معجم البلاغة العربيـة، ط1، منشورات جامعة طرابلس، 1395هـ/ 1975م.

- **الطبري، الإمام أبو محمد جعفر بن جرير**:

تاريخ الأمم والملوك، راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1969م.

- **الطرابلسي، د. أمجد**:

نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، ط5، مكتبة دار الفتح، دمشق، 1971م.

- **الطرماح**:

ديوان الطرماح، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق.

- **ابن الطفيل**:

ديوان عامر، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

- **الطيب، د. عبد الله**:

المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.

- **عابدين، د. عبد المجيد**

الأمثال في النثر العربي القديم، ط1، مكتبة مصر، د.ب، تاريخ المقدمة، 1956م.

- **العبادي:**

ديوان عدي بن زيد، حققه: محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م.

- **عباس، د. إحسان:**

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط1، دار الأمانة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، 1391هـ/ 1971م.

- **ابن العبد:**

ديوان طرفة، دار صادر/ دار بيروت، بيروت، 1980م.

- **ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد:**

العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين/ أحمد الزين/ إبراهيم الأبياري، ط2، القاهرة، 1367هـ/ 1948م.

- **عبد الرحمن، د. نصرت:**

الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، مكتبة الأقصى، عمان، 1976م.

- **أبو العتاهية**

أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، مكتبة الملاح، دمشق، تاريخ المقدمة 1384هـ/ 1964م.

- **عتيق، د. عبد العزيز:**

علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974م.

في تأريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1970م.

- **ابن العجاج:**

ديوان رؤبة بن العجاج، تصحيح وترتيب وليم بن آلورد البروسي، ط1، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1970م.

- **العجاج:**

ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلي، توزيع مكتبة أطلس، دمشق، تاريخ المقدمة 1969م.

ديوان العجاج، تحقيق: د. عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان، د.ت.

- **العدواني:**

ديوان ذي الإصبع، جمع وتحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني وآخرون، مطبعة الجمهور، الموصل، 1973م.

- **العسقلاني، شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر:**

الإصابة في تمييز الصحابة، مصر، 1358هـ/ 1939م.

تهذيب التهذيب، ط1، حيدر آباد الدكن، الهند، 1326هـ.

- **العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد:**

ديوان المعاني، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، 1352هـ.

كتاب الصناعتين، تحقيق: محمد علي البجاوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1371هـ/ 1952م.

المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، 1960م.

- **عطوان، د. حسين:**

مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ت.

- **ابن العمراني، محمد بن علي:**

الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: د. قاسم السامرائي، لايدن، 1973م.

- **غرنباوم، غوستاف فون:**

دراسات في الأدب العربي، ومعه شعر أبي دؤاد الإيادي، ترجمة: د. إحسان عباس وآخرون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959م.

- **الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد:**

التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، تحقيق: د. حسن الشاذلي فرهود، ط1، د.ب، 1981م.

المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، دراسة وتحقيق: عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، د.ت.

- **الفحل:**

ديوان علقمة، شرح الأعلم الشنتمري، حققه: لطفي الصقال/ درية الخطيب، راجعه: د. فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي، حلب، 1389هـ/ 1969م.

- **القالي، أبو علي:**

الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:**

تأويل مشكل القرآن، تحقيق وشرح: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، د.ب، تاريخ المقدمة 1373هـ/ 1954م.

الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1969م.

عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1343هـ/ 1925م.

المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ط1، المطبعة الإسلامية، القاهرة، 1353هـ/ 1934م.

- **القرشي:**

شعر إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمد نفاع/ حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، تاريخ المقدمة 1389هـ/ 1969م.

- **القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب:**

جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

- **القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري:**

بهجة المجالس وأنس الجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مراجعة: د. عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، تاريخ المقدمة، 1962م.

- **القطامي:**

ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي/ أحمد مطلوب، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1960م.

- **القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف:**

إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1369هـ/ 1950م.

- **القيرواني، أبو إسحاق الحصري:**

زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: د. زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت.

- **ابن قيس الرقيات:**

ديوان عبيد الله بن قيس، شرح وتحقيق: د. يوسف نجم، دار صادر/ دار بيروت، بيروت، 1378هـ/ 1958م.

- **القيسي، د. نوري حمودي:**

شعراء إسلاميون، ط2، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/ 1984م.

- **الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد:**

فوات الوفيات، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1951م.

- **لبيد:**

ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق وشرح: د. إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962م.

- **المبرد، الإمام أبو العباس:**

الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف، تحقيق: أحمد شاكر، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1356هـ/ 1937م.

• **المثنى، أبو عبيدة معمر بن المثنى:**

النقائض بين جرير والفرزدق، وقف على طبعها وتحقيقها: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، مصر، د.ت.

• **المرتضى، الشريف المرتضى:**

الأمالي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1373هـ/ 1954م.

طيف الخيال، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مراجعة: إبراهيم الأبياري، ط1، دار إحياء الكتب العربية، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/ 1962م.

• **ابن مرداس:**

ديوان العباس، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975م.

• **المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران:**

معجم الشعراء، مع المؤتلف والمختلف، تصحيح: سالم الكرنكوي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، نشر جمعية الكتب العربية، القاهرة، 1343هـ.

• **ابن المعتز، عبد الله بن المعتز:**

البديع، شرح: عبد المنعم خفاجي، مصر، 1364هـ/ 1945م.

• **ابن مقبل:**

ديوان ابن مقبل، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981م.

- **المقدسي، ضياء الدين:**

المنتقى من أخبار الأصمعي، انتقاء من كتاب أخبار الأصمعي للإمام الربعي، تحقيق: د. عز الدين التنوخي، ط1، دمشق، 1936م.

- **المنجد، د. صلاح الدين:**

القصيدة اليتيمة، ط1، دار الكتاب الجديد، د.ب، 1970م.

- **مندور، محمد:**

النقد المنهجي عند العرب، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، تاريخ المقدمة، 1948م.

- **ابن منظور، جمال الدين بن مكرم:**

لسان العرب، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، تاريخ المقدمة 1300هـ.

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1385هـ/ 1965م.

- **الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم:**

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1379هـ/ 1959م.

- **ناصف، د. مصطفى:**

الصورة الأدبية، ط1، مكتبة مصر، مصر،1378هـ/ 1958م.

- **الناقوري، إدريس:**

المصطلح النقدي في نقد الشعر، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، 1984م.

- **ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب:**

الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، 1391هـ/ 1971م.

- **نصار، د. حسين:**

المعجم العربي نشأته وتطوره، ط2، دار مصر للطباعة، مصر، 1968م.

- **النميري:**

شعر أبي حية، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الجمهورية، بغداد، 1388هـ/ 1968م.

- **النميري:**

ديوان الراعي، تحقيق: راينهرت فايبرت، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت، 1401هـ/ 1980م.

- **أبو نواس:**

ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، 1953م.

- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:**

نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1350هـ/ 1931م.

- **هدارة، د. محمد مصطفى:**

مشكلة السرقات في النقد العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م.

- **ابن هرمة:**

ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مكتبة الأندلس، بغداد، 1386هـ/ 1969م.

- **الهلالي**:

ديوان حميد بن ثور، وفيه بائية أبي دواد الإيادي، صنعة: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1371هـ/ 1951م.

- **ابن الورد**

ديوان عروة، شرح ابن السكيت، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ت.

- **اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن عفيف الدين**:

مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، د.ت.

- **اليربوعي**:

ديوانا مالك ومتمم ابني نويرة، تأليف: ابتسام مرهون الصفار، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م.

- **يموت، بشير**:

شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المكتبة الأهلية، بيروت، 1353هـ/ 1934م.

الدوريات

1 ـ البدوي، د. أحمد محمد: مجلة الشعر العربي، القاهرة، العدد 31، 1983م.

2 ـ خليف، د. يوسف: مجلة المجلة، السنة التاسعة، العدد 100، 1965م.

3 ـ شاكر، محمود محمد: مجلة الكتاب، مجلد 11، 1952م.

المحتويات

الأصمعي ناقد الشعر

كان الشعر موضع اهتمام الأصمعي، وله مع الأعراب قصص كثيرة في ذلك تدلّ على سعة حفظه للشعر، وكانت حلقات المساجد المنبع الذي كان ينهل منه علوم اللغة والدين. ومن هنا جاء هذا البحث الذي يتحدث عن نقد الشعر عند الأصمعي في إطار عام يشمل الأصمعيات، وذلك من منطلق أن النقد الأدبي يشمل رواية الشعر، وعمل الدواوين وشرحها، واختيار النصوص الشعرية، أو استحسانها من بين التراث الشعري، ويشمل كذلك أقواله، وما يمكن أن يُستخلص من مواقف نقدية تُستمد من كتب الأصمعي ومناظراته، وما نُسبَ إليه من آراء. والهدف من ذلك كله هو حصر جهود الأصمعي في مجال نقد الشعر، وتبيُّن مكانة الأصمعي في نقد الشعر، وطرائقه في النظر والذوق، وما يمكن أن تدلّ عليه جهود من إضافات.

وقد تناول البحث بالدراسة سيرة الأصمعي، وتكوينه الثقافي والعلمي، وما عمله من دواوين، وآراءه في مجال النقد الفني، وما ألَّفه الأصمعي من كتب لغوية أورد فيها الشعر على سبيل الاستشهاد.

أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE